

# كِتَابُ الْجُلَّةِ السَّيَرَاءِ

لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُضَاعِيِّ  
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَبَّارِ  
(٥٩٥ - ٦٥٨ هـ / ١١٩٩ - ١٢٦٠ م)

الجزء الأول  
وَيُضَمُّ تَرَاجِمُ أَهْلِ الْمَنَاتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ

حققه وعلق حواشيه الدكتور

حُسَيْنُ بْنُ مُؤَنِّسٍ

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة القاهرة  
ومدير معهد الدراسات الإسلامية بمديرة



جميع الحقوق محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى - سنة ١٩٦٣

300 100 200 300 400 500 600 700 800 900 1000





هذا العمل

مهدى إلى ذكرى أستاذى

عبد الحميد العبادى

أول من علمنا حرفاً عن الأندلس

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

تمهيد :

عاش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار بين سنتي ٥٩٥/١١٩٩ و ٦٥٨/١٢٦٠ ، أي ثلاثاً وستين سنة هجرية (إحدى وستين سنة ميلادية) ، وهو عمر طويل نسيباً ، وأتيحت له الفرصة ليصيب من العلم أوفر نصيب سمح به زمانه ، ووصل إلى الوظائف الكبرى في عتقوان شبابه ، وظل بعد ذلك صدرّاً في بلده بلنسية وفي كل مكان حل فيه ، وأوتي من الذكاء وُبعد الفهم وقوة الذاكرة وبلاغة اللسان ما كان كفيلاً بأن يهيئ له حياة سعيدة ، أو مستقرة على أقل تقدير ، ولكنه خُلِقَ ذا طبع قلق ونفس حائرة وقلب ذى طلاح بعيد المطارح ، فلم يقر له حال منذ أيفع إلى أن مات ، ولم يسعد من حياته الطويلة إلا بفترات قصار معظمها وهو دون الثلاثين ، ثم ما زالت الخطوب تنزل بساحته وما زال يعينها على نفسه حتى تكدرت حياته ما بقي له من أيام العمر بعد ذلك ، وانتهى به الأمر إلى مصرع فاجع على يد من خدمه وملاً الصفحات بمديحه ؛ فلو أننا بحثنا عن مثال لرجل لم ترحمه أيامه ولا رحمته نفسه لما كان هذا المثال خيراً من ابن الأبار .

ولكن الأجيال التالية لعصر ابن الأبار كانت أرفق به من أيامه ومن نفسه ، فتعاقب الناس على إنصافه وتكريمه والإشادة بذكره ، فترجم له أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت ٧١٤/١٣١٤ - ١٣١٥) في «عنوان الدراية» (ص ١٨٣-١٨٧) وابن خلدون في تاريخه (٦/٢٨٣-

٢٨٥) ، والمقرى في «نفح الطيب» (٣/٣٤٦-٣٤٧) و «أزهار الرياض» (٣/٢٠٥) ، وأبو على محمد بن إبراهيم اللؤلؤى الزركشى في «تاريخ الدولتين» (ص ٢٠-٢٧) ، ومحمد بن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات» (بولاق، ٢/٢٨٢-٢٨٤) ، وذكر حاجي خليفة بعض مؤلفاته في أربعة مواضع من كشف الظنون (٢/١١٥ و ٢٣٦ ، ٣/٥٢٧) .

هؤلاء جميعاً أثنوا على ابن الأبار وقدروه قدره الصحيح كواحد من أكبر من أنجبهم الأندلس في ميادين التاريخ والأدب وعلوم الإسلام ، وأنصفوه من قاتله وأجمعوا على أنه قتل مظلوماً ، بل وصفه بعضهم بالشهيد .

وفاقت عنايةُ المحدثين بابن الأبار عنايةَ الأقدمين ، فتبينوا من فضائله كمؤرخ وكاتب أكثر مما تبينه السابقون ، وصاحب الفضل في ذلك دون شك هو المستشرق الهولندي المعروف راينهاردت بيتر-آن دوزي ، فقد وقف عنده وقفة طويلة في كتابه الصغير المسمى «مقدمة للبيان المغرب» :

*Introduction au Bayan al-Moghrrib*, Leyde 1848.

وقرر أنه مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة ، وأنه حافظ جمع فأوعى ، وحفل صدره من العلم بالمغرب والأندلس بتاريخ الإسلام عامة ما لم يصل إليه إلا القلائل من علماء القرن السابع الهجري ، وأن أسلوبه الأدبي قوى جميل فيه فحولة ندرت بين أهل عصره .

ثم عاد فأكد هذا الرأي ووفى ابن الأبار حقه من التقدير في تعليقاته على الترجمة اللاتينية للنصوص الخاصة ببني عباد أصحاب إشبيلية :

*Scriptorum Arabum Loci de Abbadides*, (Lugdoni Batavorum, 1852) II, 46—47.

ونشر تراجم الأندلسيين من الحلقة السيرة في كتابه المسمى :

*Notices sur quelques Manuscrits Arabes* (Leyde, 1847—1851) pp. 29 sqq.

مع مقدمة قصيرة عن ابن الأبار أحال فيها إلى ما كتبه عنه في مؤلفاته الأخرى .

وكان نشر دوزى لهذه القطعة من الحلقة ، بالإضافة إلى ما نشره منها في جامع الكتابات عن بني عباد منبهاً لأهل العلم إلى قيمة ابن الأبار وأهمية ما كتب ، فأقبل الناس يبحثون عما بقي من آثاره يدرسونها بالعناية الجديرة بها وينشرون ما تيسر لهم منها . وأول من فعل ذلك بعد دوزى ماركوس جوزيف مولر في كتابه المسمى :

*Beiträge Zur Geschichte der Westlichen Araber.* (München, 1866)  
Heft I, 161—192 ; heft II, 193—360.

ووقف مولر بتراجمه عند أحمد بن أبي الأغب محيلاً بعد ذلك إلى قطعة من « الحلقة » كان قد نشرها أماري في المكتبة الصقلية ( ص ٣٣ وما يليها ) ، ووضح أن مولر كان ينوى متابعة نشر تراجم أهل المغرب من « الحلقة » في جزء ثالث من كتابه ، ولكنه لم يفعل ، فبقيت هذه التراجم دون نشر : وكان دوزى قد نشر بضع تراجم أندلسية من « الحلقة » ذيولاً على بعض أبحاثه في كتابه المعروف :

*Recherches sur l'histoire et la Littérature de l'Espagne pendant le moyen - âge*, 3e éd. Paris, Leyde 1881. Vol. I., appendices X, p. XIX ; XX, p. XLVIII ; XXIV, p. LVI — vol. II, appendices II, p. XXVII ; IX, p. XLVI.

وكان الراهب اللبناني ميخائيل الغزيري نزيل إسبانيا وواضع الفهرس الأول للمخطوطات العربية في مكتبة الإسكريال قد نبه إلى أهمية مخطوط « الحلقة السيرة » الموجود بهذه المكتبة ونشر ترجمة لاتينية لقطعة صغيرة منه :

M. CASIRI *Bibliotheca Arabico - Hispana Escorialensis*, Vol. II, p. 163, n. MDCCXXV.

ونشر كذلك قطعة من مخطوط كتاب آخر لابن الأبار هو التكملة :

*Ibidem*, Vol. II, n. MDCCXXX.

ثم عكف المستشرق الإسباني فرانيسكو كوديرا على نشر مخطوطين لابن الأبار ، أولهما « المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدفى » ، المكتبة الأندلسية رقم ٤ :

*Bibliotheca Arabico Hispana*; tomus IV, Madrid 1886.

وثانيهما كتاب التكملة لكتاب الصلة :

*Bibliotheca Arabico Hispana*, t. V—VI, Madrid 1889.

وقد نشر في هذين الجزئين التراجم التى يضمها المخطوطان رقم ١٦٧٥ و١٦٧٨ من مخطوطات مكتبة الإسكريال وهى التراجم من حرف الجيم إلى حرف الميم ( عدا بعض الحروف بين العين واللام ) . وقد عثر على هذه التراجم الناقصة فى مخطوط يحمل رقم ١٧٣٥ فى مكتبة الجزائر ، فقام على نشرها م . ألكركون وأنخل جنتال بالنيثيا فى مدريد سنة ١٩١٥ :

M. ALARCON y C. A. G. PALENCIA : *Apéndice a la edición Codera de la Técmila de Aben al-Abbar en Miscelanea de Estudios y Textos Arabes*, Madrid 1915.

وبقيت الحروف من الألف إلى التاء ثم من اللام إلى الياء ، فأما الأولى فقد عثر عليها ألفريد بيل ومحمد بن شنب فى فاس ونشراها فى الجزائر سنة ١٩٢٠ :

IBN AL - ABBAR, *Técmilat as-Sila*. Texte arabe d'après un ms. de Fez. Tome I complétant les deux volumes édités par Codera, Alger 1920.

وعثر محمد بن شنب على قطعة تضم فاتحة التكملة فنشرها فى المجلة الإفريقية سنة ١٩١٨ :

M. BEN CHENEB, *L'Introduction d'Ibn al-Abbar à sa Técmila*. Revue Africaine, 1918 p. 300.

وقد قدم كل من كوديرا وألكركون وجنتال بالنيثيا وألفريد بيل ومحمد ابن شنب لما نشروا من نصوص لابن الأبار بمقدمات ودراسات ضافية ، نخص منها بالذكر مقدمتى كوديرا للمعجم ولما نشر من التكملة ، فهما دراستان شاملتان عن ابن الأبار وحياته وأعماله وقدره بين من أنجب الأندلس من أعلام .

وعند ما كتب فرديناند فستنفلد كتابه المعروف عن مؤرخى العرب  
اختص ابن الأبار بمادة طيبة :

F. WÜSTENFELD, *Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke*. Göttingen, 1882, p. 129.

وفى الترجمة الإنجليزية التى قام بها بشكوال دجيانجوس للمجلد الأول  
من « نفح الطيب » للمقرى ( طبعة أوروبا ) تعليق طويل عن ابن الأبار  
وأعماله :

PASCUAL DE GAYANGOS, *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, II, 528.

وكتب ميكيل أمارى مادة قصيرة عن ابن الأبار فى الجزء الأول من  
تاريخ مسلمى صقلية ، ثم نشر قطعة منه خاصة بفتح صقلية فى المكتبة  
الصقلية ( رقم ٥٢ ) ، وأشار إليه سيمونيت فى معجمه :

F. J. SIMONET, *Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes*. Madrid, 1888, CCXXIV.

وعندما كتب البارون فون شاك كتابه البديع عن شعر عرب الأندلس  
وصقلية وفنهم ، أشاد بابن الأبار وترجم إلى شعر ألمانى سينيته المشهورة فى  
استصراخ أبى زكريا الحفصى لنجدة الأندلس :

ADOLPH FRIEDERICH VON SCHACK : *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sizilien*. 3 Auflage, Stuttgart, 1871.

وعن شعر فون شاك ترجم نفس القصيدة إلى شعر إسبانى خوان قاليرا  
عند ما ترجم الكتاب كله إلى الإسبانية :

JUAN VALERA, *Poesía y Arte de los Arabes en Espana y Sicilia*. 3a ed. Sevilla 1881, I, 162.

وأوفى مادة كتبت عن ابن الأبار فى غير العربية هى تلك التى كتبها  
پونس بويجس فى معجمه عن المؤرخين والجغرافيين من أهل الأندلس :

FRANCISCO PONS BOIGUES, *Ensayo bio - bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos árabe - españoles*. Madrid, 1898, nu. 253 pp. 291 - 296.

ونضيف إلى هذا العرض لما كتب عن ابن الأبار في غير العربية مادتي كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج ١ / ٤١٦ والملحق ١ / ٥٨٠ ( يلاحظ أنه أخطأ في اسمه فجعله أبا علي بن محمد بن علي بن أبي بكر بن الأبار ) ، ومادة دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى وقد كتبها محمد بن شنب ( ٣٧٤/١ ب و ٣٧٥ ا ) ، والفقرة الخاصة به من كتاب تاريخ الفكر الأندلسي ( فقرة رقم ٨٦ ص ٢٧٧ - ٢٨٠ من ترجمتنا العربية ) ، ثم المادة القصيرة التي اختصه بها كليمان أوار في كتابه عن تاريخ الأدب العربي ( ص ٢٠٤ ) .

أما المحدثون من العرب ، فأول من نبه منهم إلى مكانة ابن الأبار هو جرجي زيدان في كتابه القيم عن «تاريخ الأدب العربي» ، فقد اختص ابن الأبار بمادة قصيرة في الجزء الثالث من ذلك التاريخ ( ص ٨٤ من الطبعة الجديدة بتحقيق الدكتور شوقي ضيف ) أشار فيها إلى مكانته كمؤرخ ، وهي على صغرها مادة طيبة تضع ابن الأبار في مكانته بين مؤرخي الغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري .

ثم تناول ابن الأبار المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد فكتب عنه كتاباً ضخماً ( ٣٨٤ صفحة ) نال به جائزة مولاي الحسن لسنة ١٩٥١ ، ونشر الكتاب في نفس العام في تطوان ، وعلى الرغم من أن هذا التأليف كان أول عهد المؤلف بالدراسات الأندلسية ، إلا أنه عرف كيف يجمع الأصول اللازمة للكتابة عن ابن الأبار ويفيد منها ، فدرس عصره وشخصيته ومؤلفاته دراسة طيبة تدل على اجتهاد وصبر ، وقد أفدنا فائدة كبيرة من هذا الكتاب .

ثم تناول موضوع ابن الأبار الأستاذ ألفريد البستاني فنشر « المقتضب » الذي صنعه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي لكتاب ابن الأبار المسمى « تحفة القادم » في مجلة المشرق ( السنة الحادية والأربعون ، يوليو - سبتمبر ١٩٤٧ ) وقدم له بدراسة قصيرة .



وبعد ذلك بعشر سنوات أعاد الأستاذ إبراهيم الإيباري نشر نفس النص ،  
وعلى نفس مخطوطة الإسكريال ( رقم ٣٥٦ ) وقدم له بمقدمة طيبة تتضمن  
بحثاً عن حياة ابن الأبار وأعماله ودراسة لذلك « المقتضب » ، وكلاهما عمل  
طيب مشكور .

وفي سنة ١٩٥٩ تقدم السيد أنيس عبد الله الطباع ببحث له عن ابن الأبار  
للحصول على الدكتوراه من جامعة مدريد ، وأجيز عليه ، ثم طبع ترجمة عربية  
للبحث بعد ذلك في بيروت .

وأخيراً ، في سنة ١٩٦١ ، قام الدكتور صالح الأشر بنشر « إعتاب  
الكتاب » لابن الأبار ومهد له ببحث مستفيض عن حياة ابن الأبار وعصره  
ومؤلفاته وكتاب إعتاب الكتاب .

فهؤلاء تسعة عشر رجلاً من أهل العلم من المحدثين في الشرق والغرب  
عرفوا قدر ابن الأبار وقاموا على خدمة نصوصه وصرفوا من الجهد ما تيسر  
لهم في التعريف به وبأعماله وخصائصه وميزاته ، وكلهم أجمعوا على ما قرره  
دوزي من أنه يعتبر بحق من أكبر من أنجب الأندلس من أهل العلم ومن  
أولاهم بالثقة والتقدير .

ولم يصب هذا الحظ من أعلام الأندلس إلا القلائل ، بل كان حظ ابن  
الأبار من التقدير أكبر من حظ مؤرخين يزيدون عنه أهمية مثل أحمد بن  
محمد الرازي وابن حيان وابن بسام ، فإن واحداً من هؤلاء لم يظفر من  
الباحثين بكتاب خاص عنه في حين ظفر ابن الإبار بكتابين . وتلك عناية من  
القدر بهذا الرجل الذي يشعر الإنسان وهو يقرأ تاريخ حياته أنه لم يعرف قدر  
نفسه كما عرفه الآخرون .

\* \* \*

## حياة ابن الأبار :

وقد قص معظم هؤلاء حياة ابن الأبار في تطويل أو في اختصار ،  
وتشابه هذه التراجم في محتواها ، لأن المراجع التي تعتمد عليها في الترجمة له

متشابهة في مادتها لا يضيف واحد منها شيئاً جديداً ، وهي لا تخرج عما أتينا به في الفقرة الخاصة به من «تاريخ الفكر الأندلسي» (ف ٨٦ ص ٢٧٧ - ٢٨٠) ، ويبدو من هذه التراجم أن حياة ابن الأبار واضحة خالية من المعضلات ، وربما كان هذا صحيحاً عن نصف حياته الثاني ، أي منذ وصوله إلى تونس إلى مصره ، ولكن النصف الأول من حياته في حاجة إلى دراسة ، وخاصة ما يتعلق منه بمأساة بلنسية ونصيب ابن الأبار في الأحداث التي انتهت بتسليمها .

ونبدأ من البداية ، فنجد الغبريني يقول إن أصله من أجردة ، وفي نسخة أجره ، ولا نجد قرية أو موضعاً في إقليم بلنسية بهذا الاسم ، ولكن محمد بن شنب ناشر «عنوان الدراية» يقول في تعليق له : في نسختين «أجره» والصواب «تُورِيّة» ، ولاندرى علام استند في هذا التصويب ، لأن تورية أو التوريا هو الاسم اللاتيني والإسباني لنهر بلنسية الذي يسميه العرب بالنهر الأبيض ، ويسمى في بعض النصوص الإسبانية بهذا الاسم العربي Guadalaviar ، وليست هناك قرية باسم تورية في ناحية بلنسية . ويضيف الغبريني عن أجردة هذه : «وهي وما والاها دار القضاة في الأندلس» ، ولم نجد ما يؤيد هذا في «جمهرة الأنساب» لابن حزم : وصحة الاسم أندّه ، فقد ذكر ابن الأبار في ترجمته لأبيه ( التكملة رقم ١٤٤١ ) أنه «من أهل أندّه وسكن بلنسية» . وأندّه Onda اليوم مدينة صغيرة في مديرية قسطليون Castellón de la Plana ، وتقع على ٢٠ كيلومتراً غرب قسطليون قاعدة المديرية ، وكانت أندّه على أيام المسلمين تابعة لكورة بلنسية :

وترجمة ابن الأبار لأبيه تلقى ضوءاً على أصله وحياته الأولى ، فقد كان أبوه عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاة من أهل العلم والدين ، درس على أجلاء أهل العلم في عصره وأجاز له الكثيرون منهم رواية كتبهم ورواياتهم ، قال ابن الأبار : «وكتب إليه القاضي أبو بكر بن أبي جرة يميز له ولي معه جميع روايته مرتين ،

إحدهما في غرة رجب سنة ٥٩٧ هـ ، والثانية في منتصف ذي القعدة من العام المذكور ، وأنا إذ ذاك ابن عامين . وأشهر مولدى عند صلاة الغداة من يوم الجمعة في أحد شهرى ربيع سنة ٥٩٥ هـ . وهذا أدق تحديد وجدناه لتاريخ ميلاد ابن الأبار مع ما في العبارة من تضارب ، فهو يقول أولاً أنه كان في منتصف ذي قعدة سنة ٥٩٧ ابن سنتين ، أى أنه ولد في ذي قعدة سنة ٥٩٥ هـ ، ثم يقول إنه ولد في أحد شهرى ربيع من نفس السنة ، فإذا كان قد ولد في ربيع الأول منها فإن هذا الشهر يقابل ديسمبر ١١٩٨ ، وإذا كان قد ولد في ربيع الثانى فهو من مواليد يناير سنة ١١٩٩ .

ثم يقول ابن الأبار عن أبيه : « وكان رحمه الله - ولا أزكيه - مقبلاً على ما يعنيه ، شديد الانقباض بعيداً عن التصنع ، حريصاً على التخلص مقدماً في حملة القرآن ، كثير التلاوة له والتهجد به ، صاحب ورد لا يكاد يهمله ، ذاكراً للقراءات ، مشاركاً في حفظ المسائل ، آخذاً فيما يستحسن من الأدب ، معدلاً عند الحكام ، وكان القاضى أبو الحسن بن واجب يستخلفه على الصلاة بمسجد السيدة من داخل بلنسية . قرأت عليه القرآن بقراءة نافع مراراً ، وسمعت منه أخباراً وأشعاراً ، واستظهرت عليه مراراً أيام أخذى على الشيوخ ، يمتحن بذلك حفظى ، وناولنى جميع كتبه ، وشاركته في أكثر من روى عنه . وسمعتة يقول : حضرت شيخنا أبا عبد الله ابن نوح ، وقد زاره بعض معارفه ، فسأله عن أحواله ، وبالع في سؤاله ، فجعل يحمد الله ويردد ذلك عليه ، ثم أنشد متمثلاً :

جرت عادة الناس أن يسألوا عن الحال في كل خير وشر  
فكلُّ يقول بخير أنا وعند الحقيقة ضد الخبر

... حدثنى أبى رحمه الله غير مرة أنه ولد بأندلس سنة ٥٧١ (١١٧٥ -

١١٧٦) ، وتوفى ببلنسية وأنا حينئذ بغير بطليوس عند الظهر من يوم الثلاثاء الخامس لشهر ربيع الأول سنة ٦١٩ (٢١ مارس ١٢٢٢) ، ودفن لصلاة العصر من يوم الأربعاء بعده بمقبرة باب بيطالة وهو ابن ثمان وأربعين

سنة ، وحضر غسله أبو الحسن بن واجب وجماعة معه ، وكانت جنازته مشهودة والثناء عليه جليلاً ، نفعه الله بذلك » .

وإذن فقد نشأ ابن الأبار في بيت علم ودين وعفاف ، ولكنه لم يكن من بيت رياسة وولاية : ولو أن ابن الأبار سار على نهج أبيه في الانصراف إلى العلم والانقطاع له لانتفع بحياته بأكثر مما قدر له ، ولكنه انصرف وهو في مطالع شبابه إلى السياسة وطلب الوظائف والجاه في ظروف ضيقة عسيرة على الحاكمين والمحكومين معاً ، فأصابه من ذلك بلاء شديد .

وقد أحصى الدكتور عبد العزيز عبد المجيد شيوخ ابن الأبار وترجم لكل منهم ، ولهذا فسكنتني بالقول بأنه أخذ القرآن والقراءات عن أبيه ، وأخذ الفقه والحديث والمسائل وعقد الشروط عن أبي عبد الله محمد بن أيوب بن نوح السرقسطي ( ٥٣٠ - ٦٠٨ / ١١٣٥ - ١٢١٢ ) ، وعن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر ( توفي في رجب ٦٣٤ / ١٢٣٧ ) ، وأخذ الحديث أيضاً عن أبي الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي ( ٥٣٧ - ٦١٤ / ١١٤٢ - ١٢١٧ ) وعلى هذا الشيخ أخذ « الأخبار » أي درس التاريخ ، وهو العلم الذي بلغ ابن الأبار فيه شأوه ، ولابن الأبار شيخ آخر في التاريخ هو أبو سليمان داود بن سليمان .. بن حوط الله الأنصاري ( ٥٥٢ - ٦٢١ / ١١٥٧ - ١٢٢٤ ) ، فقد كان ابن حوط الله من المعنيين بالأخبار ومن كتبوا فهرسة لشيوخهم ؛ وأخذ النحو والأدب عن محمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري ( ٥٦٣ - ٦١٠ / ١١٦٧ - ١٢١٣ ) وعن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم البكري ( توفي سنة ٦٢٨ / ١٢٣٠ ) وأبي عامر نذير بن وهب بن لب بن عبد الملك بن نذير الفهرى ( ٥٥٨ - ٦٣٦ / ١١٦٢ - ١٢٣٨ ) وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مطروح القيسي ( ٥٧٤ - ٦٣٥ / ١١٧٨ - ١٢٣٧ ) ، وقد أورد ابن الأبار في ترجمته لابن مطروح هذا خبرين لها أهمية بالنسبة لحياة ابن الأبار نفسه ، ولتاريخ

بلنسية في أيامه أيضاً ، وذلك أنه ولي قضاء دانية في آخر عمره ، ثم عزل عنه وتولاه بعده ابن الأبار سنة ٦٣٣ / ١٢٣٥ - ١٢٣٦ ، ثم استعفى ابن الأبار من قضاء دانية ، فعاد إليه ابن مطروح لفترة قصيرة إذ أنه توفي سنة ٦٣٥ / ١٢٣٧ - ١٢٣٨ « والروم محاصرون بلنسية » .

غير أن أكبر أساتذة ابن الأبار وأبعدهم أثراً في حياته هو أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم بن حسان الحميدى الكلاعى ( ٥٦٥ - ٦٢٤ / ١١٦٩ - ١٢٢٧ ) ، فقد كان أبو الربيع كبير علماء بلنسية في عصره ، وإليك سيرته كما رواها ابن الأبار في « التكملة » لتستبين النواحي التي أعجبت ابن الأبار في شيخه هذا واجتهد في الأخذ بها ، قال بعد ذكره شيوخته : « ...وعنى أتم عناية بالتقيد والرواية ، وكان إماماً في صناعة الحديث بصيراً به ، حافظاً حافلاً عارفاً بالجرح والتعديل ، ذا كراً للمواليد والوفيات ، يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال ، خصوصاً من تأخر زمانه وعصره . وكتب الكثير ، وكان حسن الخط لا نظير له في الإتقان والضبط مع الاستبحار في الأدب والاشتهار في البلاغة ، فرداً في إنشاء الرسائل ، مجيداً في النظم ، خطيباً فصيحاً مفوهاً مدركاً حسن السرد والمساو لما يقوله مع الشارة الأنيقة والزى الحسن . وهو كان المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدون على المنبر في المحافل . ولى خطابة بلنسية في أوقات . وله تصانيف قصيرة في فنون ، وله كتاب « الاكتفاء مما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء » في أربعة مجلدات ، وكتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله ، وكتاب في أخبار البخارى وترجمته ، وكتاب « الأربعين » وتصانيف سوى ذلك كثيرة في الحديث والأدب والخطب ، وإليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه . أخذتُ عنه كثيراً ، وانتفعت به في الحديث كل الانتفاع ، وحضنى على هذا التاريخ . ( أى كتاب التكملة ) وأمدنى من تقييداته وطُرفه بما شحنته به . مولده في رمضان سنة ٥٦٥ ، واستشهد بكائنة أنيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ،

وكان أبداً يحدثنا أن السبعين منتهى عمره لرويا رآها ، وهو آخر الحفاظ والبلغاء المترسلين بالأندلس : قلتُ : أكثرُ هذا عن ابن مسدى ، وقال : لم ألقى مثله ، كان مبرزاً فى فنون » (ترجمة رقم ١٩٩١ ، التكملة ٢ / ٧٠٨ - ٧٠٩) .

وأبو الربيع سليمان هذا نموذج لطراز من أهل العلم فى الأندلس تستطيع أن تسميهم « شيوخ » العصر أى الذين انتهت إليهم الصدارة فى علوم الدين والفقه والفتيا فى أيامهم ، ويصدق على كل منهم ما قاله ابن الأبار عن أبى بكر محمد بن عبد الله بن الجحد : « ... وكان فى وقته فقيه الأندلس وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع ، لا يجاريه أحد فى ذلك ولا يدانيه » ( التكملة رقم ٨٢٥ ج ١ ص ٢٥٩ ) . والخصائص الرئيسية لأولئك الشيوخ غزارة العلم وصدق الإيمان ، وشرف البيت واتصال الرياسة فيه ، وفصاحة اللسان والقدرة على الكتابة والخطابة فى بلاغة ، ثم الاهتمام بشؤون الجماعة الإسلامية والأخذ من السياسة بنصيب ، مع التزام الحق والسمت والعفاف .

وفى عصور الأندلس الأولى ، أيام الإمارة والخلافة ، كان أولئك الشيوخ عمداً من عمد السلطان ، كما نرى فى حالات عبد الملك بن حبيب ويحيى بن يحيى الليثى وأصمغ بن خليل . أما بعد زوال الخلافة وانتشاب الفتنة وتلاشى السلطان السياسى العام فقد أصبح أولئك الشيوخ رموزاً على السلطان الوحيد الباقى وهو سلطان الدين والعلم ، وصاروا رموزاً على قوة الدين وسيادته ومعقد الآمال فى بعث الدولة وعودة هبة الإسلام فى شبه الجزيرة ، فهم عمد الدين وجماعته ، وهم فى واقع الأمر زعماء الجماعة الإسلامية الأندلسية وقادتها الحقيقيون . وكلما زاد السلطان السياسى تخلخلاً ازداد أولئك الشيوخ جلالة وزاد شعورهم بمسئولياتهم ، فلم يعودوا مجرد فقهاء بل زعماء أيضاً يتحلون بما تتطلبه الزعامة السليمة من صدق وإخلاص وجراءة واستعداد لبذل النفس فى سبيل الجماعة الإسلامية ، مع الحرص على العلم وهو عماد سلطانهم الأول .

وقد يتقارب اثنان أو ثلاثة من الفقهاء في صفاتهم ، ولكننا نجد في الغالب تسليماً لواحد بالرياسة والتقدم . ففي أيام أبي علي الحسين بن سكرة الصدفى ( ٤٥٤-٥١٤/١٠٦٢-١١٢١ ) عاش أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجدل ( ٤٥٠-٥٢٠/١٠٥٨-١١٢٦ ) ولكن الزعامة كانت لأبي علي بن سكرة الصدفى ، وقد دفع ثمنها باستشهاده في معركة كُتُنْدَة . وقد عاصرها أبو بكر بن العربي ، وكان من أجل العلماء وأوفرهم هيبه ، ولكنه فر من معركة كُتُنْدَة ثم أقحم نفسه في السياسة ، ولم يستطع لهذا أن يرث مكان الصدفى وإنما ورثه القاضي عياض بن موسى بن عياض ( ٤٧٦-٥٤٤/١٠٨٣-١١٤٩ ، ٥٠ ) ، وقد ثبتت زعامته عند تصديه للموحدين وصموده للحق ونفيه إلى المغرب . ثم كان شيخ الجيل الثاني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجدل ( ٤٩٦-٥٨٦/١١٠٢-١١٩٠ ) وكان رجل الأندلس وشيخه غير مدافع على أيام أبي يعقوب يوسف وابنه أبي يوسف يعقوب المنصور ؛ ثم انتقلت المشيخة إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الحفيد ( ٥٢٠-٥٩٥ / ١١٢٦-١١٩٩ ) وكان بينه وبين الموحدين من الخلاف ما أدى إلى الإساءة إليه ونفيه ثم عودته ؛ ثم كان الشيخ بعد ذلك أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى ( ٥٦٥-٦٣٤/١١٦٩-١٢٣٧ ) شيخ ابن الأبار ، وقد استشهد مجاهداً في سبيل الإسلام في معركة أنيشة .

ونصل إلى أيام ابن الأبار ، فنجد سائراً في طريق أولئك الشيوخ ناظراً إلى سيرهم آخذاً بالأصول التي ساروا عليها ، ولكن الظروف في الأندلس كانت قد تغيرت مع الأيام تغيراً حاسماً جعل استمرار هذا الخط للجيل مستحيلاً ، فإن الجماعة الإسلامية نفسها - التي بقيت متماسكة رغم كل شيء حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجرى / العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى - أصيبت بكوارث كبرى حلت عقدها وضعفت كيانه السياسية والاجتماعية ولم يماسك ما بقى منها في منطقة غرناطة إلا بعد فترة طويلة من الفوضى والكوارث المتوالية .

## عصر ابن الأبار

ذلك أن الصراع الطويل بين الإسلام والنصرانية حول مصير الأندلس تحدد مصيره بصورة حاسمة في نهاية العقد الأول من القرن السابع الهجري إثر معركة العقاب (١٥ صفر ٦٠٩ / ١٧ يوليو ١٢١٢) بعد قرابة القرنين من صراع ضارٍ أنفق الجانبان الإسلامي والنصراني فيه أقصى ما استطاعا من الجهد في سبيل أراضٍ عظيمة وبلاد كبرى أراد القدر أن تحرم ممن ينهض من أهلها لجمع أمرها والدفاع عنها . وقد كان هذا الصراع سجالات بين مد وجزر طالما وقف المرابطون في الميدان ، ثم مال الميزان وشالت كفة الإسلام بعد زوال أمر هذه العصبة من المجاهدين أولى القوى وحلول الموحدين محلهم .

وقد بذل الموحدون ما استطاعوا ولكنهم كانوا أولا وقبل كل شيء أصحاب إمبراطورية كبرى تمتد حدودها من طرابلس في الشرق إلى مشارف المحيط الأطلسي من الأشبونة إلى ما يعرف اليوم بالسنگال ، وكان على الموحدين أن يظلوا على أهبة الحرب على هذه الحدود المترامية وفي داخل إمبراطوريتهم نفسها ، وكان من المستحيل ماديا أن يستمروا محاربين بنفس القوة في جهات متعددة كهذه ، وكانت الجبهة الأندلسية أضعف جهاتهم وأحفلها بالخطر ، لأن أهل الأندلس أنفسهم كانت قد أكلتهم الحروب والفتن المتوالية وفقدوا روح الوحدة وحرموا القادة الصالحين في وقت كانوا فيه أحوج ما كانوا إلى قادة قادرين ، لأن ممالك إسبانيا النصرانية كانت تقوى على حسابهم يوماً بعد يوم ، وقد أسعدها الحظ بملوك وأمراء أقوىاء ذوي همة ووعى إلى الهدف الذي يجمعهم رغم ما كان بينهم من خلافات .

وخلال القرن الهجري السادس نرى بوضوح ممالك إسبانيا النصرانية تنظم وتقوى وتثبت في أقاليمها وتجمع قواها وتتقدم إلى الجنوب بخطوات ثابتة وعن سياسة واضحة أعانتهم البابوية في رسمها ، وشدت أزرهم بلاد



أوروبية أخرى نهضت واستقرت أمورها قبلهم ، ومن هنا فقد كان الصراع غير متكافئ بوجه من الوجوه .

وقد تماسكت جبهة الأندلس الإسلامى بعد توضحيات كثيرة أيام خلفاء الموحدين الثلاثة الأول ، ثم تداعت على أيام الرابع منهم وهو محمد الناصر ابن أبى يعقوب يوسف المنصور ( ٥٩٥ - ٦١١ / ١١٩٩ - ١٢١٥ ) وظهر هذا التداعى فى صورة انهيار سريع بعد معركة العقاب ، وقد كانت قاصمة الظهر لدولة الموحدين فى الأندلس والمغرب أيضاً .

كان الناصر يشعر قبل هذه المعركة باستحالة الاستمرار فى الدفاع عن دولة مترامية الأطراف كهذه ينتصب لها أعداء ذوو خطر على كل شبر من حدودها بل فى كل ناحية من نواحيها ، فاختار واحداً من خيرة الموحدين وأقامه حاكماً عاماً على كل الجناح الشرقى من إمبراطوريته ، وهو أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص ( سنة ٦٠٣ / ١٢٠٦ - ١٢٠٧ ) . وكان هذا الإجراء فى حقيقته تقسيماً للدولة إلى دولتين ، لأن أبا محمد عبد الواحد ابن أبى حفص وخلفاءه لم يلبثوا أن أصبحوا دولة قائمة بنفسها .

ولو أن محمداً الناصر استأنى قبل أن يخوض معركة العقاب لكان من الممكن أن يكون حفظه فيها أحسن ، ولكنه سار إليها وقسمة الإمبراطورية ما زالت فى الطريق ، ثم إن فتنة بنى غانية كانت قد أفسدت الجانب الشرقى من الأندلس ، وكان لا بد بعد القضاء عليها من تنظيم وترتيب واستجماع قوى : ولكنه - رغم حسن نيته وإخلاصه للدولة وللإسلام - لم يكن بالقائد العسكرى الذى تتطلبه جبهة مهيضة يقف فيها خصم عنيد أضرت الرغبة فى الانتقام لهزيمة يوم الأرك .

ودخلت فى المعركة عوامل أخرى كانت كلها على محمد الناصر ، منها أن رؤساء المقاتلين معه - سواء من الموحدين أو الأندلسيين أو جماعات عرب الهلالية - لم يقدروا أهمية المعركة ولم يدر بخلد أحد منهم أن مصير

الأندلس كله كان في الميزان في ذلك اليوم ، فانساقوا مع عصبيات ونوازع شخصية وغير شخصية ، ومنها أن صناعة السلاح والدروع وفن الحرب بصفة عامة كان قد تقدم تقدما بعيدا في إسبانيا النصرانية نتيجة للاتصال الوثيق مع بقية بلاد غرب أوروبا . ومن هنا دارت على المسلمين هزيمة قاصمة واصطلى أبرياء المقاتلين والمتطوعة بنار حاصدة أكلتهم أكلا ، وربما كان عدد من استشهد من المسلمين في تلك المعركة أكبر من عدد من استشهد في أى معركة في تاريخ الإسلام كله حتى ليقول صاحب روض القرطاس إن السائر في ريف المغرب بعد ذلك كان يقطع المسافات الطويلة دون أن يرى رجلا ، لأن زهرة الرجال راحت صرعى في ذلك اليوم الأسيف .

وأمثال هذه المعارك تخلف في النفوس آثاراً لا تمحى ، فإن القلائل من الأندلسيين الذين نجوا من السيوف في ذلك اليوم تفرقوا إلى بلادهم وقد استقر في نفوسهم شعور بأن الأمر قد ضاع ولا حيلة في تلافيه ، وألا خير يرتجى من الرؤساء والقادة أمام عدو مستأسد متفوق ، أى أن معنوية المناضلين عن الجبهة الإسلامية ضعفت وخامرها الخوف من العدو ، ومن ثم فلا غرابة بعد ذلك أن نجد الفئة القليلة من النصارى تستولى على البلد الإسلامى الكبير دون مشقة بل دون قتال في كثير من الأحيان ، لأن اليأس والخوف ملأ قلوب الناس ، ولم يعد لهم ما يحفظ عليهم الأمل في البقاء إلا التفافهم حول من وُجد في بلادهم من الشيوخ الذين ذكرنا بعضهم :

وفي أيام أبى يعقوب يوسف المستنصر — خليفة الناصر وخامس خلفاء الموحدين — تلاشت بقية الأمل في الموحدين ، فقد نجم لهم بنو مرين وبدأوا معهم صراع المصير في المغرب ، ولم يكن للموحدين مفر من أن يتجرعوا نفس الكأس التى جرعوها هم للمرابطين في مثل هذه الظروف قبل قرابة القرن من الزمان .

وخلال السنوات العشر التي دامها حكم هذا المستنصر تغيرت نفسية أهل البيت الموحدى وأشياخ حركتهم ، فلم يعودوا بيتا متحدا تجمعهم معنوية واحدة وإنما أمراء وأشياخا اقتعد كل منهم قاعدة من قواعد الملك الموحدى أو وظيفة من وظائفه الرئيسية في مراكش وعينه متجهة إلى عرش الخلافة يمينى نفسه بها أو يمينيه بها من حوله ، ويتمنى في نفس الوقت فساد الأمر على من تولى هذا العرش . وقد ظهرت هذه المطامع بصورة خاصة عند بعض من بقى من أولاد أبى يوسف يعقوب المنصور وأبناء عمومته أولاد أبى حفص عمر بن عبد المؤمن .

وقد ابتلى الأندلس في أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجريين باثنين من أبناء يعقوب المنصور ، هما : أبو محمد عبد الله وكان يتولى مرسية ، وأبو العلا إدريس وكان يتولى قرطبة ؛ وشاركهما في هذا الطمع وأربى عليهما فيه ابن عمهما عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن الذى عرف أهل بيته بالبياسيين ، وكان يتولى إشبيلية ثم بلنسية ؛ وسار في طريقه اثنان من أبنائه هما أبو زيد عبد الرحمن وقد خلف أباه في بلنسية وشاطبة ودانية وجزيرة شُقر ، وأخوه عبد الله الذى اشتهر بالبياسى وكان يتولى إشبيلية . أى أن أوائك النفر من البيت الموحدى كانوا يتقاسمون ملك ما بقى للإسلام في الأندلس ، ولو أخلصوا وصدقوا واتحدوا لأغنوا في الحفاظ على هذا الباقي ، ولدام لهم الملك الذى اقتعدوه .

ولكن شيطان الطمع والخلاف غلب عليهم ، فنهض أكبرهم أبو محمد عبد الله بن أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وأنكر بيعته الموحدين في مراكش لعم مسن له هو أبو محمد عبد الواحد في ذى الحجة ٦٢٠ / مارس ١٢٢٤ ، ونادى بنفسه خليفة بعد شهرين من ولاية عبد الواحد وتلقب بالعاذل ، وأيده أخوه أبو العلا إدريس صاحب قرطبة وابن عمه عبد الله البياسى صاحب إشبيلية ، وتوقف عن البيعة له ابن عمه أبو زيد عبد الرحمن

ابن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن صاحب بلنسية وما والاها ( وهو أخو عبد الله البياسي ) . وعبر العادل البحر وخلع عمه عبد الواحد واستقر خليفة في مراكش ١٢٢٢/١٢٢٥ ، وكان يتوجس خيفة من ناحية ابن عمه أبي عبد الله البياسي ، فأضاف إليه قرطبة استرضاءً له ، ولكنه لم يكن ليرضى بأقل من الخلافة ، فما هي إلا شهور حتى خلع طاعة العادل ، وأيس من عون الموحدين فانضم إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة ، وسلم له عددا من بلاد المسلمين منها قيصرجاطة Quesada وباجة Baza ولوشه Loja ، ثم سار بمن معه من القشتاليين ليهاجم أبا العلا إدريس في إشبيلية ، فثبت له هذا ورده خائبا ( صفر ٦٢٣ / فبراير ١٢٢٦ ) ، فغضب على غير هدى حتى قام عليه أهل قرطبة وقتلوه ، إذ تراءى إلى علمهم أنه خلع الإسلام ودخل في النصرانية .

ولم يطل الأمر للعادل بعد ذلك ، لأن خلافا شديدا نجم بينه وبين رجال دولته وقادته من الموحدين فقبضوا عليه ثم قتلوه بعد ١٤ يوما ( ٦٢٤ / ١٢٢٦ - ١٢٢٧ ) : وفي هذه الأثناء كان أخوه أبو العلا إدريس قد نادى بنفسه خليفة من إشبيلية ، وتلقب بالمأمون وخاض نحر حروب طويلة مع محمد بن يوسف بن هود الذي كان قد نادى بنفسه أميراً على الأندلس كما سيحى . ثم صور للمأمون رأيه الفائل ألا معنى للبقاء في الأندلس أو محاولة الحفاظ على ما بقي منه ، فجمع من عنده من جند في إشبيلية ومن كان منهم في قرطبة وجيان وما إليها وعبر البحر إلى المغرب وبويع له بالخلافة في شوال ٦٢٤ / سبتمبر ١٢٢٧ . ولم يتمتع هذا المأمون بالأمان يوما واحداً ، إذ قام عليه المنافسون من كل ناحية وقضى سنوات حكمه القصير ( ٥ سنوات و ٣ أشهر ) في حروب وهروب ومنازعات ووقائع حتى أزال الله منه بابنه المسمى عبد الواحد المتلقب بالرشيد .

والمهم لدينا أن الدولة الموحدية انتهت في الأندلس بتصرف المأمون

هذا ، فلم يبق من أمرائهم فيها إلا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله ابن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الذى ذكرناه ، وكان يملك بلنسية وشاطبة وجزيرة شقر ؛ أى معظم شرق الأندلس . أما بقية بلاد الأندلس الباقية ، وحدّها الشمالى مجرى الوادى الكبير ، فقد وقفت مكشوفة لا يدفع عنها أحد ، فتجمع مشايخ كل بلد وذوو الهمة من رجاله وتولوا أمر بلدهم والدفاع عنه قدر الطاقة ، أو اختاروا من يقودهم ، وأظهر أولئك الرؤساء محمد بن يوسف بن هود الجذامى الذى سنتكلم عنه .

وهكذا بدت جبهة الأندلس كلها من مرسية إلى إشبيلية مكشوفة أمام أعداء أقوياء لا ينقصهم الحافز للتقدم والاستيلاء على هذه البلاد الكبيرة التى وقف أهلها والخوف ملء قلوبهم تحت رحمة الأعداء .

وقد سار التقدم النصرانى فى ذلك الحين ، ابتداء من العقد الثالث من القرن السابع الهجرى / العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى ، فى ثلاثة تيارات : الأولى وجهته غرب الأندلس وتولاه أمراء البرتغال ، والثانى وجهته حوض الوادى الكبير وتولاه ملوك قشتالة ، والثالث وجهته شرق الأندلس وتولاه ملوك أرغون . وكانت هذه الممالك الثلاث تختلف فيما بينها وقد تقع الحروب بين جيوشها ، ولكنها كانت تقف صفّاً واحداً إذا تعلق الأمر بحرب مع المسلمين ، وكانت البابوية تعمل فى جد لصراف ملوكها عن النزاع مع إخوانهم فى الدين وتوجيه أنظارهم نحو الغنائم السهلة التى تنتظرهم إذا ساروا جنوباً .

أضف إلى ذلك أن هذه الممالك الثلاث رزقت منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر إلى منتصف الثالث عشر ملوكا ذوى قدرة وسياسة وتصميم على مواصلة الحرب مع المسلمين ، وطالت إلى جانب ذلك أعمار الكثيرين منهم ، فانفسحت أمامهم الآجال للعمل والتجربة واكتساب الخبرات وتعويض الهزائم إذا وقعت ، ففما بين سنتى ١٠٧٢ و ١٢١٤ ( ٤٦٥ -

٦١١ هـ) - أى قرابة القرن ونصف - حكم قشتالة ثلاثة ملوك كبار فى نسق ، لم تتخلل أيامهم إلا خمس عشرة سنة حكمها الملكة أوراکا بعد ألفونسو السادس ، وهؤلاء الملوك هم ألفونسو السادس والسابع والثامن ، وهذا الأخير حكم وحده ٥٦ سنة (١١٥٨ - ١٢١٤) عاصر خلالها أربعة من خلفاء الموحدين هم يوسف ويعقوب المنصور والناصر والمستنصر ، وفى هذا الحكم الطويل ضاهاه خايه الأول المعروف بالفاتح ملك أرغون ، فقد حكم ٦٣ سنة (١٢١٣ - ١٢٧٦) وفرناندو الثالث ملك قشتالة فقد حكم ٣٥ سنة (١٢١٧ - ١٢٥٢) .

وفرناندو الثالث هذا يكاد أن يكون أشد ملوك إسبانيا النصرانية عزماً فى مواصلة الحرب ضد المسلمين ، وهو الذى استولى على قواعد الوادى الكبير الرئيسية : أندوخر Andujer وبياسة Baeza (١٢١٧ / ٦٢٣) وقرطبة (٢٣ شوال ٦٣٣ / ٢٩ يونيو ١٢٣٦) وجيان (٦٤٤ / ١٢٤٦) وقرمونة ، ثم استولى على إشبيلية (٦٤٦ / ١٢٤٨) . فأما قرطبة فقد سقطت على أهون سبيل ، وقاومت إشبيلية مقاومة عنيفة ولكنها قصيرة ، أما جيان فقد أخذت دون أن يجرد سيف من قرابه .

ولم ينجم بين مسلمى الأندلس خلال النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى إلا مغامرون أوتى بعضهم شجاعة ونجدة ، كان كل منهم يعمل منفرداً ويجرى فى نشاطه على غير هدى ، ولم يسلم واحد منهم مع ذلك من الخصوم والأعداء من إخوانه ، مما ضيع جهودهم وقصر أيامهم ؛ وأكبر هؤلاء جميعاً محمد بن يوسف بن هود الحداى ومحمد ابن يوسف بن نصر بن الأحمر .

وابن هود هذا - وقد تسمى بسيف الدولة وتلقب بالمتوكل - نموذج من زعماء الأندلسيين فى ذلك العصر (سيترجم له ابن الأبار فى الحلقة) . ظهر وقد نادى المأمون الموحدى بنفسه خليفة فوقت بينهما حروب طويلة ، ثم انسحب المأمون من الميدان فانضم الكثيرون من جند الأندلسيين الذين كانوا يعملون فى صفوفه إلى سيف الدولة المتوكل بن هود ، فاستقل هذا

بمرسية وجمع قوة عسكرية طيبة ودعا للخليفة العباسي وأتته من بغداد الخلعة واللاواء ، فحاز شرق الأندلس كله ، ورهبه النصاري وأطلقوا عليه اسم ثافادولا ( سيف الدولة ) وطرده من مرسية أميراً موحدياً كان يدعيها لنفسه هو أبو العباس بن أبي موسى بن عبد المؤمن ، وهزم السيد أبا زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن صاحب بلنسية واضطره إلى الدخول في طاعته ، وأصبح زعيماً لمن بقي من المسلمين في الأندلس . وقد أרך له ابن الخطيب في « أعمال الأعلام » بأوفى مما فعل ابن الأبار في « الحلة » ، ويهمننا من كلامه عنه قوله : « وجرت على ابن هود هزائم شهيرة ووقائع مذكورة ؛ أوقع به السلطان أبو عبد الله ( محمد بن يوسف ) بن نصر ثلاث مرات آخرهن سنة ٦٣٣ أو ٦٣٤ ، وكان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بشرق الأندلس سنة ٦٣٥ ، فهزمه المأمون هزيمة كبيرة ، ولأذ منه بمرسية وامتنع بها ، إلا أن المأمون شغله أمر الفتنة الواقعة بمراكش ، فصرف وجهه إليها ، وثاب الأمر لابن هود ، فدخلت في طاعته المرية ، ثم غرناطة ، ثم مالقة . وفي سنة ٦٢٧ تحرك بفضل شهامته في جيوش عظيمة من المسلمين لإصراخ ماردة ، وقد نازلها العدو وحاصرها ، ولقي جيش العدو بها وطاغيته ، فلم يتأنّ — زعموا — حتى دفع بنفسه العدو ، ودخل في مصافه ، وفقده الناس لما غاب عنهم ، فلم يرجع إلا وقد انهزموا مدبرين ، وكانت هزيمة شنيعة ، واستولى العدو على مدينة ماردة يومئذ ... »

فهذا رجل تصدى للأمر وأثبت شهامة ونجدة ، ولكن أنداده من المسلمين تصدوا له وواقعوه المرة بعد المرة ، ثم خذله جنده ، وكان من الطبيعي لهذا ألا يوفق إلى شيء ذي أثر .

وبينما كان ابن هود يقطع الجزيرة من شرق لغرب كان قائد آخر هو محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر يجمع صفوفه في بلده أرجونة قرب جيان ويستعد لحربه والحلول محله . ظهر ابن الأحمر سنة ٦٢٩ / ١٢٣١ — ١٢٣٢

ثم تقدم وملك جيان سنة ٦٣٠ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣ ثم قرطبة ثم إشبيلية ، ثم استقر في غرناطة ( ٦٣٥ / ١٢٣٧ - ١٢٣٨ ) فضاقت الأمور بين الرجلين ووقعت الحرب بينهما وهلك فيها من المسلمين كثيرون . وكان ابن الأحمر سياسياً بعيد النظر ، استبان من أول الأمر أنه لن يستطيع الثبات في جهة الوادى الكبير ، ولهذا اتجه نحو غرناطة ، وعول على أن يجعلها قاعدة ملكه مكتفياً بالطرف الجنوبي من شبه الجزيرة ، ولهذا حالف ملوك قشتالة وعاونهم واعترف لهم بالرياسة عليه مما نفر المسلمين منه ، فطرد أهل قرطبة ثم إشبيلية جنده ، فلم يحفل كثيراً وركز همه في إقليم غرناطة . وعلى الرغم مما وقع بين ابن هود وابن الأحمر من حروب فإنه يمكن القول بأنه لو لم يكن سيف الدولة المتوكل بن هود لما استطاع الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر أن ينشئ مملكة غرناطة ، فقد شغل ابن هود القشتاليين وأخافهم خوفاً شديداً ، وحفزهم على موالاته خصمه ابن الأحمر وتأييده ، وفي ظل هذا التأييد قامت مملكة غرناطة ، وأنسا الله في عمرها بعد ذلك قرنين من الزمان .

\* \* \*

## شرق الأندلس

وكان شرق الأندلس يجتاز فترة قلقة مضطربة من تاريخه منذ ذهاب أمر المرابطين وحمى الموحدين ، فقد نجمت فيه سلسلة من أفذاذ القادة والمغامرين أكبرهم أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردانيش ، وكان أبوه في أوليته من قواد المرابطين يعمل في صفوف يحيى بن غانية ، وكان له بلاء عظيم في موقعة أفراغة ، فلما مات بدا لمحمد بن سعد أن يستقل بشيء من شرق الأندلس ، فاستقر في مرسية وحازها من جهادى الأولى ٥٤٢ / أكتوبر ١١٤٧ . وكان فارساً نجداً عظيم البأس ، تمكن بالاتفاق مع أكتاد برشلونة من أن يسود شرق الأندلس كله لقاء إتاوة سنوية ثقيلة قدرها مائة ألف دينار ، كما يقول ابن الخطيب في « أعمال الأعلام » ، وشد أمره بمصاهرة نفر من الثائرين بشرق الأندلس منهم يوسف بن هلال وكان قد



استقل بحصن مُطَرِّيش وإبراهيم بن أحمد بن مفرج بن هَمْشُك الذى انتزى ببعض حصون إقليم مرسية مثل شقوبش وشقورة ، ثم انقلبوا عليه ووقعت بينهم فتن طويلة يقص ابن الأبار فى « الحلة » وابن الخطيب فى « أعمال الأعلام » وابن عذارى فى الجزء الثالث من « البيان المغرب » طرفاً منها .

ولجأ محمد بن سعد فى أثناء ذلك إلى النصارى فاعتضد بهم واتخذ لنفسه جنداً منهم وأثقل على رعيته بالضرائب ، ففقر منه الناس ، وتخلّى عنه أخوه أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش ودخل فى طاعة الموحدىن أيام أبى يوسف يعقوب المنصور . ووجد محمد بن سعد نفسه وحيداً دون نصير وقد علت به السن وقاربه الموت ، فكتب أباً يوسف يعقوب وتخلّى له عن مرسية وبقية ما بيده وأرسل أولاده إلى الخليفة الموحدى وأوصاه بهم ، فرق يعقوب المنصور لهذا الصنيع وقرب أبناء محمد بن سعد وأقام كبيرهم أبا القمر هلال بن محمد بن سعد عاملاً على إشبيلية ، وتزوج ابنة لمحمد بن سعد تسمى الزرقاء فى ربيع الأول ٥٧٠ / أكتوبر ١١٧٤ فحظيت عنده وكان لها أبعد الأثر فى بقاء بنى مردانيش فى السلطان ، وأقام عمها أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش أميراً على بلنسية وأخاه غانم بن سعد بن مردانيش أميراً على أسطول الموحدىن فى سبتة . وبعد موت محمد ابن سعد أصبح رأس البيت أخوه أبو الحجاج .

وفى أيام محمد الناصر هبط أمر أبى الحجاج بن سعد بن مردانيش ، ولكنه ظل أميراً على بلنسية حتى سنة ٥٨٢ / ١١٨٦ . وكان له أولاد كثيرون أهمهم أبو الحملات مدافع وأبو المظفر غالب وأبو الحارث سبع وأبو سلطان عزيز وأبو ساكن عامر وأبو محمد طلحة ، وكان كل منهم يتولى حصناً أو ناحية من نواحي بلنسية ومرسية .

وفى سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ أقام محمد الناصر أبا عبد الله بن أبى حفص

عمر بن عبد المؤمن واليا على بلنسية ثم خلفه عليها ابنه أبو زيد عبد الرحمن ،  
والمراجع تخطط بين أبي زيد هذا وعم له يحمل نفس الاسم ، ولكن أبا زيد  
العم لم يكن قط أميراً على بلنسية ، إنما كان أميراً على ميورقة سنة ٥٩٩ /  
١٢٠٢ - ١٢٠٣ ثم توفي بعقب ذلك بعد تاريخ طويل في دولة الموحدين ،  
أما أبو زيد المراد هنا فهو ابن عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ،  
وهو أخو عبد الله البياسي الذي ذكرناه ، وقد نشأ هو وأخوه وبقيّة  
بيته في يياسة فعرفوا لذلك بالبياسيين ، وكانوا فريقاً قليل الإخلاص شديد  
الأنانية حريصاً على الحياة والملك بأي ثمن .

وقد رأينا ما فعله عبد الله البياسي من حرب المسلمين والانضمام إلى  
القشتاليين ثم الذهاب إليهم جملة ، ولم يكن أخوه أبو زيد هذا بأحسن منه ،  
فقد أمسك ناحيته بعون النصاري وأداء الإتاوة لهم ، وبفضلهم استطاع  
التغلب على بني مردانيش ، فاكفني أكبرهم أبو الحملات مدافع بن  
أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش بحصن أبْدَه ، وقد استشهد في  
بعض المواقع شاباً ، فخلفه ابنه أبو جميل زيان بن أبي الحملات وضيق  
على أبي زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن أبي حفص عمر في بلنسية ،  
فأيس هذا من المسلمين جملةً ، فهو على خلاف مع الموحدين لا يستطيع  
طلب عونهم أو اللجوء إليهم ، والمسلمون في بلنسية كارهون له يتربصون به  
الدوائر ، ففكر في اللجوء إلى أنصاره من النصاري وخاصة خايمة الأول  
صاحب أرغون ، وذهب إليه ليفاوضه في معاونته ، ولكن خايمة لم يجد فيه  
ما يستحق العناء ، ولإزاء هذا عرض عليه أبو زيد أن ينتقل إلى بعض حصونه  
ويقيم فيه تابعاً له ، وتم الاتفاق على ذلك ، واستقر في حصن شَبْرَب ،  
ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه دخل هناك في النصرانية ، وهو أمر نستبعده ،  
لأن مفارقة الدين في سن مثل هذه أمر غير يسير ، خاصة من أمير موحدى  
مهما كان طبعه ورأينا فيه . واستقر الأمر في بلنسية لأبي جميل زيان  
ابن مردانيش :

وقد كتب ابن الأبار لأبي عبد الله والد أبي زيد عبد الرحمن ، ثم كتب لأبي زيد وخرج معه للملاقة الملك خايمه ، ثم رجع وحده عندما رآه يفضل مباينة دار الإسلام والإقامة في بلاد ملك أرغون . وقد سكت ابن الأبار عن هذه الواقعة سكوتاً غريباً ، فلم يقل شيئاً ينير لنا هذه النقطة الهامة ، والمهم أنه عاد إلى بلنسية وعمل كاتباً لأبي جُحيل زيان بعد ذلك .

وكانت بلنسية إلى ذلك الحين أسعد حالا من غيرها من كبريات مدائن الأندلس ، فقد نفعها قيام بني مردانيش وابن همشك وبني هود وابن الأحمر في إقليمها أو قريباً منها ، لأن أولئك الرجال أخرجوا سقوطها وصرفوا الغزاة إلى غيرها مما كان أسهل منها ، وأتاحوا لأهلها بضع سنوات من الهدوء والأمان النسبيين ؛ نقول النسبيين لأن الوقائع في إقليمها كانت على قدم وساق ، وكان أهلها يخرجون للقاء الأعداء كلما أمكنتهم الفرصة .

وكانت سن ابن الأبار إذ ذاك بعد الثلاثين بقليل ، وكان من شخصيات بلده الظاهرين ، فهو واحد من كبار العلماء ورجال الأدب ، وهو كاتب الرسائل للأمير أبي جُحيل زيان بن مردانيش ، وكان يلتقى بأصحابه من العلماء وكبار أهل البلد في قصر الإمارة ؛ من أولئك العلماء الذين ارتبط معهم برباط الصداقة أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن حميرة الخزومي وأبو الحجاج يوسف البياسي .

فأما ابن حميرة فقد ولد في بلنسية سنة ٥٨٠ / ١١٨٤ أى أنه كان أكبر من ابن الأبار بخمس عشرة سنة ، وقد رحل إلى المشرق للدراسة ولقاء الشيوخ ، وعاد إلى بلده ليتولى القضاء في شاطبة ثم في ميورقة حتى سنة ٦٢٧ / ١٢٣٠ إذ حضر تسليم الجزيرة لقوات خايمه الأول ملك أرغون ، وكتب كتاباً عن « كائنة ميورقة » بقيت لنا منه فقرات طويلة في « نفع الطبيب » للمقرى ، وقد غادر بلنسية بعد سقوطها سنة ٦٣٦ / ١٢٣٨ ، وتوجه إلى المغرب حيث كتب للرشيد الموحدى وتولى القضاء في بضع نواح ، ثم انتقل إلى إفريقية حيث كتب للمستنصر الحفصي إلى أن

توفى سنة ٦٥٨ / ١٢٦١ أى فى نفس السنة التى توفى فيها ابن الأبار .  
وقد أورد القلقشندى فى « صبح الأعشى » نص رسالة كتبها ابن عميرة  
هذا عن « طاغية الإفرنج » والمراد به هنا خايمه الأول ملك أرغون الذى  
استولى على ميورقة قبل أن يستولى على بلنسية . والغالب أن ابن عميرة اضطر  
للعمل فى الكتابة للملك خايمه بعد سقوط ميورقة وهو فيها ليحقق دمه ،  
حتى إذا أتيحت له فرصة الخروج منها والعودة إلى دار الإسلام فعل ،  
والحكاية تبقى رغم ذلك مستغربة مستنكرة من رجل فى مكانة أبى المطرف بن  
عميرة ، والفرق عظيم على أى حال بينه وبين رجل كأبى الربيع سليمان بن سالم .  
وأما أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصارى البياسى فقد ولد  
فى بلنسية فى ربيع الأول سنة ٥٧٣ / ١١٧٧ أى أنه أكبر من ابن الأبار  
بأثنتى عشرة سنة ، وكان أديباً حافظاً اتجه إلى الأدب والتاريخ بصورة  
خاصة ، وهاجر إلى تونس بعد سقوط بلده بلنسية واستقر فى تونس يعلم  
ويؤلف ، وأثرت عنه كتب مثل « الإعلام بالحروب الواقعة فى صدر  
الإسلام » و « الحماسة » وغيرهما ، حتى مات فى ذى الحجة سنة ٦٥٣ /  
يناير ١٢٥٦ ٥

\* \* \*

### سقوط بلنسية

فى ذلك الحين كان الخطر يقترب من بلنسية يوماً بعد يوم ، لأن مملكة  
أرغون التى اتحدت مع إمارة قطلونية أيام ملكها پدرو الثانى أصبحت خلال  
النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى من أقوى  
ممالك شبه الجزيرة وأهمها ، لأن عرش أرغون كان يضم — إلى جانب إقليم  
سرقسطة وحوض الإبره — دوقيتى پروفنسة وروسيون فى جنوبى فرنسا ،  
وكان ملكها پدرو الثانى قد استولى على طركونة وطرطوشة وأطل على حدود  
إمارة بلنسية . وتوفى پدرو الثانى قتيلاً فى معركة موريت Moret بجنوبى فرنسا  
مخلفاً ابنه الوحيد خايمه أو جاقه Jaime فى وصاية أمه مارية د مونبلييه ، وكانت

تعيش في روما منذ طلاقها من زوجها ، فلما ماتت في أبريل ١٢١٣ تركت ولدها في وصاية البابوية . وكان لهذا الوضع أثره البعيد في تاريخ مملكة أرغون أيام خايمه الأول ، لأنها اعتُبرت إقطاعية تابعة للبابوية واعتُبرت حروبها مع المسلمين حروباً صليبية ، وكان البابا إنُسِنْتُ الثالث هو الذى تولى بنفسه رعاية شؤون الصبي خايمه حتى بلغ سن الرشد وتولى الملك ، وقد نذب البابا للوصاية على العرش رجلاً من رجاله هو پدرو دِ بِنِقِنْتُو دِيَّان كنيسة سنتا ماريّا دِ أكيرو ، فأقبل واستقر في لاردة وعقد هدنة مع المسلمين ، وأُناب عنه في الحكم والوصاية على خايمه سانشو دوقَ پروفنسة وكان ابناً لرامون بيرنجير الرابع .

وفي سنة ١٢١٨/٦١٥ بلغ خايمه سن الرشد ولقب بالأول ، وبدأ في نفس السنة كفاحه الطويل ضد المسلمين ، فسار نحو بِنِشْكُلَه Péniscola واستغلبها ، وكانت تلك أول ما سقط في يده من توابع بلنسية . ثم حفره نفر من تجار برشلونة ومندوب البابا ونفر من أشراف مملكته على غزو جزيرة ميورقة ، فجرد حملة من مائة فارس وألف راجل ، واعتُبرت الحملة حملةً صليبية ، وتمكن من الاستيلاء على الجزيرة بأيسر جهد في ١٤ صفر ٦٢١/ أول يناير ١٢٣٠ ، والمراجع النصرانية تذهب إلى أن الغزو تم قبل ذلك بشهر أى في منتصف المحرم ٣١/ ديسمبر من نفس السنة . وعلى سهولة هذا الفتح فقد رفع من شأن خايمه — أو « جاقم » كما يسميه ابن الأبار — إلى مصاف كبار الفاتحين ، وأصبح يلقب بالكونكيستادور أى الفاتح . ولم تسقط الجزيرة كلها بسقوط قاعدتها ، إذ استمرت الحرب هناك سنوات تم خلالها القضاء على كل مقاومة .

وعقب ذلك مباشرة اتجهت أنظار خايمه نحو بلنسية ، وقد حرضه على هذا أوجو فولكالكير Hugo Folcalquer رئيس فرسان الداوية في مملكة أرغون ونفر من الأشراف ، فسار نحو منطقة بلنسية في سنة ١٢٣٢ ( ٦٣٠ —

٦٣١ هـ) : واستولى على آره Ares ثم مُرِلَّه Morella في نفس السنة :

وفي شوال ٦٣٠/ يوليو ١٢٣٣ استولى على بُريانة Burriana بعد حصار بالبر والبحر ، ثم أعاد إخضاع بنشكله وبُولْبِش Polpes وقسطليون Castellón وبريول Borriol وكويثاس Cuevas وبين رومان Vinromá وألقلوطن Alcaluten وبيلافورنس Vilafornés ووصلت غارته إلى ضفاف نهر شقر وناحية البلاط Albalate . وفي سنة ٦٣٣/ ١٢٣٤ استولى على مُصارَة بلنسية ، وفي العام التالي حاول الاستيلاء على قُليارة Cullera دون نجاح ولكنه ملك حصنين يشرفان على بقاع بلنسية هما مُنْكَاده Montcada ومُشروس Museros .

وبعد ذلك بثلاث سنوات ، أى في سنة ١٢٣٨ ( ٦٣٦ - ٦٣٧ ) ضرب معسكره بين بلنسية وقرية مجاورة لها تسمى جراو Grau وعول على ألا يريم حتى يستولى على البلد . وتدفقت إليه النجذات من شتى البلاد التابعة له ، بل أقبل لعونه مقاتلون من نربونة ونفر من فرسان قشتالة .

ويغلب على الظن أن ذلك الموضع الذى ضرب الملك خايمة معسكره عنده هو جبل أنيشة أو أنيجة الذى يسميه ابن عبد المنعم الحميرى عقبة أنيشة ويسمى في النصوص الإسبانية إلبويش el Puig وتقوم عليه قرية تحمل نفس الاسم ، وتقع هذه العقبة على ٢٠ كيلومتراً شمالى بلنسية في الطريق إلى مريبطُرُ التى تعرف باسم سَاجُونْتو Sagunto . وأحس أبو جُميل زيان بالخطر الداهم ، وانهز فرصة ابتعاد الملك خايمة عن معسكره ، فخرج في جمع عظيم من مقاتلى بلنسية فيهم نفر من الشيوخ والفقهاء ، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة . وقد استبسل البلنسيون في القتال ، ولكن أعداءهم أداروا عليهم خدعة كبيرة ، إذ أقبلت طائفة منهم من بعيد حاملة راية الملك وأشاعت أنه عاد بجيش كبير ، ففت ذلك في عضد المدافعين عن بلدهم وأيقنوا بالهزيمة وأخذ الكثيرون في الفرار . وفي هذه الفوضى استشهد من المسلمين كثيرون من بينهم أبو الربيع

سليمان بن سالم الكلاعي ، وكان قد بلغ السبعين من عمره ، ولكنه بقي في الميدان إلى آخر المعركة ، وظل يثبت الناس ويدعو الفارين إلى العودة حتى قتل ، وكان ذلك في ٢٠ ذى الحجة ٦٣٤ / ١٣ أغسطس ١٢٣٧ . وكانت تلك آخر محاولة كبيرة قام بها البلنسيون لإنقاذ بلدهم .

ولم يحضر ابن الأبار هذه الواقعة ؛ إذ لو حضرها لقال ذلك ، فقد ذكرها في « التكملة » وفي « الحلة » . وأحس أبو جميل زيان أنه لن يستطيع الثبات وحده ، فقرر إرسال سفارة إلى أبي زكريا الحفصي صاحب إفريقية ( تونس ) وندب لها ابن الأبار ، وتلك هي السفارة التي أنشد فيها ابن الأبار قصيدته المشهورة :

أدرك بخيلك ، خيل الله ، أندلساً إن السبيل إلى منجاتها درسا  
وهي قصيدة طويلة فيها من التكلف ما يكاد يصرف قارئها عن الحال  
الحزن الذي قيلت فيه ، ولكنها على أى حال حققت الهدف من إنشادها ،  
فقد تحمس أبو زكريا وأرسل إلى بلنسية بضع سفن مشحونة بالمال والعتاد  
والزاد .

وكان خايمة قد ضيق الحصار حول بلنسية في أثناء ذلك ، ووصل الأسطول الحفصي وحاول النزول في موضع جراو قرب بلنسية في ٤ محرم ٦٣٦ / ١٨ أغسطس ١٢٣٨ ، ولكنه وجد الموضع حافلاً بجند النصاري فأرسل قائد الحملة أبو يحيى بن أبي حفص عمر الهنتاقي المعروف بالشهيد إلى أبي زكريا الحفصي يعلمه بالحال واتجه هو بالسفن إلى دانية وأرسل فيها في ١٢ محرم ٦٣٦ / ٢٦ أغسطس ١٢٣٨ وترك لأهلها الطعام والسلاح اللذين كان يحملهما ، أما المال فقد عاد به إذ لم يجد من يتسلمه منه . ومن الغريب أن أبا بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب الذي سترجم له ابن الأبار في الحلة بايع لنفسه على مرسية في نفس اليوم الذي وصل فيه الأسطول الحفصي إلى جراو ولقب نفسه بضياء السنة وعلى مسافة قصيرة منه بلد إسلامي يحتضر ! ولو في هذا الرجل ومن حوله

من السنة أثارة لحف لنجدة إخوانه ، ولكن إلى هذه الحال من سخف العقول وصل الناس في تلك الأيام ، والدول لا تسقط عن قلة عدد وإنما عن سقوط الهمم وضياع النخوة وموت الإحساس . ومما يستلفت النظر ويدعو إلى الاعتبار أن لسان الدين بن الخطيب سخر من ابن خطاب هذا وقال إنه قبل الإمرة بمرسية « مع قطع صبي المهدي ورضيع الثدي بسوء عقبي من يتحمل ذلك يومئذ » ، وابن الخطيب ذاته سيزج بنفسه مهالك ومعاطب ومطامع يقطع نفس « صبي المهدي ورضيع الثدي » بسوء عقباها ، ومع هذا لم يذكر ولم يتعظ ، وانتهى بنفسه إلى مصرع شبيه بمصرع ابن خطاب .

ويذهب ابن الخطيب إلى أن الحصار طال حتى « نفدت الأقوات واستولى الجوع وضعفت القوى وأكلت الجلود والزقوق » ، والواقع أن الحصار لم يطل حتى بلغت الحال هذا المبلغ ، ولكن القتال كان ضارياً عنيفاً وخاصة بعد معركة أنيشة ، ثم إن فرقاً من فرسان أرغون كانت لا تكف عن الغارة على البلد وانتساف ما حوله من معسكرها عند عقبة أنيشة ، وكانت أعدادهم تتزايد يوماً بعد يوم حتى أصبح معسكر ملك أرغون كأنه مدينة كبيرة خف إليها التجار من كل صوب ، وقد أتى بعضهم من مونيبيه ، وأخيراً استقر رأى أبي جميل زيان على التسليم ، وتم ذلك في ١٧ صفر ٦٣٦ / سبتمبر ١٢٣٨ ، وقد اشترك ابن الأبار في المفاوضات وكتب بنفسه العقد كما حكى في « الحلة » : وقد نص الاتفاق على أن يغادر من أراد من المسلمين بلده خلال ٢٠ يوماً بأمواله وأسبابه ، « وابتدئ بضعفة الناس ، فسيروا في البحر إلى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم براً وبحراً ، وصبيحة يوم الجمعة ١٧ من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه ، وعند ذلك استولى عليها الروم » .

استقر أبو جميل زيان وابن الأبار معه في دانية ، ويبدو أن ابن الأبار حاول أن يجد عملاً عند بعض الرؤساء فيما بقي من مدن الأندلس ، فقد أورد



المقرى فى «أزهار الرياض» رسائل منه إلى بعضهم (٢٢١-٢١٦/٣) ، ولكنه لم يوفق ، فعول على مفارقة الأندلس جملة إلى إفريقية والتماس الأمان ببلد ذاع له فيه صيت منذ زيارته الأولى ، وقد فعل فعلة أبو المطرف بن عميرة وأبو الحجاج يوسف السياسى وغيرهم كثيرون ، ولم يكن الأندلس قد ضاع كله ولا انقطع منه الرجاء ، ولكن هكذا كان تصرف الكثير من علمائه وقادة السياسة والرأى فيه : نجوا بأنفسهم مخلفين الصغار والضعفاء وأهل الأرياف والمدن ، وهناك فى ظلال الأمن والدعة طفقوا يكتبون مراثى نثرية أو شعرية يعبرون فيها عن أسف متكلف ، وليس هناك أبعد عن الصدق من هذه المكاتبات المنظومة أو المثنوية بين ابن الأبار وأبى المطرف بن عميرة فى رثاء بلنسية .

أما أبو جميل زيان فقد تمهد له الأمر فى دانية ، ولكن الملك خايمة اتجه إلى الجنوب فاستولى على كَنْدِيَة Gandía فخاف أبو جميل وأرسل إليه يعرض تسليم لَمَنْتْ Alicante فى مقابل تنازل الملك عن جزيرة ميورقة ، فرفض خايمة لأن الاتفاق كان قد تم بينه وبين ملك قشتالة على أن تكون بلنسية آخر ما يستولى عليه من بلاد المسلمين ، والباقي من نصيب قشتالة . ثم حاصر شاطبة حصاراً قصيراً وأقلع عنها عائداً إلى مونبلييه .

وأقام أبو جميل رئيساً لدانية ، وما زال يدبر وهو فيها لرئيس مرسية أبى بكر عزيز بن أبى مروان بن خطاب ، حتى ثار به الناس وبايعوا لأبى جميل ، ثم قُتِل ابن خطاب فى رمضان سنة ٦٣٦/ أبريل ١٢٣٩ فأصبح أبو جميل رئيس دانية ومرسية ، وظل فى الأولى حتى سار فارس ألمانى اسمه Carroz ممن كانوا يعملون فى خدمة الملك خايمة فانتزعها منه سنة ٦٤٢/ ١٢٤٤ . وأما مرسية فقد ظل أميراً عليها داعياً للخليفة العباسى ، ثم دخل فى طاعة محمد بن يوسف ابن نصر بن الأحمر ، وظل على هذا وقتاً قصيراً ، ثم بدا لابن الأحمر فعزله عنها ، فتركها ومضى إلى تونس حيث عاش بقية عمره .

أما هذا الاتفاق الذى أشرنا إليه بين ملكى أرغون وقشتالة فقد تم فى بليدة تسمى المرسى Almirza من أحواز بلنسية فى ٢٥ مايو ١٢٤٤ ( ذى القعدة ٦٤١ ) وهو يدل على أن الاستيلاء على ما بقى من قواعد المسلمين فى شرق الجزيرة لم يعد حرباً بل تقسماً ، هذه لهذا وتلك لذلك ، وأدهى من ذلك أن هذا الاتفاق تم بينهما توثيقاً لمصاهرة عقداها ، فقد اتفقا على أن تزوج الأميرة فيولانت ابنة خايمة الأمير ألفونسو بن فرناندو الثالث ملك قشتالة ، ونص الاتفاق على أن تكون شاطبة جزءاً من شوار العروس ، ولم تكن شاطبة قد سقطت بعد ! وبعد مفاوضات طويلة كادت تؤدى إلى الحرب استقر الملكان على اتفاقية المرسى هذه ، وقد نصت على أن يعطى خايمة لصهره بيانة Villena وساش Sax وكاوديت Caudete وبُغرس Bugarras وأن يتنازل ملك قشتالة عن إنغيرة Enguera وموشنت Mogente ، وأن تكون بلنسية وتوابعها من نصيب أرغون ، ومرسية وتوابعها وما يليها جنوباً من نصيب قشتالة ، ووضع حد فاصل بين الناحيتين ، فتبعت مرسية بلاد المنزل Almansa وسرذول Sarazul وحوض نهر كبرينول Cabrinol ، وتبعت بلنسية بلاد قسطة Castalla وأبيار Biar وريو Relleu وسشونة Saxona والأرش Alarch وفينسترات Finestrat وطرش Torres وبولوب Polop ومواله Muela ، وكلها مواضع صغيرة بين حوضى نهري شقر Jucar وشقورة Segura .

وقد انتقد مؤرخو قطلونية ذلك الاتفاق وقالوا إنه أخرج مملكة أرغون من ميدان الحرب مع المسلمين وأقفل فى وجهها سبيل التوسع جنوباً على حسابهم ، ولكن خايمة الأول كانت أمامه مشاكل كثيرة فى بلاده المترامية ، ولم يكن يستطيع المضى فى حرب المسلمين إلى أكثر مما مضى ، ثم إن مرسية وما يليها جنوباً كان أمرها استقر بعض الشيء بعد قيام أبى جحيل زيان بالأمر فيها وبيعته للخليفة العباسى ودخوله فى طاعة محمد بن يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة ، وكان مركز هذا قد استتب وأصبح قادراً على مواصلة

الحرب للدفاع عن كيانه ، وكان ابن الأحمر إلى جانب ذلك تابعاً للملوك قشتالة ، فلم تكن مواصلة الحرب معه بالأمر اليسير ، ومهما يكن من الأمر فقد ختم خايمة أعماله في هذه الناحية بالاستيلاء على شاطبة في أبريل ١٢٤٨ ( محرم ٦٢٦ ) ليقدمها في شوار بنته بعد ذلك .

\* \* \*

### ابن الأبار في إفريقية

غادر ابن الأبار إذن بلاد الأندلس قاصداً بلاد الحفصيين ، ويذهب الغربي إلى أنه ذهب أولاً إلى بجاية « ودرس بها وأقرأ وروى وسمع وصنف وألف ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له » . ويبدو أن إقامته ببجاية كانت قصيرة ، لأنه يذكر في ترجمة نذير بن وهب بن لب أن هذا الأخير توفي في العشر الأوسط من شعبان ٦٣٦ / مارس ١٢٨٩ « بعد ستة أشهر من الحادثة على بلنسية ، وأنا حينئذ بحضرة تونس في توجهي إليها » أي أنه أقام ببجاية ثلاثة أشهر أو أربعة انتقل بعدها إلى تونس ليكون كاتب المستنصر الحفصي .

وتذهب المراجع إلى أنه تولى كتابة الإنشاء والعلامة ، و « العلامة » هي عبارة التوقيع التي تضاف إلى المكاتبات السلطانية وترفع إلى السلطان ليضع عليها خاتمه ، ويقال إن ابن الأبار كتب العلامة فترة من الزمن وكان يكتبها بخطه المغربي ، ولكن السلطان أبا زكريا يحيى رغب في أن تكون بالخط المشرقي ، ولهذا أمر بأن يكتب ابن الأبار بإنشاء المكاتبات ويدع العلامة لأحمد بن إبراهيم الغساني ، وكان يحسن الكتابة بالخط المشرقي ، فغضب ابن الأبار لذلك واستمر يكتب العلامة على ما ينشئه من رسائل ، فعوتب في ذلك وروجع ، فاستشاط غضباً ورمى القلم من يده وأنشد :

اطلب العز في لظي وذو الذل ( م ) ولو في جنان الخلود  
وحمل الخبر إلى السلطان ، فصرفه عن العمل وأمره بلزوم بيته .

هكذا نجد الخبر في كل مراجعنا على طريقتها في تحليل الحوادث

تعليلات سطحية ظاهرة التكلف ، والحقيقة أن ما جرى لابن الأبار كان حلقة من حلقات الصراع بين الأندلسيين المهاجرين وشيوخ تونس من موحدين وغير موحدين ، بل حلقة من صراع هؤلاء المهاجرين الأندلسيين مع شيوخ كل قطر نزله وعلمائه . فقد كان الأندلسيون يحسون أنهم أعلم من غيرهم وأقدر ، ومن ثم فهم أولى بالتكريم وبالمناصب . ثم إنهم كانوا يتوقعون ممن نزلوا عليهم مراعاة وعطفاً عليهم مواساةً لهم فيما أصابهم في بلادهم . أما أهل المغرب وتونس ومصر وبقية أهل المشرق فكانوا يرون أن أولئك المهاجرين أولى بأن يتواضعوا ويقنعوا بما وجدوا في أوطانهم الجديدة ، ثم لماذا يطلبون أن يمتازوا على غيرهم ما داموا قد أصبحوا مواطنين في البلاد التي نزلوها ؟ هذا كان مدار الخلاف الحقيقي ، نلمحه في صور شتى في تراجم الأندلسيين الذين هاجروا إلى بلاد إسلامية بعد ضياع بلادهم ، ويندر أن تقرأ لواحد من أولئك الأندلسيين شيئاً إلا لمسنا فيه المرارة التي نشأت عن خيبة الرجاء في المهجر ، وأمثلة ذلك كثيرة عند على ابن سعيد وأبي الخطاب بن دحية وأثير الدين أبي حيان وأبي بكر الطرطوشي وابن خلدون والمقرئ وغيرهم .

ولكن الخلاف بين الأندلسيين والبلديين كان أوسع مدى وأبعد أثراً في تونس عاصمة الحفصيين ، فقد كان عدد من نزلها من الأندلسيين عظيماً ، وكان الكثيرون منهم سلاسل أسر عريقة لها في تاريخ الأندلس السياسي والعلمي أثر بعيد ، وقد ذكرنا أبا المطرف بن عميرة وأبا الحجاج البياسي ويضيف ابن خلدون أبا مروان أحمد الباجي من أعقاب أبي الوليد وأبا عمر ابن الجلد من أعقاب أبي بكر بن الجلد وغيرهم . وكان هؤلاء يتجمعون عصبة واحدة على العلماء من أهل البلد ومشايخ الموحدين يحاولون الاستئثار من دونهم بالوظائف الكبرى ومراتب الشرف ، وفي أيام أبي زكريا يحيى الحفصي تجمع هؤلاء حول عمه أبي القاسم بن أبي زيد وكان رجلاً طامحاً إلى السلطان لا يخفى مطامعه ، وكان له مع أبي زكريا أخبار ووقائع ، ومن

ثم فقد كان الشك يحوم حول الأندلسيين ، وكانت الواقعة فيهم تجد أذنًا صاغية من هذه الناحية .

وقد حرص معظم من ذكرنا من مهاجرة الأندلسيين على أن يبتعدوا عن السياسة ما أمكن ، وانصرفوا إلى العلم أو غيره من المشاغل التي لا يثير الاجتهاد فيها مخاوف أولى السلطان ، ولكن ابن الأبار لم يستطع سلوك هذا السبيل ، فقد كان بطبعه رجلاً طموحاً إلى السلطان والجاه وعرض الدنيا ، ولو رجلٌ غيره حوى في صدره من العلم ما حوى لحمد الله على الأمان الذي صار إليه والكرامة التي لقيها وانصرف إلى التأليف والإقراء ، ولكن سوء طالع له غلب عليه ، فقد كان إلى طموحه وطمعه سريع الغضب حديد اللسان تصدر عنه المساءة وكأنه لا يشعر ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما وصل إلى إفريقية نزل في ميناء بنزرت ، وكتب إلى أبي عبد الله بن أبي الحسين وزير أبي زكريا الحفصي ينبئه بمجيئه ويمت إليه بصلة صداقة قديمة بدأت عند ما زار ابن الأبار تونس في المرة الأولى ، وكان يحسب أن والد الوزير متوفى فنتعته في الخطاب بالمرحوم ، فنبهوه إلى أنه في قيد الحياة ما يزال ، فضحك وقال : « إن أباً لا تُعرف حياته من موته لأبٌ خامل » ، ولم تعد هذه الكلمة من يحملها إلى الوزير — طبعاً — فألمته ، وتحدث إلى السلطان في أن يستقر ابن الأبار في بجاية ، وفعلاً ذهب ابن الأبار إليها وأمضى فيها بضعة أشهر ثم استقدمه أبو زكريا إلى تونس وألحقه بخدمته .

ولم يقلع ابن الأبار عما جبل عليه من إيذاء الناس بلسانه ، ويبدو أنه كان ممن ينزون الآخرين بالكلام القارص أو النقد المهيئ في خفية وتستريح حاسبين أن أمرهم لا يفتضح ، وأمرهم في الحقيقة لا يخفى على أحد ، ومن هنا لقبه خصومه بالفأر ، ويغلب على الظن أن وجهه كان صغيراً نحيلاً ومن هنا قال فيه أحد خصومه وهو أبو الحسن علي بن شلبون المعافري البلسني :

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع  
ع الناس صادرةً من الأبار  
أو ليس فأراً خَلِقةً وخَلِقةً ؟  
والفأر محبوب على الإضرار

فأجاب ابن الأبار سريعاً :

قل لابن شلبون مقالَ تنزهٍ : غيرى يجاريك الهجاءَ ، فجارٍ  
إنا اقتسمنا خطيتنا بيننا فحملتُ بَرَّةً واحتملتُ ، فجارٍ !

ثم إن ابن الأبار كان شديد الاعتداد بنفسه دائم الفخر بالأندلس  
وتفضيله على إفريقية ، قال ابن خلدون : « وكان في ابن الأبار أنفة وبأو  
وضيق خلق » ، ومن هنا زهد فيه أبو زكريا الحفصي وأراد أن يبعده  
عن ديوانه ، وأيده في ذلك أبو الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني ، فتعلل  
السلطان بحكاية خط العلامة هذه حتى لا يراه ، إذ كان صاحب العلامة  
يعرض الكتب عليه ، ولكن ابن الأبار لم يفهم ، وأصر واستمسك ،  
ثم ذهب به الغضب إلى القتل بالبيت الذي يفضل فيه العز في اللظى على الذل  
في جنان الخلود ، ولم يكن هذا منه إلا تشدقاً بألفاظ ، فلو كان في الحقيقة  
ممن يفضلون العز في اللظى لأقام في الأندلس ، فهناك فعلاً كان اللظى في  
الحروب التي لا تسكن وهناك أيضاً كان العز في ظلال السيوف .

وليت ابن الأبار استمسك بهذه العزة بعد أن أبعد وألزم داره !  
بل سعى سعياً حثيثاً في العودة إلى الذل في جنان السلطان ، بل أنفق الوقت  
في رسالة استعطاف طالت حتى صارت كتاباً هو « إعتاب الكتاب » تدلل  
في فاتحته فأسرف في التدلل ، ثم أخذ يقص حكايات كتاب سبق إليهم  
غضب السلاطين ثم حلت بهم نعمة الرضا فأعتبوه . وقد استشفع ابن  
الأبار بولي العهد أبي يحيى زكريا ، وكان في أيام أبيه شاباً مستضعفاً دائم  
الخوف من إخوته محمد وإبراهيم وعمر وأبي بكر ( وكلهم ولى بعده )  
ومن أبناء عمه محمد بن عبد الواحد المعروف بالبحياني لعظم لحيته ، ولهذا  
كان حريصاً على أن يكسب لنفسه أنصاراً يشدون أزره ، فسرّه أن يستشفع  
به ابن الأبار فكلّم أباه في أمره فأعاده إلى الرضا .

وشاءت الأقدار أن يموت أبو يحيى زكريا هذا قبل موت أبيه بسنة  
واحدة ( ٦٤٦ / ١٢٤٨ - ٤٩ ) وأن يصير الأمر بعد ذلك إلى أبي عبد الله

محمد ثاني أولاد أبي زكريا ، وهو الذى عرف بالمستنصر أو المنتصر ، وظل ابن الأبار فى عمله ولكنه استمر على دأبه فى تنقص الناس وخاصة أبي الحسين أحمد بن إبراهيم الغسانى ، وكان قد أصبح وزير المستنصر ، فاجتهد هذا حتى أصدر السلطان أمره بإبعاد ابن الأبار إلى بجاية ، فذهب إليها وانصرف إلى التأليف فترة من الزمن أنجز فيها كتاب « التكملة » الذى كان قد بدأه فى الأندلس ، وهذه الإقامة فى بجاية هى التى أتاحت للغبريى فرصة الترجمة لابن الأبار ضمن من حل من العلماء ببجاية ، وهى أحسن وأوفى ترجمة له بين أيدينا .

وفى هذه الفترة أيضا نعتقد أنه أتم كتاب « الحلة السراء » ، ومن المقطوع به أنه بدأ يكتبه فى تونس عقب استقراره فيها ، فهو فى فاتحته يتحدث عن شعر للسلطان أبي زكريا يحيى وولى عهده أبي يحيى ، وكانا يقرضان الأبيات منه بين الحين والحين ، وقد صنفه ابن الأبار تمجيداً لشاعرية السلطان وابنه وتديلاً على أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء والسلاطين والأمراء ، فهذا الكتاب ، مثل « إعتاب الكتاب » ، كتاب مناسبة ، ولكنها كانت مناسبة سعيدة ، لأنها أتاحت الفرصة لهذا الحافظ الواعى ليسجل شيئاً من محفوظه الغزير . وفى الكتاب إشارة إلى أنه كان ما زال مشغولاً بكتابته سنة ٦٤٦/١٢٤٨ - ٤٩ وهى السنة التى توفى فيها ولى العهد أبو يحيى ، وربما يكون قد أتمه قبل وفاة أبي زكريا ، ولكن العجلة التى تبدو فى الباب الأخير من الكتاب تدل على أنه أتمه بعد هذه السنة بمدة قصيرة ، وفى الغالب أيام إقامته الثانية فى بجاية .

ولا ندرى كيف وفق ابن الأبار إلى رضى المستنصر ، ويبدو أن ذلك كان نتيجة لرسائل مديح كتبها من بجاية يشيد بالمستنصر وأعماله ، وقد أورد المقرئ فى « أزهار الرياض » رسالة لابن الأبار بمناسبة تمام حفر القناة المؤدية إلى الحدائق التى أنشأها أبو زكريا الحفصى خارج تونس ، والرسالة

تدل على أن ابن الأبار كتبها من بعيد وأرسلها إلى السلطان . ولم تكن حال ابن الأبار في بجاية سيئة ، فقد لقيه هناك على بن سعيد المغربي ؛ وقال بعد أن أشار إلى سنيته وتوفيقه فيها وإعجاب الناس بها : « إلا أن أخلاقه لم تعينه على الوفاء بأسباب الخدمة ، فقلصت عند تلك النعمة ، وأخّر عن تلك العناية ، وارتحل إلى بجاية ، وهو الآن بها عاطل من الرتب ، خال من حلى الأدب ، مشغل بالتصنيف في فنونه ، متنفلّ منه بواجبه ومسئونه ، ولى معه مجالسات آتق من الشباب ، وأبهج من الروض عند نزول السحاب . . . » ( القدح المعلى ، برواية المقرئ ، ٢٨٢/٤ )

وعاد ابن الأبار من بجاية إلى تونس ، ومن حسن الحظ أنه أنهى هناك كتابيه الرئيسيين « التكملة » و « الحلة » ، والغالب أنه ترك نسخاً من هذا وذاك هناك ، فنجّا الكتابان من الدمار . وكان حرياً بابن الأبار بعد ذلك أن يلين خلقه ويضبط لسانه ويخفف من دعواه ، ولكنه مضى على سابق عهده من الكبرياء وحدة اللسان ، وربما كانت هذه دعوى من خصومه الكثيرين وخاصة أحمد بن إبراهيم الغسانی وزير المستنصر الأثير عنده ، ولم يكن الغسانی ليطمئن له جنب وابن الأبار قريب من السلطان يستطيع الوصول إليه إذا أراد ، وكان المستنصر رجلاً كثير المخاوف يتوقع الشر من كل ناحية إذ أن أعداءه والمديرين عليه كانوا كثيرين ، وكان ابن الأبار قبل ذلك من أتباع أخيه المتوفى ، فلم يكن هناك أيسر على الغسانی من اتهم ابن الأبار بالتدبير على الدولة ، فيحل بذلك دمه للسلطان ويفرغ منه بأهون سبيل .

نقول هذا لأن عقوبة القتل التي أُنزلها المستنصر بابن الأبار لا يمكن أن تعلل بما يقال من أنه سمع السلطان مرة يسأل عن مولد ولده أبي زكريا يحيى الذى تولى السلطة بعده وتلقب بالواثق ، فجاء ابن الأبار فى اليوم التالى برقعة فيها تاريخ الولادة وطالعتها ، ويضيف بعض مؤرخينا أن هذا



الطالع كان نحساً ، فاستشاط السلطان غضباً من فضوله وتطفله ، وكان ذلك سبب حتفه ؛ نقول إن ذلك كله لا يفسر لنا غضب المستنصر على ابن الأبار غضبا يودى به إلى قتله ثم إحراق شلوه وكتبه ، فهذا التصرف لا يصدر عن غضب بل عن خوف ، وأصحاب السلطان في تلك العصور لم يكونوا يقتلون إلا لخوف على أنفسهم وعروشهم ، أما ما عدا ذلك فيكفي فيه الإبعاد أو السجن أو المصادرة وما إلى ذلك .

ولهذا فلا بد أن التهمة التي دبرت لابن الأبار كانت تهديد السلطان أو الاشتراك مع نفر في ذلك ، لأننا حتى لو فرضنا أن ابن الأبار قال بيت الهجاء الذي تنسبه إليه المراجع ، فإن ذلك لا يبرر الحقد الذي ظهر من المستنصر . ولا بد كذلك أن السعاية به بدأت منذ عودته من بجاية إلى تونس ، فقد كان السلطان لا يطبق النظر إليه ، فكان يستفتيه فيما يريد من بعيد ، فإذا دخل عليه لم يكلمه أو يلتفت إليه ، وكان ابن الأبار « يشكو من ذلك ويتألم وينعى على الزمان سوء حظه :

علت سني وقدرى في انخفاض وحكم الرب في المربوب راض  
إلى كم أسخط الأقدار حتى كأني لم أكن يوماً براض »  
ثم تجيء النهاية إثر حادثة مولد ولي العهد وطالعه التي ذكرناها ، ويذهب ابن خلدون بعد ذكرها إلى أن وشايات الحساد أوغرت صدر السلطان عليه وأوهمته أنه يتوقع المكروه للدولة وتهمه بالنظر في النجوم ، فقُبض عليه وقام الكاتب أحمد بن إبراهيم الغساني بالبحث في داره وكتبه ودفاتره ، فعر فيها على بيت شعريقول :

طغى بتونس خلفٌ سموه ظلاماً خليفة

وعثر عنده أيضاً على كتاب في التاريخ فيه ما ينسب إلى السلطان ، فأمر بضربه بالسياط وقتله وإحراق مؤلفاته ، فقتل ضرباً بالرماح صبيحة

الثلاثاء ٢١ من المحرم سنة ٦٥٨ وأحرق شلوه ، وأخذت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه ، وكانت نحواً من خمسة وأربعين تأليفاً ( تاريخ الدولتين للزركشى ، ص ٢٧ )

والحق أن الإنسان ليدهش من قسوة ذلك العقاب الذى أنزل بآبى الأبرار ، فمثل هذه العقوبة ما كانت تنزل إلا بأعداء السلاطين ذوى الخطر ، أو الذين ناوأوهم وحاربوهم وكادوا يقضون عليهم ، ولا تتصور مهما ذهبنا مع الخيال أن ابن الأبرار بلغ هذا المبلغ فى كراهة المستنصر والتدبير عليه ، ولكن الذى لا شك فيه أن الوشاية فى حقه صورته فى تلك الصورة ، فكانت النتيجة هلاكه على أبشع هيئة نتصورها ، وهذه واحدة من جرائم أولئك السلاطين ووزرائهم ممن حملوا فى رقابهم من أوزار المساكين ودماء الضحايا ما يصممهم إلى الأبد فى حساب الأخلاق وحساب التاريخ .

عاش ابن الأبرار ثلاثاً وستين سنة هجرية ، اثنتان وأربعون منها فى الأندلس والباقي فى المغرب ، ولم يسعد فى هذا ولا ذلك ، فأما فى الأندلس فقد عاش مروع السرب يحوم فوقه شبح الموت فى كل حين ، وكتب لرجال لولا سوء الزمان لما كان لهم إلى الإمارة سبيل ، ومدح غيرهم ممن لا يستحقون مجرد الذكر فضلاً عن المديح ، ثم فقد وطنه وخرج بما حملت يده إلى المغرب حيث تلقفه الأعداء وأعانهم على نفسه بسوء خلقه وتطلعه إلى الوظائف والجاه ، فلم يسعد فى وطنه الحديد ولا هداً باله ، وانتهى أمره إلى هذه النهاية الفاجعة ، ولا عجب أن يلقبه بعض المؤرخين بالشهيد ، وهذه الشهادة لا تحق له لموته مظلوماً فحسب ، بل لأن حياته كلها كانت استشهاداً طويلاً على يد الأيام .

\* \* \*

### مؤلفات ابن الأبرار

ألف ابن الأبرار كتباً كثيرة ، أحصى معظمها بروكلمان والمرحوم عبد العزيز عبد المجيد فى كتابه عن ابن الأبرار والأستاذ إبراهيم الإيبارى فى

مقدمته للمقتضب من تحفة القادم والدكتور صالح الأشر في مقدمة تحقيقه لإعتاب الكتاب ، وفي ثبوت الكتب الوارد في آخر تحقيقنا هذا ذكر كتب أخرى لابن الأبار ، وله رسائل وأشعار كثيرة أورد الكثير منها من أرخوا له وخاصة المقرئ في « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » والغبريني في « عنوان الدراية » .

والناظر في أسماء كتبه التي ضاعت - وعددها ٣٩ - وكتبه التي وصلت إلينا - وعددها ستة - يلاحظ أنها في ثلاثة فنون : الحديث والأدب والتاريخ . فأما كتبه في الحديث فلم يصل إلينا منها شيء يعيننا على تقديرها قدرها الصحيح بين كتب هذا الفن ، وربما كان أهمها هو « المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح » ، فقد كان معاوية هذا من أوائل فقهاء الأندلس وقضاة ، وقد ذكره ابن سعد في طبقاته وأثنى عليه ومن ثم فإن أحاديثه تعتبر من العوالى ، وطالما تأسف من جاء بعده من الأندلسيين على ضياع أحاديثه وعلمه .

وأما كتبه في الأدب فلم يبق منها إلا مقتضب تحفة القادم الذى عمله البلفيقي ، وهو مختصر سيئ الصنع ، استغنى البلفيقي فيه عن معظم النثر ولم يبق إلا هيكل جافاً يتكون من أسماء وبضعة أشعار ، وهذه لا تعين على تقدير ابن الأبار بين أصحاب كتب الأدب .

أما ميدان ابن الأبار الحقيقي فكان التاريخ والتراجم بصورة خاصة ، وكتبه الأربعة الباقية في هذا الفن تشهد بملكة عظيمة في هذا الميدان ، ولا تتجلى هذه الملكة في كتاب كما تتجلى في « الحلة السبراء » وهو غرة كتبه دون جدال ، ولابن الأبار فيه لحات وإشارات واستدراكات تدل على أنه كان مؤرخاً حقاً عارفاً بتاريخ الإسلام حافظاً له قارئاً لكتبه ، وهو يستدرك فيه على نفر من أئمة المؤرخين أخطاء لا يتنبه لها إلا عالم متمكن ذو ملكة واعية .

وقبل أن نفرغ لكتاب الحلة نقف وقفة قصيرة عند كتابي « التكملة لكتاب الصلة » و « المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي » .

واضح أن « المعجم » كتب قبل « التكملة » ، كتبه ابن الأبار بعد أن نصبح تكوينه العلمي ، ونظن أن ترتيبه الزمني بين مؤلفاته يجيء بعد « معدن اللجين في مرآة الحسين » ، فقد أشار إلى هذا الكتاب في كتبه التالية ، وموضوع « معدن اللجين » — كما يدل عليه عنوانه — من تلك الموضوعات التي تستهوي أفئدة الشباب بسبب غلبة العاطفة عليهم ، وقد كان ابن الأبار طالبياً ، ولكنه لم يكن شيعياً ، فإن الطالب هو الذي يميل بعواطفه إلى أهل البيت ويأسى لما أصاب الكثيرين منهم أسى عاطفياً ولا يتعدى ذلك ، ومعظم كبار مؤرخينا على هذا الاعتبار طالييون ، وأما الشيعي فهو الذي يتبع مذهب الشيعة ويميل عن السنة ، وقد ذهب المقرئ إلى أن كتاب « در السمط في خبر السبط » تشتم منه رائحة التشيع ، وقد بالغ في هذا الوصف ولا شك ، فإن الكتاب بين أيدينا وليس فيه إلا هذه العاطفية البريئة التي نجدها عند المقرئ مثلاً .

وكتاب « المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي » كتاب فريد في نوعه من بين ما وصل إلينا من التراث الأندلسي ، لأنه لم يؤلف مثله ، بل لأنه أكمل كتاب أندلسي من هذا النوع وصل إلى أيدينا . فقد ألف القاضي عياض كتاباً في شيوخ أستاذه أبي علي الصديقي هذا ، فأراد ابن الأبار أن يكمل العمل بتأليف كتاب في أصحاب أبي علي ، أي تلاميذه ومعاصريه ومن تبادل معهم العلم . ولو وجدنا كتاب عياض لا اكتملت لنا مدرسة من مدارس العلم كانت فخرًا للأندلس يتوسطها شيخها أبو علي بن سكرة الصديقي ومن حوله شيوخه ثم معاصروه وتلاميذه ، والصديقي جدير بهذا التقدير كله ، فإنه لم يكن شيخاً واسع العلم كريم الخلق فحسب ، بل كان مجاهداً باسلاً لقي الشهادة في معركة كُتبت على ما ذكرناه .

وابن الأبار في « المعجم » دقيق الدقة كلها : دقيق في رسم الأسماء وتواريخ الميلاد وتعداد الشيوخ ، ودقيق أيضاً في المنهج الذي اتبعه ، فهو يرتب أسماء المترجم لهم على حروف المعجم ( مع بعض خلاف قليل مقصود كإيراد اسم أحمد قبل إبراهيم ) ، وهو بعد أن يفرغ من حرف يحصى عدد من ذكرهم فيه ، وإذا أهمل حرفاً نبه إلى أنه لم يجد فيه « معروفاً من هؤلاء الرواة ولا مذكراً » ، أو « ليس في هؤلاء الرواة من أول اسمه دال أو ذال » ، وعدة المذكورين في الحروف الثلاثة : الجيم والحاء والخاء ثلاثة عشر ، منهم في التكملة تسعة رجال . وعدد التراجم التي في هذا المعجم ٣١٥ .

ويفهم من العبارة السابقة أن كتاب « التكملة » كتب قبل « المعجم » . والراجع - على حسب ما استبان لي - أن كتاب « التكملة » كتب على فترات ، ففيه مواد يبدو بوضوح أنها كتبت قبل سنة ١٢٣٢/٦٣٠ - ١٢٣٣ ، وأخرى كتبت بعد هذا التاريخ وقبل هجرة ابن الأبار إلى المغرب ، وثالثة كتبت وهو في بجاية . وهذا معقول بالنسبة لكتاب كبير مثل « التكملة » . صحيح أنه يفهم من فاتحة الكتاب - كما نشرها محمد بن شنب في « المجلة الإفريقية » ( سنة ١٩١٨ ) ص ٣١٧ - أن الفراغ من كتاب « التكملة » كان في أول المحرم سنة ١٢٣٣/٦٣١ - ٣٤ ولكن في الكتاب مواد كتبت وابن الأبار في تونس أو بجاية ، مما يدل على أن ابن الأبار فرغ من صورة أولى من الكتاب في أول المحرم ٦٣١ ثم عاد إلى الكتاب فأكمله ووضعه في الصورة التي وصلت إلينا وهو في بجاية للمرة الثانية .

وكتاب « التكملة » استتمام لما بدأ به أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي ( ٣٥١ - ٤٠٣/٩٦٢ - ١٠١٢ ) من الترجمة لعلماء الأندلس ، وواصل العمل أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الأنصاري ( ٤٩٤ - ٥٧٨/١١٠٠ - ١١٨٢ ) ثم استتم ما فاتة

فى كتاب لم يصل إلينا هو كتاب « ذيل الصلة » يذكره ابن الأبار فى « المعجم » ، ثم جاء ابن الأبار فتصدى لاستكمال ما فات سابقه ومواصلة التراجم إلى أيامه ،<sup>١</sup> وواصل العمل من بعده محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصارى المراكشى المعروف بابن عبد الملك ( ٦٣٤ - ٧٠٣ / ١٢٣٧ - ١٣٠٣ ) ثم واصل هذا العمل الجليل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الزبير ( ٦٢٧ - ٧٠٨ / ١٢٢٩ - ١٣٠٨ ) وختمه ابن الخطيب بكتابه « عائد الصلة » .

وتكمل هذه السلسلة مؤلفات أخرى فى نفس موضوع تراجم علماء الأندلس مثل « جذوة المقتبس » لأحمى و « بغية الملتبس » للضبى و « معجم شيوخ ابن العربى » لابن الأبار ( لم يوجد إلى الآن ) وغيرها .

وهذه الكتب كلها - فيما عدا الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى - تتبع منهجاً واحداً فى الترجمة ، فتذكر الرجل باسمه الكامل وكنيته ونسبته وبلده الذى ولد فيه أو الذى منه أصله والبلد الذى سكنه إن كان قد نزل بلداً آخر ثم شيوخه وما قرأ عليهم ، ثم تلاميذه ومن أخذ عنه ، وتختتم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسر .

وهذه فى الحقيقة ليست تراجم بالمعنى المعروف ، إنما هى سجلات بالأسماء وتواريخ الميلاد والوفاة والشيوخ ، فلا تعطى فكرة واضحة عن المترجم له إلا فيما ندر ، فليس فيها - إلا فى القليل جداً - إشارات إلى حياة الرجل وما وقع له أو صفاته وخصائصه كرجل له صفات وخصائص ، بل ليس فيها - إلا فى النادر أيضاً - تلك الطرائف والحكايات الصغيرة التى نجد نماذج منها فى « تاريخ القضاة » للخشنى أو « رياض النفوس » للمالكى أو « الإحاطة » لابن الخطيب أو سلسلة كتب الوفيات المشرقية التى بدأت بابن خلكان ، ومن ثم فإن قيمتها للتاريخ السياسى والاجتماعى للأندلس محدودة ، بل فائدتها فى التعريف بالرجال أنفسهم قليلة .

ولكنها على أى حال أكثر فائدة من المواد التى يتضمنها الكثير من كتب على بن سعيد وكتاب « الخريدة » للعماد الأصفهاني أو الكنية الكامنة لابن الخطيب ، فهذه مجموعات مختارات وليست تراجم أو مواد ذات قيمة تاريخية .

وفى هذه الحدود تتساوى كتب ابن الفرضى وابن بشكوال وابن الأبار وابن الزبير فى الدقة والإنقان ، وربما شفى ابن بشكوال على صاحبيه فى تراجمه بسبب ملكته التاريخية الواضحة . وابن الأبار على هذا الاعتبار واحد من أعلام مؤرخى العلم فى الأندلس ومرجع من المراجع التى لا يستغنى عنها مؤرخ له خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بصفة خاصة .

\* \* \*

### كتاب الحلقة السيرة :

ونتهى إلى كتاب « الحلقة السيرة » ، وهو دون شك أحسن كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة ، بل هو من عيون ما ألف أهل الأندلس قاطبة ومن المراجع التى لا يستغنى عنها من يؤرخ له أو يكتب فى أى ناحية من نواحي الحياة فيه .

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن عنوان الكتاب الكامل : « الحلقة السيرة فى شعر الأمراء » ولم نجد ما يؤيد هذا فى المخطوط ولا عند الموثوق فيهم ممن كتبوا عنه ، ولهذا جعلنا عنوان الكتاب « الحلقة السيرة » فحسب ، ولو أن إكمال عبارة « فى شعر الأمراء » معقول .

وقد قلنا فى أول هذه المقدمة إن صاحب الفضل فى اكتشاف القيمة التاريخية والأدبية لهذا الكتاب كان المستشرق دوزى ، وقد أثبتت الدراسات التالية حصافة دوزى عندما أشاد بقيمة الكتاب وخصائص صاحبه ، والكتاب الآن بين أيدي القراء يستطيع من يريد منهم أن يستبين بنفسه ما له من قيمة وما يوحى به من ثقة .

ولفظ « السَّيرَاء » الذى استعمله ابن الأبار فى العنوان لفظ نادر الاستعمال ولكنه جميل أحسن ابن الأبار فى اختياره ، وإليك ما ورد فى « لسان العرب » فى معنى هذا اللفظ :

« . . . وثوب مُسَيَّرٌ وشَيْئُهُ مثل السُّيُور ، وفى « التهذيب » : إذا كان مَخْطُوطًا . وَسَيَّرَ الثَّوبَ والسَّهْمَ جعل فيه خطوطًا ، وعُقَابٌ مُسَيَّرَةٌ مَخْطُوطَةٌ . والسَّيْرَاءُ والسَّيْرَاءُ ضرب من البرود ، وقيل هو ثوب مُسَيَّرٌ فيه خطوط تعمل من القز كالسيور ، وقيل برود يخالطها حرير ، قال الشَّيْخ :

فقال إزارٌ شَرْعَبِيٌّ وأربعٌ من السَّيْرَاءِ أو اواقٍ نواجزٌ وقيل هى ثياب من ثياب اليمن : والسَّيْرَاءُ الذهب ، وقيل الذهب الصافى ، الجوهري ، والسَّيْرَاءُ بكسر السين وفتح الياء والماء بُرْدٌ فيه خطوط صُفْرٌ ، قال النابغة :

صفراءُ كالسَّيْرَاءِ أَكْمَلُ خَلْقُهَا كَالْغَصَنِ فى غُلَوَائِهِ الْمَتَاوُدِ وفى الحديث : أهدى إليه أَكْبَدِرُ دُومَةٍ حَلَّةٍ سَيْرَاءٍ . قال ابن الأثير : هو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور ، وهو فعْلَاءٌ من السَّيْرِ الْقَدِ . قال : هكذا روى على هذه الصفة . قال ، وقال بعض المتأخرين : إنما هو على الإضافة ، واحتج بأن سيبويه قال : لم تأتِ فعْلَاءٌ صفةً لكن اسماً ، وشرح السَّيْرَاءَ بالحرير الصافى ، ومعناه حلة حرير ، وفى الحديث : أعطى علياً بُرْدًا سَيْرَاءً وقال : اجعله مُخْمَرًا ، وفى حديث عمر : رأى حَلَّةً سَيْرَاءً تباع ، وحديثه الآخر أن أحد عماله وفد عليه وعليه حَلَّةٌ مُسَيَّرَةٌ أى فيها خطوط من إبريسم كالسيور » (مادة سير ، ٦ / ٥٧) .

وإذن فالمراد بالعنوان : الحلة ذات خطوط من حرير ، وقد تكون هذه الخطوط صفراء فتشبه الذهب ، وإذا أخذنا برأى سيبويه كان المعنى : ثوب حرير صاف . وهو بطبيعة الحال كناية عن مادة الكتاب وما فيه من



الشعر ، وجدير بالملاحظة أن شعر الكتاب ليس كله لأمرأء ، بل فيه للكثير من شعر الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلماء .

وهذا الشعر كله جيد ، مما يدل على ملكة ابن الأبار كناقذ للشعر عارف بالجميل منه وغير الجيد . ولكن أهم من الشعر في الكتاب نثره ، فهو تراجم غاية في الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس من القرن الهجرى الأول إلى منتصف القرن السابع مع مادة تاريخية لا بأس بها عن أعلام مشاركة من أهل القرن الأول كان لهم نصيب في فتوح المغرب والأندلس .

وفى كل هذه المواد يبدو لنا ابن الأبار مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع نافذ النظر صادق الحكم ، وإذا استثنينا بعض المواد الأولى التي ينسب فيها ابن الأبار شعراً إلى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الملك بن مروان وبعض أجزاء الباب الأخير الخاص بمن لم يؤثر عنهم شعر ، تبيّننا أن مادة التراجم كلها متعادلة من حيث القيمة والغزارة والأصالة ، غنية بكل ما ينفع المؤرخ ، ولا أذكر أننى قرأت لغير ابن الأبار فى الأندلس شيئاً يدل على سعة العلم على هذه الصورة ، فهو متمكن غزير المادة سواء أكتب عن خلفاء بنى العباس أم خلفاء الفاطميين أم أمرأء الأندلس وخلفائها أم أمرأء الطوائف ومن عاصرهم . وهو ليس غزير المادة فحسب ، بل ناقداً يقظاً لا يمر بخطأ فى تاريخ أو اسم إلا استدرك عليه ، وتبدو منه بدوات هنا وهناك تدل على أنه كان بالفعل من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسى والعلمى والأدبى .

ومن حسن الحظ أن ابن الأبار تخلى عن السجع بعد فراغه من فاتحة الكتاب ، فجاء أسلوبه قوياً رصيناً بليغاً يرتفع إلى أحسن مستويات الأساليب العربية الصافية ، وأسلوبه هنا يشبه أسلوبه فى « إعتاب الكتاب » . ومقارنة بين أسلوب الحلة وإعتاب الكتاب ونصوص الرسائل المسجوعة التى كتبها ابن الأبار وأورد المقرئ شيئاً منها تعطينا دليلاً على جناية السجع

على الأدب العربي ، فهذا ابن الأبار إذا كتب على سجيته دون تكلف أفصح وأبان وأفاد وأمتع ، فإذا تكلف وسجع أسفَّ وهبط وضاعت معانيه في جهد البحث عن السجعات .

وليس هذا موضع تحليل هذا الكتاب ، فهذه دراسة طويلة جديرة بأن يفرد لها بحث خاص ، ومثل هذا الكتاب تبيين مزاياه عند الحاجة إليه والبحث فيه .

\* \* \*

### المخطوط :

ولم تُبق الأيام من « الحلة السراء » إلا نسخة وحيدة هي هذه التي اعتمدنا عليها في هذا العمل ، وقد وقع في ظن بعض الباحثين أن هناك نسختين أخريين ، واحدة في مدريد والثانية في باريس .

وهذه النسخة الوحيدة الباقية هي المحفوظة في مكتبة الإسكريال برقم ١٦٥٤ ، وهي نسخة جميلة مكتوبة بخط مغربي على ورق حجمه ٢٧ × ٢٠ سنتيمترا ، في الصفحة ١٩ سطراً ، وعدد أوراقها ١٩٧ . وفي نفس المجلد ٣ ورقات أضيفت إليه خطأ من تاريخ يظن أنه لأحمد بن أبي الفياض المؤرخ الأندلسي ، والخلاف في نسبتها شديد بين الباحثين ، انظر :

P. MELCHOR ANTUNA, *Un Fragmento Árabe - Historico* (Biblioteca del Escorial); en CIUDAD DE DIOS. San Lorenzo del Escorial, tomo CXXXVII, 1921, p. 103 — 114.

وانظر أيضا فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الإسكريال الذي وضعه هارتويج ديرنبور وراجعته وأكمله ليثي بروفنسال (باريس ١٩٢٨) ج ٣ ص ١٨٨ — ١٨٩ .

وتنقص المخطوط من أوله ورقتان أو ثلاث على الأكثر فيها خطبة الكتاب وشيء من فاتحته ، وابن الأبار يأتي فيها بنماذج من شعر أمراء من بني حفص ، والغالب أن بعضها للأمير أبي يحيى زكريا الذي كان ولياً للعهد ثم

توفى قبل وفاة أبيه أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني في سنة ٦٤٧ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠ وانتقال الأمر إلى ابنه أبي عبد الله محمد الذي لقب بالمنتصر أو المستنصر .

أما النسخة التي ظن بعضهم أنها في المكتبة الأهلية في باريس فنسخة حديثة كتبها المستشرق الإسباني خوسيه أنطونيو كوندٍ وعن هذه نقل المستشرق رينو نسخة صارت إلى ملك الجمعية الآسيوية الفرنسية ، ثم انتقلت إلى المكتبة الأهلية في باريس ( انظر جامع نصوص بني عباد لدوزي ، ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧ ) وقد استعان بها دوزي في نشر ما نشر من الحلة ، ولكن بعضهم حسبها مخطوطة قديمة من الحلة وتحديث عنها بهذا الوصف .

وأما نسخة مدريد التي ذكرها بعضهم على أنها أصل من أصول الحلة فنسختان لا واحدة ، كتب الأولى منهما في سنة ١٧٩٥ مستشرق إسباني يسمى خوسيه أنطونيو بِيْثَر José Antonio Pellicer وكتب الثانية مستشرق إسباني آخر يسمى يابلو أودار Pablo Hodar بتوجيه من ميخائيل الغزيري ، وقد أصبح هذا الرجل بعد ذلك أستاذاً للغة العربية في جامعة قلمرية Coimbra في البرتغال ، وتوفى بها سنة ١٧٧٩ ( انظر فهرس مخطوطات المكتبة الأهلية بمدريد الذي صنّفه جيّن رُوْبْلِس Guillén Robles ، مدريد ١٨٩٨ رقمي ١٢ و ١٣ ص ٨ و ٩ ) .

ولا وجود كذلك لأي نسخة أخرى من الحلة في أي مكتبة عامة أو خاصة أخرى بحسب ما وصل إليه علمي .

وهذه المخطوطة الوحيدة جميلة واضحة الخط ، ولولا هذا الحرص الصغير في أولها وبعض ثغرات قليلة الأهمية في سياق النص لكانت من أكمل ما وصل إلينا من المخطوطات . وقد وقع الناسخ أثناء النقل في خطأ جر إليه السهو ، فانتقل في أثناء ترجمة أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي إلى ترجمة أبي عبيد بن عبد العزيز

البكرى ، وكأنه كان ينسخ ترجمة الأول ثم مضى لبعض شأنه وعاد ففتح المخطوط فوقع على ترجمة أبى عبيد بن عبدالعزيز البكرى فلم ينتبه للأمر ومضى ينقل ، وبعد أن فرغ منه تنبه إلى أنه أسقط تراجم معظم أهل القرن الخامس ، فعاد واستتمها ! ومن حسن الحظ أنه لم يسقط شيئاً من الأصل .<sup>٤</sup> وقد تنبه إلى ذلك دوزى وبينه في الكلمة التي صدر بها ما نشر من الحلقة ، وراجعت الأمر مرة أخرى عند التحقيق ، ونهت على ذلك في موضعه .

وقد أفدت أكبر الفائدة من عمل دوزى وماركوس مولر في هذا الكتاب ، وقد جرى الناس على أن يذكروا الأول دون الثاني عند الكلام على الحلقة ، مع أن مولر في الحقيقة خدم ما نشر من النص خدمة طيبة وقد انتفعت من قراءته في كثير من المواضع ، ومن الحق أن أحبي هنا ذلك الجهد العظيم الذي بذله هذان المستشرقان الجليلان ، لا في تحقيق ما نشرنا من الحلقة فحسب ، بل لخدمتهما للدراسات العربية بصفة عامة ، ويكفى أن أحدهما - وهو ماركوس مولر - كان يستحب أن يسمى نفسه امراً القيس بن الطحان ، لأن امراً القيس في رأى البعض تعريب لماركوس أو مرقص ومولر معناه الطحان .

\* \* \*

وبعد فهذا نص « الحلقة السراء » كاملاً بين يدي القارئ مخدمواً على قدر ما سمحت به الطاقة وأعان الجهد ، ولقد طالما رجا الباحثون أن يجدوه ميسراً بين أيديهم ، فعسى أن يكون ما أنفقت من جهد محققاً للرجاء .

وقد أعانني في ضبط الشعر صديقي وأخي الدكتور محمود على مكى وكيل معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، وأنا مدين له بهذا الفضل ، ووقف على طبع الكتاب في القاهرة صديقي مصطفى عبد المجيد صالح أكرمه الله بما صدق ونصح ، وتعاوننا نحن الثلاثة على تصحيح تجارب الطبع ، ونحسب أننا نقدم هنا نصاً يخلو من خطأ مطبعي يستحق الذكر .

وقبل أن أختتم هذه السطور يسعدني أن أحيي أخى السيد حسن إيراني  
ناشر هذا الكتاب فقد أضفى عليه ذوقه وحبّه للكتب ، وهو حب جدير  
بالذكر والتنويه .

والله ينفعنا بجهدنا ويزيدنا من فضله وتوفيقه . وخير ما نختم به هذا  
الكلام دعاء صادق بالرحمة والغفران لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر  
ابن الأبار .

مصين مؤنس

مدريد في ٢٣ ذى قعدة ١٣٨٣  
٦ أبريل ١٩٦٤

أستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة  
ومدير معهد الدراسات الإسلامية في مدريد



كِتَابُ  
الْحُلَّةِ السَّيْرَاءِ





[ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ]

.....

..... (\*) [.....

/بَنَى لِيَ الْجَدَّ أَبَا كِرَامٍ وَرِثْنَا بَجْدَهُمُ بَاعًا فَبَاعًا [١-١]  
وَهَذَا بَنَى الْإِبَاهُ فَوَاتِ طِرْفِي<sup>(١)</sup> وَكُلُّ بَعْدُ يَجْرَى مَا اسْتَطَاعَا  
وَقَبْلَهُمَا مِمَّا يَصِلُ حَبْلَهُمَا وَيَصِفُ فَضْلَهُمَا :

وَمَا لِلنَّاسِ مِنَّا غَيْرُ رَغْبِي يُفَيْسِدُهُمْ رِفَاهًا وَاتِّقَاعًا  
فِيْمَنْعُهُمْ وَمَا شَعَبُوا مَضَامًا<sup>(٢)</sup> وَيُوسِعُهُمْ وَمَا سَفَعُوا اتِّجَاعًا

وَلَهُمْ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَسَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْهُمْ :

أَجِثْ دَاعِيَتَيْهَا فَالْفَجِيبُ يُجِيبُ وَشُبُّ لَظَاهَا فَالْفَخِيبُ<sup>(٣)</sup> يُجِيبُ

(\*) ذكرنا في المقدمة أن المخطوط تنقصه أوراق من أوله ، قد لا تزيد على اثنتين ، هما أول الفاتحة ، ويبدأ الكلام في المخطوطة بهذه الأبيات ، وهما من شعر أبي زكريا الحفصى الذى أهدى إليه ابن الأبار هذا الكتاب . وقد حاولت العثور على أصول هذه الأشعار ، فوجدت بعضها ولم أجد الباقي . ومن الواضح أن ابن الأبار تحدث في الصفحات الضائعة عن شعر الأمراء وكيف أنه دليل على امتيازهم وذكاؤهم وعلمهم ، وهو معنى سيعود إليه أكثر من مرة في سياق الكلام ، وقد بينا ذلك في المقدمة . وقد وضعت نقطاً بين حواصر مكان البياضات في الأصل ، واكتفيت هذه الإشارة هنا تحاشياً لتكرار عبارة : « بياض في الأصل » .

(١) الطرف : الكريم من الخيل .

(٢) في الأصل : وما شغبوا مضاهها ، وقد قومناه كما في المتن . ومعنى الشطر على هذا هو أنه يحميمهم ، ومن تفرق منهم من الضميم (انظر مادة شَعَبَ في لسان العرب ، ٤٧٩/١ - ٤٨٠) .

(٣) النخب : الجبان .

وَشِمَّ عَزْمَةً لَا يَغْمِزُ<sup>(١)</sup> الْعَجْزُ مَتْنَهَا فَذُو الْعَزْمِ فِي الْيَوْمِ الصَّعِيبِ يُصِيبُ  
وَلَا تَبْتَنِعِ الْعَلِيَاءُ إِلَّا بِأَبْيَضٍ لِفَرَبِيَّةٍ فِي هَامِ الْكُمَاةِ غُرُوبُ  
وَأَسْمَرٍ غَيْرِ شَيْبٍ الْوَقْعُ رَأْسُهُ أَلَا إِمَّا بَعْدَ الْقَشِيبِ مَشِيبُ  
وَمِنْ شَتَّى قُلْتَ النِّجْمُ تَوَجَّ رَأْسُهُ فَلَاحَ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ثُقُوبُ  
يُنْضَضُ صِلًا نَمَّ يَهْوَى كَأَنَّهُ رِشَاءُ لَهُ قَلْبُ الْكَمِيِّ قَلِيبُ  
وَصَفَرَاءُ رَبَّتْهَا الْجُيُوبُ<sup>(٢)</sup> وَرَاوَحَتْ ذَوَائِبَهَا فَوْقَ الْجُيُوبِ جَنُوبُ  
إِذَا عِيجَ مَتْنَهَا أُقِمَّتْ شَبَابُهَا<sup>(٣)</sup> فَهِيَ سَرُوبٌ لَا يَرَى وَرُسُوبُ  
فَإِنْ سَدِغَتْ بِالْكَفِّ<sup>(٤)</sup> أَوْ قُلْ خَطُوهَا نَفْطُو بَيْنَهَا فِي الْحُرُوبِ رَحِيبُ  
وَأَجْرَدَ يَسْتَجْلِي بِأَوْضَاحِهِ الْوَعَى وَقَدْ جَنَّا يَوْمَ الرُّكُوبِ عَكُوبُ<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل : يغمز ، وقد صوبها ماركوس مولر (ص ١٦٢) : يغمز ، وهو

صحيح .

(٢) هذا البيت من مشكلات هذه القطعة نظراً للجناس اللفظي الذي أراده الشاعر . والبيت كله يدور حول القوس ووصفها . وقد ورد لفظ « الجيوب » هنا واضحاً في الأصل ، فلم نر ما يدعو إلى تغييره . وقد عدله مولر (ص ١٦٢) إلى « الجيوب » . وكذلك جعله حسن حسنى عبد الوهاب عندما أورد هذه القطعة في كتابه « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » ( الطبعة الثانية ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩٤٤ ) ص ١٠١ . والجيوب هو الفرس المجيب أي المحجل إلى ركبتي يديه وعرقوبي رجله . وأعتقد أن الأصوب هنا « الجيوب » والمراد بها الصدور . وسيرد لفظ الجيوب في المصراع الثاني من البيت ، ولهذا فقد استبعدت أن يكرره الشاعر في بيت مرتين .

(٣) في الأصل : بناتها . وقد جعلها حسن حسنى عبد الوهاب بُنَاتَهَا ، وفسر اللفظ بأنه قوائم الفرس ، وعلى هذا الأساس فسر « سرُوب » و« رُسُوب » . وأعتقد أن الشاعر لا يزال يصف القوس ، وعلى هذا فقد صوبت اللفظ إلى « شَبَابُهَا » ، وباقى البيت مفهوم على هذا التفسير .

(٤) أي شُدت باليد .

(٥) العكوب : الغبار .

إذا ما استحرَّ الضربُ واشتَجَرَ القَنَا  
 له من سَعَالِي الجِنِّ خَلْقٌ مُطَهَّمٌ <sup>(١)</sup>  
 بِتِلْكَ يُنَالُ الْوِترُ لوَ حالِ دونهُ  
 /فَدَعِ عَنكَ أَبناءَ الزَّمانِ فَكُلُّهُمْ  
 فلا تُورِدْنَهُ وَرَدَكَ الصَّفْوُ إِنَّهُ  
 [ ... ] ساوى الرِّجالَ قَبائِمَ  
 [ ... ] قَرِيبِ يَعْرُدُ هابِياً  
 [ ... ] إلى الخليلِ محلَّة  
 [ ... ] يَدِيكَ فَإِنَّهُ  
 [ألا فـ] اسْتَعِنَ واسْتَعِنَ باللهِ إِنَّهُ

بدا وَهُوَ في حال [ ... ]  
 يَرُوعُ ، وَمِنْ هُوجِ الرِّياحِ هُبُوبُ  
 سُهوبٌ ، وَحَالَتْ عَن مَدَاهُ لُهوبٌ <sup>(٢)</sup>  
 لَهُ عِنْدَ تَمَحْيِصِ الغُيوبِ عُيوبُ [ ١ - ب ]  
 شَرُوبٌ وَعِنْدَ الحادِثاتِ سَرُوبُ  
 لَهُ عِنْدَ هَبَّاتِ اأَلْطُوبِ خُطُوبُ  
 وَيَبْأى إِذا الحَقَّ النُّوبِ يُؤُوبُ  
 وَقَد جَعَلَتْ [ ... ]  
 سِواءَ قَرِيبِ في الورى وَغَرِيبُ  
 لَفَتَحَ بِتَقْدِيرِ الرَّقِيبِ قَرِيبُ

ولهم — أيدهم الله — في استقبال حضرتهم العلية من بعض غزواتهم الميمونة :

يَرْجِفُونَ عَيْنِيكَ بِالْقَرَارِ  
 أَلَا حَ البرقُ مُعْتَرِضاً فغارتُ  
 خَفَى يَسْرِي وظل الدَّمْعُ يَجْرِي  
 وهابَ البدرُ أن يَفْرِى دِجَاهِ  
 وساءل مسنداً يَرويه عَنى  
 سَقَى أعلامَ تونس فَالْحَنائِيا  
 فواكِدَاهُ من شوقِ تَناءَتْ  
 وأَبْرَحُ ما يَكُونُ الشَّوْقُ يوماً

وَمِنْ شَرطِ الهوى رَعَى الذَّرارى  
 نَجُومُ الْأَفْقى مِنْ ماءِ وِارِ  
 فواخَرَبَاهُ مِنْ سارِ وجارِ  
 فمالَ عَنِ الشَّرارِ إلى السَّرارِ  
 فحَدَّثَهُ الزَّفِيرُ عَن أَدْكارِ  
 فمُقْتَبِلَ العَشِيَّةِ والعَرارِ  
 نَهايَتُهُ عَلى قُرْبِ المَزارِ  
 إِذا دَنَتْ الدِّيارُ مِنَ الدِّيارِ

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها ح . ح . عبد الوهاب : مطهر ، وكذلك فعل مولر (ص ١٦٣) .

(٢) لهوب جمع لُهب ، وهو هنا : مهواة ما بين كل جبلين (اللسان ، ٢٤١/١) .

ومن قلائد المُرِّيَّةِ بقلائد العقيان ، المُرِّيَّةِ على فرائد الجمان <sup>(١)</sup> :

وحَوَراء تستعلی بنهدين أشرعاً ولا غرو أن يدعو هواها فأتبعه  
تقول ، وقد رقت لما بي : أجازع وأنت جري والأسنة مُشرعه ؟  
[ ٢ - ١ ] / فقلت لها : جفناك عزاً تجلدي ونهذاك هداً نفس هيان موجهة  
وما زلت ألقى القرن يعسل <sup>(٢)</sup> رحمه فن لي بمن يلقي الفؤاد بأربعة ؟

صدر هذا عنهم ، دامت سعادتهم . وقد أنشد بمجلسهم العليّ للقاضي  
أبي بكر بن العربي في مداعب له من فتیان المثلثة هز رحمه عليه وأوماً به إليه :

يهز على الرمح ظبي مهفف لعوب بالباب البرية عابث  
فلو كلب رحماً واحداً لانتقيته ولكنه رمح وثاث وثالث

كذا قرأت في ديوان شعرهم ، أدام الله تأييد أسرهم . وهما عندى للقاضي  
أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية <sup>(٣)</sup> ، أنشدنيهما القاضي أبو سليمان داود  
ابن سليمان بن حوط الله الأنصارى الحارثى <sup>(٤)</sup> بمدينة بكدسية ، وهو إذ ذاك يتولى

( ١ ) يشير ابن الأبار هنا إلى كتابي « قلائد العقيان » لابن خاقان و « فرائد الجمان » أو  
« الفرائد الجمانية » ( طبع في القاهرة سنة ١٩٠١ ) لمعين الدين أبي نصر أحمد بن عبد الرزاق  
الطنطرناني المتوفى سنة ٤٨٠ / ١٠٨٧ ( انظر بروكلمان ، ملحق ١ ص ٤٤٦ ) .

( ٢ ) عسل الرمح : هزه .

( ٣ ) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحماري ، من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد .  
ترجم له ابن بشكوال في « الصلة » ( رقم ٨٢٥ ج ١ / ٣٨٠ ) ووصفه بأنه « كان واسع المعرفة  
قوى الأدب ، متفتناً في العلوم ، أخذ الناس عنه » . توفي سنة ٥٤٢ / ١١٤٧ - ١١٤٨ .

( ٤ ) هو داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن خلف . . بن حوط الله  
الأنصارى الحارثى من أهل أندلس ( ٥٥٢ - ٦ ربيع الآخر ٦٢١ ) ، من أكبر فقهاء الأندلس  
في عصره وأوسعهم علماً وأكثرهم رحلة وشيوخاً . وهو من شيوخ ابن الأبار ، وقد ترجم  
له ترجمة واسعة في تكملة الصلة ، رقم ٢٠٥ ص ٦٣ - ٦٥ . ولم يرد لأبي محمد عبد الحق بن  
عطية ذكر في هذه الترجمة ولا في تكملة الصلة .

قضاءها . قال : « أنشدنا الشيخ أبو الحسين سراج بن عبد الله العثماني <sup>(١)</sup> —  
 — مراتٍ — للفقير القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية » ؛ وذكر البيتين ، إلا  
 أن صدر أولهما في هذه الرواية « يهددني بالرمح ظبي مهفوف » ، وصدر ثانيهما  
 « فلو كان رجحاً واحداً لانتقيته » ، وباقيهما سواء <sup>(٢)</sup> . ولعن كان منهما ذلك  
 فقد عدل به عن جادة الإجابة والزيادة .

ومن لزومياتهم السنية في غزلياتهم السلطانية :

بدت لك في ثوب يشف منجم      أزيرق — يا لله للحسن! — أزرقا  
 ولاحت ، وبدر الأفق في الأفق كامل      فلم أدر أي راعى حين أشرقا  
 خلا أنه لما رأى حسن وجهها      تأنى قليلاً حين شام فأبرقا  
 ودونهما صفو الفدير مسلسلاً      فأقسم لولا رقة الوصل أحرقا  
 ولما رنا نحو السجّنجل وجهها      أطل على متن الفدير فأطرقا  
 وزرّت عليه الشهب ثوب سمانه      فقارب في التشبيه منها وأغرقا  
 ونازعها ثوباً ولوناً ورفعةً      وبعداً وإشراقاً ووجهاً ترققا  
 ومن رفيع الرصف وبديع الوصف قولهم ، لا زال يجارى الأقدار عدلهم  
 ويبارى الأمطار طولهم :

/أعد نظراً حيث الرياض كأنها      خدود الغواني أو قدود الكواكب [ ٢ - ب ]

(١) سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج من أهل قرطبة ، يكنى  
 أبا الحسين . ترجم له ابن بشكوال في الصلة ( رقم ٥١٤ ، ج ١ / ٢٢٦ ) ولم يذكر نسبه  
 العثمانية ، وقال عنه : « وكانت له عناية كاملة بكتب الآداب واللغات والتقييد لها والنسب  
 لمشكلها » مع الحفظ والإتقان لما جمعه منها » . ولد سنة ١٠٤٧/٤٣٩ وتوفي في جمادى الآخرة  
 سنة ١٠١٧/٥٠٨ .

(٢) روى البيتين المذكورين هنا أحمد بن محمد المقرئ في فصح الطيب ( طبعة محيي الدين  
 عبد الحميد ، ج ٢ ص ٢٣٣ في ترجمة أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ) بالصورة التي وردا  
 نها في النص ؛ وقد نسبها إليه .

تميل وليست بين كأس وقينة  
وسال نَمِيرُ الماء بين اخضرارها  
وإلا كما شق الكَنَمَورَ بارقٌ  
قد اطرَدَت فيه المذائبُ دائماً  
وللنَّزْجِسِ النَّضْرُ اصفرارٌ تخالُهُ  
يدبُ إليك الحسنُ في جنباتها  
وللياسمينِ الغضُّ في خُضْرِ بُسْطِها  
وللسَّوسَنِ المُبَيِّضُ إصغاءُ آلفٍ  
وقد كَلَّتْ أغصانُ نارنجيها، فقلُّ  
وعَطَّرَ منها النَّشْرُ ما بَلَّلَ الندى  
وللماء في الدولاب - إن رُمَتْ وَصْفَه -  
تَضَمَّنَ سَقَى الرُّوضِ رفهاً يَعْلَهُ  
مَعْطَرَةُ الأُردانِ يَفْعَمُ نفحُها  
سما، وجَرى الماء فيها مَجَرَّةً  
فدونكها تحتال زهواً ونُضْرَةً  
ولهم - خَلَدَ الله سلطانهم - في طبق مملوء تآثر زهر النارج والخابور،  
وأكثرُ هذا التشبيه على البديهة :

بَعَثَها وَذَكَى العَرَفُ الحُفَها  
كأنا الزهرُ والخابورُ جَزَّعُهُ  
قد راق منظره حُسنًا لَمَلَّتْ  
بُرْدِينِ من وَضَحِ الإصباحِ والشَّفَقِ  
شَدَرْتُ تَنائِرُ في دَرٍّ من العُنُقِ  
ورقٌ مَخْبِرُهُ عَرَفًا لَمُنْتَشِقِ

ولهم — ظاهراً الله نعمة لديهم — مما كتبتُهُ بين الكريمتين يديهم : [ ١-٣ ]  
 خُذْهَا كَمَا تَمَّ عَرَفُ الرَّوْضِ بِالسَّحَرِ وَأَيَقُظَ الطَّلُّ رَبَّانَا نَأْمُرُ الزَّهْرَ  
 حِمْزَاءَ تَرْفُلُ فِي أَنْوَابٍ بِهِجَتِهَا نَقَرْتُ عَنْ لَوَائِي عَذْبٍ وَعَنْ أَشْرِ<sup>(١)</sup>  
 زَفَقَتُهَا وَرَوَاقِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ كَانَهَا شَفَقٌ فِي هَالَةِ الْقَمَرِ

ومن ألعازهم ، وسمعت منهم رضى الله عنهم :

سَحَرْتُ أَعْيُنَ الْجَبَّارِ لُبِّي واستباحتُ حِمَى فُؤَادِي وَقَلْبِي  
 [ ... .. ] مِنْهَا اشْتَبَاهُ فَاظُنَّ التَّصْحِيفَ مِنْ بَعْدِ قَلْبٍ  
 وقد استوفوا حروف المعجم في هذا الباب ، فأتوا — أيدى الله — [ بما فيه ]  
 عبرة لأولى الألباب .

ولهم في الرثاء ، أدام الله أيامهم كما جعل مفاتيح الأقاليم سيوفهم وأقلامهم :  
 تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَوْلَى بِذِي حِجْرٍ وَإِنْ كَانَ حِجْرًا فَأَمْلَأْهُ إِلَى الْحِجْرِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَغْدُو عَلَى الْفَتَى فَطَوَّرًا عَلَى بَشْرٍ وَطَوَّرًا عَلَى بَشْرٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنْ سَأَلْتُمْ ، وَالظُّلْمُ مِنْهَا سَجِيَّةٌ فَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تُغَرَّ وَأَنْ تُغَرِّ  
 مَرَى<sup>(٤)</sup> الْحَزْنَ دُمْنِي أَنْ أَمَرَ حِبَالَهُ وَكَانَ قَدِيمًا لَا يُمِرُّ وَلَا يَمُرُّ  
 وَعَهْدِي بِهَذَا الدَّمْعِ يَا عَيْنُ وَافِيًا فَهَلْ لَكَ فِي الْغَدْرِ الْمُبْرَحِ مِنْ عُذْرٍ ؟  
 أَلَا مَنْ لَعِينٍ لَا يُنْهِنُهُ غَرْبُهَا أَلَا مَنْ لَسَحَ لَا يَمْلُ مِنْ السَّحَرِ ؟  
 أَلَا تَلَكُمُ إِدْمَانَةُ الْعَفْرِ فِي الْقَفْرِ أَلَا تَلَكُمُ الْجَوُّ فِي الدَّوِّ<sup>(٥)</sup> فَاعْجَبُوا

( ١ ) تأشير الأسنان تحريزها وتحديد أطرافها .

( ٢ ) الحِجْرُ الأولى والثانية بمعنى العقل ، والثانية بمعنى حرام .

( ٣ ) بَسْرُ الرَّجُلِ وَجْهَهُ : كَلْبٌ .

( ٤ ) مَرَاهُ حَقُّهُ : جَحْدُهُ .

( ٥ ) الدَّوُّ : الْمَفَازَةُ .

أَأَسْلُو وَهَذَا شَخْصُهَا حَشَوُ مُقْلَتِي وَأُنْسَى وَمَا تَنَفَكْتُ مِنْى عَلَى ذِكْرِ ؟  
 لَنْ ضَمَّ مِنْكَ الْاَلْحَدُ ذَاتَا زَكِيَّةً لَقَدْ حُنَيْتَ مِنْى الضَّلُوعُ عَلَى جَمَرٍ  
 سَابِكِيكَ مَا أَنْتَ فَقِيدَةٌ بِكِرْهَا وَحَنَّتْ إِلَى وَكْرِ مُطَوَّقَةِ النَّحْرِ  
 / [٢-ب] أَطَارِحُهَا شَجْوَى فَيُسَمِّدُ شَجْوَهَا فَتَحْسِبُنَا إِلْفَى مُصَابٍ لَدَى وَكْرِ  
 وَمَالَى وَمَا لِّلْعَيْدِ لَوْلَا تَحَفُّلٌ يُكَلِّفُنَى مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الصَّبْرِ  
 فَمَنْ كَانَ ذَا هَدًى وَهَدًى لِعَيْدِهِ فَعَنْدَى هَدًى مِنْ مَدَامَى الْحُمْرِ  
 يُغَادُونَهَا قُرْبَى لَنَحْرِ ثَلَاثَةً وَدَمَى مِنْ تِسْكَابِهِ الدَّهْرَ فِي مَحْرِ  
 وَعَنْدَى وَلَا رَدُّ زَفِيرٌ مُرَدَّدٌ تَهْدَى أَظَاهَ جَانِبَ الْبَشْرِ  
 وَتَصْدِيقُ إِيْمَانٍ وَإِقْرَارُ مَوْقِنٍ وَتَسْلِيمُ مُرَبُّوبٍ لِذَى الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ  
 وَمِنْ تَصْنِيفٍ لَهُمْ فِي الزَّهْدِ جَلِيلٍ ، هُوَ عَلَى انْفِرَادِهِمْ فِي الْكَمَالِ وَسِحْرِ

الكلام أوضح دليل :

يَعَجَّلُ الْإِنْسَانُ بِالْشَيْءِ ، وَهَلْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ عَجَلٍ ؟  
 وَلِذَى الْعَدْلِ قَضَاءٌ فِي الْوَرَى يَتَقَضَاهُ كِتَابٌ وَأَجَلٌ  
 إِنَّ ظَفَرَ الْإِثْمِ يَدْمَى مِنْ رَدًى مِثْلَ خَدِّ الْخَوْدِ يَدْمَى مِنْ حَجَلٍ  
 وَأَخُو الْغَفْلَةِ فِي غَفْلَتِهِ إِنَّ بَكَتْ وَرَقَاهُ غَنَى وَارْتَجَلْ

وإنما أورد منه الفرائد ، وأقصد إليه من القصائد ، وهامى تضيق عنها  
 المهارق<sup>(١)</sup> ، وتضىء منها المغارب والمشارق ، وإِنما هذا إلماع بما أعوز العلماء ،  
 وإسماع لما أسكت الحكماء .

ولما ظفرتُ من هذا المقصود الأحمَد ، وسبقتُ إليه سبق الجواد إذا استولى  
 على الأمد ، قصرته على ملوك إفريقية وبلاد المغرب المضافة إليها ، وقدمتُ



القادمين في المائة الأولى من السلف الأول عليها ، لأنها من أوائل فتوح الإسلام ،  
ثم من منازل بدرِ التمام مولانا الخليفة الإمام ، أدام الله لهم نصر الأولوية والأعلام .  
وفي المائة الثانية صارت الأندلس دارَ إيمان ، فواليتُ ذكر ولايتها من ذلك  
الزمان ، ليوَقَفَ على جلالة شأنهم ، ويُعرف تمكن محلهم من البلاغة ومكانهم ،  
وذكرتُ أبنائهم ، واختصرتُ أبنائهم ، هرباً من التطويل ، ورَهَباً للثقل ،  
إلا نكثنا لها بانتخابها أحسن المواقع/وعيوناً هي باقتضاها أجولُ في المحافل [ ١-٤ ]  
وأولج في المسامع . وربما عرض ما يدعو إلى البسط فانتقض حُكم هذا الشرط ،  
ولا غرو أن أواقع الحذور ، فللكلام اضطرار يُبديح المحذور .  
وأبرزته مسوقاً على الحَتَب ، منسوقاً بحسب الرُتَب ؛ أعين للصدور صدرَ  
كل مائة ، وأبين من تميز في جماعة أو تحيز إلى فئة ، ليستوفي المتأدبين ، حتى  
من المتوثبين .

والذين ما عثرت على أشعارهم ، أفردت باباً لأخبارهم ، ولم أعرض لمن  
أعرَضَتْ عنهم الدولة الحفصية بالخلعان ، وانتزعت ما كان بأيديهم تراثاً لها  
من الملك والسلطان .

ثم [ . . . . . ] <sup>(١)</sup> الاسم الذي من خصائصه التأمين والتأمين وأشبهه  
[ . . . . . ] <sup>(٢)</sup> النصير والمشرع التميمي حضرة مولانا الأمير [ . . . . . ] <sup>(٣)</sup> الأسعد  
الأطهر الأرضي أبو يحيى ولي عهد المؤمنين <sup>(٤)</sup> ، وعهدُ الولي في متابعات السنين ،

( ١ ) بياض بقدر كلمتين .

( ٢ ) بياض بقدر كلمتين .

( ٣ ) هنا مكان كلمتين مبشورتين من الأصل ، وآثار البشر واضحة .

( ٤ ) كذا في الأصل ، وصحته أبو زكريا يحيى وهو ابن أبي عبد الله محمد الحفصي  
الملقب بالمستنصر ثاني أمراء الحفصيين ( ٦٤٧ - ٦٧٥ / ١٢٤٨ - ١٢٧٧ ) . وفي خدمة  
المستنصر عمل ابن الأبار . والإشارة هنا إلى ولي عهده أبي زكريا يحيى الذي خلفه على العرش  
سنة ٦٧٥ / ١٢٧٦ - ١٢٧٧ وتولى بعده وتلقب بالوائق . وقد فرغ ابن الأبار من « الحلة  
السراء » خلال سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ أو بعدها بقليل ، أي أيام كان أبو زكريا يحيى الوائق  
ولياً للعهد . ( انظر : ابن خلدون ، تاريخ ٢٩٦ / ٦ ) .

والملئ<sup>(١)</sup> وقد [ ... ] مكارم الآباء بإنجاب كرام البنين . أجهد<sup>(٢)</sup> في الاستظهار على شكر نعمته ، وأجهر آناء الليل وأطراف النهار بأن [ يكون ]<sup>(٣)</sup> العمل خادماً النية في خدمته . وأقصى المأمول أن تأذن له<sup>(٤)</sup> سيادته في القرب من سُدَّته ، وتقابل وفادته بالقبول ليسعد مداه بسعادة مدته . أبقاه الله ولواؤه منصور ، وكرم الخلال فيه محصور ، وشرف الكمال عليه مقصور ، والعيون والقلوب إليه ميل<sup>٥</sup> وصور ، بمنه .

---

(١) كذا في الأصل ، وصحة هذا اللفظ تتضح إذا عرفنا ما بعده ، وهو مضطرب في نسختنا .

(٢) يياض بقدر كلمة في معنى : عَهِدَات .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٤) الضمير هنا عائد على العمل .

## المائة الأولى من الرحبرة

### ١ - عمرو بن العاصي، أبو عبد الله

قرأت بخط أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب « أنساب الأشراف » من تأليفه : قال محمد بن سعد : قال الواقدي من خبر عمرو ابن العاصي إنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً في صفر سنة ثمان - قبل فتح مكة بأشهر ؛ وكان الفتح في شهر رمضان - فوجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل في سرية ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عن جميعهم <sup>(١)</sup> . قال : ثم بعث به إلى ابني الجَلَنْدَى بُعْثاً فأسلم ، وكان أميراً عليها . فلم يزل عمرو بُعْثاً حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وعمرو بن العاصي هو الذي فتح مصر ونواحيها في خلافة عمر / وعزله [ ٤ - ب ]  
عُثْمَانُ عَنْهَا .

وقال غير البلاذري : ثم صار من مصر حتى قدم بَرْقَةَ ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية ، على أن يبنيوا من أبنائهم

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ( طبعة دار صادر ودار بيروت . بيروت ١٩٥٧ ) :

في [ جزيتهم « ما أحبوا بيعه » ]<sup>(١)</sup> [ وعلى يديه تم فتح المسلمين ]<sup>(٢)</sup> لبرقة .  
ثم غزا في سنة ثلاث وعشرين إطرابلس ، فحاصرها شهراً لا يقدر منها على شيء ،  
ثم افتتحها في قصة غريبة ذكرها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم  
في تاريخه<sup>(٣)</sup> ، وغنم ما فيها ولم يفلت الروم إلا بما خفَّ لهم في مراكبهم . وأراد  
أن يُوجِّه إلى المغرب فكتب إلى عمر رضى الله عنه : « إن الله عز وجل فتح  
علينا إطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين  
أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعَلَّ »<sup>(٤)</sup> ، فكتب إليه عمر ينهاء عن ذلك .  
الظاهر من هذا الخبر تحيُّزُ إطرابلس من إفريقية<sup>(٥)</sup> ، ولم تزل من أعمالها  
قديمًا وحديثًا . قال ابن عبد الحكم : « كان سلطان جُرْجِير من إطرابلس إلى  
طَنْجَة » . وبهذا الاعتبار ساغ لي ذكر عمرو رضى الله عنه في هذا الكتاب .  
ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد — أخا خالد بن الوليد — عند النجاشي ،

( ١ ) أضفت كلمة « جزيتهم » هنا للسياق ، وأكلت النص من فتوح ابن عبد الحكم  
( طبعة تورى ) ص ١٧٠ - ١٧١ وفتوح البلدان للبلاذرى ( القاهرة ، بدون تاريخ ) ص ٢٢٤ .  
( ٢ ) عبارة الأصل هنا مضطربة . فبعد البياض الذى سدناه ( راجع الهامش السابق )  
وردت كلمتا : « لبرقة إطرابلس » ، وهى عبارة غير صحيحة ، لأن برقة — إذ ذاك —  
لم تكن تابعة لإطرابلس ، ومن ثم فهى لا تنسب إليها . ولما كانت كلمة إطرابلس ترد في آخر  
السطر في المخطوط ، فقد رجحت أن ناسخاً أضافها كعنوان صغير في الهامش ، ثم أدرجها من أثنى  
بعده في المتن ، فاختلف المعنى . فاستغنيت عنها ، وقومت النص بحسب ما أعرف عن فتح العرب  
للمغرب .

( ٣ ) راجع هذه القصة في فتوح ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، وانظر عنها  
كتابنا « فتح العرب للمغرب » ( الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧ ) ص ٦١ .  
( ٤ ) راجعت النص على أصله عند ابن عبد الحكم ( فتوح ، ص ١٧٢ ) وبقيّة النص :  
« فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفركة ، غادرة ( أيضاً : الغادرة )  
مقدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت » .  
( ٥ ) يريد أن إطرابلس داخلة في حوز إفريقية ، أى تبع لها .

وكانت قريش بعثتهما إليه يكلمانه في مَنْ قدم عليه من المهاجرين رضى الله عنهم<sup>(١)</sup> :

تَعَلَّمْ عُمَارَ أَنْ مِنْ شَرِّ شُبُهَةِ<sup>(٢)</sup>      لِمِثْلِكَ أَنْ يَدْعَى ابْنُ عَمٍّ لَهُ انْتَمَى<sup>(٣)</sup>  
لَنْ كُنْتُ ذَا بُرْدَيْنِ أَخْوَى مَرَجَلًا      فَلَسْتُ بَرَاءَ لَابْنِ عَمِّكَ مُحْرَمًا  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرِكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ      وَلَمْ يَنْتَهَ قَلْبًا هَائِمًا<sup>(٤)</sup> حَيْثُ يَمَامًا  
قَضَى وَطَرًا مِنْهُ<sup>(٥)</sup> ، وَغَادِرَ سُبَّةً      إِذَا ذُكِرَتْ أُمَثَالُهَا تَمَلُّ الْقَامَا  
وَقَالَ أَيْضًا فِي حُرُوبِ صَفِينِ :

شَبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا      مَفْرَغَ الْحَارِكِ<sup>(٦)</sup> مَحْبُوكَ السَّبَبِجِ

(١) روى البلاذري في «أنساب الأشراف» (طبعة الدكتور حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩) ٢٣٣/١ - ٢٣٤ هذه الأبيات في خبر ما وقع بين عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد في الحبشة . وكان عمرو قد بعثته قريش مع عبد الله بن أبي ربيعة إلى الحبشة ليكيدها للمهاجرين المسلمين هناك ويفرغوا النجاشي بالتخلى عن حمايتهم ، بل القضاء عليهم . أما عمارة بن الوليد فكان قد خرج إلى الحبشة في تجارة له ، وركبا نفس السفينة ، وكانت مع عمرو امرأته ، فسعى عمارة في الاتصال بها . ووقع الخصام بين الرجلين ، فلما وصلا إلى الحبشة استطاع عمارة أن يتصل ببعض نساء النجاشي . ويبدو أنه كان بخيلا مقتبونا بنفسه ، فلم يزل عمرو بن العاص يحتال عليه حتى حصل منه على ما يثبت اتصاله بتلك المرأة ، ثم أسرع بالأمر إلى النجاشي ، فغضب على عمارة ويقال إنه قتله . وفي هذه الأبيات يلوم عمرو بن العاص صاحبه عمارة على ما سولته له نفسه من العدوان على امرأة ابن عمه عمرو . والخبر كله مشكوك في صحته ، والأبيات - بالتالي - مشكوك في أصالتها .

(٢) في «أنساب الأشراف» : شيمة .

(٣) في «أنساب الأشراف» : ابنا ، وهي قراءة غير صحيحة .

(٤) في «أنساب الأشراف» : غاويًا .

(٥) في «أنساب الأشراف» : مَبَا .

(٦) الحارك من الفرس : كاهله .

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّهِ فَإِذَا وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجْ  
جُرْشُمُ أَعْظَمُهُ جَفَرْتُهُ فَإِذَا ابْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ حَدَجٌ<sup>(١)</sup>

وقال يخاطب معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه :

مُعَاوِيَّ إِنِّي بَعْتُ دِينِي وَلَمْ أَنْلِ<sup>(٢)</sup> به منك دنيا<sup>(٣)</sup> ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ  
وَمَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا سِوَا ، وَإِنِّي لَأَخْذُ مَا تَعْطِي وَرَأْسِي مَقْنَعُ  
فَإِنْ تُعْطِنِي مِصْرًا فَأَرْبِجْ بِصَفْقَةٍ أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ<sup>(٤)</sup>

[ ٥ - ١ ] / قَالَ عَمْرُو هَذَا لِأَنَّهُ شَرَطَ عَلَى مَعَاوِيَةَ لَمَّا تَحَيَّزَ إِلَيْهِ - وَكَانَ مَعَهُ فِي حَرْبِهِ  
لِللَّهِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنْ يُولِيَهُ ، إِذَا ظَهَرَ ، مِصْرَ طُقُوعَةٍ ؛ فَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ .

وَرَوَى أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ أَخِيهِ وَهُوَ يَكْلِمُ عَمْرًا  
فِي مِصْرَ ، وَعَمْرُو يَقُولُ لَهُ : « إِنَّمَا بَعَثْتُكَ بِهَا دِينِي » ، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ : « أَتَمْنِي  
الرَّجُلَ بَدِينِهِ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ »<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) لم أجد هذه الأبيات في كتاب « وقعة صفين » لنصر بن مزاحم المنقرى ( طبعة  
عبد السلام هارون ) ، القاهرة ١٣٦٥ ، وهو يضم أكبر مجموع من الشعر قيل أثناء معارك صفين .  
( ٢ ) وردت هذه الأبيات في « وقعة صفين » ص ٤٤ . وقد ورد فيه هذا المصراع هكذا :  
« معاويَّ لا أعطيك ديني ولم أنل » .

( ٣ ) في « وقعة صفين » : بذلك دنيا ، وفي مخطوط آخر : به منك .

( ٤ ) وردت هذه الأبيات بنظام آخر في « وقعة صفين » ، وهما هي بعد البيت الأول :

فَإِنْ تَعْطِنِي مِصْرًا فَأَرْبِجْ بِصَفْقَةٍ أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ  
وَمَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا سِوَا ، وَإِنِّي لَأَخْذُ مَا تَعْطِي وَرَأْسِي مَقْنَعُ  
وَلَكِنِّي أَغْضَى الْجَفُونَ ، وَإِنِّي لَأَخْذُ نَفْسِي ، وَالْخَادِعُ يُخْذَعُ  
وَأَعْطِيكَ أَمْرًا فِيهِ لِلْمَلِكِ قُوَّةٌ وَإِنِّي بِهِ إِنْ زَلَّتِ النَّمْلُ أَضْرَعُ  
وَتَمْنَعُنِي مِصْرًا وَلَيْسَتْ بِرَغْبَةٍ وَإِنِّي بِذَا الْمَنْعُوقِ قَدَمًا لِمَنْعُولِ

وقد ورد المصراع الثاني من البيت الرابع هكذا :

وَأَلْقَى بِهِ إِنْ زَلَّتِ النَّمْلُ أَضْرَعُ

( ٥ ) أورد نصر بن مزاحم المنقرى حديث معاوية بن أبي سفيان مع عمرو بن العاص  
وكلام عتبة بن أبي سفيان بتفصيل ( ص ٤٤ ) وهو هناك يختلف في معناه ومبناه عما هو هنا .

فَأَقَامَ عَلَى مِصْرَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ<sup>(١)</sup> . وَمَا يُعْزَى إِلَيْهِ :  
وَأَغْضَى عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قَلْتُهُمْ وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَتُبْقِ لِلصِّلَحِ مَوْضِعًا  
فَإِنْ كَانَ عُودِي مِنْ نَضَارٍ فَإِنِّي لَا كَرِهَ يَوْمًا أَنْ أَحْطِمَ خِرْوَعًا<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْشُدْ لَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ صَاحِبَ « الْمَغَازِي » فِي يَوْمِ أَحْدَ مَا لَمْ أَرْ وَجْهًا لَذِكْرِهِ .

## ٢ — ابنة عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد

ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَالِكِيُّ فِي الدَّخَالِينَ إِفْرِيقِيَّةً مِنَ الصَّحَابَةِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا . وَكَانَ يَخْلُفُ أَبَاهُ عَلَى إِمَارَةِ  
مِصْرَ ، إِذْ وَارِثَهَا عَمْرُو فِي خِلَافَةِ عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ [ وَ ] فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ . وَهُوَ صَلَّى  
عَلَى أَبِيهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ ، ثُمَّ صَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمَ الْفِطْرِ . وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ فِي السَّنِ  
إِلَّا اثْنَتَا عَشْرَةَ<sup>(٤)</sup> سَنَةً ، وَأَسْلَمَ قَبْلَهُ ، وَكَانَ أَحَدَ فَقَهَاءِ الصَّحَابَةِ وَفَضْلَاهُمْ ،  
وَالْمَكْثَرِينَ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٥)</sup> .

(١) وَرَدَ بِالْهَامِشِ مُقَابِلَ هَذَا السَّطْرِ مَا يَلِي : تَوَفَّى بِمِصْرَ لَيْلَةَ الْفِطْرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ  
وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِالْمَقْطَمِ مِنْ نَاحِيَةِ « الْفَجِ » ، وَكَانَتْ طَرِيقُ النَّاسِ إِلَى الْحِجَازِ .  
صَح : مِنْ دَرِ السَّحَابَةِ لِلْجَلَّالِ الْأَسِيوُطِيِّ ( كَذَا ) .

(٢) جَاءَ فِي « اللِّسَانِ » : ... وَكُنْ نَبِيْتُ ضَعِيفٍ يَتَشَّى خُرُوعَ : ٤٢٠/٩ .

(٣) انْظُرْ « رِيَاضُ النُّفُوسِ » لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الْمَالِكِيِّ ( بِتَحْقِيقِ نَاشِرِ  
هَذَا الْكِتَابِ ، ١ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٥١ ) رَقْمُ ٤ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) فِي « رِيَاضُ النُّفُوسِ » ( ص ٤٣ ) : وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ فِي الْعُمُرِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ .

(٥) وَرَدَ فِي الْهَامِشِ مُقَابِلَ هَذَا السَّطْرِ بِخَطِّ مُخْتَلَفٍ عَنْ خَطِّ الْمَخْطُوطِ : « ط . تَوَفَّى بِمِصْرَ  
وَدُفِنَ بِدَارِهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسَنَةَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً . صَح : مِنْ دَرِ  
السَّحَابَةِ » .

قال أبو محمد بن حزم الفقيه : روى عبد الله بن عمرو بن العاصي سبعمائة حديث .

وفي تاريخ ابن عبد الحكم أن عثمان رضى الله عنه كتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يؤمره على مصر [ سنة خمس وعشرين ] فجاءه الكتاب بالفيوم بقرية منها تدعى « دموشة » ، فجعل لأهل الجواب<sup>(١)</sup> جُعُلا على أن يصبحوا به الفسطاط في موكبه . فقدموا به الفسطاط قبل أن يصبح [ الصبح ، فأشار ]<sup>(٢)</sup> إلى المؤذن فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبدُ الله بن عمرو بن العاصي ينتظر المؤذن يدعوه إلى الصلاة ، لأنه كان خليفة أبيه ، فاستنكر الإقامة ، فقليل له : صلى عبدُ الله بن سعد بالناس .

قال ابن عبد الحكم : يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربى المسجد [ ه - ب ] بين يديه شمعة ، وأقبل عبدُ الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة . فالتفت عند القبلة فأقبل عبدُ الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد فقال : هذا بُعْيُكَ ودَسُكُ ! فقال عبدُ الله بن سعد : ما فعلت . وقد كنت أنت وأبوك تحسدانى على الصعيد ، فتعال حتى أوليك الصعيد ، وأوّلَى أباك أسفل الأرض ، ولا أحسدكما عليه .

وكان عزل عمرو بن العاصي عن مصر وتولية عبد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين ، صدرَ خلافة عثمان رضى الله عنه . ومن شعر عبد الله بن عمرو في صفين :

فلو شهدتْ جُمْلُ مَقَامِي وَمَشْهَدِي      بَصْفَيْنِ يَوْمًا شَابَ مِنْهُ الذَّوَابُ  
عَشِيَّةَ جَا<sup>(٣)</sup> أَهْلُ الْعِرَاقِ كَانَهُمْ      سَحَابُ ربيع دَفَعَتْهُ الْجَنَابُ<sup>(٤)</sup>

( ١ ) في الأصل : الطواف ، والتصحيح من ابن عبد الحكم وأبي الحسن بن تغرى بردى .

( ٢ ) سقطت كلمات هنا ، فأضفت ما بين الحاصرتين ليتصل السياق .

( ٣ ) في « وقعة صفين » لتفسير بن مزاحم المنقرى ( ص ٤٢١ ) : غداة غدا .

( ٤ ) في نفس المصدر : من البحر موج لجه متراكب .



وجئناهم نَزْدِي<sup>(١)</sup> كَأَنَّ صَفَوْنَا مِنْ الْبَحْرِ مَدًّا مَوْجُهُ مُتْرَاكِبُ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا قُلْتَ : قَدْ وَلَّوْا سِرَاعًا ، بَدَتْ لَنَا كِتَابُ مِنْهُمْ فَارْجَحَنْتُ كِتَابُ<sup>(٣)</sup>  
 فِدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتِدَارَتْ رَحَاهُمْ سَرَاةَ النَّهَارِ مَا تُؤَلَّى الْمَذَاكِبُ  
 وَقَالُوا لَنَا : إِنَّا نَرَى أَنْ تُتْبَاعُوا<sup>(٤)</sup> عَلَيَّا ، فَقُلْنَا : بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارَبُوا<sup>(٥)</sup>  
 هَكَذَا وَجَدْتُ هَذَا الشَّعْرَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ ، وَخِلَافَ هَذِهِ الْحَالِ كَانَ [.....] .<sup>(٦)</sup>  
 عَلَى أَنْ أَبَا الْفَتْوحِ الطَّائِي الْبَغْدَادِي قَدْ حَكَى فِي كِتَابِهِ « الْأَرْبَعِينَ حَدِيثًا »  
 مِنْ جَمْعِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ صَفَيْنَ ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِسَيْفَيْنِ .  
 وَالْأَصَحُّ هُوَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ [ فِي خَبَرٍ يَسْنَدُهُ ]<sup>(٧)</sup> إِلَى ابْنِ

( ١ ) رَدَّى فِي الْبَرْ يَرْدِي إِذَا سَقَطَ فِيهَا أَوْ تَهَوَّرَ مِنْ جَبَلٍ . وَفِي « وَقَعَةُ صَفَيْنَ » : نَمَشَى .

( ٢ ) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي « وَقَعَةُ صَفَيْنَ » هَكَذَا :

وَجِئْنَاهُمْ نَمَشَى صَفُوفًا كَأَنَّا سَحَابَ خَرِيفٍ صَفَفْتُهُ الْجَنَائِبَ  
 وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ بَيْتٌ لَمْ يُورَدِهِ ابْنُ الْأَبَارِ هُوَ :

فَطَارَ إِلَيْنَا بِالرَّمَاكِ كُكَاهُمُ وَطَرْنَا إِلَيْهِمُ وَالسِّيُوفُ قَوَاضِبُ  
 ( ٣ ) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ وَالصَّفْحَةِ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ هَكَذَا :

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا : قَدْ وَكَلَّوْا ! بَرَزَتْ لَنَا كِتَابُ حَرٍ وَارْجَحَنْتُ كِتَابُ  
 ( ٤ ) وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ عِنْدَ نَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ الْمُنْقَرَى هَكَذَا :

فَقَالُوا : نَرَى مِنْ رَأْيِنَا أَنْ تُتْبَاعُوا .

وَفِي الْأَصْلِ : أَنْ نَضَارِبَ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ الْقَافِيَةُ ، فَجَعَلْتُهُ كَمَا هُوَ فِي الْمَتْنِ .

( ٥ ) أَوْرَدَ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ بَعْدَ هَذَا ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ :

فَأَبْنَا وَقَدْ نَالُوا سَرَاةَ رَجَالِنَا وَلَيْسَ لِمَا لَاقُوا سِوَى اللَّهِ حَاسِبُ  
 فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ بَاكِيًا وَلَا عَارِضًا مِنْهُمْ كِيًا يَسْكَالِبُ  
 كَانَ تَلَالِي الْبَيْضِ فِينَا وَفِيهِمْ تَلَالُؤُ بَرَقَ فِي تَهَامَةٍ ثَاقِبُ

( ٦ ) بِيَاضُ بِقَدْرِ كَلِمَتَيْنِ .

( ٧ ) أَضَفْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لِلْسِّيَاقِ . وَالْخَبَرُ وَارِدٌ فِي « الْاسْتِعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ »

لَأَبِي عَمْرِو يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ائْتَمَرَى ( طَبْعَةُ الْمَطْبَعَةِ التِّجَارِيَّةِ عَلَى هَامِشِ « الْإِصَابَةِ فِي تَمْيِيزِ  
 الصَّحَابَةِ » لِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَلَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ حَجَرٍ . الْقَاهِرَةُ ١٩٣٩ ) ٢ / ٢٤٠ .

أبي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي كَانَ يَقُولُ : « مَالِي وَلَصْفَيْنِ ؟ مَالِي وَلِقَتَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَاللَّهِ لَوُدِدْتُ أُنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا بَعْشَرِ سَنِينَ » . ثُمَّ يَقُولُ : « أَمَّا وَاللَّهِ مَا ضَرَبْتُ فِيهَا بِسَيْفٍ ، وَلَا طَعَنْتُ بِرِمْحٍ ، وَلَا رَمَيْتُ بِسَهْمٍ ، وَلَوُدِدْتُ أُنِي لَمْ أَحْضَرْ شَيْئًا مِنْهَا . وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » . قَالَ أَبُو عُمَرَ : « إِلَّا أَنَّهُ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَتْ بِيَدِهِ الرَّايَةُ يَوْمَئِذٍ ، فَندِمَ نَدَامَةً شَدِيدَةً عَلَى قِتَالِهِ مَعَ مَعَاوِيَةَ . قَالَ : وَأَقْسَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا شَهِدَهَا لِعَزْمَةِ أَبِيهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « أَطْعَمَ أَبَاكَ » . ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ هَذَا <sup>(١)</sup> فِي كِتَابِ « الْإِسْتِيعَابِ فِي الصَّحَابَةِ » مِنْ تَأْلِيْفِهِ ، وَلَسَكُنَ الشَّعْرُ — مَعَ هَذَا — مَذْكُورَ لَهُ فِي مَصْنُفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرِهِ .

### ٣/ — عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، أَبُو الْعَبَّاسِ <sup>(٢)</sup>

[ ٦ - ١ ]

غَزَا إِفْرِيقِيَّةً مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَشَهِدَ فَتْحَهَا ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ يُونُسَ فِي تَارِيخِهِ . ثُمَّ وَلَّى إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ اسْتَعْمَلَ أَخُوَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى الْيَمَنِ وَمَعْبَدًا عَلَى مَكَّةَ . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ مُعَمَّرِ بْنِ الْخَطَّابِ مَكَانٌ . وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَقَدْ كَلَّمَهُ فِي حُظُوتِهِ لَدَيْهِ : « إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتَ » .

(١) انظر المصدر السابق ، ٢/ ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) فوق هذا العنوان بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط . توفي رحمه الله بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة . وكان يسمى البحر لسعة علمه . صح . من در السحابة » .

وكان يقول : « ابن عباس فتى الكهول ، له لسان سُؤُول وقلب عَقُول » ؛ ويقول إذا سأل [ ابنَ عباس ] في الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ كيف تلومونني عليه بعد ما ترون ؟ ] <sup>(١)</sup>

وفي كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني أن عُمَيْنَةَ بن مرداس [ ابن فسوة ] الشاعر ، وهو المعروف بأبي فسوة ، أتى عبد الله بن العباس — وهو عامل لعلي بن أبي طالب على البصرة ، وتحتّمه يومئذ شُمَيْلَةُ بنت جُنادة بن أبي أزيهر <sup>(٢)</sup> الزهرانية ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي — فاستأذن عليه فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . فلما دخل على ابن عباس قال له : « ما جاء بك [ إلَيَّ ] يا ابن فسوة ؟ » فقال له : « وهل دونك مقصداً <sup>(٣)</sup> أو وراءك معدى ؟ جئتُك لتعينني على مروءتي وتصل قرابتي » ، فقال له ابن عباس : « وما مروءة من يعصى الرحمن ويقول البهتان ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ؟ والله لئن أعطيتك لا عيذك على الكفر والعصيان ! انطلق ! فإنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك » ، فأراد الكلام ففنه من حضر ، وحبسه يومه ذلك . ثم أخرجه عن البصرة ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي [ عليه السلام ] ، فلقى الحسن [ بن علي عليه السلام ] وعبد الله بن جعفر [ عليهما السلام ] فسألاه عن خبره مع ابن عباس فأخبرهما ، فاشتريا عِرْضَه بما أَرْضاه ، فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس من أبيات :

(١) استعنت في سد فراغ هذا الخبر بما ذكره ابن سعد في طبقاته في سيرة ابن عباس : « أخبرنا هُشَيْم بن بشير ، قال : أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم . قال : فذكر أنه سأله وسأله ، فأجابه ، فقال لهم : كيف تلومونني عليه بعدما ترون ؟ » الطبقات ٢/٣٦٥ .

(٢) في الأغاني ١٩/١٤٣ : شَمِيلَةُ بنت جُنادة بن بنت أبي أزر الزهرانية .

(٣) في الأغاني ١٩/١٤٣ : وهل عنك مقصرا .

لَقِيتُ<sup>(١)</sup> ابْنَ عَبَّاسٍ فَلَمْ يَقْضِ حَاجَتِي      وَلَمْ يَرْجُ مَعْرُوفِي وَلَمْ يَخْشَ مُنْكَرِي  
 فَلَوْ كُنْتُ مِنْ زَهْرَانٍ لَمْ يَنْسَ حَاجَتِي      وَلَكِنِّي مَوْلَى جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ  
 فَلَيْتَ قُلُوصِي أَغْرَبْتُ أَوْ رَحَلْتُهَا<sup>(٢)</sup>      إِلَى حَسَنِ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرٍ  
 [٦-ب] إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ يَأْمُرُ بِالثَّقِيِّ      وَلِلدِّينِ يَدْعُو وَالكِتَابِ الْمُطَهَّرِ  
 إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَخْضِفُونَ نَعَالَهُمْ      وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَا لَمْ يُخْصَرْ  
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الْيَأْسَ مِنْهُ وَقَدْ بَدَتْ      أَيَادِي سَبَا الْحَاجَاتِ لِلْمَتَذَكَّرِ  
 تَسَنَّمْتُ حَرْجُوجًا كَأَنَّ بُغَامَهَا      أُجْبِجُ<sup>(٣)</sup> ابْنَ مَاءٍ فِي يَرَاعٍ مَفْجَرٍ  
 فَمَا زِلْتُ فِي التَّشْيَارِ حَتَّى أَنْخَثُهَا      إِلَى ابْنِ رَسُولِ الْأُمَةِ الْمُتَخَيَّرِ  
 فَلَا تَدْعُنِي إِذْ رَحَلْتُ إِلَيْكُمْ      بَنِي هَاشِمٍ أَنْ تَصْدُرُونِي بِمَصْدَرٍ<sup>(٤)</sup>

قال أبو الفرج : كان عُيَيْنَةُ هَذَا شَاعِرًا خَبِيثَ اللِّسَانِ مَخُوفَ الْمَعْرِه  
 فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَإِسْلَامِهِ ، وَكَانَ يَقْدُمُ عَلَى أَمْرَاءِ الْعِرَاقِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَيُصِيبُ مِنْهُمْ  
 بِشَعْرِهِ . قَالَ : وَكَانَ حَلِيفًا لِجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْقُرَشِيِّ . وَمِنْ شَعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ،  
 وَكَانَ أَبُوهُ الْعَبَّاسُ أَيْضًا شَاعِرًا :

إِذَا طَارَقَاتُ الْهَمُّ ضَاجَعَتِ الْفَتَى      وَأَعْمَلَ فَكْرَ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ عَاكِرُ  
 [وَبَاكَرْنِي]<sup>(٥)</sup> فِي حَاجَةٍ لَمْ يَجِدْهَا      سِوَايَ وَلَا مِنْ نَسْكَبَةِ الدَّهْرِ نَاصِرُ

(١) هذه الأبيات واردة في « الأغاني » : ١٤٤/١٩ . ولم يوردها ابن الأثير على  
 تواليها ، وإنما اختار منها .

(٢) عند أبي الفرج الأصبهاني : « فَلَيْتَ قُلُوصِي عَرِيتْ أَوْ رَحَلْتُهَا » . والقُلُوصُ من  
 النُّوق : الشَّابَةِ .

(٣) الأغاني : أُجْبِجُ .

(٤) الأغاني : لمصدر .

(٥) يياض بالأصل ، وقد أكلته من كتاب « العمدة » لابن رشيق ( طبعة محيى الدين

فَرَجَتْ بِمَالِي هَمَّهُ مِنْ مُقَامِهِ      وَزَايَلَهُ هَمُّ طَرَوْقِ مَسَامِيرُ  
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى بَظَنِّهِ      بَنَى الْخَيْرَ ، إِنِّي لِلَّذِي ظَنَّ شَاكِرُ  
وَقَالَ أَيْضًا وَقَدْ عَمِيَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ : قَالَ أَبُو عَمْرِو  
ابن عبد البر وغيره :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا      فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نَوْرُ  
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ      وَفِي فَمِي صَارُمٌ كَالسَيْفِ مَأْثُورُ  
وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ تَحْسِينِ مَا يَقْبُحُ .  
وَقَدْ جُمِعَتْ قِطْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ فِي تَأْلِيفِي لِلخَزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْإِمَامِيَّةِ ، الْمَوْسُومِ بِـ « قِطْعِ  
الرياض فِي بَدْعِ الْأَغْرَاضِ » . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ :

عَمِيَتْ جَنِينًا ، وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى      جُنْتُ مُصِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثَلَا  
/ وَغَاضَ صَفَاءُ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِدًا      بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلَا [ ٧ - ١ ]  
وَشِعْرُ كَفُورِ الرُّوضِ لَامَسَتْ نَظْمَهُ      بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلَا  
وَقَالَ آخِرُ ، وَيُرْوَى لِأَبِي الْعَلَاءِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْخُصْرِيِّ :  
وَقَالُوا : قَدْ عَمِيَتْ ، فَقُلْتُ : كَلَّا      وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ  
سَوَادُ الْعَيْنِ زَارَ سَوَادَ قَلْبِي      لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْقُرْطُبِيُّ النُّحْوِيُّ — الْمَعْرُوفُ بِدُرُودٍ ، وَيُقَالُ  
دُرِّيُودٌ — وَكَانَ أَعْمَى <sup>(١)</sup> :

تَقُولُ : مَنْ لِلْعَمَى بِالْحُسْنِ ؟ قُلْتُ لَهَا :      كَفَنِي عَنْ اللَّهِ فِي تَصَدِيقِهِ الْخَبَرِ

(١) ترجم له الحميدى فى جذوة المقتبس رقم ٥٥٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ والزبيدى فى  
طبقات اللغويين والنحاة ( بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٥ ) ص ٣٢٣ ،  
وقد ورد فى هذا الأخير أن الخليفة عبد الرحمن الناصر استأدبه لأبنائه ، وتوفى سنة ٣٢٤ /  
٩٤٥ - ٩٤٦ .

القلب يدرك ما لا عين تدركه والحسن ما استحسنته النفس لا البصر  
وما العيون التي تعمى إذا نظرت بل القلوب التي تعمى بها النظر  
ومن جيد العذر — لولا شؤبه بالهجر — قول الآخر :

قالوا : العمى منظرٌ قبيحٌ قلت : بفقدى لهم يهونُ

تالله ما في الأنام شيء تأسى على فقده العيونُ

كأنه أخذه من قول سعيد بن المسيّب وقد نزل الماء في عينيه ، ف قيل له :  
« لو قد حثّهما » ، فقال : « وعلى من أفتحهما ؟ . . » . ومثل هذا قول المعري ،  
وهو عندي من المنشد :

أبا العلاء بن سليمان إن العمى أولاك إحساناً  
لو أبصرت عينك هذا الورى لم ير إنسانك إنساناً

#### ٤ — عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح في خلافة عثمان . وهو الذى ولّى قتل  
جرّير<sup>(١)</sup> ملكها واحتز رأسه وجعله في رحبه ، وكبر فانهزم الروم في خبر طويل  
ذكره مصعب بن الزبير في كتاب « قريش »<sup>(٢)</sup> من تأليفه ، فوجه به ابنُ

(١) كذا ورد الاسم مضبوطاً بكسر الأول ، والشائع جرّير بضم الجيم . وهو  
البطريق جريجوريوس الذى كان قد استبد بأمر إفريقية بعد موت الإمبراطور هرقل وقبيل  
فتح المسلمين للمغرب .

(٢) يريد أبا عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب الزبيرى وكتابه « نسب قريش »  
( نشره ليثي پروفتسال ، سلسلة ذخائر العرب ، رقم ١١ - القاهرة ١٩٥١ ) وأعاد نشره  
في صورة أكمل ومع فهارس أوفى الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٢ ) والخبر  
وارد فيه في ص ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

أبي سرح / بشيراً إلى عثمان ، فقدم عليه ، فأخبره بفتح الله ونصره ، وخطب [ ٧ - ب ] يومئذ بذلك في مسجد المدينة على المنبر . قال مصعب : وُبُشِّرَ عبدُ الله مقدمه من إفريقية بابنه خُبَيْب بن عبد الله ، وهو أكبر ولده .

وقال ابن عبد الحكم : « بعث عبدُ الله بن سعد بالفتح عُقْبَةَ بن نافع ، ويقال بل عبد الله بن الزبير ، وذلك أصح — فيقال إنه سار على راحلته إلى المدينة من إفريقية في عشرين ليلة »<sup>(١)</sup> . قال : « وقد قيل إن عبد الله بن سعد كان قد وجه مروان بن الحكم إلى عثمان من إفريقية ، فلا أدري أفي الفتح أم بعده ؛ والله أعلم »<sup>(٢)</sup> .

ثم ولَّى ابنُ الزبير الخلافة بالحجاز والعراق وأكثر الشام ، بعد موت معاوية ابن يزيد بن معاوية . وكان قد خرج من المدينة مع الحسين بن علي — إرموت معاوية بن أبي سفيان ، ممتنعاً من بيعته ابنة يزيد — وأقام يسلم عليه بالخلافة تسع سنين ، ثم قتله عبدُ الملك بن مروان على يد الحجاج سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .

وحكى الزبير بن بَكَّار في كتاب « نسب قريش »<sup>(٣)</sup> له ، عن هشام بن

(١) انظر ابن عبد الحكم : « كتاب فتوح إفريقية والأندلس » طبعة جزئية من فتوح ابن عبد الحكم اقتصر على فتح إفريقية والأندلس نشرها ألبير جاتو ALBERT GATEAU مع ترجمة فرنسية عنوانها : *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne* وهي المجلد الحادى عشر من سلسلة Bibliothèque Arabe-Française التى تنشر فى الجزائر ، وهى طبعة جيدة ، تمتاز بتعليقات وشروح قيمة وفهارس دقيقة . والخبر المشار إليه وارد فيها فى ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

(٣) المراد كتاب « جمهرة نسب قريش وأخبارها » لأبي عبد الله الزبير بن بكار ( ١٧٢ - ٢٥٦ / ٧٨٨ - ٨٧٠ ) وهو ابن أخى أبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى ( ١٥٦ - ٢٣٦ / ٧٥٤ - ٨٥٦ ) صاحب كتاب « نسب قريش » التى سبقت الإشارة إليه . وقد نشر =

عروة ، قال : كان أول ما أفصح به عمى عبدُ الله بنُ الزبير — وهو صبي —  
السيف ، وكان لا يضعه من فمه . فكان الزبير بن العوام إذا سمع ذلك منه يقول :  
أما والله ليكون له منه يوم ويوم وأيام .

ومن شعره المشهور عنه :

وكم من عدوٍ قد أراد مساءتي      بغيَّبٍ ، ولو لافقيته لتندما  
كثير الخنا ، حتى إذا ما لقيته      أصرَّ على إنمي وإن كان أقسما  
وقال أيضا ، أنشده له أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب « العمدة » من  
تأليفه ؛ قال غيره : ويروى لعبد الله بن الزبير ( بفتح الزاي وكسر الباء ) <sup>(١)</sup> :  
لا أحسبُ الشرَّ جاراً لا يفارقني      ولا أحرزُ على ما فاتني الودجا  
وما لقيتُ من المكروه منزلةً      إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا  
ويروى أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليه :

رأيتُ كرامَ الناس إن كفَّ عنهمُ      بحلمٍ ، رأوا فضلاً لمن قد تحلماً  
/ ولا سيما إن كان عفواً بقدرةٍ      فذلك أحرى أن يحلَّ ويعظماً [ هـ - ١ ]

= الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول من القسم الذي عثرنا عليه منه ، وهو نصف الكتاب  
تقريباً ( القاهرة ١٩٦٢ ) محققاً تحقيقاً جديراً بكل تقدير وثناء . وقدم له بمقدمة وافية عن  
الزبير بن بكار وحياته ومؤلفاته ، وقارن بين كتابه في أنساب قريش وكتاب عه في نفس  
الموضوع ، وقارن كذلك بينه وبين كتاب « جبهة أنساب العرب » لأبي محمد علي بن أحمد  
ابن حزم . ومن أسف أن القسم الذي ينقل عنه ابن الأبار هنا لم نعر عليه بعد ، وهو الجزء الثاني عشر  
من الكتاب — بحسب تجزئة الأصل — وأول الجزء الثالث عشر ، وهو يتناول أخبار عبد الله  
ابن الزبير ( راجع ص ٥ من الكتاب ، وهامش ١ ) .

( ١ ) واضح أن المراد هنا رجل آخر غير ابن الزبير ، وقد راجعت هذه الفقرة  
على أصلها في « العمدة » لابن رشيق ( طبعة محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤ ) ح ١  
ص ٢٤ .



ولستُ بذى لؤمٍ فتعذر بالذى أتيت من الأخلاق ما كان ألماً  
وإني لأخشى<sup>(١)</sup> أن أنا لك بالتي كرهت ، فيخزي الله من كان أظلماً  
فراجع ابن الزبير :

ألا سمع الله الذى أنا عبده وأخزى إله الناس من كان أظماً  
وأجراً<sup>(٢)</sup> على الله العظيم بجرمه وأسرعهُ فى الموبقات تعجماً  
أغرك أن قالوا حلیمٌ بقدرة وليس بذى حلمٍ ولكن تحلماً  
وأقسمُ لولا بيعة لك لم أكن لأنقضها ، لم تنج مني مسماً

ومارويته من طريق ابن أبي الحسن بن صخر فى فوائده ، وقرأته على  
الحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى بإسناده إلى عبد الله بن  
المبارك ، قال : حدثني يونسُ عن الزهرى ، قال : اجتمع مروان وابن الزبير عند  
عائشة رضى الله عنها ، قال : فذكر مروان بيتاً من شعر ليبيد :

وما المره إلا كالشهابِ وضوئه يعود رماداً بعد إذ هو ساطع  
فتعجب منه . قال ابن الزبير : « وما تعجبك ؟ لو شئتُ قلتُ ما هو  
أفضل منه :

ففوّض إلى الله الأمورَ إذا اعتَرَّتْ فبإلله - لا بالأقربين - تدافعُ »  
قال مروان :

وداؤِ ضميرِ القلبِ بالبرِّ والثَّقَى ولا يستوى قلبان : قاسٍ وخاشع

(١) فى الأصل : لا أخشى ، والصواب ما أثبتناه . وقد صوبه كذلك على هذا النحو

ماركوس مولر ، ص ١٨٧ .

(٢) فى الأصل : وأجرى ، والصواب ما أثبتناه ، والمراد أجراً .

وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبد مصلّمٌ  
عُتِلَ لأرحام الأقارب قاطع  
قال مروان :

وعبدٌ تجافى جنبه عن فراشه  
يبيت يناجي ربه وهو راكع  
قال ابن الزبير :

وللخير أهل يُعرفون بهديهم  
إذا جمعهم في الخطوب الجامع  
قال مروان :

وللشر أهل يُعرفون بشكلهم  
تشير إليهم بالفجور الأصابع  
فسكت ابن الزبير ، فقالت له عائشة : « ما سمعتُ مجادلة قط أحسن من هذه ،  
ولكن لمروان إرث في الشعر ليس لك » .

## ٥/ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك

[٨ - ب]

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ، ووجهه إلى عثمان رضى الله عنه ، على ما ذكره  
ابن عبد الحكم حسبما تقدم . وكان ابن أبي سرح قد كتب إلى عثمان يستأذنه  
في غزو إفريقية ، فندب عثمان الناس بعد المشورة في ذلك . فلما اجتمعوا أمر عليهم  
الحارث بن الحكم<sup>(١)</sup> أخا مروان ، إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد بن  
أبي سرح بمصر فيكون الأمر إليه .

(١) عند النويرى ، نهاية الأرب ، الجزء الخاص بالمغرب ، مخطوط رقم ٢٢ بدار  
الكتب بالقاهرة ، ورقة ١٦٣ : الحارث .

ومن شعر مروان :

اعمل وأنت من الدنيا على حذرٍ واعلم بأنك بعد الموت مبعوثٌ  
واعلم بأنك ما<sup>(١)</sup> قَدَمْتَ من عملٍ مُحْصَى عليك ، وما خَلَفْتَ موروثٌ  
وقد أوردت ما دار بينه وبين عبد الله بن الزبير قبل هذا ؛ وهو القائل  
أيضا بين يدي خلافته عند موت معاوية بن يزيد بن معاوية واضطراب  
الأمر بالشام :

إني أرى فتنةً تغلي مراجلها والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا  
وذكر له الزبير بن بكار وغيره رجلاً في قتل الحسين بن علي حين قُدم  
برأسه على المدينة ، تركتُ ذكره ؛ وكان أخوه عبد الرحمن بن الحكم من  
فحول الشعراء .

## ٦ — ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

غزا إفريقية مع معاوية بن حُذَيج سنة أربع وثلاثين في آخر خلافة عثمان ،  
وبعثه معاوية هذا إلى مدينة يقال لها « جُلُولَا »<sup>(٢)</sup> في ألف رجل . « فحاصرها

(١) في الأصل : قد ، وصوبناه للمعنى .

(٢) جلولا أو جلولاء ، مدينة على بعد ٢٤ ميلا عن القيروان . وكانت مدينة كبيرة  
فيها حصن بيزنطي قديم ، أصل اسمها Cululis . وقد وصفها البكري بأنها كانت مدينة  
غنية كثيرة الأشجار والثمار ، وبها قصب السكر ( وصف إفريقية ، طبعة دي ملان ،  
الجزائر ١٩١٠ ) ص ٣١ و ٣٣ و ٥٨ . وقد ذكرها الإدريسي باسم جُلُولَة ، ص ٢٠ .

عبد الملك أياماً فلم يصنع شيئاً ، فانصرف راجعاً . فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس غباراً شديداً ، فظن أن العدو قد طلبهم ، فكريّ بجماعة من الناس لذلك ، وبقي من بقي على مصافّهم ، [ وتسرع سرعان الناس ] ، فإذا مدينة جلولاً قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها ، [ وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج ] « (١) .

ولعبد الملك في تمنيه الخلافة وإجابة دعائه بذلك خبر غريب يدخل في باب الأمانى الصادقة ، وقد رويته عن الحافظ أبي الريح بن سالم بقراءتي عليه من طريق أبي علي بن سُكْرَةَ الصدفي بإسناده إلى الشَّعْبِي ، قال : لقد رأيت عجبا : كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير (٢) وعبد الملك بن مروان . فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم كل رجل [ ٩ - ١ ] منكم فلْيأخذ بالركن اليماني / ويسأل الله حاجته ، فإنه يُعطى من سعة ؛ قم يا عبد الله ابن الزبير فإنك أول مولود وُلِدَ في الهجرة . فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك عظيم تُرجى لكل عظيم ، أسألك بجرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ألا تميّتنى من الدنيا حتى تولّيني الحجاز ويسلم عليّ بالخلافة ؛ وجاء حتى جلس . فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميّتنى من الدنيا حتى تولّيني العراق وتزوجني سُكَيْنَةَ بنت الحسين ؛ وجاء حتى جلس . وقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان ، فقام وأخذ بالركن اليماني فقال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النّبْت بعد القفر ، أسألك بما سألك

( ١ ) نقل ابن الأبار هذه الفقرة عن فتوح ابن عبد الحكم ( طبعة تورى ، ص ٩٣ ) وقد راجعتها على أصلها هناك وأكلت نقصها منه .

( ٢ ) ورد في الهامش مقابل هذا السطر : ومصعب بن الزبير ، مع إشارة يفهم منها أن هذا الاسم ينبغي أن يدرج في المتن .

عبادك المطيعون لأمرك ، وأسألك بجرمة وجهك ، وأسألك بحقك على جميع خلقك ، وبحق الطائفين حول بيتك ، ألا تميزني من الدنيا حتى توليني مشرق الأرض ومغربها ، ولا ينازعني أحد إلا أنيت برأسه ، ثم جاء حتى جلس . ثم قالوا : قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رحمان رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ألا تميزني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل ، وبُشر عبد الله بالجنة ، ورؤيت له . ومن شعر عبد الملك ، وقد هم بقتل بعض أهله ثم صفح عنه :

هممتُ بنفسى هَمَّةً لو فعلتها لكان كثيراً بعدها ما ألومها

ولكنني من أسرةٍ عَيشِمِيَّةٍ إذا هي هَمَّتْ أدركتها حُلومها

ويُروى أنه لما بلغه إسراف الحجاج بن يوسف في القتل ، وتبذيره الأموال بعد ظهوره على عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، كتب إليه ينهيه ويتوعده ، وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها وتطلبُ رضائَ بالذي أنت طالبةٌ

وتحشَ الذي لم يحش مثلك لم تسكن كذى الدَّرَرِ الدَّرَّ في الضرع حالبه

/فإن ترَ مِنِّي وثبةً أمويةً فهذا وهذا — كل ذا — أنا صاحبه [ ٩ - ب ]

وإن ترَ مِنِّي غفلة قرشميةً فياربما قد غُصَّ بالماء شاربه

فلا تأمَنِّي والحوادثُ جَمَّةٌ فإنك تجزئُ بما أنت كاسبه

وإني لأغضي جفنَ عيني على القذى وأزورُ بالأسر الذي أنا راكبه

وأُملي لذي الذنب العظيم كَأَنِّي أخو غفلة عنه وقد جُبَّ غاربه

فإن آبَ لم أعجل عليه ، وإن أبي وثبتُ عليه وثبةً لا أرافيه

فجاوبه الحجاج برسالة وكتب معها :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأنقي  
أذاك، فيؤمى لا تُؤارى كواكبهُ  
وما لمرى يعصى الخليفة جنة  
تقيه من الأمر الذى هو راكبهُ  
أسالم من سالت من ذى مودة  
ومن لم تسالمه فإنى مُحاربهُ  
إذا قارف الحجاجُ فيك خطيئةً  
فقامت عليه بالصياح نوادبه  
وإن أنا لم أذن النصيح لنصحهِ  
وأقص الذى دبّت على عقاربهُ  
وأعطى المواسى [ ... ]  
ترد الذى ضاقت على مذاهبهِ  
فمن يتقى بوسى ويرعى مودتى  
ويخشى [الردى] والدهرجم عجائبهِ  
فأمرى إليك اليوم: ما قلتَ قلته  
وما لم تقله لم أقل: ما يقاربهُ  
ومهما تُرد منى فإنى أريدُهُ  
وما لم تُرد منى فإنى مجانبهُ  
[ ... ] بى على الرضا  
مدى الدهر حتى يرجع الدرّ حاله

والذى أوردته من أبيات فمقول عن إثبات ، ومجموع من تصنيفات أشتات ؛  
وما كان مقولا عليهم ومنحولا إليهم ، فأنا برىء من عهده .

## المائة الثانية

٧- أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمد بن علي  
ابن عبد الله بن العباس

دخل إفريقية في أيام بني أمية - وهو إذ ذاك سوقة - فراراً منهم ،  
وملكها في خلافته بعد أخيه أبي العباس السفاح ، وخُلع فيها وقتاً ، ثم عادت  
إليه وولّاها الأغلب بن سالم التميمي ، جدّ الأغالبة المتداولين مُلكها إلى أن غلبهم  
عليها عُبَيد الله الشيعي فانقضوا به .

وكان يقال لأبي جعفر في صغره « مِقْلَاص » ، نُقِبَ بذلك تشبيهاً بالمقلاص  
من الإبل ، وهي الناقة التي تسمن في الصيف وتهزل في الشتاء ، وكذلك كان  
أبو جعفر . حكى ذلك أبو الوليد القاسمي ، قال : وهو مقلوب العادة . وليس  
في خلفاء بني العباس أعلم من أبي جعفر المنصور وعبد الله المأمون ، ثم بعدها  
الرشيد والواثق ، ومن متأخريهم المسترشد بن المستظهر<sup>(١)</sup> ؛ وأشعرهم أبو العباس  
الراضي بن المعتدر .

(١) في الأصل : المسترشد من المستظهر ، والصواب ما أثبتناه . وهو أبو منصور  
الفضل المسترشد بالله بن أبي العباس أحد المستظهر بالله ، وهو التاسع والعشرون من خلفاء  
بني العباس في بغداد (٥١٢ - ٥٢٩ / ١١٢٨ - ١١٣٥) .

وأبو جعفر معدود في السكّلة من الملوك ، وكان يفرط في دعواه الاطلاع<sup>(١)</sup> ،  
ويقرّط بتقريظ نفسه الأسماع ، فمن قوله في بعض خطبه : « الملوك أربعة :  
معاوية وكفاه زيادته ، وعبد الملك وكفاه حجاجه ، وهشام وكفاه مواليه ،  
وأنا ولا كافي لي ! » . ولما عزم على الفتك بأبي مسلم صاحب دولتهم والقائم  
بدعوتهم — وقد حُدّر من عاقبة ذلك — كتب إليه عيسى بن موسى بن علي  
ابن عبد الله بن العباس مشيراً عليه بالأناة ، وكان قد شاوره فيه :

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا تدبّر فإن فساد الرأي أن يتعجّلا  
فقال المنصور يحببه :

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن يُتردّدا  
ولا تهمل الأعداء يوماً بقدرة وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا  
وينظر إلى هذا قول عبد الله بن المعتز :

وإن فرصة أمكنت في العدا فلا تبذّر فِعْلَكَ إلاّ بها  
/ فإن لم تليجْ بابها مسرعا أناك عدوك من بابها  
وإياك من ندمٍ بعدها وتأميل أخرى ، وأنى بها ؟

[١٠ - ب]

وقال المنصور :

نَقَسَنِي أسرار لم أفتقهما بحزمٍ ولم تعرك قُوَاي الكراكر  
وما ساور الأحشاء مثلُ دفينَةٍ من الهم رَدَّتْهَا عليك المصادر  
وقد علمتُ أبناءَ عدنان أننى لدى ما عرّا مقدامة متجاسر



وقال أيضا يخاطب محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، حين خرجا عليه بالمدينة والبصرة :

بنى عمنا ، لا نصرَ عندكم لنا      ولكنكم فينا سيوفٌ قواطعُ  
فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتمُ      والله أحق عنكم وأدافع  
لكنتم ذُنَابِي آلِ مروانَ مثلما      عهدناكم ، والله معطيٌ ومانع

## ٨ — عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

الداخل إلى الأندلس ، ويقال له « صقر قریش » — سماه أبو جعفر المنصور بذلك — وكنيته أبو المطرّف ، وهو الأشهر في كنيته ، وقيل أبو زيد ، وقيل أبو سليمان .

هرب في أول دولة بني العباس إلى المغرب ، وتردد بنواحي إفريقية ، وأقام دهرًا في أخواله « نَفَرَة » من قبائل البربر ، وكانت أمه منهم « راح » ، ثم لحق بالأندلس في غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهزم أميرها يوسف ابن عبد الرحمن الفهري في يوم الخميس لتسع خلون من ذى الحجة من هذه السنة ، واستوسقت له الخلافة ليوم<sup>(١)</sup> آخر يوم الجمعة يوم الأضحى وهو ابن ست وعشرين سنة .

ودعا لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الإمارة قُرْطُبَة ، ويقال إنه أقام أشهرًا دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور ، متقيلاً في ذلك يوسف

(١) أي أن الأمر استقر له في مدى يوم واحد بعد انتصاره على يوسف الفهري : انتصر عليه يوم الخميس ٩ ذى الحجة ١٣٨ واستقر له الأمر في نهاية اليوم التالي وهو يوم الجمعة ١٠ ذى الحجة ١٣٨ .

[ ١١ - ١ ] الفِهْرِيُّ الوالى قبله ، إلى أن أفرد نفسه / بالدعاء ؛ ويقال إن عبد الملك بن عمر ابن مروان بن الحكم<sup>(١)</sup> أشار عليه بذلك عند خلوصه إليه فقبله ؛ إلا أنه لم يَعُدْ اسمَ الإمارة ، وسلك الأسماء من وَلَدِهِ سُنَّتُهُ في ذلك إلى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، فهو الذى تَسَمَّى بالخلافة بعد سنين من سطاينه ، ودُعِيَ بأمير المؤمنين لما استفحل أمرُهُ واستبان له ضعف ولد العباس وانتثار سلطانهم بالمشرق ، وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد منهم . ذكر ذلك أبو مروان حَيَّان بن خلف بن حَيَّان صاحب « تاريخ الأندلس » .

ومن شعر عبد الرحمن بن معاوية يتشوق معاهده بالشام ، أنشده الحُمَيْدِيُّ في تاريخه :

أيها الراكبُ الميِّمُ أرضي أَفْرِ من بَعْضِ السَّلامِ لِبَعْضٍ<sup>(٢)</sup>  
 إن جِسمي كما عِلِمْتَ بِأَرْضٍ وفؤادى ومالِكِيهِ بِأَرْضِ  
 قُدِّرَ البَيْنُ بَيْنَنَا فافترقنا وطوى البينُ عن جفونِي عُغْضِي  
 قد قضى الله بالفراق علينا فمسي باجتماعنا سوف يقضى

وقال أيضاً في حَيَوَةِ بن مُلَاسٍ الحَضْرَمِي<sup>(٣)</sup> من جند حمص النازلين إشبيلية ، وكانت له منه منزلة لطيفة في أول ملكه :

(١) راجع : المصعب الزبيري ، نسب قریش ، ص ١٦١ .

وابن حزم ، جهرة أنساب قریش ( بتحقيق ليثي پروقنسال ، القاهرة ١٩٤٨ ) ص ٨٠ .

(٢) الأصل : إلى بعض ، والتصويب من « المعجب » لعبد الواحد المراكشي ، طبعة

دوزى ، ص ١٢ .

(٣) كذا ورد الاسم في « البيان المغرب » أيضا ( طبعة ليثي پروقنسال وكولان ، لايدن

١٩٥١ ) ٥١/٢ . ولم يظل حياة على ولاته لعبد الرحمن ، إذ أنه ثار عليه حوالى ١٤٥ / ٧٦٢

وتغلب على إشبيلية واسترجعها وأكثر الغرب ، فخرج إليه عبد الرحمن وقاتله قتالا عنيفا بضعة أيام .

وقد كاد عبد الرحمن أن يهزم أول الأمر ، ولكنه ثبت حتى ملك ناصية المعركة فانهزم حياة

ومن معه من أهل اليمن ، وهرب إلى ناحية فَرِيش شمالى قرطبة ، ومن هناك كتب إلى عبد الرحمن =

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا غاب عنها حيوة بن ملامس  
 أخو السيف، قارى الضيف، حقاً يراها عليه، ونافى الضيف عن كل بائس<sup>(١)</sup>  
 وحكى عيسى بن أحمد الرازي أن عبد الرحمن بن معاوية — أول نزوله  
 منية الرصافة بقرطبة واتخاذها لها — نظر إلى نخلة مفردة، فهاجت شجته وتذكر  
 بلد المشرق فقال بديهاً :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل  
 فقلت : شبيهى في التغرب والنوى وطول التناى عن بنى وعن أهلى  
 نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلى  
 سقتك غوادى المزن من صوبها الذى يسبح ويستمرى السماكين بالوئبل  
 / وقال أيضاً فيها :

يا نخل أنت غريبة مثلى فى الغرب نائية عن الأصل  
 فابكى ، وهل تبكى مكبسة عجماء لم تطمع على خبل ؟  
 لو أنها تبكى ، إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل  
 لكنها ذهلت ، وأذهلتى بغضى بنى العباس عن أهلى

وقد قيل إن الأبيات الأربعة الأول لعبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن  
 بشر بن مروان بن الحكم ، قالها عند دخوله الأندلس فراراً من بنى العباس  
 فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية . وقيل فى الأبيات الأخيرة إنها لعبد الملك

= يسأله العفو عنه . وثورة حيوة بن ملامس حلقة من صراع عبد الرحمن الداخل مع البينيين الذين  
 ظنوا بعد وصوله إلى الإمارة بفضله (مع البربر) أن الدولة ستكون لهم ، وساءهم أن وجدوا  
 عبد الرحمن يريد أن ينتهج السياسة التى تتفق ومصالح العرش الذى أقامه ، سياسة إنصاف  
 ومساواة بين السكان جميعاً . وقد انتهت ثورات البينيين بعبد الرحمن إلى الانصراف عنهم جملة ،  
 والميل إلى الشامية وتفضيلهم .

(١) كذا فى الأصل ، وقد قرأها دوزى ، ص ٣٤ : يائس .

ابن عمر بن سروان بن الحكم ، وقد اجتاز في قصده قرطبة ، حضرة الأمير عبد الرحمن بن معاوية — [ على ] ما حكى الحافظ — بمدينة إشبيلية ، فرأى في موضع منها — يعرف بـ « النخيل » إلى اليوم — نخلة مفردة ، فالحقته<sup>(١)</sup> رقة عند النظر إليها ، وقال بديهاً الأبيات المذكورة .

ومما يرُد هذا القول ويقوى نسبتهما — أعنى الأبيات الأخيرة — لعبد الرحمن ابن معاوية ، ما حكى الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في تاريخه ، وقرأته على القاضي أبي الخطاب أحمد بن محمد بن واجب القبسي بمدينة بلنسية عنه قراءةً عليه بحضرة قرطبة ، قال : قال أبو بكر محمد بن موسى بن فتح ، يُعرف بابن القَرَّاب<sup>(٢)</sup> : دخلت يوماً على أبي عثمان بن القَزَّاز وهو يعلّق فقلت له : رأيت الساعة في توجهي إليك القاضي والوزراء والحكام والمدول قد نهضوا مجتمعهم إلى حيازة<sup>(٣)</sup> الجفة المعروفة بـ « رَبْنَالِش »<sup>(٤)</sup> ، وهبها هشام للمظفر بن أبي عامر . قال : فقال لي ابن القَزَّاز : إن هشاماً لضعيف ، هذه الجفة المذكورة

(١) العبارة ابتداء من « حضرة الأمير » إلى هنا وردت في الهامش بخط مختلف مع إشارة في المتن إلى موضعها حيث جعلناها . وعند كلمة « الحافظ » كتب نفس الكاتب كلمة « صح » دون أن يعين اسم الحافظ الذي كتب عنده هذا اللفظ ؛ ويغلب على ظني أن المراد هنا أبو يوسف عمر بن عبد البر .

(٢) كذا في الأصل ، وقد جعلها دوزي ، ص ٣٥ : القَرَّاب ، والصحيح ما أثبتناه<sup>٣</sup> .  
(٣) الأصل جيازة ، وقد قرأها دوزي حيازة وفسرها بالخذق أو الفصيل (une digue) اعتماداً على ما ذكره فسيّر<sup>٢</sup> Weijers في شروحه على القطع التي نشرها من كلام ابن خاقان بعنوان *Loci Ibn Khacanis* ص ٢٣ وتعليق رقم ٦٦ ص ٨٣ .

(٤) الأصل : رَبْنَالِش ، وقرأها دوزي رَبْنَالِش والصحيح رَبْنَالِش وهي Rabanales ، ولا زال هذا الاسم يطلق على منطقة حدائق على خمسة كيلومترات شمال شرق قرطبة .

cf : LÉVI PROVENÇAL, *L'Espagne musulmane au X<sup>e</sup> siècle*, (Paris, 1932), p. 225, note 3.

وقد روى نفس الخبر ابن بشكوال في الصلة في ترجمة سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد ابن سعيد بن عبد الله بن يوسف البربري اللغوي الذي يعرف بابن القَزَّاز المذكور هنا (رقم ٤٦٢ ص ٢٠٦-٢٠٧) .

هي أول بأصل اتخذها عبد الرحمن بن معاوية ؛ وكان فيها نخلة أدركتها بسني ، ومنها تولدت كل نخلة بالأندلس . قال : وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية ، وقد تنزه إليها ، فرأى تلك النخلة فحنّ : « يا نخل أنت غريبة مثلي » ، وذكر الأبيات إلى آخرها .

وحكى أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الحقائق » المؤلف للحكم المستنصر بالله من أشعار الأندلسيين ، قال : بلغني أن بعض الوفود من قریش كتب إلى الإمام عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله — يستعظم حقه عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمستطعم<sup>(١)</sup> ، فوقع في ظهر كتابه :

[ ١٢ - ١ ] / شتان<sup>(٢)</sup> من قام ذا امتعاضٍ مُنتَضِي الشفرتين نَصْلاً  
فجاء قفراً ، وشق بجرأ مُسَامِياً لجةً ومَحْلاً  
فشاد مجدأ وبزَّ ملكاً<sup>(٣)</sup> ومنبرأ للخطاب فصلاً<sup>(٤)</sup>  
وجنّد الجنّد حين أودى ومصرّ المِصرَ حين أخلى<sup>(٥)</sup>  
ثم دعا أهله جميعاً<sup>(٦)</sup> حيث انتأوا ، أن : هلم أهلاً<sup>(٧)</sup>

( ١ ) كذا في الأصل . وقد قرأها دوزي ( ص ٣٥ ) بالمستطيع ، وهي قراءة أركئة بما في الأصل . وفي نفس المناسبة يقول ابن عذارى : « ومن شعره البديع الرائق ، ما كتب به إلى بعض من طرأ عليه من قریش ، وكان قد استقل جرايته ( في نسخة : جزايته ) واستطال بقرابته ، وسأله الزيادة له والتوسعة ، فكتب إليه بهذه الأبيات . . » . البيان المغرب ، ٥٩ / ٢ .

( ٢ ) قرأها دوزي هنا : سيان ( ص ٣٥ ) وكذلك قرأ ليثي بروفنسال وكولان . انظر البيان المغرب ، ٥٩ / ٢ .

( ٣ ) ورد هذا الشطر في صور شتى . في نفع الطيب : دبر ملكا وشاد عزا .

وعند ابن عذارى ( ٥٩ / ٢ ) : فبز ملكا وشاد عزا .

وفي مخطوطة أخرى من البيان : فشاد ملكا وشاد عزا .

( ٤ ) عند ابن عذارى ( ٥٩ / ٢ ) : ونائرا للخطاب فصلا .

( ٥ ) عند ابن عذارى ( ٥٩ / ٢ ) : وأجلا .

( ٦ ) في نفع الطيب : ثم دعا أهله إليه .

( ٧ ) الأصل : انتأوا ، وكذلك عند ابن عذارى .

فجاء<sup>(١)</sup> هذا طريداً جوعاً شريداً سيفاً أباد قتلاً  
فقال أماناً ، ونال شبيحاً وحاز مالا ، وضم شتلاً  
ألم يكن حقاً ذا على ذا أعظم من منعم ومولى ؟  
وبعض هذا الشعر عن ابن حبان ، وأوله عنده :

شتان من قام ذا امتعاض فشال ما قل<sup>(٢)</sup> واضمحلاً  
ومن غدا مضلتاً لعزم مجرّداً للعداة نصلاً  
فجاء قفراً ... البيت .

وبعده :

\* فبزّ ملكاً وشاد عزاً \*

إلا أن ابن حبان ذكر عن معاوية بن هشام الشيبانسي<sup>(٣)</sup> ، أن جلساء  
عبد الرحمن القادمين عليه من قل<sup>(٤)</sup> أهله بالشام ، حدثوه يوماً ما كان من

(١) الأصل : فجاد .

(٢) الأصل : قال ، وقد صوبه دوزي كما أثبتناه في المتن ، وهو أصح .

(٣) هو معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية  
القرشي المرواني ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الرحمن ويعرف بابن الشبانسيّة ، من جلة  
الفقهاء والعلماء على أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، توفي سنة ٢٩٨ / ٩١٠ - ٩١١ ( ابن  
الأبار ، التكلة ، رقم ١٠٧٧ ص ٣٧٩ ) . ويعرف أيضاً بالشبانسي ، وهي نسبة حملها نفر  
من سلالة هشام الربضي ثاني أمراء بني أمية في الأندلس ، أول من نعرفه منهم معاوية هذا ثم ابن  
أخيه معاوية بن هشام بن محمد بن هشام ، وهو مؤرخ ومؤلف معروف ينسب إليه كتاب  
في تاريخ دولة بني مروان في الأندلس وكتاب في نسب العلوية وغيرهم من قریش مناه ب «التاج  
السنّي في نسب آل علي » ( انظر التكلة لابن الأبار ، رقم ١٠٧٨ ) . وقد ذكر ابن حزم  
في « الطوق » من أبنائه هذا البيت أبا محمد قاسم بن محمد القرشي المعروف بالشبانسي . وقد ذهب  
سانثيث ألبورنووث إلى أن الشبانسي مغرب عن sapientia أى العلم ، ولكن الغالب أنه نسبة إلى  
موضع يسمى شبانيس ، وواضح أن الربط بين الشبانسي والشبانسية ولفظ ساپینتیسیاً مفتعل .  
( ٤ ) الأصل : جل ، وقد قرأها دوزي : من جوالى أهله ( ص ٣٦ ) .

الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن عمه أيام محنتهم ، وكلامه للعباس الساطي بهم — ونسب ذلك إلى عبد الله بن علي ؛ وفي « الأوراق » للصولي أن السفاح عبد الله بن محمد بن علي تولى قتل الغمر ، وقد نخر في مجلسه بمناقب قومه — وكثر القوم في وصف ذلك وعجّوا به ، فكان الأمير عبد الرحمن احتقر ذلك في جنب ما كان منه هو في الذهاب بنفسه لاقتطاع قطعة من مملكة الإسلام عن عدوّه ، وقام من مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة .

قال ابن الفرّج <sup>(١)</sup> : وأتاه في بعض غزواته آت ممن كان يعرف كلفه بالصيد ، فأخبره عن غرائيق واقعة <sup>(٢)</sup> في جانب من مضطرب العسكر وحرّ كه إلى اصطياها ، فقال :

دعني وصيد وقّع الغرائق / فإن هتّى في اصطيا المارق [١٢-ب]  
في نفقٍ إن كان أو في حالق / إذا التظّت لوافح الضوائق  
كان لفاعى <sup>(٣)</sup> ظلّ بندٍ خافق / غنيت عن روضٍ وقصرٍ شافق

(١) المراد ابن فرج الجياني صاحب « كتاب الحقائق » وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني من أهل جيان ونزيل قرطبة ، وكان من شعراء عصر الحكم المستنصر ، وكان أخواه سعيد وعبد الله أيضاً شاعرين . ولا نعرف عن حياته إلا ما ذكره ابن خاقان في المطمح ( القاهرة : ١٣٢٥ ) ص ٨٦ من أنه كان عنيف الخلق شديد الزهو بنفسه خليعاً ، وقد قرّبه الحكم المستنصر ثم بدرت منه بادرة دفعت الحكم إلى إيداعه السجن فظل فيه إلى أن مات . وقد ألف ابن فرج الجياني كتابه معارضاً لكتاب الزهرة لمحمد بن داوود الأصفهاني وإظهاراً لفضل أهل الأندلس على المشاركة .

انظر : الضبي ، بغية ، رقم ٣٣١ . المقرئ ، نفح الطيب ( طبعة دوزي وكريل ورايت ودوجا ) ٢٩٦/٢ و ٤٥٢ .

cf : ELIAS TERÉS, *Ibn Faray de Jaén y su Kitāb al-Hadā'iq*. Al-Andalus, vol. XI (1946) fasc. 1, pp. 131 - 157.

(٢) قرأ دوزي : واقفة .  
(٣) اللفاع والمْلَفعة ما تُلْفَعُ به من رداء أو لحاف أو قناع ، قال الأزهري : يحلل به الجسد كله كسائه كان أو غيره ( اللسان : ١٠/١٩٦ ) .

بالقفر والإيطان بالسرادقِ فقل لمن نام على التمارق :  
 إن العلا شُدَّتْ بهم طارقِ فاركبْ إليها ثَبَجِ المضائقِ  
 أوْلا ، فأنْتَ أرْذلُ الخلائقِ

## ٩ — ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

وَلِيَ الخِلافةَ بالأندلس بعد أبيه يوم الأحد غرة جمادى الأولى من سنة  
 إحدى وسبعين ومائة . وكانت وفاة أبيه وهو بماردة يوم الثلاثاء لست بقين  
 من ربيع الآخر ، وبقرطبة وُلِدَ له هشام هذا لأربع خلون من شوال سنة  
 تسع وثلاثين ومائة ؛ ويعرف بـ « الرضا » لعدله وفضله ، ويكنى « أبا الوليد » .  
 واستوزره أبوه عبد الرحمن وأخاه كبيره سليمان المولود بالشام تنوياً بحالهما ،  
 وأخذهما بالركوب إلى القصر ومشاهدة مجالس مشورته . وكانا يركبان متداولين  
 ومتناولين لا يجتمعان : فإذا كان يوم هشام ، تأهب حاضرو المجلس من كبار  
 أهل المملكة [ ... ]<sup>(١)</sup> والإفاضة في الحديث إلى إنشاد شعر أو ضرب  
 مثلٍ أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية  
 تدير أو إحماد سيرة ؛ وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كله ، وانبسط الحاضرون  
 في غث الأحاديث وأخذوا في الدعاية .

ويروى أن رجلاً يعرف بالهوّاري دخل على هشام في حياة أبيه عبد الرحمن  
 ابن معاوية — وهو مرشح للخلافة — فقال له إن فلاناً مات عن ضيعة تعود  
 بكذا وكذا من الغلة ، وأنها تباع في دين أو عن وصية ، وهي ناعمة مثمرة وطيبة  
 الأرض مخصبة ، وحضه على اشتائها . فقال له : « أنا أريد أمراً إن بلغته

(١) أسقط الناسخ هنا شيئاً ولم يترك يائساً .



غَنِيَتْ عَنْهَا ، وَإِنْ قُطِعَ بِي دُونَهُ خَسِرْتُهَا ؛ وَلَاصْطِنَاعَ رَجُلٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ  
اِكْتِسَابِ ضِيْعَةٍ . فَقَالَ لَهُ الْهَوَارِيُّ : / فَاصْطِنَعِي بِهَا تَجْدُ أَكْرَمَ مَصْطَنِعٍ « . [ ١٣ - ١ ]  
فَأَمَرَ بِابْتِياعِهَا <sup>(١)</sup> ، فَأَشَارَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ إِلَى أَنَّ الِاسْتِعْدَادَ بِالْمَالِ أَعْوَنَ عَلَى دَرْكِ  
الْأَمَالِ ، فَأَطْرَقَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ :

الْبَذْلُ - لَا الْجَمْعُ - فَطَرَةُ الْكَرَمِ - فَلَا تُرْدُ بِي مَا لَمْ تُرْدْ شَيْمَى  
مَا أَنَا مِنْ ضِيْعَةٍ وَإِنْ تَعَمَّتْ ؟ - حَسْبِيَ اصْطِنَاعُ الْأَحْرَارِ بِالنَّعَمِ -  
مُلْكُ الْوَرَى ، وَالْعِبَادِ قَاطِبَةً - لَا مَالِكَ بَعْضِ الضِّيَاعِ - مِنْ هِمَمِي <sup>(٢)</sup>  
تَفْيِضُ كَفِي فِي السَّلْمِ بَحْرَ نَدَى - وَفِي سَجَالِ الْحُرُوبِ بَحْرَ دَمٍ -  
تَزَلُّ عَنْ رَاحَتِي الْبَدُورُ ، وَمَا تَمْسُكُ غَيْرَ الْحَسَامِ وَالْقَلَمِ  
لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ - مَعَ نَشْدَانِ ضَالَّةٍ كَلَامِهِ - غَيْرَ هَذَا  
الْمُنْشَدِ . وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً فَكَفَى دَلِيلًا عَلَى سَرَفِ الْحَبَاءِ وَشَرَفِ الْحَوْبَاءِ ، حَتَّى  
كَأَنَّ أَعْشَى هَمْدَانٍ سَمِعَ بِطَوْلِهِ فَاعْتَمَدَهُ بِقَوْلِهِ :

رَأَيْتُكَ أَمْسٍ خَيْرَ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسٍ  
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَلِكَ تَزِيدُ سَادَةَ عِبْدِ شَمْسٍ

## ١٠ - ابْنُهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ الْمَعْرُوفُ بِالرَّبْضِيِّ ، أَبُو الْعَاصِي

وَلَى بَعْدَ أَبِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .  
وَكَانَ شَجَاعًا بَاسِلًا ، أَدِيبًا مَفْتَنًا ، خَطِيبًا مَفُوهًا ، وَشَاعِرًا مَجُودًا ، تُحْذَرُ  
صَوَلَاتُهُ ، وَتُسْتَنْدَرُ أَيْبَاتُهُ .

( ١ ) السِّيَاقُ يَقْتَضِي هُنَا أَنْ تَقْرَأَ : بِابْتِيَاعِهَا لَهُ .

( ٢ ) الْأَصْلُ : هِمَمٍ .

وهو الذي أوقع بأهل « الرَبَضِ » فَنُسِبَ إليه ، وأمر بهدمه وتعطيله ، وصيّر ذلك وصيةً فيمن خلفه وعهداً على بنيه ما كان لهم سلطان بالأندلس . فلم يُعْمَرْ ولا اختُطَّت فيه دار إلى آخر دولتهم ، ثم بعدها إلى أن ملك الروم قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وأقام على ذلك نحواً من أربعائة سنة وثلاثين سنة ؛ ولا أعلمه إلا كذلك إلى اليوم .

وكانت وقعة الرَبَضِ الشنعاء يوم الأربعاء النجسة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين ومائتين في آخر / خلافة الحكم ، ويوم الخميس بعده [١٣-ب] أمر بهدم الرَبَضِ القبلى الذى منه نشأت الفتنه ، فأعيد بطحاء مزرعة ، بعد أن قتل من أهله مقتلة عظيمة وأسر خلقاً جماً ، صلب منهم نحو ثلثمائة صُفِّوا من إزاء « باب القنطرة » إلى آخر « المَصَارَة »<sup>(١)</sup> مع ضفة النهر ، لم يرَ فيما سلف مُمَثَّلون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظرأ . وتمادى القتل والنهب للمنازلهم والتبعية لِمُسْتَحْفِيهِمْ ثلاثة أيام ، لم تُقَلْ لِمَن عُثِرَ عليه منهم عثرة ، وجرت عليهم خلافتها محن لا تضبطها الصفة . وكفَّ الحكم عن الحُرَمِ ووصى بهن فأُجِّلَ في ذلك ما شاء .

(١) باب القنطرة ، باب من أبواب سور قرطبة ، وكان قريباً من القنطرة - والمراد قنطرة الوادى ، أى الوادى الكبير - وهى القنطرة التى كانت تصل قرطبة بربضها الواقع على الضفة الأخرى من النهر ، وهو ربض شقندة ، مغرب من اللاتينى Secunda . وكان هذا الربض مسكن العمال وأهل الأسواق ، وفى هذا الربض قامت الثورة على الحكم بن هشام ، وانجلت عن هزيمة الثائرين وطرده أهلُه من الأندلس ، وهدم بيوته وتحويل جزء منه إلى مدافن عرفت بمقبرة الربض . ولم يعمر هذا الموضع إلا بعد أيام المسلمين ، ويقوم فيه اليوم حى من أحياء قرطبة الحالية يعرف باسم حى الروح المقدس Barrio del Espiritu Santo ، وعلى مدخل هذا الحى ، فى مواجهة القنطرة يقوم الحصن المعروف بحصن قلهرة Castillo la Calahorra وقد أنشئ بعد أيام المسلمين . أما المَصَارَة Al-Musara فكان قبل الفتح العربى ضاحية قريبة من قرطبة إلى جنوب غربى البلد على ضفة النهر ، ثم اتصلت بها ، وأصبحت جزءاً منها ، ولكنها ظلت خارج السور .

ولما انقضت الأيام الثلاثة أمر برفع القتل وتأمين الفلّ ، على أن يخرجوا من حضرته قُرْطُبَة ، فساروا عن أوطانهم كُلٌّ بحسب ما أمكنه . واستمروا ظاعنين على الصعب والدَّوْل ، في يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من شهر رمضان المؤرخ ، متفرقين في قِصَى السَّكُورِ وأطراف الثغور . ولحق جمهورهم بَطْلَيْطَلَة لمحالفة أهلها الحَكَمَ ، ولجأ آخرون إلى سواحل بلاد البربر . وأصعدت منهم طائفة عظيمة — نحو الخمسة عشر ألفاً — في البحر نحو المشرق ، حتى انتهوا إلى الإسكندرية ، وذلك في أول ولاية عبد الله المأمون بن الرشيد ، فعَازَهم أهلها وذهبوا إلى إذلالم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم ، وبذلوا السيف فيهم ، وقتلوا كثيراً منهم وسَطَّوْا بهم سطوة منكراً ، وملكوا الإسكندرية مُدَيِّدَةً . إلى أن ورد عبدُ الله بن طاهر أميراً على مصر من قِبَل المأمون ، فصالحهم على التخلي عنها على مالٍ بذله لهم ، وخيَّروهم في النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر ، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي . وكانت يومئذ خالية من الروم ، فاحتملوا إليها بِفَتْنَتِهِمْ ، ونزلوها فاعتمروها ، وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم .

وحكى ابنُ حَيَّان ، عن أبي بكر بن القوطية وغيره ، أن الحَكَمَ غَرَّبَ في بأساء حربه هذه — عندما حَمَى وَطِيسُهَا وأَعْضَلَ<sup>(١)</sup> خَطْبُهَا — بناديرة من نوادر الصبر والتوطين على الموت ما سَمِعَ لأحدٍ من الملوك مِنُهَا : وذلك أنه في مقامه بالسطح<sup>(٢)</sup> ، وعند بصره باشتداد الحرب وجُثُوم السَّكْرَبِ وسماعه قمععة السلاح وانتهاء الأبطال ، دعا بقارورةٍ غاليةٍ لَتُدْنَى منه ، فتَوَانَى بها عنه

(١) الأصل : أعطل ، ولم أجد له معنى هنا فعدلته على ما أثبت في المتن .

(٢) يريد سطح القصر ، وكان يرقب منه جواهر أهل الرض التي أقبلت تهاجه . وسطح

القصر كثير ورود في أخبار المروانيين الأندلسيين .

[١٤ - ١] خادمه المسمى « يَزْنَتْ »<sup>(١)</sup> ، ظناً منه / أنه لُجج في منطقته ، فصاح به وزجره ،  
 — وفي رواية أخرى : فكانَّ الخادمَ شكَّ في طلبته واتهم سمعه ، فتوقف عن  
 المضى لأمره ، فصاح به الحكم : انطلق يا ابن اللخناء فمَجَّلْ - نجاءً بالضرورة  
 فأفرغها على رأسه ولحيته ، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له : « وأية ساعة طيب  
 هذه يا مولاي فتستعمله ، وقد ترى ما نحن فيه ؟ » فقال له : « اسكت لا أم لك !  
 من أين يعرف قاتلُ الحكم رأسه من رأس غيره إذا هو حزه ، إن لم يفرق  
 الطبيب بينهما ؟ » . ثم استلَّامَ للحرب ، وأمر بتفريق السلاح والخيول على أجناده ،  
 وأنهضهم لقتال من جاش به ، بعد أن كتبهم كتائب قوَّد عليها كباراً من  
 قواده وأهل بيته ، فانهزمت العامة بعد قتال شديد ، ولم تكن لأحد منهم  
 كرامة ؛ وكانوا كالذباب<sup>(٢)</sup> كثرة .

قال : ولم ينل الحكم بعد وقعة الرِّبَضِ حلاوة العيش ، وامتنحن بعلته  
 صعبة طاولته أربعة أعوام ، فلَّتْ غَرْبَهُ وأطالت ضنائه ، واحتجب فيها آخر مدته  
 واستناب ولده عبد الرحمن في تدبير ملكه ، فمات على توبة من ذنوبه وندم على

(١) كذا ورد الاسم في الأصل ، وورد في الأخبار المجموعة « بزنت » بالباء . وقد  
 ذهب دوزي إلى أن يَزْنَتْ أُوَيَزَنْتُ هو الصورة العربية لاسم أبيبري روماني : Jacinto ،  
 ولا زال هذا الاسم مستعملاً في إسبانيا إلى اليوم ، وهو مأخوذ من اللفظ اليوناني Hyacinthe  
 ومعناه « ياقوت » . أما ريبيرا Julián Ribera فقد قرأه بالباء وكتبه في الترجمة الإسبانية  
 للأخبار المجموعة Vicent وهي الصورة القطلونية للاسم المعروف Vincent . والقراءتان  
 مقبولتان .

cf : DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides*. Nouvelle édition revue et mise à jour par E. Lévy-Provençal, Leyde, 1932 vol. I, p. 298 et note.

الخشني ، تاريخ قضاة قرطبة ، بتحقيق خليان ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ . مقدمة الترجمة  
 الإسبانية ص ٢١ .

(٢) في الأصل : كالديا ، وهكذا تركها دوزي ، ص ٤١ .

ما اقتترف منها بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين<sup>(١)</sup> .

ومن شعره في ذلك يعذر نفسه بالدفاع عن ملكه والحماية لسلطانته ، وهو من أحسن شعر قيل في معناه :

رَأَيْتُ<sup>(٢)</sup> صَدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا<sup>(٣)</sup>      وَقَدِمًا لَأَمْتُ الشَّعْبِ مُذْ كُنْتُ يَافِعًا  
فَسَائِلُ ثُغُورِي : هَلْ بِهَا الْيَوْمَ ثُغْرَةٌ      أَبَادَرَهَا مُسْتَنْضِي السَّيْفِ<sup>(٤)</sup> دَارِعًا  
وَشَافِيهِ عَلَى<sup>(٥)</sup> الْأَرْضِ الْفُضَاءُ جَاحِمًا      كَأَتَخَافِ شِرْيَانِ الْهَيْبِدِ لَوَامِعًا  
تُنَبِّئُكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاءِهِمْ      بِيَوَانٍ ، وَقَدِمًا<sup>(٦)</sup> كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعًا  
وَأِنِّي إِذَا حَادُوا حَذَارًا<sup>(٧)</sup> عَنِ الرَّدَى      فَلَسْتُ أَخَا حَيِّدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَازِعًا  
حَمَيْتُ ذِمَارِي فَاتَهَكْتُ ذِمَارَهُمْ      وَمَنْ لَا يُحَامِي ظِلَّ خَزْيَانَ ضَارِعًا

(١) كانت ثورة الريض - أو هيج الريض ، كما تسمى في النصوص - بعيدة الأثر في سلوك الحكم الريضي بصفة خاصة وسياسة خلفائه من بني أمية الأندلسيين حيال أهل قرطبة وشعب الأندلس بصفة عامة . فأما الحكم فقد اتعظ بما وقع خلالها فلم يعد إلى الاستبداد والعسف والاستخفاف بالناس ، كما كان يفعل قبلها ، لأنه عرف أن سلوكه الأول واستخفافه بالماء هما سبب هذه الفتنة الكبيرة ، ثم إن إمرافه في القتل وإجلاء أهل الريض عن دورهم ثم هدمه وتحويله إلى أرض زرع ، كل ذلك كان بعيد الأثر في نفسه ، فالإتيان للتكفير عما اقترف . وقد ظل على ذلك حتى توفي في ٢٥ ذى الحجة سنة ٢٠٦ / ٢١ مايو ٨٢٢ . وأما بالنسبة لسياسة خلفائه فقد تعلموا احترام الناس وحقوقهم وسلوكوا حيالهم سياسة لين وفهم واحترام ، فلم يقع مثل هيج الريض بعد ذلك .

(٢) قرأها دوزي : رأيت .

(٣) في النسخ : راقعا .

(٤) في النسخ : العزم .

(٥) في الأصل : مع .

(٦) في النسخ : وإني .

(٧) في النسخ : جزاعا .

وَلَمَّا تَسَاقَيْنَا سِجَالَ حُرُوبِنَا سَقَيْتُهُمْ سَجَالاً<sup>(١)</sup> مِنْ الْمَوْتِ نَاقِمَا  
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقُوا<sup>(٢)</sup> مَنَايَا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعَا  
[١٤-ب] / فَهَآكَ بِلَادِي<sup>(٣)</sup> إِنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا مِهَاداً ، وَلَمْ أَتْرِكْ عَلَيْهَا مَنَازِعَا

قال عثمان بن المنثي النحوي<sup>(٤)</sup> المؤدب : قدم بعد الوقعة علينا عباس بن  
ناصر<sup>(٥)</sup> قُرْطُبَةَ أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِ ، فَاسْتَنْشَدَنِي شِعْرَ الْأَمِيرِ الْحَكَمِ  
فِي الْهَيْجِ فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقُوا مَنَايَا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعَا  
قال عباس : « لَوْ أَنَّ الْحَكَمَ يَخْشَى<sup>(٦)</sup> لِلْخُصُومَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الرِّبْضِ  
لَقَامَ بِمَذْرِهِ فِيهِمْ هَذَا الْبَيْتَ » . وَفِي رِوَايَةٍ<sup>(٧)</sup> : إِذَا كَانَتْ الْخُصُومَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
أَهْلِ الرِّبْضِ أَجْبَرْتُهُ<sup>(٨)</sup> ، فَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ لِيُحَاجِّجُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(١) النفع : سماً . والسَّجَلُ الدُّلُوفُ الضَّخْمَةُ الْمَمْلُوءَةُ مَاءً (اللسان : ٣٤٦/١٣) .

(٢) النفع : فَوَافُوا .

(٣) الأصل : سِلَاحِي ، والتصويب من النفع .

(٤) عثمان بن المنثي من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الملك ، من أهل الأدب والنحو . رحل  
إلى المشرق « فلقى جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعاني ، منهم محمد بن زياد الأعرابي ،  
أخذ عنه وعن غيره ، وقرأ على حبيب بن أوس (الطائي) ، وهو أبو تمام ) وأدخله الأندلس-  
رواية عنه ، وأدب أولاد الإمام عبد الرحمن بن الحكم وأولاد محمد . وعمر إلى أن بلغ ٩٩ سنة ،  
[وتوفي رحمه الله سنة ٢٧٣ م] (٨٨٧ م) ابن الفرضي ، علماء ، رقم ٨٨٩ ص ٢٤٩ .

(٥) عباس بن ناصر الثقي الجزيري نسبة إلى الجزيرة الخضراء ، إذ أن الحكم الربضي  
ولاه قضاءها . كان شاعراً نحويّاً مؤدباً ترجم له ابن الفرضي (رقم ٨٧٩ ج ١ ص ٢٤٥) وقال  
إنه رحل إلى الأندلس ولقى أبا نواس وسمع منه شعره . وترجم له ابن سعيد في المغرب (بتحقيق  
الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة بدون تاريخ) ١ / ٣٢٤ . وانظر عنه : الدكتور إحسان عباس ،  
تقاريف الأدب الأندلسي (بيروت ١٩٦٠) ص ٣٦-٣٧ .

(٦) الأصل : يَجِيْ ، وقد قرأها دوزي : يَخْشَى .

(٧) في الهامش على اليمين مقابل هذا السطر - للخصومة في الربض .

(٨) الأصل : جبرته ، ويمكن قراءته أيضاً : أجبرته .

وله أيضا في ذلك :

غِنَاهُ صَلِيلُ الْبَيْضِ أَشْهَى إِلَى الْأُذُنِ      مِنْ اللَّحْنِ فِي الْأَوْتَارِ وَاللَّهُوِ وَالرَّذْنِ <sup>(١)</sup>  
 إِذَا اخْتَلَفَتْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا      أَرْتَكَ نَجُومًا يَطْلَعْنَ مِنَ الطَّعَنِ  
 بِهَا يَهْتَدِي السَّارَى وَتَنْكَشِفُ الدَّجَى      وَتَسْتَشْعِرُ الدُّنْيَا لِبَاسًا مِنَ الْأَمْنِ  
 شَقَقْتُ غَمَارَ الْمَوْتِ تُخْطِئُ مَهْجَتِي      سَهَامُ رَدَى قَبْلِي أَصَابَتْ ذَوَى الْجُبْنِ  
 إِذَا لَفَحَتْ رِيحُ الظُّهَامِ لَمْ يَكُنْ      لِفَاعِي فِيهَا غَيْرَ فَيْءِ الْقَنَا اللَّذْنِ  
 وَإِنْ لَمْ يَجِدْ حَصَنًا سِوَى الْفَرِّ مُقَدِّمٌ      فَمَالَى غَيْرُ السَّيْفِ وَالرَّمْحِ مِنْ حَصْنِ  
 قَذَفْتُ بِهِمْ [مِنْ] فَوْقَ سَهْمَاءَ فَانْتَرَوْتُ      لَهُ الْأَرْضُ وَاسْتَوَلَى عَلَى السَّهْلِ وَالْحَزْنِ  
 فَسَارَ يَرَوِي كُلَّ صَدْيَانَ حَائِمٍ      وَسَحَّ كَمَا سَحَّتْ عَزَالٍ مِنَ الْمَزْنِ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِنْ عَنَّا لِلتَّيَّارِ مِنْ سَيْلَانِهِ      ذُرَى شَاهِقٍ أَنْحَى كُمُنْتَفِشِ الْعِهْنِ  
 هَنَاتُ بِهِ حَرَبًا تَقْشَعُ بِحُورِهَا      بِحَمَلِ هِنَاءٍ لَيْسَ يَصْلُحُ لِلْبُذْنِ

وله في النسيب :

ظِلٌّ مِنْ فَرَطٍ حَبَّهِ مَمْلُوكَا      وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكَا  
 إِنْ بَكَى ، أَوْ شَكَا الْهَوَى ، زَيْدٌ ظَلَمَا      وَبَعَادًا يُبْدِي حِمَامَا وَشِيكَا  
 تَرَكْتُهُ جَاذِرُ الْقَصْرِ صَبِيًّا      مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكَا  
 / يَجْعَلُ الْخَلْدَ وَاضِعًا <sup>(٣)</sup> فَوْقَ تَرْبٍ      لِذِي يَجْعَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكَا [١٥-١]  
 هَكَذَا يَحْسِنُ التَّذَلُّلُ فِي الْحَبِّ <sup>(٤)</sup>      إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكَا

(١) الرَّذْنُ هنا صوت وقع السلاح بعضه على بعض (اللسان : ٣٧/١٧) .

(٢) المَزْنَةُ العَزَالُ هي السحابة التي تنهمر بالماء (اللسان : ٤٦٩/١٣) .

(٣) وردت هذه الأبيات في البيان المغرب لابن عذاري (٨٠/٢) وقد ورد هذا

اللفظ هناك : ماثلا .

(٤) في البيان المغرب : للحر .

وله في خمسِ جَوَارٍ من حظاياها ، كُنَّ مصطحبات فتغاضبن عليه وقتاً  
في طريق الغيرة وهجرته :

قُضِبَ من البان ماست فوق كُثبانٍ ولَّين<sup>(١)</sup> عني وقد أزمعن هجراني  
ناشدتهن بِحَقِّي فاعتزمن علي الـ مصيان<sup>(٢)</sup> ، حتى حلامهن عصياني<sup>(٣)</sup>  
مَلَكْنِي مِلْكاً مَنْ<sup>(٤)</sup> ذَلَّتْ عزائمُه للحب ذُلٌّ أسيرٍ مُوثِقٍ عاب  
من لي بِمُغْتَصَبَاتِ الروح من بدني يَغْضِبُنِي في الهوى عزى وسلطاني !

## ١١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن<sup>(٥)</sup>

### ابن علي بن أبي طالب

وُلِدَ لعبد الله بن حسن . وكان شيخَ بني هاشم في وقته إدريسُ الأكبر  
وأُمهُ هِنْدُ بنتُ أبي عبيدة المُطَلِيبَةِ ، وإدريس الأصغر هذا أمه<sup>(٦)</sup> عاتكة بنت  
عبد الملك بن الحارث الخزومية ، وأخواه منها : عيسى وسليمان ؛ حكى ذلك  
أبو علي حسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيروانيُّ المعروف بالوكيل  
في كتابه « المغرب عن أخبار المغرب » واختصرته منه . وذَكَرَ أن إسحاق

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيئان المغرب لابن عذارى (٧٩/٢) . وقد جاء  
هذا اللفظ هناك : أعرضن .

(٢) رواية البيان : الهجران .

(٣) رواية البيان : حتى خلا منهن هيماني .

(٤) في الأصل : ملكاً ، والتصويب من البيان المغرب .

(٥) الأصل : إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وهو خطأ ،  
وقد صوبناه كما في المتن .

(٦) في الأصل : وأمه .



ابن عيسى كان على المدينة ، فلما مات المهدي وولّى موسى الهادي شَخَصَ وافداً عليه ، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> ، فخرج عليه بها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن العلوي ، واستخفى العُمريّ حتى خرج الحسين إلى مكة في ذى القعدة سنة تسع وستين ومائة .

وكان قد حج في تلك السنة رجال من بني العباس ، منهم محمد بن سليمان ابن علي ، والعباس بن محمد ، وموسى بن عيسى ، وعليّ الموسميّ سليمان بن أبي جعفر ؛ فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان يولّيه الحرب ، فالتقوا بفَخٍّ ، وخلّعوا عبید الله ابن قُثم بمسكة للقيام بأمرها . وكانت الوعدة يوم السبت ، يوم التَّروية ، فقتل الحسينُ القائمُ وسليمان بن عبد الله ؛ وانهزم الناس فنودي فيهم بالأمان ولم يتبع هاربٌ ، وحُزّت الرؤوس فكانت مائة ونيّفًا .

وكان فيمن هرب يحيى وإدريس / ابنا عبد الله بن حسن ؛ فأما إدريس [١٥ - ب] فلقى بالمغرب ولجأ إلى أهله فأعظموه ، ولم يزل عندهم إلى أن احتيل عليه ؛ وخلف ابنه إدريس بن إدريس ، فملكوا <sup>(٢)</sup> تلك الناحية وانقطعت عنهم البعوث . وأما يحيى فصار إلى جبل الدَّيْلَم فأقام عند صاحبه ، إلى أن شخص إليه الفضل بن يحيى بن خالد في أيام الرشيد ، فأمنه وحمله إليه .

وقد قيل إن إدريس هرب إلى المغرب في أيام أبي جعفر المنصور ، عند قتل أخويه محمد وإبراهيم القائمين عليه بالمدينة وبالبصرة ، وأن أبا جعفر بعث إليه من سَمّه ؛ والصحيح أن ذلك كان في خلافة الهادي بالعراق ، وبعد عشرة أشهر وأيام منها ، وفي آخر خلافة عبد الرحمن بن معاوية بالأندلس ، وقبل وفاته بعامين وأشهر ، وأن إدريس وقع إلى مصر وعليّ بريدها واضحٌ مولى صالح بن المنصور

(١) واضح أن المراد هنا غير عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة . انظر عن نسب

هذا المذكور في المتن « جهرة أنساب العرب » ص ١٤٣ .

(٢) كذا في الأصل ، والمراد إدريس بن إدريس وآله .

— وكان رافضياً — فحمله على البريد إلى أرض المغرب حتى انتهى إلى مدينة «وَلَيْلِي»<sup>(١)</sup> من أرض طَنْجَة ، فاستجاب له مَنْ بها وبأعراضها من البربر ، فلما وَلَّى الرشيد علم بذلك ف ضرب عنق واضح وصلبه ، ودسَّ إلى إدريس مَنْ أنس به واطمأن إليه ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية فاحتال حتى سَمَّه .

واختلف فيمن سَمَّ إدريس وما سُم فيه . فقيل : الشَّامخ المشامسي<sup>(٢)</sup> مولى المهدي سَمَّه في سَنُون<sup>(٣)</sup> سقطت منه أسنانه لما استعمله ومات من وقته ، وسيأتي خبره بعد إن شاء الله . وقيل : بل سليمان بن جرير الرُّقِّي كان سبب سَمِّه ، وكان إدريس به واثقاً فأتى من قَيْسَلَه ، وهرب مع الرسل الذين أتوا في ذلك ، وطلب ففات .

ويقال : إن سليمان هذا — وكان يقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين — ناظرَ إدريس يوماً في شيء يخالفه ، ثم دخل الحمام ، فلما خرج بعث إليه سليمان بسمكة مشوية أنكر نفسه عند أكله منها ، فشكا بطنه وقال : «أدركوا

(١) وَلَيْلِي ، وتنطق أحياناً وَلَيْلَى — والأول أصح — مدينة أثرية في المغرب تسمى عند العامة قصر فرعون ، وتقع على ٣ كيلومترات شمال شرق بلدة مولاي إدريس التي تضم ضريح إدريس الأكبر مؤسس دولة الإدارة ، وهذه الأخيرة على نحو ٢٠ كيلومتراً غربى فاس ، وهى من تأسيس المغاربة القدامى الذين يسمون بالمُسْرَطَانِيَّين ، جعل منها الرومان مدينة زاهرة خصوصاً في عهد الإمبراطورية . اكتشفت آثارها سنة ١٨٧٣ وابتدأت عمليات الحفر بها سنة ١٩١٥ ولا تزال متواصلة إلى اليوم .

انظر : أحمد المكناسي : خريطة المغرب الأركيولوجية للمواقع الأثرية لما قبل التاريخ إلى ظهور الإسلام (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ .

والبكري : صفة إفريقية والمغرب ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) كذا في الأصل ، وقرأها ماركوس مولر : الشامسي ، ص ١٩٨ . وجاء في البيان المغرب لابن عذاري : الشَّامخ مولى الهادي . . «وذكر أنه متطلب من شيعتهم العلوية» (٨٣/١) .

(٣) السَّنُون كل مسحوق كانوا يستعملونه لدواء الأسنان .

سليمان ! « فأدرك ، وقيل له : « أجب ! » فامتنع ، فُضرب على وجهه بسيف ،  
وَضُرِبَ أخرى على يده فانقطعت أصبعه ، وأفلت . وقيل : سُمِّ في طيب  
تطيب به . وولده وأهل بيته يقولون : إنما سُمِّ في بطيخة . وهم وإن اختلفوا  
في الشيء الذى سُمِّ به ، فهم مجمعون على أنه مات مسموما . ومن شعره :

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيهِ بالطعان وبالضرب  
/ فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نتشكى ما يهول من النكب [١٦-١]

## ١٢ — ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود

قال أبو الحسن على بن محمد النوفلى : توفى إدريس بن عبد الله وجارية  
من جواريه حبلى اسمها كنزة ، فقام « راشد » مولاه — ويقال إنه مولى أخيه  
عيسى بن عبد الله ، وهو الذى خرج به حتى أقدمه المغرب — بأمر البربر .  
إلى أن ولدت الجارية غلاماً فسماه باسم أبيه « إدريس » ، وقام بأمره حتى بلغ  
الغلام وأدبه ؛ وكان مولده فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة .

وتوفى راشد سنة ست وثمانين ، فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن إلياس ،  
وأخذ بيعة البربر له يوم الجمعة فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ، وهو ابن  
إحدى عشرة سنة . وأسس مدينة القرويين<sup>(١)</sup> سنة ثلاث وتسعين ، وخرج إلى

(١) يريد فاس القرويين ، أى فاس الأولى التى أنشأها القيروانيون ، وهى منسوبة  
إليهم . وسينشئ مهاجرة الأندلس الذين خرجوا منها بعد هيج الربض ضاحية لفاس هذه تعرف  
باسم فاس الأندلسيين ، وتسمى كل منهما عدوة فيقال عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ،  
ومنهما مأ تتكون فاس . انظر بيان ذلك فى « البيان المغرب » لابن عذارى (٢/٢١١) .

نَفَيْس<sup>(١)</sup> في الحرم سنة سبع وتسعين ، ثم غزا نفزة وتلسان وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة : سُمِّىَ في حبة عنب فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات .  
وعن غير النوفلي أن زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هو الذي احتال عليه حتى اغتاله .

وعامة من في المغرب من الحسينيين من ولد إدريس هذا ، ومنهم بنو سحود الخلفاء في قرطبة بعد الأربعمائة .

وذكر أبو بكر الرازي<sup>(٢)</sup> أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب سنة اثنتين

(١) نَفَيْس ، هكذا ورد الاسم مضبوطاً في الأصل ، ولكن الأغلب نَفَيْس . ذكرها البكري (ص ١٦٠) وقال إنها قرب أعمات وقال إنها تعرف بالبلد النفيس وأنها بلد كثير الأنهار والثمار ، « ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظرًا » ، وقال إنها بلدة عامرة أهلة بينها وبين البحر مسيرة يوم ، أي حوالي ٤٠ كيلومتراً . وهو تقدير غير دقيق ، لأن وادي نفيس واد صغير معروف يصب في بحيرة جنوبي مراكش . ومكانها اليوم قرية صغيرة تعرف بالمدينة بين تانزلة ودركاله .

(٢) المراد أبو بكر محمد الرازي المؤرخ ، وهو أبو أحمد بن محمد الرازي وجد عيسى ابن أحمد الرازي مؤرخي الأندلس المعروفين .

وهذه العبارة ذات أهمية تاريخية كبرى ، فهي تقرر بوضوح أن الذي اختط فاس كان إدريس بن عبد الله أي إدريس الأول ، لا ابنه إدريس الثاني كما كان يظن اعتقاداً على كلام ابن أبي زرع مؤرخ فاس في كتابه المعروف « روض القرطاس » . وقد ناقش الموضوع مناقشة شاملة ليثي بروفنسال في بحثه القيم عن « اختطاط فاس » واعتمد على عبارة الرازي هذه وعبارات أخرى لابن القاضي في « جنوة الاقتباس » والخزفاني في « زهرة الآس » . وأثبت بالفعل أن اختطاط فاس كان على يد إدريس الأول في رمضان ١٧٢ فبراير / ٧٨٩ . انظر :

E. LÉVI-PROVÈNÇAL, *L'Islam d'Occident*, chapitre 1 : *La Fondation de Fès*, pp. 3-41.

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان : « دراسات في تاريخ المغرب والأندلس » ، ترجمه الدكتور صلاح الدين حلمي وراجعه الدكتور لطفي عبد البديع ، ونشرت الترجمة في سلسلة الألف كتاب في القاهرة سنة ١٩٥٧ .

وجدير بالذكر هنا أن « روض القرطاس » - رغم ما يتمتع به من مكانة بين مراجعنا - يعتبر من أحفلها بالأخطاء ، ولا بد من الحذر الشديد في استعماله .

وسبعين في شهر رمضان هارباً بنفسه من أبي جعفر ؛ فنزل موضعاً يقال له «وَلَيْلِي» بوادي الزيتون ، فاجتمعت إليه قبائل من البربر فقدموه على أنفسهم وبنوا مدينة فاس ؛ وكانت أجمة شعراء ، ولما احتفرت أساساتها ألقي في بعضها فأسٌ فسُميت بمدينة « فاس » وسكنها البربر ، فلم تطل أيامه وهلك سنة أربع وسبعين ومائة . وترك جارية حاملاً منه ، فولدت بعده ابناً سمي بإدريس ابن إدريس ، ملك بعد أبيه مدينة فاس وطالت مدته ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين<sup>(١)</sup> . كذا قال الرازي ، وقد تقدم التنبيه على غلط القائل بدخول إدريس المغرب في خلافة أبي جعفر المنصور .

ومن شعر إدريس بن إدريس يخاطب البهلول بن عبد الواحد المدغري ،  
 ذاهباً إلى مراجعة طاعته ومحدراً مكر / إبراهيم بن الأغلب ، وهو الذي كان [١٦ - ب]  
 أفسده عليه حتى قاتله البهلول :

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِمَكْرِ ابْنِ أَغْلَبٍ      وَمَا قَدْ رَمَى بِالْكَيْدِ كُلَّ بِلَادٍ  
 وَمَنْ دُونَ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسُكَ خَالِيًا      وَمَنَّاكَ إِبْرَاهِيمُ خَرَطُ قَتَادٍ  
 وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعوهُ إلى طاعته أو الكف عن ناحيته ،  
 ويذكُرهُ قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي أسفل كتابه :

أَذْكُرُ إِبْرَاهِيمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ      وَعَتَرَتِهِ وَالْحَقُّ خَيْرُ مَقُولٍ  
 وَأَدْعُوهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ رَشْدُهُ      وَمَا هُوَ لَوْلَا رَأْيُهُ بِجَهْلٍ  
 فَإِنْ آثَرَ الدُّنْيَا فَإِنْ أَمَامَهُ      زِلَازِلُ يَوْمٍ لِلْعَقَابِ طَوِيلٍ  
 وله يتشوق أهل بيته :

لَوْ مَالٌ صَبْرِي بِصَبْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ      لَضَلَّ فِي رَوْعِي أَوْ ضَلَّ فِي جَزَعِي

(١) لم تطل مدته على هذا ، فقد ولد سنة ٢٧٥ هـ وتوفي سنة ٣١٣ هـ .

وما أَرِيعُ إلى يَأْسٍ لِيُسْلِيَنِي      إلا [ .... ] يَأْسٌ إلى طَمَعٍ  
وكيف يَصْبِرُ مَطْوِيٌّ هَضَائِمُهُ      على وسَاوسِ هَمٍّ غَيْرِ مَنْقَطَعِ  
إذا الهمومُ نَوَافَتْ بعد هَجْمَتِهِ      كَرَّتْ عليه بِكَأْسِ مُرَةِ الْجُرْعِ  
بأنَ الأَحِبَّةِ واستَبَدَلْتُ بَعْدَهُمْ      هَمًّا مَقِيمًا وَشَمْلًا غَيْرَ مَجْتَمِعِ  
كَأَنِّي حِينَ يُجْرَى الهمُّ ذَكَرَهُمْ      على ضَمِيرِي مَخْبُولٌ مِنَ الْفَرْعِ  
تَأْوَى هُمُوِي إِذَا حَرَّكَتُ ذَكَرَهُمْ      إلى جَوَانِحِ جِسْمٍ دَائِمٍ الْوَلَعِ

١٣ - عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان

/وقيل أبو الوليد

[ ١٧ - ١ ]

قعيدُ جماعة آل مروان في وقته وفارسُهم وشهابهم . قديم من مصر على عبد الرحمن بن معاوية في سنة أربعين ومائة ، أولَ ولايته بالأندلس ، وهو في عشرة رجال من بنيهِ فرسانٍ ، فولاه إشبيلية ، وولَّى ابنه عبد الله مَوْزُورَ ، وأغنى في حرب يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِيَّ عند نكته وفراره من قُرْطُبَةِ حتى قُتِلَ .

وقيل : كان والياً على مَارِدَةِ ، وابنه على لَقَنْتِ . ولما زحف أهل حِصْنِ (١) إلى عبد الرحمن بن معاوية يطلبونه بشار أبي الصَّبَّاحِ اليَخْضَعِيَّ — وكان قد طاح على يديه — أبلى عبدُ الملك هذا بلاءَ حسناً ، وقُتِلَ ولده أُمَيَّةٌ صَبْرًا لما انحاز إليه منهزماً : قدَّمه ففُضِرَ عنقه ، فهابه الجندُ وشدوا معه ومع سائر بنيهِ ، فكانت

(١) يريد أهل إشبيلية وناحيتها من العرب ، وكذلك كانت تسمى بعد أن أنزل أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي جند حصن في إشبيلية .

الدبرة على أهل حصن ومن معهم ، وفتح الله على يديه فتحاً لا كفاء له ، وأجلت الحرب عنه جريحاً فأحظاه عبد الرحمن . وقيل : بل قتل ابنه المذكور في حرب يوسف الفهري حين <sup>(١)</sup> انهزم وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف ، ولم تقم له بعد قائمة ، فأحظاه عبد الرحمن وقدمه واستوزر بنيه عبد الله وإبراهيم وحكما ، وزوج ابنته كنزة <sup>(٢)</sup> من ابنه هشام ولي عهده ، فقال عبد الملك في ذلك من قصيدة طويلة :

فيا زمناً أودى بأهلى ومعشرى      لقد صيرت في أحشائنا لاذعاً جمرًا  
ويزداد دهرُ السوء غشاً وظلمةً      كأن على شمس الضحى دوننا سِتْرًا  
إلى أن بدا من آل مروان مُقْمَرٌ      أضاء لنا من بعد ظلمته الدهرًا  
هيجانٌ أصيلُ الرأي ندبٌ مهذبٌ      أقام لنا ملكاً وشد لنا أزرًا  
وأثبت آمالاً وأثبت نعمةً      وجئنا فألفينا الكرامة والبرًا  
أنال وأغنى مُنعمًا متفضلاً      وأصقى لنا مأمولاً أبناءه صِهْرًا  
فنحن حوالئِهِ النجومُ تجمعتُ      إلى البدر حتى صيرن من حوله حَبْرًا <sup>(٣)</sup>

ومنها يذكر زفاف ابنته كنزة هذه :

لعمري لقد أهديتُ بيمضاء حُرَّةً      إلى خير من أغلى بأثمانها المهرًا  
/ لها حسبٌ يابى على كل مُتَرَفٍ      ويرضى لها تلك الخضارمة الزهرا [١٧-ب]  
وآل أبي العاصي همُ نظراؤها      فأكرمُ بشمسٍ أنكحت قمرًا بدرًا

(١) الأصل : حتى .

(٢) قرأها دوزى ، ص ٤٣ : كثرة .

(٣) الحَبْر هو السر والمانع (اللسان : ٢٣٩/٥) .

## ١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر ابن مروان بن الحكم

كان أبوه بشر من أمراء الأموية ، فقتله أبو جعفر المنصور مع يزيد بن عمر  
ابن هُبَيْرَة الْفَزَارِي آخر عمال بني أمية على العراق ، ونجا ابنه عبد الملك هذا  
في قِلِّ القوم إلى المغرب ، فقصده الأندلس ، ودخلها في صدر أيام الأمير عبد الرحمن  
ابن معاوية ، مع ابن عمه جَزَيَّ بن عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز ،  
وسكن جواره بقرطبة ، ويعرف بالبشرى . وهو القائل في مقتل أبيه :

لست أنسى مصرعاً من والدٍ      سيدٍ ضخمٍ وعمٍّ مفتقدٍ  
غادرته الخيلُ في معتركٍ      بين عمٍّ وأبٍ زاكٍ وجَدَدٍ  
تسَهكُ<sup>(١)</sup> الريحُ عليه بالضحى      وتُعْفِيهِ أعاصيرُ الأبدِ  
لم يَرُدَّ الموتَ عنه إذ سَمَا      نحوه كثرةُ مالٍ وعددِ  
أُمُومِيٍّ حَكَمِيٍّ عَرَفْتُ      سورةَ الجَدِّ له علياً معدِّ  
عاش في مُلكٍ عزيزاً دونه      حُجُبُ المُلُوكِ وأبوابُ الرِّصَدِ  
فانتحته بالمتايا فتوى      لعوافي الطَّيْرِ مسلوبِ الجَسَدِ  
وله :

يا معشراً شغفَ الطعامُ قلوبهم      فهم طِاحٌ نحو كُلِّ دُخَانِ  
يهدى لواءهم ويحمل بئندهم      في كل معتركٍ أبو سعدانِ

(١) سهكت الريح وسهكت الدابة سهوكاً جرت جرياً خفيفاً ، وقيل سهوكها استناتها



يمشى كمشي الليثِ راحَ عشيةً      من غابهِ وأمامه شبلان  
لو يعرض الخطيُّ دونَ وليميةٍ      مشروعةٍ في صدره لطمعان  
لمضى بصادقِ نيةٍ وبصيرةٍ      فيها وقلب<sup>(١)</sup> مُشيعٍ شيعان<sup>(٢)</sup>  
| حتى يغيبَ في الثريدِ ذراعَه      ويجوسها بأشاجع<sup>(٣)</sup> وبنانِ [١٨-١]

وله :

وبنفسِي مَنْ عندها اليومَ قلبي      عاقٍ في حبالها معمودُ  
كلما قلتُ قد تناهيتُ عنها      عادني من غرامها ما يعودُ  
فقلبي من لالعجِ الحبِّ منها      كلَّ يومٍ سقمٌ وحزنٌ جديدُ

## ١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، أبو سليمان

كان بالأندلس في سلطان عبد الرحمن بن معاوية ، وكانت له منه خاصةٌ  
لم تكن لأحد من أهل بيته ، وولاه طليطلةً وأعمالها ؛ وهو القائل يخاطبه  
مُعزياً بأبي الصَّبَّاح<sup>(٤)</sup> عليه :

يا ابن الخلائفِ إني ناصحٌ لكم      في قتل ذِي إْحْنٍ يرتادُ للنَّقمِ

(١) قرأها دوزي (ص ٤٤) : وقلت .

(٢) شايح الرجل جند في الأمر ، والشَّيْعَان الذي يَتَهَمَسُ عَدُوًّا ، أراد

السرعة (اللسان : ٣٣٢/٤) .

(٣) الأشاجع هي الحيات ، جمع أشجع ، وقيل جمع أشججة ، وأشجعة جمع شجاع وهو

الحية (اللسان : ١٠/١٠) .

(٤) هو أبو الصَّبَّاح بن يحيى اليَحْضُبِي من كبار ائمنيين الذين أعانوا

عبد الرحمن الداخل على الوصول إلى الإمارة . وقد ولاه عبد الرحمن على إشبيلية ، ثم عزله

لَا يُفْلِتَنَّكَ فَيَاتِنَا بِيَاثِقَةٍ وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ تَبْرَأُ مِنَ السَّقَمِ  
جَلَّاهُ عَضْبًا مِنَ الْهِنْدِيِّ ذَا شُطْبٍ إِنْ الصَّرَامَةَ فِيهِ فَغَلَّةُ الْكَرَمِ

ذكر ذلك ابنُ حَيَّان ، وقيل إن هذا الشعر لعبد الملك بن عمر بن مروان  
ابن الحكم .

وتوفي حبيب هذا في أيامه ، فشهد جنازته ومعه ستة من ولده ، فلما صلى  
عليه قعد وهو يُوَارَى ، فالتفت عبدُ الرحمن فرأى ولده هشاماً قاعداً ناحيةً  
قد [ ... ] <sup>(١)</sup> في قعوده ، فقال : « ما هذا يا أبا الوليد ؟ أيدفن عُثْمُك وخيرُ  
أهلِ بَيْتِكَ وأنت قاعد ؟ قم واشدد نطق الحزن عليك ، فلن ترى في قومك  
مثل أبي سليمان » ، فقام .

وكان حبيب من الذين يشاورهم في رأيه وإدارته عبدُ الرحمن بن معاوية  
ويُدْنِي مجالسهم منه [ ويضمه ] <sup>(٢)</sup> إلى خاصته من نُقَبَاء دولته وسائر أصحابه  
ومواليه .

\* \* \*

نرجع إلى ذكر الأمراء من غير الهاشمية والأموية على الترتيب كما شرطنا  
في صدر الكتاب :

= عنها ، فجمع أنصاره وثار عليه ، فأرسل إليه عبد الرحمن مولاه تَمَاماً ، فأقنعه بالاستسلام  
دون قتال ، وأتى به قرطبة مع ٤٠٠ من أنصاره دون عهد . فلما التقى بعبد الرحمن عاتبه ، فأغلظ له  
أبوالصباح في الجواب ، فأمر بقتله ، وقتل سنة ١٤٩/٧٦٦ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٥٣/٢ .

(١) بياض بقدر كلمة .

(٢) بياض في الأصل .

## ١٦ - الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ،

### أبو الخطار ( بالراء )

وَلِيَ إمارة الأندلس في سنة خمس وعشرين ومائة ، من قبل حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والى إفريقية لهشام بن عبد الملك ثم للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وكان قد ولي بإفريقية ولايات في إمرة بشر بن صفوان / الكلبي [ ١٨ - ب ]  
أخى حنظلة ، ويقال إن أهل الأندلس الشاميين والبلديين كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والى إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم والياً يجتمعون عليه ، فبعث أبا الخطار هذا ، فأقبل إليهم حتى قدم عليهم ، فأطاعه أهلها واجتمعوا عليه ، ودانت له الأندلس جمعا<sup>(١)</sup> إلى ولاية مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية .

ولم يقدم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبيين على البلد عن دار الإمارة قُرطبة ، إذ كانت لا تحملهم ، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم . وتوسع لهم في البلاد :

فأنزل في كورتي أكنشونة وباجة جند مصر مع البلديين الأول ، وأنزل باقيهم في كورة تدمير ؛

وأنزل في كورتي ثبلة وإشبيلية جند حصص [ مع البلديين ] الأول أيضاً ؛

وأنزل في كورة شذونة والجزيرة جند فلسطين ؛

وأنزل في كورة ربة جند الأردن ؛

## وأنزل في كورة إلبيرة جند دمشق ؛ وأنزل في كورة جَيَّان جند قَنَسَرِين<sup>(١)</sup> ؛

(١) هذه الإشارة تدل على أن الأندلس كان في ذلك الوقت المبكر مقسماً إلى كور محددة واضحة ، وقد ثبت هذا التقسيم كما هو إلى آخر أيام الخلافة ، مما يدل على أنه كان تقسيماً سليماً قائماً على أسس سليمة قديمة ، فلم يحتاج بعد إلى تعديل ، وهذا ما حدانا إلى القول في « فجر الأندلس » بأن العرب وجدوه قائماً ، فأقروه مع تعديلات طفيفة . وهذه الكور التسع هي التي عرفت بالكور المجندة ، وكلها واقعة على الوادي الكبير أو جنوبه أو في مستواه ، وهي تكون معظم جنوب شبه الجزيرة . انظر عن حدودها « صفة الأندلس » للرازي التي لم تبق لنا إلا في ترجمتها البرتغالية والإسبانية ، وقد ترجمها ليثي پروفنسال إلى الفرنسية :

LÉVI-PROVENÇAL, *La Description de L' Espagne de Razi, Al-Andalus*, XVIII (1953) pp. 59. sqq.

وستشير إلى هذه الترجمة دائماً باسم « صفة الأندلس للرازي » .

وقد أوردنا فيما بعد بيان معظم الأعلام الجغرافية الواردة في هذا النص ( انظر فهرس الأعلام ) فيما عدا أكشونية وباجة وتدميرية ، وفيما يلي التعريف بهذه الكور :

أكشُونُوبَة أو أَخْشُونُوبَة ( تكتب خطأ في بعض المراجع أشْكَونُوبَة ) اسم بلدة

رومانية قديمة في الموضع الذي يسميه العرب شَمْسَمَرِيَّة الغرب Santa Maria de Algarve

التي تسمى حالياً فارو Faro جنوبي البرتغال . ويقال إن Ocsonoba الرومانية كانت تقع في الموضع الذي تقوم فيه قرية Milrau في البرتغال التابعة لمركز Estoy . وقد أطلق اسم أكشُونُوبَة في التقسيم الإداري الأندلسي على كورة تحتل الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، من نهر وادي آنة إلى المحيط الأطلسي ( صفة الأندلس للرازي رقم ٥٤ ص ٩١ ) . وورد ذكر هذه الكورة في « التعليق المنتقى » على أنها مدينة ، أي كورة عسكرية ( ص ٢٢ ) ، وفي حالة أكشُونُوبَة تعتبر كورة بحرية عسكرية . وقاعدة هذه الكورة شِلْب Silves في البرتغال الحالية . وستكلم عنها وعن شتمرية الغرب في موضعيهما ( انظر فهرس الأعلام ) .

انظر : دائرة المعارف الإسبانية ، مادتي Ocsonoba و Santa Maria de Algarve ، و « الروض المعطار » مواد : أكشُونُوبَة وشلب ، والترجمة الفرنسية والتعليقات .

باجة ، في البرتغال الحالية ، وتسمى اليوم : بيجا Beja وهي قاعدة مديرية ألينتيجو السفلى Baixo Alentejo ، وتقع على ١٤٠ كيلومترا جنوب شرق الأشبونة ( لِشْبُونَة ،

لِيسْبُونَا ) وكانت في التقسيم الإداري الأندلسي كورة واسعة تشمل مديرية ألينتيجو السفلى الحالية في البرتغال وجزءاً من مديرتي بطليوس وولْبَة Huelva في إسبانيا الحالية .

انظر : صفة الأندلس للرازي رقم ٤٨ و ٤٩ ص ٨٧ - ٨٨ .

وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من المعجم طُعْمَةً .

وبقى العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء منها ، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعةً سكنوا واغتبطوا وتمولوا<sup>(١)</sup> .

= والتعليق المتفق ص ٢١ .

والروض المطار ، رقم ٣٥ ص ٣٦ - ٣٧ .

تُدْمِير: هو الاسم القديم لكورة مُرْسِيَّة نسبت إلى تُدْمِير أو تيودومير حاكم هذه الناحية أيام فتح العرب للأندلس ، والذي عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى احتفظ لنفسه فيها بشيء من الاستقلال (انظر فجر الأندلس ، ص ١١٢) ثم حولها عبد الرحمن الداخل إلى كورة عادية . وكانت قاعدة الكورة بلدة أوريُولَة Orihuela ، فلما اختطت مُرْسِيَّة سنة ٨٣١/٢١٦ أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير يومئذ نقلت القاعدة إليها ، وسميت الكورة كلها كورة مرسية . وقد استبد بأمر مرسية وكورتها الموليان العامريان خيران وزهير بعد انتشار عقد الخلافة ، ثم ضمت الكورة إلى بلنسية ، وانفصلت عنها بعد ذلك . وفي أواخر أيام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل ، وأصبحت تسمى في النصوص الإسبانية باسم مملكة مرسية El Reino de Murcia . وقد خرجت مرسية عن يد المسلمين نهائياً في جمادى الأولى سنة ٦٦٤/فبراير ١٢٦٦ على يد خايمة الأول ملك أرغون الملقب بالفاتح .

انظر :

MARIANO GASPARD REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana* (Zaragoza, 1905).

وفي تعليقاتنا التالية تفصيلات أخرى كثيرة عن تدمير ومرسية . (انظر فهرس الأعلام) رِيَّة ، وتكتب أيضاً رِيَّة وهو الأصح ، يظن أن أصل اسمها Regio أى إقليم . اسم كورة من الكور الصغيرة جنوب الوادي الكبير كانت تضم قواعد كبيرة مثل أرشدونة Archidona ومالقة (انظر صفة الأندلس للرازي ، رقم ٦٩ ص ٩٨ - ٩٩) . وقد ذهب دوزي إلى أن اسم الإقليم كان قبل العرب Malacitana Regio . ولم توجد مدينة باسم رِيَّة ، ولو أن الإصطخرى أخطأ فاعتبرها مدينة ، وذهب ابن خلدون إلى أن رِيَّة اسم للملقة . والثابت - بشهادة ابن القوطية - أن رية اسم كورة عاصمتها أرشدونة . وقد اختفت الكورة في عهد الطوائف ، ولا وجود لها في «التعليق المتفق» .

انظر البحث الطويل عنها في أبحاث دوزي ، ١٠ ص ٣١٧ - ٣٢٤ .

(١) جعلت هذا الخبر في فقرات متميزة للنص على أهميته . وقد نقله ابن الأبار عن أبي =

وطالعا موسى بن نصير وبلج بن بشر هما اللتان تعرفان بالأندلس بالجندين .  
 ثم لم يلبث أبو الخطار — مع مكانه من السداد — أن تعصب لليمانية  
 وفضلهم على المضرية ، فآل به الأمر إلى الخلع والفرار إلى جهة باجة في غرب  
 الأندلس في قصص طويلة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، بعد أربع سنين  
 وتسعة أشهر من ولايته ؛ وقيل : كانت ولايته سنة اثنتين وعشرين . ومن شعره :  
 أَفَأَنْتُمْ بَنِي مِرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءَنَا      وَفِي اللَّهِ — إِنْ لَمْ تُنْصَفُوا — حَكْمٌ عَدْلُ  
 ( ويروى : إباءة بنو مروان ، والأول أولى )

كأنكم لم تشهدوا مَرْجَ رَاهِطٍ      ولم تعلموا مَنْ كَانَ ثَمَّ لَهُ الْفَضْلُ  
 وَقَيْنَاكُمْ حَرًّا الْقَنَا بِنُحُورِنَا      وليس لكم خيل سوانا ولا رَجُلُ  
 / فلما بلغتْ نَيْلَ مَا قَدْ أَرَدْتُمْ      وطاب لكم منا المِشَارِبُ وَالْأَكْلُ  
 [١٩-١] تَعَامَيْتُمْ عَنَا بَعَيْنَ جَلِيَّةٍ      وَأَنْتُمْ كَذَا مَا قَدْ عَلِمْنَا لَهَا فَعُلُ  
 فَلَا تَأْمَنُوا إِنْ دَارَتْ الْحَرْبُ دَوْرَةً      وَزَلَّتْ عَنِ الْمِرْقَاةِ بِالْقَدَمِ النُّعْلُ  
 فَيَنْتَقِضُ الْحَبْلُ الَّذِي قَدْ فَتَلْتُمْ      أَلَا رُبَّمَا يُلَوَّى فَيَنْتَقِضُ الْحَبْلُ

قال أبو الخطار هذا الشعر ، لأن هشام بن عبد الملك ولي عبيدة بن عبد الرحمن  
 — ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين — إفريقية ،  
 وصرف بشر بن حنظلة الكلبي ، فوجدت لذلك اليمانية . ويقال إنه قدم  
 القَيْرَوَانَ — ولم يكن عليها إذ ذاك سور<sup>(١)</sup> — فألقى بشر بن صفوان قد تهيا

= مروان بن حيان كما نقله أيضاً ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق محمد عبد الله عنان ، الجزء  
 الأول ، القاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٩ ، وابن عذاري في البيان المغرب ، ٣٣/٢ . وقد تصرف  
 فيه كل منهم بحسب منهجه في كتابه ، وأعتقد أن الصورة التي أورده فيها ابن الأبار من أصح  
 الصور التي ورد فيها . وقد ناقشنا هذا الموضوع وبسطنا القول فيه في كتابنا « فجر الأندلس » .  
 (١) وردت هذه العبارة التي وضعناها بين شرطين في الهامش بخط مختلف .

شهود الجمعة ولبس ثيابه ، فقيل له : « هذا الأمير قد قدم ! » ، فقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! هكذا تقوم الساعة » ، فما حملته رجلاه . ودخل عبيدة بن عبد الرحمن فجَمَعَ بالناس <sup>(١)</sup> .

وقيل إنه لما تقابع ولاية إفريقية والأندلس من قيس ، قال أبو الخطار هذا الشعر يعرض فيه بيوم مرج راهط ، وما كان من بلاء كَلَبٍ فيه مع مروان ابن الحَكَم ، وقيام القيسية مع الضحاك بن قيس الفهري أمير عبد الله بن الزبير . فلما بلغ الشعر هشام بن عبد الملك سأل عن قائله فأُعْلِمَ أنه رجل من كلب ، وكان هشام قد ولى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي أخا بشر المذكور ، فكتب إليه يأمره أن يولى أبا الخطار الأندلس . وهو الرابع عشر من ولاتها ، ثم ولى بعده ثوبة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري — وكان خلعه بعبد الرحمن بن معاوية . وأنشد الحميدي في تاريخه الشعر ، وقال فيه : « أفادت بنو مروان » ، وقال : « إن لم تمدلوا » ، وقال : « وقيناكم حد القنا بسيوفنا » ؛ وقال في البيت الرابع وما بعده :

فلما رأيتم واقدَ الحرب قد خبا      وطاب لكم فيها المشارب والأكلُ  
تغافلتُمُ عنا كأن لم نكن لكم      صديقا ، وأنتم ما علمت لها فُعلُ  
فلا تعجلوا إن دارت الحربُ دورةً      وزلتُ عن المهواة بالقدمِ النعلُ

/ ولم ينشد البيت الأخير . [ ١٩ - ب ]

وقال أبو الخطار أيضا يخاطب الصميل بن حاتم الكلبي ، رئيسَ المضرية ورأسَ المتعصبين معها على اليمانية في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري :

( ١ ) الخبر وارد بتفصيل في البيان المغرب لابن عذارى ( ٥٠ / ١ ) ونص الفقرة الأخيرة منه هناك : ودخل عبيدة فأخذ عمال بشر وأصحابه فحبسهم وأغرمهم ، وعذب بعضهم . وكان دخول عبيدة بن عبد الرحمن القيروان في ربيع الأول ١١٠ هـ / يونيو ٧٢٨ .  
( م - ٥ )

إِنْ ابْنَ بَكْرٍ كَفَانِي كُلَّ مَعْضَلَةٍ      وَحَطَّ عَنْ غَارِي مَا كَانَ يُؤْذِنِي  
 إِذَا اتَّخَذْتَ صَدِيقًا أَوْ هَمَمْتَ بِهِ      فاعمد لذي حَسَبٍ إِنْ شئتَ أَوْ دِينِ  
 مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِي مَالِي وَفِي وَلَدِي      لَا بَدَّ يَدْرِكُنِي لَوْ كُنْتُ بِالصَّيْنِ<sup>(١)</sup>  
 وَأُنْشِدْ لَهُ الْحَيْدَى :

قُلْتُ ابْنَ حَوَاسٍ يُخَيِّرُ أَنتَى      سَعَيْتُ بِهِ سَعَى أَمْرِي غَيْرِ غَافِلِ  
 قَتَلْتُ بِهِ تَسْمِينَ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ      جَذُوعُ نَخِيلٍ صُرْعَتْ بِالمَسَائِلِ  
 وَلَوْ كَانَتْ المَوْتِ تَبَاعَ اشْتَرَيْتُهُ      بِكُفِّي ، وَمَا اسْتَنْبَيْتُ مِنْهَا أَنَامِلِي

وحكى أبو علي الحسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل في « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » من تأليفه ، أن عبيدة بن عبد الرحمن لما قدم القيروان أخذ عمالَ بشر بن صفوان وأصحابه فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم . وكان فيهم أبو الخطار ، فصنع هذه الأبيات وبعث بها إلى الأبرش الكلبي ، فدخل بها على هشام بن عبد الملك بن مروان فأنشدها ، فغضب هشام . وكان ذلك سبب عزل عبيدة عن إفريقية . قال أبو علي : وهذا الشعر مشهور بالشرق كشهرة بالمغرب ؛ ذكره صاحب « كتاب الخصال » وجاء به بعض المؤلفين في اختياره ، وأتى به أبو الحسن المدائني ، وقال : لما أنشده سعيد بن الوليد الأبرش الكلبي هشام بن عبد الملك غضب وشم عبيدة وقال : « قبح الله ابن النصرانية ! » وعزله .

(١) الأصل ::

ما يقدر الله في مالى لابد يدركني      وفي ولدى لو كنت في الصيْنِ  
 وورد بصورته الصحيحة التي يستقيم بها الوزن في الخامس .



## ١٧ - الصَّمِيلُ بن حاتم بن شَمِرِ بن ذى الجَوْشَن

### الكلابي الضبابي ، أبو جَوْشَن

كان جده شَمِرُ من أشرف عرب الكوفة ، وهو أحد قَتَلَةِ الحسين بن على رضى الله عنهما ، والذي قدم برأسه على يزيد بن معاوية . وقَتَلَ المختارُ بعد ذلك — حين قام ثائراً بقتلِ الحسين — جماعةً منهم ، فهرب شَمِرُ بولده وعياله ولحق بالشام فأقام بها فى عز ومنعة .

وقد قيل إن المختارَ قتلَ شَمِرًا وفرَّ ولده / إلى أن خرج كلثوم بن عياض [ ٢٠ - ١ ]  
القُشَيْرى غازياً إلى المغرب ، فكان الصَّمِيلُ ممن ضُربَ عليه البعثُ فى أشرف أهل الشام ، ودخل الأندلسَ فى طاعة بُلُج بن بشرٍ فلَّ أصحاب كلثوم<sup>(١)</sup> .

( ١ ) كان هشام بن عبد الملك قد ولى كلثوم بن عياض القشيري على إفريقية سنة ١٢٣٪  
٧٤٠ - ٧٤١ بعد عبيد الله بن الحبحاب ليتلافى أمرها بعد انهزام قوات ابن الحبحاب أمام ميسرة المدغرى فى معركة الأشراف وإقدام جند إفريقية على عزله . وقد دخل كلثوم إفريقية فى جيش عدته ثلاثون ألفاً ، يقال إن عشرة آلاف منهم كانوا من صلب بنى أمية ، وعشرين ألفاً من سائر العرب . « وكان مع كلثوم ابن أخيه بلج بن بشر . وقد انهزم هذا الجيش الكبير أمام خالد بن حميد الزناتى رئيس البربر الذى خلف ميسرة المدغرى . وقتل كلثوم بن عياض ومنافسه حبيب بن أبى عبدة وسليمان بن أبى المهاجر ووجوه العرب . فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس ، وهزيمة أهل مصر وإفريقية إلى الأندلس » .

وقد نجا بلج بن بشر من المعركة ولبأ إلى سبتة فتحصن بها من البربر ، وظل هناك مع من معه من العرب حتى ساء حالهم واستجدوا بعبد الملك بن قطن عامل الأندلس ، فأذن لهم بعد أن كادوا يهلكون جوعاً ، واشترط عليهم أن يخرجوا من الأندلس بعد أن يفرغوا من حرب البربر الثائرين عليه فى الأندلس . ولكنهم لم يخرجوا ، وانتهى الأمر بتولى بلج بن بشر أمر الأندلس .

وكان شجاعاً ، نجداً ، جواداً ، كريماً . وهو الذي قام بأمر المضربة في الأندلس عندما أظهر أبو الخطار الحسام بن ضرار السكبي العصبية لليمانية ، إلا أنه كان رجلاً أميناً لا يقرأ ولا يكتب ، وكانت له في قلب الدول وتدير الحروب أخبار مشهورة .

وحكى أبو بكر بن القوطية في تاريخه أنه مر بمعلم يتلو ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ فوقف بينهم ، وكان أميناً لا يقرأ ، ونادى المعلم : « يا هناه ! كذا نزلت هذه الآية ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فأرى والله أن سيشركنا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة » .

وغلب على أمر يوسف بن عبد الرحمن الفهري في ولايته ، وكان معه في حربه لعبد الرحمن بن معاوية بعد أن ولاه مدينة سرفسطة ثم طليطلة ؛ وهو القاتل عندما أغار الطائيون على داره بشقنذة يوم المصارة عند انهزام الفهري واستخلاف عبد الرحمن :

ألا إن مالى عند طيِّ وديعةٍ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ  
سَلُوا يَمَنًا عن فِعْلِ رُحَى ومنصلى فإن سكتوا أننتُ على الوقائعُ  
أنشدها أبو بكر الرازي في تاريخه .

وتوفى الضَّمِيل في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة اثنتين وأربعين ومائة .

## ١٨- الأغلب بن سالم بن عقّال بن خفاجة التميمي ، أبو جعفر

كان ممن سعى في القيام بدعوة بنى العباس مع أبي مسلم وحارب معه [ عبد الله بن ]<sup>(١)</sup> على ، وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار ابن هُبَيْرَة

(١) أكلت العبارة على هذا التحويل يصل السياق . ولم أجد اسم الأغلب بين أنصار أبي مسلم =

وفي قتل أبي مسلم ، ويقال إنه الذي ضربه فأطار يده ، ثم تولى حزر رأسه<sup>(١)</sup> ،  
 ووجهه أبو جعفر المنصور مع محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي إلى قتال البربر .  
 وهو أول [ قدومه إلى ]<sup>(٢)</sup> إفريقية ، وكان عامل مصر ، وذلك في سنة  
 أربع وأربعين ومائة . فخرج في أربعين ألفاً عليهم مائة وثمانية وعشرون فائداً من  
 تحت يد ابن الأشعث ، منهم ثلاثون ألفاً من خراسان وعشرة آلاف من الشام  
 — وقيل ألفان فقط من الشام . وقال المنصور : إن حدث به حدث كان الأغلب  
 أميرهم بعده . فولى طُبْنَةَ / إلى أن خرج ابن الأشعث من القيروان في شهر [ ٢٠-ب ]  
 ربيع الأول سنة ثمان وأربعين — وكان قد بنى سور القيروان — فبعث أبو جعفر  
 إلى الأغلب عهده بولاية القيروان ، فاستقامت له الأمور . ثم اضطربت بعقب  
 ذلك لخروج أبي قرة البربري عليه واشتغاله بحربه ، [ وخرج ]<sup>(٣)</sup> الحسن

الخراساني ورجاله . وقد أورد الطبري ( طبعة المطبعة التجارية ، القاهرة ١٩٣٩ ) ج ٦ ص ٥٣  
 قائمة بأصحاب أبي مسلم وقواده لم أجد من بينهم اسم الأغلب ، ولكني وجدت مقاتل بن حكيم  
 العكي ، وهو أبو محمد بن مقاتل العكي الذي تولى إفريقية قبل إبراهيم بن الأغلب ، فلعل ذلك  
 هو السبب في قول المؤرخين أن الأغلب كان من رجال أبي مسلم . وربما كان من صغار رجاله  
 فلم يذكر ضمن القواد والتقاء .

( ١ ) لا وجود لهذا عند الطبري ، وهو أوسع مرجع لدينا عن قتل أبي مسلم : ١٣٧/٦ .  
 ( ٢ ) عبارة « وهو أول [ ... ] إفريقية » قلقة هنا ، وقد قومنها على هذا النحو للسياق .  
 وعلى أى حال فهناك رواية ابن عذاري في هذا الموضع ، ويبدو أنه يأخذ من نفس المرجع الذي  
 يعتمد عليه ابن الأبار هنا : « ذكر ولاية محمد بن الأشعث الخزاعي على إفريقية : لما غلبت  
 الصفريّة على إفريقية بعد أن قتلته ورفجومة من قتلته من قرش وغيرهم ، خرج جماعة من  
 عربها إلى المنصور يستنصرون به على البربر ، ويصفون له ما نالهم منهم . فولى أبو جعفر  
 ابن الأشعث مصر ، فوجه أبا الأحوص ، فهزمته البربر ، كما تقدم ، فكتب أبو جعفر  
 إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه ، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألف . الخ » .

البيان ٧٢/١ ( وكان ذلك سنة ١٤٤/٧٦١ - ٧٦٢ ) .

( ٣ ) أضفت هذه الكلمة للسياق .

ابن حرب الكندي عليه ، وخاطب القواد مَضْرِيًّا<sup>(١)</sup> فلحق به منهم جماعة وهو بتونس ، فأقبل إلى القيروان فدخلها . وبلغ الخبرُ الأغلبَ فأقبل في عدة يسيرة من أطاعه ، وكتب إلى الحسن :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عني مقالا يسير به إلى الحسن بن حرب  
فإنَّ التَّبَنَّى أبعدُهُ وبالَّ عليك وقربه لك شر قرب  
فإن لم تدعني لتتالَ سَلَمًا وعفوى فادنُ من طعني وضربي<sup>(٢)</sup>  
فقصده الحسنُ الأغلبُ ، فاقتتلوا قتالا شديداً انهزم الحسنُ عنه وكرَّ راجعاً  
إلى تونس ، ودخل الأغلبُ القيروان . ثم زحف الحسنُ إليه ثانيةً ، وخرج  
الأغلبُ من « باب أضرَم »<sup>(٣)</sup> فتواقف الفريقان ، فبرز الأغلب وقال :

(١) الأصل : مضرباً ، وقد صوبتها هكذا للسياق ، وكذلك فعل مولر . وإليك توضيحاً  
لهذه الأحداث نقلاً عن ابن عذارى (البيان : ٧٤/١) :  
« وفي سنة ١٥٠ ثار الحسن بن حرب الكندي بالقيروان على الأغلب بن سالم ، وسبب  
ذلك أن أبا قرّة الصفري خرج في جمع كبير من البربر ، فسار إليه الأغلب في عامة القواد الذين  
معه ، وخلف على القيروان سالم بن سودة . فلما علم أبو قرّة أن الأغلب قُرب منه هرب ، وتفرق  
أصحابه ، وقدم الأغلب الزاب ، وعزم على الرحيل منه إلى تلمسان ، قاعدة زناتة ، ثم إلى  
طنجة . ففكره الجندُ المسير معه ، وقالوا : « قد هرب أبو قرّة الذي خرجنا إليه » وجعلوا  
يتسللون عنه إلى القيروان ، فلم يبق معه إلا نفر يسير من وجوهم . وكان الحسن بن حرب  
بتونس ، فلما خرج الأغلب يريد أبا قرّة ، كاتبَ جميعَ القواد ، فلحق به بعضهم ، وأقبل معهم  
إلى القيروان ، فدخلها ، وأخذ سالم بن سودة عاملها ، فحبسه . وبلغ الخبرُ الأغلبَ ، فأقبل  
في عدة يسيرة ، وكتب إليه يعرفه بفضل الطاعة ووبال المعصية ، فأعاد الجوابَ إلى الأغلب ،  
وفي آخره :

ألا قولوا لأغلبَ غيرَ سوءٍ مغفلةً عن الحسن بن حرب  
بأن البغي مرتعه وخيم عليك ، وقربه لك شر قرب  
فإن لم تشن لتتال سلمى وعفوى ، فادن من طعني وضربي

(٢) واضح أن الأبيات الواردة في الهامش السابق رد على هذه الأبيات . ويلاحظ القارئ  
تشابه شعر الأغلب وشعر الحسن بن حرب على هاتين الروايتين . والحقيقة أن ابن عذارى أخطأ  
فجعل أبيات ابن الأغلب للحسن بن حرب ، أما أبيات هذا فرد في ترجمته التالية .  
(٣) من أبواب القيروان المعروفة .

أغدو إلى الله بأمره يرّضاه [ لا خير في ... .. ]  
 إن يهَوِّنِي الموتُ ، فإنِّي أهواه كلُّ امرئٍ يلقى يوماً [ ... ]<sup>(١)</sup>  
 ثم شدَّ على الميمنة في أحجابه ، فكشفها ، وانصرف إلى موقفه وهو يقول :  
 أضربُ في القومِ ، ومثلي يضربُ فإن [ يكن حرباً ] فإنِّي الأغلبُ  
 لا أجزعُ اليومَ ولا أكذبُ<sup>(٢)</sup>

ثم شدَّ على الميسرة ، ففعل مثلَ فعله في الميمنة ، وانصرف وهو يقول :  
 لم يبقَ إلا القلبُ أو أموتُ إن تَحُمَّ لي الحربُ فقد حَمِيتُ  
 وإن تولَّيتُ فما بَقِيتُ  
 ثم حمل على القلب ، فلم يُثْنِ حَذُّه ، حتى قُتلَ بسهم رُمي به ، وذلك  
 في شعبان سنة خمس ومائة .

وبلغ المنصور موته فقال : « إن سيفي بالمغرب قد انقطع ، فإن دفع الله عن  
 المغرب بريح دولتنا وإلا فلا مغرب » . وقال الحكم بن ثابت السعدي من ولد  
 سلامة بن جندل يرثي الأغلب :

القد أفسد الموتُ الحياةَ بأغلبِ      غداةَ غدا للموتِ في الحربِ مُعلِماً  
 / تبدَّتْ له أم المنايا فأقصدتُ      [فتى حين] يلقى الموتَ في الحربِ صَمَمًا<sup>(٣)</sup> [ ٢١-١ ]  
 أخا غزواتٍ ما تزال جِيادُهُ      تُصَبِّحُ عنه غارةٌ حيث يَمَّا  
 أنته المنايا في القنا فاخترمنهُ      وغادرته في مُلتقى الخيلِ مسلماً  
 كأن على أثوابه من دمائه      عبيطاً ، وبالحذَيْنِ والنَّحْرِ عَنَدَمَا  
 فباتَ شهيداً نال أكرمَ ميتةٍ      ولم يَبْنِجْ عُمرًا أن يطول ويسقما

( ١ ) وردت هذه الأبيات في سياق الثَّر ، ولم ينتبه الناسخ إلى أنها شعر .  
 ( ٢ ) الشطر الأخير من هذا الرجز مكسور . وقد أضفت ما بين حاصرتين في الشطر  
 الثاني للسياق والوزن ، وظاهر أنه يخاطب الحسن بن حرب ، ومن هنا أخذت عبارة « يكن حرباً » .  
 ( ٣ ) ورد الشطر فاقصا في الأصل فأكلته بما يقيم الوزن .

## ١٩ - الحسن بن حرب الكندي

كان بتونس ، فقام على الأغلب بن سالم — حسبما تقدم خبره — وخالفه وسار إلى القيروان فلم يدفعه أحد عنها حتى دخلها . وبلغ أبا جعفر المنصور تنازعهما ، فكتب إلى الحسن بن حرب يحضه على الطاعة . وكان من كبار القواد وأبطال الفرسان بإفريقية ؛ وهو القائل يجيب الأغلب عن أبياته المذكورة قبل :

ألا قولاً لأغلبَ غيرَ سِرٍّ مُغلَغَةٍ عن الحسن بن حربِ  
بأنَّ الموتَ بينكمُ وبينى وكأسُ الموتِ أكره كلَّ شربِ  
رويدكمُ ، فيومكمُ ويومى — وإن بعدا — مصيرها لقربِ

ثم تقاتلا بعد ذلك ، فقتل الأغلبُ وصاح صائح : « مات الأمير ! » . وكان سالم بن سودة التميمي في الميمنة ، وهو ابن عم الأغلب ، فقال : « لا أنظر إلى الدنيا بعد اليوم » . ووقع في عسكر الحسن الصياح : « مات الأمير ! » فظن أن الحسن هو المقتول ، فولوا منهزمين ، وركبهم سالمُ بن سودة والمخارق بن غفار الطائي بالسيف ، فقتل من أصحاب الحسن مقتلة عظيمة ، واتبع هو فقتل بتونس . ويقال إنه أتوا به مقتولا إلى القيروان ، فصلبه المخارق يوم السبت آخر يوم من شعبان سنة خمسين ومائة .

٢٠ - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة

الأزدى العتكي ، أبو خالد

ولى إفريقية في خلافة أبي جعفر المنصور ، فأصلحها ورتب أمر القَيْرَوانِ .

وجدد أمر المسجد / الجامع . وكان غايةً في الجود مُدَّحًا ، كثيرَ الشبه بجده [٢١-ب] المَهْلَب في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه ، خاصًا بأبي جعفر المنصور ، وكان لا يُحِبُّ عنه . وولّى ولاياتٍ كثيرةً قبل قدومه إلى المغرب ، منها : أرمينية ، والسُّند ، ومصر ، وأذربيجان وغير ذلك .

وقدم إفريقيةً من مصر — وكان واليًا عليها — في ذى الحجة سنة أربع وأربعين ومائة إلى سنة اثنتين وخمسين <sup>(١)</sup> . وحُكي عنه [ أنه ] قال : لما ولاني أبو جعفر دخلتُ عليه فقال لي : « يا [ أبا ] خالد ، بادر النيل قبل خروج الرايات الصُّفَر وأصحاب الدواب البُتْر » <sup>(٢)</sup> .

(١) تولى يزيد بن حاتم مصر من يوم الاثنين ١٥ ذى قعدة ١٧٤/١٧ مارس ٧٦٢ إلى يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ٣/١٥٢ مايو ٧٧٠ .

انظر : أبو المحاسن بن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ( طبعة دار الكتب بالقاهرة ) ج ٢ ( ١٩٣٠ ) ص ١ وما يليها .

(٢) المراد بهذه الإشارة هنا العلويون ، وكان أبو جعفر المنصور مهمومًا بأمرهم خلافته كلها ، وعلى رغم ما أنزل بهم من مقاتل وبأنصارهم من أذى وتعذيب فقد ظل متخوفًا منهم إلى آخر أيامه . وكان أنصار العلويين في مصر كثيرين ، فكان المنصور يخشى أن يثبوا بها ، فبادر إلى عزل حميد بن قحطبة وأرسل يزيد بن حاتم ، وكان من أقدر ولاته وأقرهم إلى نفسه . وقد كان أبو جعفر محققًا في تخوفه ، فحزن نقرأ عند أبي المحاسن : « وفي أيام يزيد بن حاتم المذكور ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن علي بن أبي طالب ، وتكلم بها الناس ، وباع الكثير منهم لبنى الحسن في الباطن ، وماجت الناس بمصر ، وكاد أمر بنى الحسن أن يتم ، والبيعة كانت باسم علي بن محمد بن عبد الله ( بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وعلى هذا هو ابن محمد النفس الزكية الذي قتله المنصور في المدينة وأخاه إبراهيم في البصرة سنة ١٤٥ ) .

وبينما الناس في ذلك قدم البريد برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، فنصب في المسجد أياما » . ( أبو المحاسن ٢/٨٠ - ٢ ) .

وقد بلغ من خوف يزيد بن حاتم من دعاة العلوية أن منع أهل مصر من الحج سنة ١٤٥ هـ . ولم يوفق يزيد بن حاتم في القضاء على دعوة العلوية في مصر ، فعزله المنصور سنة ١٥٢ وأقام مكانه عبد الله بن عبد الرحمن حفيد معاوية بن حديج زعيم العثمانية في مصر وعدو علي بن أبي طالب أثناء الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان .

ثم استقدمه — بعد أن قُتل عمر بن حفص المهلب — فولاه إفريقية والمغرب وشيخه إلى فلسطين ، فحسده الأمراء والرؤساء . وكان المنصور يقول : « ما أخطأت في شيء من تدبيري إلا في ثلاثة أشياء : تشييع يزيد بن حاتم . . أرايت لو نكث ، أكان يحسن بي أن أرجع ، أو كان يحسن بي أن ألقى الجيش بنفسى ؟ ويوم الراوندية <sup>(١)</sup> وقوفى على باب الذهب . . أرايت لو أن رجلا رماني بسهم ، أليس دمي كان يذهب ضياعاً ؟ وقتلى أبا مسلم وأنا في الخرق <sup>(٢)</sup> ، ومعه أهل خراسان ثلاثون ألفاً يعبدونه من دون الله » .

وفي يزيد هذا يقول ربعية بن ثابت الرقي من بني أسد — وقد وفد عليه — أياته السائرة في الناس إلى اليوم :

لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى      يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَغَرُّ بْنُ حَاتِمٍ  
يَزِيدُ سُلَيْمٌ سَالِمٌ لِلْمَالِ ، وَالْفَتَى      أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمٍ  
فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ لِمِثْلِ مَالِهِ      وَهُمْ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ  
فَلَا يَحْسِبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ      وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ  
يَرِيدُ بِالتَّمَتُّامِ — وَهُوَ الْمُتَرَدِّدُ فِي النَّاءِ — يَزِيدَ بْنَ أَسِيدِ السَّلْمِيِّ . سَمَاءُ الْمُبَرَّدِ ، وَهِيَ مِنْ قَصِيدَةِ حَسَنَةِ يَقُولُ فِيهَا :

أَبَا خَالِدٍ أَنْتَ الْمَنُوءَةُ بِاسْمِهِ      إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ لِإِحْدَى الْعِظَامِ  
كَفَيْتَ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلَّ عَظِيمَةٍ      وَكُنْتَ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ مَزَاحِمِ

(١) الراوندية جماعة من شيعة فارس ينسبون إلى راوندقرب أصفهان ، أسرفوا في تشييعهم لعل بن أبي طالب حتى قالوا إن الروح التي كانت في عيسى بن مريم حلت فيه ، ودعوا إلى تأليه الأئمة ، وذهبت جماعة منهم إلى عبادة أبي جعفر المنصور ، وقد حاربهم المنصور وقتل منهم كثيرين وحبس كثيرين أيضاً في سجون بغداد ، فاجتمعوا في السجن وكسروا أبوابه ، وخرجوا واتجهوا إلى قصر المنصور ، فخرج إليهم بنفسه ، فتكاثروا عليه ، وكادوا يقتلونه لولا أن أنقذه من بن زائدة الشيباني . وقد كافأه المنصور على ذلك بولاية اليمن . وإلى يومه هذا مع الراوندية يشير هنا . (راجع الطبري ، ج ٦ ص ٣٠٧ وما بعدها)

(٢) أي وأنا في وقت ثورة واضطراب .



ويقال إن ربيعة لما مدحه بهذه القصيدة استبطأ برّه وصَلَّته فقال :

/ أَرَانِي — وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ — رَاجِعًا      بَخْفَى حُنَيْنٍ مِنْ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ [ ٢٢-١ ]

فبلغ ذلك يزيد ، فدعا به وقال : « انزعوا خفيه » ، فنزعاه وهو خائف من عقوبته على ذكره خفي حنين ، فلأها له دراهم ودنانير — وكانا كبيرين كأخفاف الجند — ثم وصله بعد ذلك بصلاتٍ جزيلة . وهذه القصة <sup>(١)</sup> شبيهة بقصة أبي العتاهية مع عمر بن العلاء <sup>(٢)</sup> حين امتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَبِّهِ      لَمَّا عَلِمْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالًا  
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ      لَخَذُوا لَهُ حُرًّا الْخُدُودِ نَعَالًا  
مَا كَانَ هَذَا الْجُودُ حَتَّى كُنْتُ يَا      عَمْرُ ، وَلَوْ يَوْمًا تَزُولُ لَزَالًا  
إِنَّ الطَّايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا      قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاسِبًا وَرَمَالًا  
فَإِذَا وَرَدَنْ بَنَّا وَرَدَنْ مُخَفَّةً      وَإِذَا صَدَرَنْ بَنَّا صَدَرَنْ ثِقَالًا  
فتأخر عنه برّه قليلا ، فكتب إليه يستبطئه :

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودُكَ الْعَيْنُ يَا عَمْرُ      وَعَزَّ لِمَا نَبَغَى التَّمَائِمُ وَالنَّشْرُ  
سَنَرِيكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمْلَهَا      فَإِنْ لَمْ تُفَقِّ مِنْهَا رَقِيْمَاكَ بِالسَّوَرِ  
وقال أيضا :

يَا ابْنَ الْعَلَاءِ وَيَا ابْنَ الْقَرَمِ مِرْدَاسٍ      إِنِّي لِأَطْرِيكَ فِي صَحْبِي وَجُلَاسِي  
أُنْتَنِي عَلَيْكَ — وَلِيْ حَالُ تَكْذُوبِي      فِيمَا أَقُولُ — فَاسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ  
حَتَّى إِذَا قِيلَ : مَا أَعْطَاكَ مِنْ صَدَدٍ ؟      طَاطَأْتُ ، مِنْ سُوءِ حَالِي عِنْدَهَا ، رَامِي  
فَأَمْرَ حَاجِبِهِ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ الْمَالَ ، وَقَالَ : « لَا تَدْخُلْهُ عَلَيَّ فَإِنِّي أَسْتَحْيِي مِنْهُ » .  
وروى أنه وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فحسدته الشعراء وقالوا : « لنا بيباب

( ١ ) الأصل : القصيدة .

( ٢ ) هو عمر بن العلاء ، معتوق عمرو بن حريث ( انظر : الأغاني : ٤٤/٣ و ١٣٧ )

الأمير أعوام نخدم الآمال ما وصلنا إلى بعض هذا » ، فاتصل ذلك به فأمر بإحضارهم وقال : « قد بلغني الذي قلتكم . وإن أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبب فيها ، فلا يصل إلى المدح حتى تذهب لذة حلاوته ورائق طلاوته . وإن أبا العتاهية أتى فشبب / بأبيات بسيرة ، ثم قال : إن المطايا تشتمكيك » ، وأنشد الأبيات . [ ٢٢ - ب ]

ومن شعر يزيد بن حاتم :

ما يألف الدرهم المضروب خِرْقَتَنَا إِلَّا لَمَامًا قَلِيلًا ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ  
يَمُرُّ مَرًّا عَلَيْهَا وَهِيَ تَلْفِظُهُ إِنْ أَمْرُوهُ لَمْ يُحَالِفْ خِرْقَتِي الْوَرِقُ<sup>(١)</sup>  
وتوفي في شهر رمضان سنة سبعين ومائة .

## ٢١ - الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب<sup>(٢)</sup>

ولاه الرشيد إفريقية ، فقدم على القيروان في الحرم سنة سبع وسبعين ومائة ، ويقال إنه لم يَلِ إفريقية أبجل منه ومن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب .

( ١ ) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيان المغرب لابن عذارى ( ١ / ٨١ )

( ٢ ) هذا خامس رجل من آل المهلب يتولى أمر إفريقية للعباسيين . والحقيقة أنه منذ قتل الأغلب بن سالم بن عقّال في سنة ١٤٨ / ٧٦٥ إلى ولاية ابنه إبراهيم سنة ١٨٤ / ٨٠٠ ، أي إلى بدء الدولة الأغلبية ، كانت إفريقية في يد رجال من بيت المهلب بن أبي صفرة فيما عدا فترات قصيرة جداً . وهذا البيت الذي تولى مصائر إفريقية خلال أعصب فترة مرت بتاريخها قبل الأغلبة جدير بدراسة وحده ، فقد كان رجاله عرباً خالصاً تتمثل فيهم صفات العرب الأولى في أجلى صورها . كانوا شجعاناً كرماء ذوي ثبات وحزم وعزم ، وكانوا إلى جانب ذلك - وتلك هي الناحية السلبية من خلقهم - متهاونين لا ينظرون إلى بعيد ، ولا يفكرون في خطة بعيدة المدى لتلافى الأخطار التي أحاطت بإفريقية على أيامهم ، إنما كانوا ينتظرون حتى تشتد الأزمة ويعظم الخطر فيهبون لدفعه في بسالة وعزم وذكاء وحيلة ، ولم تكن تلك هي السياسة =

واستعمل على تونس المغيرة بن بشر بن روح ابن أخيه ، وكانت تونس نظيرة القيروان حتى إن أبا جعفر المنصور كان يقول : « ما فعلت إحدى القيروانين ؟ » ، يعني تونس .

وكان المغيرة غريباً لا تجربة له بالأمر ولا معرفة بتصاريفها ، فاستخف بالجنود وسار فيهم بما أنكروه ، فكتبوا إلى الفضل بذلك فلم يعزله عنهم ، فقدّموا — في قصة طويلة — عبد الله بن الجارود العبدي<sup>(١)</sup> وأخرجوا المغيرة .

وكتب ابن الجارود إلى الفضل : « إلى الأمير الفضل بن روح من عبد الله ابن الجارود . أما بعد ، فإننا لم نُخرج المغيرة إخراجاً خلافٍ عن الطاعة ، ولكن لأحداث فيها فساد الدولة . فوكلّ علينا من رضاه ، وإلا نظرنا لأنفسنا . ووأسنا بالأسلاف<sup>(٢)</sup> كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك ، وإلا فلا طاعة لك علينا » . وكتب في أسفل الكتاب :

= الكفيلة بتأمين بلد استعرب أهله وأيقظ الإسلام فيهم وعياً بعيد المدى حفزهم على طلب الحكم والرغبة في الاستئثار به وإقامة دول عربية مستقلة . وقد قام تفكير الكثيرين منهم على مبادئ الإباضية ، وهي دعوة خارجية سياسية ترمي إلى إنكار حق الاستئثار بالحكم والخلافة على بيت معين ، وتجعل الحكم ولاية يتولاها الأصلح بتراضى المسلمين ، وتدعو من ناحية أخرى إلى التعاون والتآخي بين أفراد الجماعة الواحدة . ولم يبرز عما الإباضية على هذه المبادئ ، وإن كان أتباعها قد طبقوها فيما بينهم وأنشأوا جماعات عربية إسلامية من التجار والزراع والصناع ، كما نرى عند إباضية جربة . وكان من الطبيعي ألا يستطيع ولاية بنى العباس من آل المهلب الثبات طويلاً أمام جماعات الإباضيين ، وكان أكبر ما أضعف الولاة حرص خلفاء بنى العباس على تقصير مدد ولائهم خوفاً من وثوبهم . وقد تبين بنو العباس خطأهم في ذلك ، وانتهوا إلى ترك إفريقية في يد إبراهيم بن الأغلب وأولاده تحت طاعتهم ، وبهذا بدأ عصر جديد في التاريخ السياسي لإفريقية الإسلامية .

(١) هو عبد الله بن الجارود بن عبدي . وقد وهم ناشر ابن عذارى فجعله عبد ربه .

(٢) الأسلاف هنا مصطلح خاص لم أجده له تعريفاً فيما بين يدي من المراجع ، ولكني فهمت من التفصيل الطويل الذي يقدمه النويري عما وقع بين الفضل بن روح وعبد الله بن الجارود بن عبدي أن الأسلاف كاذت معاونات مالية يرسلها الولاة إلى الظاهرين من أهل النواحي =

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ الْفَضْلِ بْنِ رُوحٍ      وَصِدْقُ الْقَوْلِ زَيْنُ الرِّجَالِ  
بَأَنْكَ حَيْفٍ وَلَيْتَ ابْنَ بَشِيرٍ      عَلَيْنَا غَيْرُ مَحْمُودِ الْفِعَالِ  
فَوَلِّ سِوَاهُ أَوْ كُنْ رَهْنَ حَرْبٍ      تَغْصُّ بِهَا عَلَى الْمَاءِ الزَّلَالِ  
وَأِنْ لَمْ تَعْطِنَا الْأَسْلَافَ طَوْعًا      أُجِبْتَ لَهَا بِكَرِّهِ بِالْعَوَالِي<sup>(١)</sup>  
فَأَجَابَ الْفَضْلُ عَنْ ذَلِكَ يَرْمِيهِمْ بِالْخِلَافِ ، وَيُؤَسِّسُهُمْ مِنَ الْأَسْلَافِ ،  
وَكَتَبَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ :

[ ٢٣ - ١ ] / أَتَانِي عَنْكَ مَا سَتَنَالُ مِنْهُ      وَبِأَلَّا إِنْ عَصَيْتَ عَلَى الْعِقَالِ  
فَإِنْ تَرَجَعْتُ تَنْلُ سَلَامًا وَأَمْنًا      وَإِنْ تَجْمَعُ فَلَسْتَ بِمُسْتَقَالِ  
وَإِنَّ لِمَنْ أَطَاعَ عَلَيْكَ فَضْلًا      كَفَضْلِ يَدِ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ  
وَلَسْتَ بِمَدْرِكِ الْأَسْلَافِ حَتَّى      تَنَاقَلَهُنَّ قَدَرًا بِالْعَوَالِي

ثم بعث عبد الله بن يزيد المهلبى والياً وضم إليه كثيراً من أصحابه . فأخرج  
ابن الجارود جماعة يختبرون ما قدّموا له ، ونهاهم عن الحرب . فلقوهم بسبخة  
تونس فقتل عبد الله — فى خبر يطول ذكره — وأسر القواد الذين معه . وأدى  
ذلك إلى محاربة الفضل بالقيروان ، فغلب عليها فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين .

ـ ورؤساء جماعاتها ليظلوا إلى جانب الولاة فى صراعهم مع الثائرين عليهم . وقد قطعها الفضل بن حاتم  
وواليه على تونس المغيرة بن بشر بن روح ، وهو ابن أخى الفضل .

انظر : التنويرى ، نهاية الأرب ، الجزءان الخاصان بإفريقية والأندلس ، نشرهما ماريانو  
جاسپار ريميرى فى :

*Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino.*  
*Granada.*

ابتداءً من العدد الرابع ( المجلد الخامس ) سنة ١٩١٥ . والقطعة الخاصة بالحوادث التى نشير إليها  
واردة فى العدد الثانى من المجلد السابع ( سنة ١٩١٧ ) ص ١٢٧ - ١٤١ .

ونشير إلى هذا المرجع من الآن فصاعداً بعبارة : نهاية الأرب للتنويرى .  
( ١ ) الأصل : بالعوالى . والعوالى هى السيوف .

ومائة ، وسُيِّرَ في أهل بيته ، ثم استُرجِعَ من طريقه وهو متوجه إلى قابس ،  
فحبس مع رَجُلَيْنِ من أصحابه ، ثم دخل عليه الجند فقتلوه في محبسه . ومن  
شعر الفضل :

ومارستُ هذا الدهرَ خمسين حجةً      ونصفاً أُرَجِّى قابلاً بعدَ قابلٍ  
فلا أنا في الدنيا باغتُ جسيمها      ولا في الذى أهوى كدحتُ بطائلٍ  
وقد أثمرتُ فينا المنايا أكفها      وأيقنتُ أنى رهنُ موتٍ مُعاجلٍ

## ٢٢ — سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبى

لما عَظُمَ على الفضل بن روح أمرُ ابنِ الجارود وخروجه عليه بتونس وزحفه  
إليه ، جمع أهل بيته وقال : « ماترون في هذا الأمر الذى لا يُخْصِنِي دونكم ؟ »  
فكثرت الآراء ، فقال ابن عمه سعيد : « أطعنى اليومَ واعصنى فيما يستأنف .  
سُدَّ أبوابَ المدينة كلها إلا باباً واحداً ، ونُدخل ما يحتاج إليه الحصارُ سنةً .  
فوالله لسكأنى أنظرُ — إن لم تفعلْ ذلك — قد دُخِلَ عليك من آمَنها  
عندك » . وقال في ذلك يخاطب الفضل :

أرى الحربَ قد مدتْ إلينا بساقِها      وقلبك يقظانٌ شبيهٌ بناثمٍ  
فخذْ لِنَهْودِ الحربِ أهبةً يومها      وشمراً لها الأذبالَ قبلَ التنادمِ  
/ فإن كفت تحمى الغربَ فاشدْ لها القوى      تنلْ ظفراً ، أو تلقَ موتَ الأكارمِ [٢٢-هـ]  
فليس يُريدُ القومُ إلا نفوسنا      أو النَّفَى عنها يا ابنَ روحِ بن حاتمٍ

وقال أيضا :

ألا قلْ لفضلٍ إنَّني لك ناصحٌ فلا تسمعنْ مما يُشيرُ ابنُ واقدٍ<sup>(١)</sup>  
فإنك إن تسمعْ لأقواله تعدُّ إلى أسدٍ في كُتْبَةِ الخيلِ لا يدُ  
ستذكرُ قولي حينَ ليس بِنافعٍ إذا شَمَّتِ الأرماحُ نحرَ القلائدِ  
نخاله الفضلُ فكان ما تقدم من أمره .

### ٢٣ — أخوه عبد الله بن يزيد بن حاتم

كان مع ابن عمه الفضل بن روح بن حاتم في حروبه بإفريقية ، ثم قُرفَ  
عنده بمائة عدوه الخارج عليه ابن الجارود المعروف بعبُدويه ، ففعل صدرُ  
الفضل عليه حتى كتب إليه :

أرى السُّنَّ الحسادِ فيك كأنها سهامٌ تهوى من قسيِّ نِصالِ

(١) لم أستطع التعرف على ابن واقد هذا ، ولكن يغلب على ظني أن المراد به محمد بن يزيد  
الفارسي ، وكان أول الأمر من رجال الفضل بن روح بن حاتم ، وكان سعيد بن يزيد بن حاتم  
يشك فيه ويحذر عمه الفضل منه . وقد كان اختلاف آراء رجال الفضل سبب ضياع أمره ، وقد  
أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله بعد أن ذكر القتال الأول بين الفضل وابن الجارود وحصار  
هذا الأخير للقيروان : « فاجتمع الفضل مع بني عمه وخاصته ، وتشاور معهم في أمره فاضطرب  
الأمر عليه ، ولم يصح له أمر » . وقد انتهى الأمر بدخول ابن الجارود القيروان واستيلائه على  
الأمر ، ثم أخرج الفضل وأصحابه في حراسة نفر من رجاله ليخرجوه من حدود إفريقية .  
ولكن ابن الجارود قتله بعد ذلك في شعبان سنة ١٧٨ / أكتوبر ٧٩٤ ( ابن عذارى : ١ / ٨٨ -  
٨٩ ) . وقبيل قتله حاول محمد بن يزيد الفارسي ( وأظن أنه ابن واقد ) الدفاع عن نفسه ،  
وأشار على رجال ابن الجارود ألا يقتلوه ، فلم يسمعوا له . ( التويري ١٢٧ - ١٢٩ ) .

يقولون قد كاتب عبدوي<sup>(١)</sup> في التي إذا نالها أولئك شر وبال  
وقالوا وعدت القوم عند لقاءهم رجوعاً عن الهيجا بغير قتال  
وليس الذي منك عبدوي كأننا فدعاه ولا تركن لقول ضلال  
ألا إني لم أمس فيك مصدقاً لأقوالهم ، والصدق خير مقال  
فلما وردت الأبيات على عبد الله علم أنه اتهمه ، فأجابه بقوله :

لعمرك لولا ما اتهمت لما أتت قوارض أدهن شر مقال  
أظن ابن روح أني كنت قاطعاً يميني التي أسطو بها بشمال<sup>(٢)</sup>  
وهبني تناولت التي كنت خفتها فكيف اعتذارى فيك بعد فعلى<sup>(٣)</sup>  
فلا تحسبني مسلماً إن لقيتهم لأسياهم ظهري بغير قتال

فقال الفضل عند قراءة جوابه : « لو كان حسادنا يتركون البغي على حال  
لتركوه على مثل حالنا هذه » . ثم أخرجه إلى قتال عبدوي بن الجارود فهزمه  
عبد الله بن يزيد ، ثم عاوده الحرب فهزمه عبدوي / وانصرف عبد الله إلى [ ١-٢٤ ]

(١) المراد هنا عبد الله بن الجارود بن عبدوي الذي أشرنا إليه ، وقد كان عدو الفضل  
ابن روح وزعيم الخارجين عليه ، وتمكن من قتله وإخراج بقية بني المهلب من إفريقية وتولاها  
سبعة أشهر انتهت في ربيع الآخر سنة ١٧٩ / يونيو ٧٩٥ بقدوم هرثة بن أعين أميراً على  
إفريقية من قبل الرشيد . وقد قص النويري أعمال ابن الجارود إلى خروجه من إفريقية بتفضيل  
(١٢٧ - ١٣١) .

هذا وضبط اسم عبدوي على هذه الصورة في شعر الفضل وابن عمه عبد الله يدل دلالة  
واضحة على أن الاسم كان ينطق عبدوي متباعدة للنطق الفارسي ، لا عبدوي كما تعودنا أن نقرأ .  
وهذا يؤيد ما ذهب إليه المستشرق إينو ليتان من أن الأسماء التي تنتهي بـ « ويه » مثل سيويه - ينبغي أن  
تنطق سيويه ونفطويه وخالويه . وهكذا كان العرب ينطقونها كما ترى في هذا الشعر .  
(٢) في الأصل : بشمال .  
(٣) في الأصل : بفعل .

القيروان مفلولاً ، فكان مع ابن عمه الفضل إلى أن تكَلَّب عليه ابنُ الجارود ، ثم قتله بعد أن استرجعه من طريقه ، وأطلق عبد الله بن يزيد وأمره وأخاه المهبب بن يزيد ونصر بن حبيب وجماعتهم بالتجهز والخروج من إفريقية ، فخرجوا إلى المشرق .

## ٢٤ — سليمان بن حميد الغافقي ، أبو داوود<sup>(١)</sup>

فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره ، وأحسن الناس لساناً ، وأبلغهم إلى معرفة أيام العرب وأخبارها ، ورواية لوقائعها وأشعارها ، مع دعاية كانت فيه وعبث لا يدعه ؛ فحملت عنه في ذلك نوادر مستطرفة وحكايات مستملحة .

وخافه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري فسجنه وأخاه محمداً ، ولم يكن بدونه . وكان محمد — وهو أكبر من سليمان — والياً على الأربُس ، فثار على عبد الرحمن بن حبيب . وسرحهما إلياس بن حبيب — حين قتل أخاه عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> — وولى إفريقية بعده ، واستعان بهما في ذلك وعاش

(١) فرغ ابن الأبار بعد الترجمة لعبد الله بن يزيد بن حاتم من أمراء العصر الأول في المغرب والأندلس الذين روى لهم شعر ، وبدأ بعد ذلك بالترجمة لمن عاصروهم من وجوه الناس ، من أثر عنه شعر ، وبدأ بسليمان بن حميد الغافقي هذا ، وكان معاصراً لعبد الرحمن بن حبيب الذي سنتحدث عنه في التعليق التالي .

(٢) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري مغامر كبير قضى عمره كله في طلب الولاية والفتن والقلائل في الأندلس والمغرب . وقد ظهر أمره بعد مقتل كلثوم ابن عياض القشيري في معركة حامية دارت بينه وبين خالد بن حميد الزناتي خليفة ميسرة المدغرى ، وأنصارها من الإباضيين والصُفريين ، وكان أبوه حبيب بن أبي عبيدة يتولى قتال خالد بن حميد الزناتي قبل أن يأتي كلثوم ويتولى القيادة دونه ، فتم حبيب بن أبي عبيدة واختلف مع كلثوم ابن عياض القشيري ، وكانت النتيجة انهزام كلثوم ومقتله وفراق حبيب بن أبي عبيدة إلى =



سليمان [ ... ]<sup>(١)</sup> يزيد بن حاتم المهلبى فقصدا قسْطِيلِيَّة . وهو القاتل في يوم أبى زرجونة<sup>(٢)</sup> :

وما إن صَدَدْنَا عَنْهُمْ خَوْفَ بَأْسِهِمْ      وحاشا لنا أن نتقى بَأْسَ بَرَبَرَا  
وإنا إذا ما الحربُ أَسْعَرَ نَارُهَا      لَنَلْقَى الْمَنَايَا دَارِعِينَ وَحُسْرَا  
ونغدُو بِصَبْرٍ حِينَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا      فلستَ ترى منا على الموتِ أَصْبَرَا  
ولكنْ أَرَدْنَا ذَلَّ قَوْمٍ تَطَاوَلُوا      عَلَيْنَا وَأَبْدُوا نَحْوَةً وَتَكْبَرَا

= إفريقية بطائفة من فل الجيش وفرَّ بلج بن بشر ابن أخت عياض بطائفة أخرى إلى الغرب حيث تحصنوا بسبته كما روي . وفي أثناء ذلك هرب عبد الرحمن بن حبيب إلى الأندلس ، وحاول الوصول إلى السلطان فيها ففشل ، فعاد إلى إفريقية في جمادى الأولى سنة ١٢٧ ، وجمع نفراً من أنصار بيته - بيت عقبة بن نافع - وسار لمقاتلة حنظلة بن صفوان الذى تولى أمر إفريقية في ربيع الآخر سنة ١٢٤ . وقد رأى حنظلة من سوء فعل عبد الرحمن وقلة تورعه عن أى عمل للوصول إلى السلطان ما جعله يعمل العمل في إفريقية فتركها في جمادى الآخرة سنة ١٢٧/ مارس ٧٤٥ وانفرد بأمرها عبد الرحمن بن حبيب ، وثار عليه معظم رؤسائها ، فخاض معهم حروباً طويلة انتصر فيها ، وتمكن من أن يستصدر من مروان بن محمد أمراً بإقامته والياً على إفريقية والأندلس . ولما انتقل الأمر إلى العباسيين دخل في طاعة أبى عبد الله السفاح ثم انقلب عليه . وكان يعينه في ذلك كله إخوته إلياس وعمران وعبد الوارث . ثم اختلف مع أخويه إلياس وعبد الوارث ، فدبرا اغتيال أخيهما عبد الرحمن وإعادة الدعوة لبني العباس ، وتمكنا من قتله . وتولى الأمر إلياس بن حبيب ، ولكن حبيباً ابن أخيه عبد الرحمن لم يسكت لمقتل أبيه وانضم إليه عمران ، ودارت رحى حرب طويلة انتصر فيها حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه إلياس وقتله ، وتولى أمر إفريقية . وهرب عبد الوارث أخو إلياس وحليفه إلى قبيلة من البربر تسمى وَرْفُجُومَة وأثارها على حبيب بن عبد الرحمن ، ولم يستطع هذا الثبات لورفجومة وزعيمها عاصم بن جميل ، فانهزم وقتل في المحرم سنة ١٤٠/ مايو ٧٥٧ . « وكانت ولاية عبد الرحمن ابن حبيب ١٠ سنين وأشهرًا ، وولاية إلياس ٦ أشهر ، وولاية حبيب بن عبد الرحمن سنة واحدة و ٦ أشهر » . النويرى : ٤١ - ٤٦ .

(١) بياض بالأصل ، يمكن ملؤه بعبارة مثل « وبنوه إلى أيام » .

(٢) لم أجد تعريفاً لهذا اليوم فيما بين يديّ من المراجع .

## ٢٥ — عبد الله بن الجارود العبدي ، ويقال له عبديوه

لما غلب على القيروان ، وأخرج الفضل بن روح ثم رده وأرداه ، بعد صيته واستغلاظ أمره ؛ وزحف إليه مالك بن المندر السكلي من « ميلة » في جند حصن ثأرين بالفضل ، فصارع مالك بسهم في تقاتلها ونجا ابن الجارود . ثم زحف إليه العلاء بن سعيد المهلبى من الزاب — ولم تكن لابن الجارود به طاقة — فصادفه قد خرج من القيروان ليلقى خليفة هرثة بن أعين ، وقد قدمه بين يديه ، وذلك [٢٤ - ب] / مُستهل صفر سنة تسع وسبعين ومائة . وكان الرشيد لما بلغه خبر ابن الجارود قد وجه إليه من تلطف به حتى أقدمه عليه ، وكانت أيامه سبعة أشهر . وقدم هرثة بن أعين والياً على إفريقية .

ومن شعره عند فتكه بمحمد بن الفارسي ، وكان من أصحابه ثم خرج عليه في أهل خراسان ومن أطاعه ، وتناهضا للحرب فسكر ابن الجارود به ، ودعاه إلى الكلام ، وأمر شجاعاً من فرسانه إذا رآه معه أن يفتك به ، فتم ذلك وانهزم أصحابه . وقال ابن الجارود في ذلك <sup>(١)</sup> :

١ (١) سبق أن ذكرنا ابن الجارود وما كان من حربه مع الفضل بن روح بن حاتم . وجميع الرجال الذين ذكرهم ابن الأبار هنا ورد ذكرهم عند ابن عذاري (٨٦/١ - ٨٨) والنويري (١٢٧ - ١٣٠) . أما الحادثة التي أوجزها ابن الأبار هنا فقد أوردها النويري بتفصيل يمتنا منه هنا أن محمد بن يزيد الفارسي — الذي يغلب على ظننا أنه ابن واقد أيضاً — كان من رجال الفضل بن روح بن حاتم وأنصاره ، ثم انقلب عليه وانضم إلى ابن الجارود طالما كان السلطان له . فلما أقام هارون الرشيد هرثة بن أعين عاملاً على إفريقية أرسل معه رجلاً من ثقاته منهم يقطين بن موسى ، وكان من كبار جند الخراسانية ، وكان نفر كبير من جند إفريقية خراسانيين ، وبثأيدهم تمكن ابن الجارود من هزيمة الفضل بن روح بن حاتم ومن كان يؤيده من الجند العربي . وقد تمكن يقطين من إقناع ابن الجارود بالعودة إلى الطاعة ، ولكنه تلتكأ في الخروج إلى بغداد . فلجأ يقطين إلى الجيلة ، واتفق مع محمد بن يزيد الفارسي على أن —

لقد رامني ابنُ الفارسيّ بكيدِهِ فوافقَ أمضى منه عزماً وأكيداً  
 عشيةً أدعوه<sup>(١)</sup> لسمع منطقي فأعجزه إصدارُ ما كان أورداً  
 فداريتُهُ حتى اطمأن جناهُ وكنتُ امرأً مثلي أغار وأنجداً  
 أشرتُ إلى ذى نجدةٍ<sup>(٢)</sup> فانكفالهُ بأَسمرِ خطيِّ إذا مال أقصداً  
 فما زال قابَ القوسِ إلا وعاملٌ<sup>(٣)</sup> من الرمحِ دامٍ بينَ خَضْنِيهِ<sup>(٤)</sup> قد بدا  
 فقل للعلاء<sup>(٥)</sup> : قد أصابتُ محمداً مَنِيَّةُ يومٍ ، فارتقبْ مثَلها غداً

= يترك ابن الجارود « ووعده بالتقدم وقيادة ألف فارس وصلة وقطعة في أى المواضع شاء ، على أن يفسد حال عبد الله بن الجارود ، ففعل ذلك ، وسعى في إفساد الخواطر على ابن الجارود » ، وقد عرف ابن الجارود كيف ينتقم منه . فلما التقيا للحرب دعاه للتحدث معه كأنه يريد أن يعرض عليه أمراً قبل القتال ، فانخدع محمد بن يزيد الفارسي وخرج إليه ، وكان ابن الجارود قد أرصد له رجلاً من أنصاره يسمى أباطالب ، فانقض عليه أثناء الحديث وقتله .

( ١ ) الأصل : يدعوه ، وقد قومتها للسياق .

( ٢ ) الإشارة هنا إلى أبي طالب الذى ذكرناه .

( ٣ ) عاملُ الرمحِ وعاملته صدره دون السنان ، ويجمع عوامل ؛ وقيل عاملِ الرمح

مايل السنان ( اللسان : ٥٠٥ / ٤ ) .

( ٤ ) كذا في الأصل ، والحركات واردة في المخطوط . ولم أجده في المعاجم ، والأغلب

أنه « خَضْنِيهِ » ومعناه هنا : جنبه .

( ٥ ) هو العلاء بن سعيد ، كان والياً للفضل بن روح بن حاتم على الزاب ، فلما قتل ابنُ

الجارود الفضل بن روح بمعاونة الجند الخراسانية نهض قادة العرب بمن معهم للثأر منه ، وقد تولى ذلك شبون القائد . وكان أول من استجاب للدعاء أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبي عامل

« ميلة » ، فالتقى مع ابن الجارود فانهزم وقتل ، فأرسل شبون إلى العلاء بن سعيد فاستقدمه

من الزاب ، وكان في جنده عدد عظيم من البربر ، فأقبل العلاء بن سعيد إلى الأربس - وهو الموضع

الذى قتل فيه أبو عبد الله مالك بن المنذر - واجتمع بشبون القائد وفلاح بن عبد الرحمن الكلعي

وغيرهما من القواد . وفي هذه الأثناء أرسل الرشيد هرثمة بن أعين أميراً على إفريقية ، فأرسل

هرثمة يقطين بن موسى ، وكان من رؤساء جند الخراسانية ، ليقنع ابن الجارود بالدخول

في الطاعة ، فلما أبلغه نبأ استعمال الرشيد هرثمة أجاب بالسمع والطاعة ، لكنه رفض الخروج =

وهو القائل أيضاً في مصرع مالك بن المنذر ، يخاطب العلاء بن سعيد  
عند ما زحف إليه :

أفي كلِّ يومٍ نائزٌ قتلْتُه بفضلٍ<sup>(١)</sup> ، وما ينفكُّ للفضلِ نائزٌ  
قضيتُ لنفسِي النَّذْرَ في قتلِ مالكٍ وإني لها قتلَ العلاءِ أُنْاذِرُ  
فما للعلاءِ خيرةٌ في لقائنا وليس له في الناسِ إن فرَّ عاذِرُ

## ٢٦ — مالك بن المنذر الكلبي ، أبو عبد الله

كان والياً على « مِيلة » ، فدعاه جندِ حمص وغيرُهم من العرب فأمرَّوه  
لطلبِ نَارِ الفضل بن روح . واجتمع إليه الناس والتقى هو وابن الجارود فانهزم  
أصحابُ مالك ، فترجَّل عن فرسه وشدَّ في نفرٍ من أصحابه وهو يقول :

يا موتُ إني مالكُ بنُ المنذرِ أهتِكُ حَشَوَ البَيْضِ والسَّيَّوَرِ  
[ ٢٥-١ ] / أَقْتُلُ مَنْ صَابَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرِ كَأَنِّي أَفْعَلُ مَا لَمْ يُقَدَّرِ

= من إفريقية وقال : « . . . ومع العلاء البربر ، فإن تركت الثغر وثب البربر فأخذوه ، وقتلوا  
العلاء ، ولا يدخله وال لأمر المؤمنين أبداً ، فأكون أشأم الخلق على هذا الثغر ، ولكن أخرجُ  
إلى العلاء ، فإن ظفري فشانكم بالثغر ، وإن ظفرتُ انتظرتُ قدوم هرثمة . . . » . ولم يستطع  
ابن الجارود أن يهزم العلاء ، بل اضطر إلى مغادرة إفريقية . وقد استولى العلاء على القيروان  
بعد ذلك ثم دخل في طاعة الرشيد وقال إنه صاحب الفضل في إخراج ابن الجارود من المغرب  
وتخليصه منه ، فأجازه هرثمة بجائزة سنية ، وأرسل إليه الرشيد ١٠٠ ألف درهم سوى الكساء ،  
وخرج يريد بغداد فأت بمصر ، وكان ذلك سنة ١٧٩ هـ ٧٩٥ . النويري ١٢٩ - ١٣٠ .

(١) يريد الفضل بن روح بن حاتم .

نفرج إليه ابنُ الجارود وهو يقول :

إِلَى فَاذُنْ ، مَالِكَ بْنَ مُنْذِرٍ أَنَا الَّذِي قَتَلْتُ رَبَّ الْمُنْبِرِ<sup>(١)</sup>  
جَرَعْتُهُ كَأْسَ الْحِجَامِ الْأَحْمَرِ فَاصْبِرْ سَتَلْقَاهُ وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ  
فَقَتْلُ مَالِكٍ بِهِمْ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ .

## ٢٧ - العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى

كان والياً على الزاب ، فأقبل منها لمحاربة ابن الجارود . ولما وصل إلى  
الأربُس اجتمع مع أهل الشام ، وبلغ ذلك ابن الجارود فقال : « أفي كلِّ يومٍ  
ثأرتُ قد قتلته » . . الأبيات الرائية المتقدمة ، وكتب إليه كتاباً معها فجاوبه  
العلاء عنه وقال يخاطبه :

الْعَمْرُكُ يَا عَبْدُؤَيَّ مَا كَفْتُ تَارِكًا دَمَ الْفَضْلِ أَوْ يَكْسُونِي التُّرْبُ ثَاثُرُ  
نَذَرْتَ دُمِي فَانْظُرْ إِذَا مَا لَقِيتَنِي عَلَى مَنْ بَكَأْسِيهَا تَدُورُ الدَّوَائِرُ  
سَتَعْلَمُ إِنْ أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِبِي إِلَى أَىِّ قَرْنٍ أَسْلَمْتُكَ الْمَقَادِرُ  
ثُمَّ أَقْبَلَ الْعَلَاءُ فَصَادَفَ ابْنَ الْجَارُودِ قَدْ خَرَجَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُوسَى خَلِيفَةِ  
هَرَثْمَةَ بْنِ أَعْيَنَ ، فَكَانَ الْعَلَاءُ يَدَّعِي أَنَّهُ الَّذِي أَخْرَجَ ابْنَ الْجَارُودِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ .

(١) الإشارة هنا إلى الفضل بن روح بن حاتم أيضاً .

## ٢٨ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي<sup>(١)</sup>

أصل سلفه من أكشونية ، وصارت بها لعقبه رئاسة بعد افتراق الجماعة بقرطبة إلى أن غلب على آخرهم المعتضد عباد بن محمد صاحب إشبيلية .

وسكن إبراهيم هذا - وهو والد يحيى بن إبراهيم بن مزين الفقيه صاحب تفسير الموطأ - قرطبة ، وكان يتعاقب مع الحُجَّاب وجيلَّة الوزراء والقواد في أيام الحكم بن هشام . ثم ولاء إمارة طليطلة أعواماً متصلة ، وكان قد وليها قبله جده إبراهيم بن مزين الكاتب ، وابن الفرضي يجعل بنى مزين موالى رَملة بنت عثمان بن عفان / رضى الله عنه . وإبراهيم بن محمد هو القائل :

يَا أَيُّ أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ مَلِيحٍ      لَيْسَ فِيهِ لَنْ تَأْمَلَ «لَوْلَا»  
رَوْضَةُ الْحُسْنِ فِيكَ تَزْهَى وَلَكِنْ      كُلُّ حَوْلٍ يَنْبِقُ رَيْعُكَ حَوْلًا

## ٢٩ - محمد بن مقاتل بن حكيم العكِّي

ولاه الرشيد إفريقية بعد هرثمة بن أعين ، وكان - فيما يقال - رضيع

(١) بنو مزين أسرة معروفة في الأندلس ، وأشهر رجالها محمد بن عيسى بن مزين المؤرخ والفقيه المعروف . ولم أجد عن إبراهيم هذا إلا إشارة يسيرة يبدو أنها تدور على جده إبراهيم بن مزين أيضاً (الضبي ، بغية الملتبس ، رقم ٥٢١ ص ٢١٠) . أما يحيى ابنه فقد ترجم له ابن الفرضي وقال إنه مولى رَملة بنت عثمان بن عفان رضى الله عنه ، من أهل قرطبة وأصله من طليطلة ، وهو تلميذ عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى والغازي بن قيس وطبقتهم ، أى أنه من الطبقة الثانية من مالكية الأندلس . وله كتب كثيرة ذكرها ابن الفرضي (رقم ١٥٥٦ ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧) توفي ١٢ جمادى الأولى ٢٥٩/١٧ مارس ٨٧٢ .

الرشيدي . وكان جعفر بن يحيى شديد العناية به ، فقدم القيروان سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان ، وكان أبوه مقاتل بن حكيم من كبار القائمين بالدعوة العباسية ، وحضر مع قحطبة بن شبيب حروب مروانية ، ثم قتله عبد الله بن علي لما خلَعَ وادعى الأمر .

ولم يلبث محمد بن مقاتل أن اضطرب أمره ، واختلف عليه جنده ، وخرج عليه بقونس تمام بن تميم التميمي — وكان عامله عليها ، وهو جد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب « طبقات إفريقية » — فزحف إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، فخرج إليه ابن العكبي فانهزم ، ودخل تمام القيروان في آخر رمضان المذكور ، فأمنه على دمه وماله على أن يخرج عنهم .

وكان إبراهيم بن الأغلب والياً على الزاب ، فنهض منها في نصرة محمد بن مقاتل . وعلم تمام أنه لا طاقة له به ، فتخلى عن القيروان ورجع إلى تونس .

ودخل إبراهيم القيروان ، فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم صعد المنبر فخطب الناس وأعلمهم أن أميرهم محمد بن مقاتل . وكتب إليه فأقبل راجعاً<sup>(١)</sup> .

وأراد تمام أن يحرّش بينهما فكتب إلى محمد بن مقاتل كتاباً في آخره<sup>(٢)</sup> :  
وما كان إبراهيم من فضل طاعة يرُد عليك الشكر لكن لتقتلا  
فلو كنت ذا علم وعقل بكيديه لما كنت منه يا ابن عك لتقبلا  
فهما تشا يمنعه منه ابن غالب ومهما يشا فيك ابن أغلب يفعل

(١) أورد النويري (١٣١-١٣٢) وابن عذاري (٩٠/٢) الخبر بتفصيل . قال ابن عذاري : « فدخل ابن الأغلب القيروان ، وابتدر المسجد الجامع ، وصعد المنبر ، وكان بليغاً ، فأعلم الناس أنه ما وصل إلا لنصرة محمد بن مقاتل ، وأنه هو أميرهم المقدم عليهم من أمير المؤمنين ، وكتب إلى العكي يخبره بما فعل في حقه ، ويؤكد عليه في الوصول ، فأقبل راجعاً . . . »

(٢) راجع نص هذا الكتاب عند ابن عذاري : ٩١/٢ .

فجاوبه العكي بنقيض ذلك وكتب في أسفل كتابه :

[٢٦-١] / وإني لأرجو إن لقيت ابن الأغلب غداً في المنايا أن تُفَلَّ وتُقتلا  
تلاقى فتى يستصحب الموت في الوغى ويحمي بصدر الرمح عزاً مؤثلاً  
كانك قد صاغت في بطن كفه من البيض محمود المهزة مفضلاً  
وأقبل تمام ثانية في عسكر ضخم ، فخرج إليه إبراهيم وابن العكي وراعه ،  
فانهزم تمام عند التقائهما . وعاد ابن العكي إلى القيروان واتبعه<sup>(١)</sup> إبراهيم  
إلى تونس ، فطلب منه الأمان فأمنه ورحل به إلى القيروان . وبعقب هذا ورد  
كتاب الرشيد بعزل ابن العكي وتولية إبراهيم بن الأغلب .

### ٣٠ - الخصيب مولى ابن العكي

قدّمه محمد بن مقاتل مولاه لحرب مخلد بن مرة<sup>(٢)</sup> — الخارج عليه قبل  
تمام بن تميم — وأمره على الجيش الناهض لمحجته ، فصَبَّحَ القوم آمَنَ ما كانوا ؛

(١) الضمير هنا عائذ على تمام بن تميم . ويبدو أن الناسخ أسقط هنا شيئاً ، وإليك الخبر  
كما يقصه ابن عذارى في حوادث ٧٩٩/١٨٣ و ٨٠٠/١٨٤ : « وأقبل تمام من تونس بمسكر  
عظيم ، وأمر ابن العكي من معه من أهل الطاعة بالخروج إليه مع إبراهيم بن الأغلب ، فقاتلوا  
قتالاً شديداً ، فانهزم تمام ، وانصرف ابن العكي إلى القيروان ، وأمر إبراهيم بن الأغلب  
بالمسير إلى تونس . وفي سنة ١٨٤ خرج العسكر من القيروان لحصار تونس وقاتل تمام وذلك  
في المحرم منها ، فلما بلغ تماماً إقباله طلب الأمان منه ، فأمنه إبراهيم ، وأقبل به إلى القيروان  
يوم جمعة ، ثمان خلون من المحرم المذكور » (٩٣-٩٢/٢) .

(٢) زيادة في التعريف بالحوادث التي يذكرها ابن الأبار هنا نورد الفقرة التالية من  
« نهاية الأرب » للنويري (ص ١٣١) : « ولما كتب هرثمة [ابن أعين] إلى هارون [الرشيد]  
يسأله الإعفاء وجه محمد بن مقاتل [العكي] أميراً للغرب ، وكان رضيع هارون ، فقدم القيروان  
في شهر رمضان سنة ١٨١ ، ولم يكن بالمحمود البسيرة ، فاضطربت عليه أحواله واختلفت جنته ، -



وهم خمسمائة من أهل خراسان والشام . وكان الذي هاج ذلك فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي ، فقتل مخلد بن مرة أميرهم وعدة ممن كان معه ، وانهزم أصحابه إلى تونس . ومّر الخصيبُ بمنزل فلاح فأحرقه ، وأخذ أسرته فانطلق بها وقال في ذلك :

لو كنت حُرًّا يا فلاحُ صبرتَ لي وحيثَ عِرْسَكَ والفقى يَحْمِي  
لكنْ هربتَ من القِرَاعِ وأسلمتْ كَفَاكَ حُرْمَتَهَا على الرَّغْمِ  
ما النجمُ أبعدُ منك — لو طالبتُهُ لَنَالَهُ بِيديكَ — مِنْ سَلَمِي

### ٣١ — تمام بن تميم الدارمي التميمي ، أبو الجهم

القائم على ابن العكي المذكور آنفاً

وهو ابن عم إبراهيم بن الأغلب . قد تقدم من خبره وشعره ما أغنى عن إعادته هنا ؛ وفي « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » تأليف أبي علي الحسن بن أبي سعيد القيرواني ، أن تمامًا هذا لما سمع بحركة إبراهيم بن الأغلب إليه من الزّاب في محاربته ونصر ابن العكّي ، كتب إليه كتابًا يستدعيه ويستعطفه وكتب في أسفله :

« وكان سبب الاضطراب عليه أنه اقتطع من أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية ، فقام فلاح [ بن عبد الرحمن الكلاعي القائد ] ، ومشي في أهل الشام وخراسان ، حتى اجتمع رأيهم على تقديم مرة بن مخلد الأزدي ( وفي مخطوط آخر : الأسدي ، وكذلك عند ابن عذارى وابن الأثير ) وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي ، وكان عامله عليها ، فبايعه جماعة من القواد وأهل الشام وأهل خراسان ، فخرج في النصف من شهر رمضان سنة ١٨٣ إلى القيروان ، وخرج إليه ابن العكي ، فمِن معه ، فقاتله قتالا شديداً في « منية الخيل » فانهمز ابن العكي ، ودخل القيروان ، وتحصن في دار كان قد بناها ، وجلا عن دار الإمارة . . . » ، وقد أضفت الحواصر والأقواس وما بينها زيادة في التوضيح .

[٢٦ - ب] / أَقَدِّمُ إِبْرَاهِيمَ عَلِمًا بِفَضْلِهِ وَحُقَّ لَهُ فِي الْأَمْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ  
 وَقُلْتُ لَهُ : فَاحْكُمْ فَحُكْمُكَ جَائِزٌ عَلَيْنَا فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِينَا مُقَدَّمًا  
 وَرُدَّ فِي بِلَادِ الزَّابِ مَا شِئْتَ قَادِرًا وَإِنْ شِئْتَ مُلْكَ الْغَرْبِ خُذْهُ مُسَلِّمًا  
 فجاوبه ابن الأغلب بخلاف ذلك وكتب إليه في أسفل كتابه :

دَعَوْتَ إِلَى مَا لَوْ رَضِيتُ بِمِثْلِهِ لَمَا كُنْتُ — يَا تَمَّامُ — فِيهِ مُقَدَّمًا  
 سَأَجْعَلُ حُكْمِي فِيكَ ضَرْبَةَ صَارِمٍ إِذَا مَا عَلَا مِنْكَ الْمَفَارِقَ صَمِيمًا  
 سَتَعْلَمُ لَوْ قَدْ صَاحَفْتِكَ رِمَاحُنَا بِكَفِّ الْمَنَايَا ، أَيُّنَا كَانَ أَظْلَمًا  
 فذكر عن فلاح الكلاعي أنه قال : « كنت عند تمام يوم قرأ كتاب  
 إبراهيم ، فذهب لونه ثم ارتعد حتى سقط الكتاب من يده » . وكان صارمًا  
 شجاعًا ممدحًا ، وفيه يقول الفضل بن النهشل يمدحه من قصيدة :

أُصَحْتُ وَمَنْزَلُهَا مِصْرٌ وَمَنْزَلُنَا بِالْقَيْرَوَانِ ، وَيَا تَشَوَّاقَ مُغْتَرِبِ  
 أَخَا بَنِي نَهْشَلٍ ، دَعَا فَقَدْ نَزَحْتُ وَامْدَحْ قَرِيعَ مَعَدٍّ وَاحِدَ الْغَرْبِ  
 تَمَّامُ كَبِشُ بَنِي عَدْنَانَ قَاطِبَةً الدَّارِمِيُّ الْكَرِيمُ الْبَيْتِ وَالنَّسَبِ  
 الْفَارِسُ الْبَطْلُ الْحَامِي حَقِيقَتُهُ وَالنَّاعِشُ الرَّاشُّ الْفَرَّاجُ لِلْكَرْبِ  
 تَأْوَى إِلَيْهِ نِزَارٌ حِينَ يَدْهُمُهَا رَيْبُ الزَّمَانِ وَتَخْشَى سَطْوَةَ النُّوبِ  
 أَعْطَى بَنُو دَارِمٍ فِي الْمَجْدِ رَايَتَهَا بَنِي الْمُجَاشِعِ يَوْمَ الْفَخْرِ وَالْحَسَبِ

قال أبو العرب ، وذَكَرَ ولايةَ جدِّه تمام هذا إِفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ مِقَاتِلِ  
 الْعَسْكَيَّ : « تَمَّامُ بْنُ تَمِيمٍ : هَذَا هُوَ جَدُّنَا ، هُوَ ابْنُ الْقَادِمِ مِنَ الْمَشْرِقِ » . قال :  
 « وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ بَغْدَادَ » .

وفي « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » أن إبراهيم بن الأغلب لما صار  
 الأمرُ إليه بَعَثَ بِهِ وَبِجَاعَةٍ مَعَهُ — مِنْ وَجْهِ الْجَنْدِ الَّذِينَ كَانَ شَأْنُهُمُ الْوُثُوبِ

على الأمراء — إلى الرشيد ، فأما تمام فإنه حُبِسَ إلى أن مات في حبسه .  
 وحُكِيَ أن الرشيدَ / وعد أخاه سلمة بن تميم إطلاقه ، وبلغ ذلك إبراهيم [ ٢٧-١ ]  
 ابن الأغلب فكتب إلى عمته وهي ببغداد في سَمِّه ، فاشتبهى تمام حوتاً فسَمَّته  
 له ، فمات من أكله بعد أن ذهب بصره في المطبق قبل موته بشهر . وعلم  
 الرشيد بذلك فترحم عليه وتوجع له ، وأحسن إلى سلمة أخيه وصرفه إلى إفريقية .

### ٣٣ — إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، أبو إسحق

ولاه الرشيدُ إفريقيةَ بعد محمد بن مقاتل العكِّي فاستقلَّ بمُلْكها وأورثَ  
 سلطانها بنيه نيفاً على مائة سنة . وكان فقيهاً عالماً أديباً شاعراً خطيباً ، ذا رأى  
 وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها ، جرىء الجنان طويل اللسان حسن  
 السيرة ، لم يَلِ إفريقيةَ أحدٌ قبله من الأمراء أعدلَ في سيرة ولا أحسنَ لسياسةٍ  
 ولا أرفقَ برعيةٍ ولا أضبطَ لأمرٍ منه .

وكان في أول حالته كثيرَ الطلب للعلم والاختلاف إلى الليث بن سعد  
 الفقيه ؛ والليثُ وهبَ له « جَلَّال » أمَّ ابنه زيادة الله ، فخرج بها حتى وصل  
 الزاب — وعلى إفريقية يومئذ الفضلُ بنُ روح بن حاتم — فلقى من تعصُّبه  
 وسوء مجاورته عظيماً . وأقام أخوه عبد الله بن الأغلب بمصر ، وكان ذا نعمة  
 عظيمة ، فلما توفى ارتحل بنوه إلى إفريقية .

وولى الزاب من قبل هارون الرشيد وابن العكِّي على إفريقية ، وقد تقدم  
 ذكرُ نصرته لابن العكِّي إلى أن صُرفَ إبراهيم سنة أربع وثمانين ومائة .

وتوجه إلى المشرق ، فلما بلغ طرابلس دَلَسَ له كاتبه داوود القيرواني على لسان  
الرشيد كتاباً بإقراره على إفريقية وانصرافه إلى عمله ، فتمشّى ذلك زماناً .  
وبلغ الرشيد فغاضه ، وأسجل لإبراهيم بولاية إفريقية ثانية ، فاشتد عند ذلك  
سلطانُه وعظُم دون الملوك الذين تقدموه شأنه ، وخرج ابنُ العسكَيّ من إفريقية  
وأعمالها . وعلى هذه الحال لم يُكافِ إبراهيم على حُسن ما أسلفه في جانبه  
إلا بأفصح الأفعال .

ومن فضائل إبراهيم الماثورة ، وجلال أنبائه المسطورة ، أنه عفا عن داوود  
كاتب ابن العسكَيّ وأسقط التثريبَ عليه وقبِلَ متابَهَ فأمنه واستعمله ، وقد  
ذكرتُ ذلك في تأليفي المترجم بـ « إعتاب الكتّاب »<sup>(١)</sup> ، وهو القائل وقد  
خلفَ أهله بمصر في قصده الزّاب :

[٢٧-ب] / ما سِرْتُ مَيْلاً ولا جاوزتُ مَرَحَلَةً إلا وذكرُكِ يَنْثُنِي دَائِباً عُنُقِي  
ولا ذكرْتُكِ إلا بَتُّ مُرْتَفِقاً أرعى النجومَ كأنَّ الموتَ مُعْتَنِقِي

البيت الأول نظير قول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في زوجه :

إذا سرتُ مَيْلاً أو تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ دَعَتْنِي دَواعِي الشوقِ من أُمِّ خَالِدٍ

وكان محمد بن سيرين يقول : « هو أشوق بيت قالت له العرب » .

وقال إبراهيم وهو بالزّاب في قتل ابن الجارود للفضل بن رَوْح بن حاتم ،  
وقد بلغه أن نصر بن حبيب المهلبى<sup>(٢)</sup> أشار بردّ الفضل من طريقه ، لأنه خاف .

(١) انظر : إعتاب الكتّاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صلاح الأشر (مطبوعات

مجمع اللغة العربية بدمشق) دمشق ١٩٦١ ، رقم ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) نصر بن حبيب المهلبى ، رابع من تولى أمر إفريقية من المهالبة ، وليها في ٢٠

رمضان ١٧٤/٣١ يناير ٧٩١ بعد موت روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ،

أن يُحدث حدثاً فيقتله ابنُ الجارود بسببه<sup>(١)</sup> :

يا نصرُ قد أصبحتَ ألامَ من مَقَى منكم<sup>(٢)</sup> وألامَ حاضرٍ معلوم  
لما أشرتَ بردٌ فضلٍ بعدما قطعَ البلادَ على أقب<sup>(٣)</sup> رَسوم  
لم تَرْضَ بالخذلان حتى كِدته لا زلتَ مخذولا بغير حميم  
ما كفتَ حين غدوتَ تنشر الحيةَ فيها لِقومك غَدْرَةٌ بكرِيم  
لو كان ناداني أجبتُ دعاءه بالخيل أفتحِمها بسمَدِ تميم<sup>(٤)</sup>  
خيلٌ بها أهدي الناي للعدي وبها أفرّج كُرْبَةَ المكظوم

= وكان هذا الأخير شيخاً مسناً غلب عليه الضعف حتى كان يغلبه التعاس إذا جلس للناس ، فكتب أبو العنبر القائد وصاحبُ البريد إلى الرشيد يقترحان تولية نصر بن حبيب سرّاً ، حتى إذا مات الفضل لم يضطرب الأمر ، فأجاب الرشيد . وعندما توفي روح بن حاتم في التاريخ المذكور حاول ابنه قبيصة أن يتولى الأمر بدون عهد ، ولكنه اضطر للتخلي لنصر عندما تبين أن الرشيد عهد إليه . وقد أقام نصر والياً على المغرب سنتين وثلاثة أشهر ، إذ عزل بالفضل بن روح بن حاتم في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

انظر : النويري ، ص ١٢٧ .

(١) يفهم من هذا أن إبراهيم بن الأغلب قال هذه الأبيات قبل ولايته أمر إفريقية يزمن طويل ، فقد قتل الفضل سنة ١٧٨ / ٧٩٤ ، وتولى إبراهيم إفريقية في منتصف جمادى الآخرة سنة ١٨٤ / يونيو ٨٠٠ . وظاهر من الأبيات أن ابن الأغلب كان يَهم نصر بن حبيب المهلبى بأنه كان سبب قتل الفضل بن روح بن حاتم على يد ابن الجارود . وذلك أن هذا الأخير بعد أن هزم الفضل ودخل القيروان أخرج الفضل منها وتركه ليعود إلى المشرق ، ثم رده برأى نصر بن حبيب المهلبى كما يفهم من ذلك الخبر ، وكانت النتيجة أن قتل الفضل وأخرج بقية بنى المهلب من إفريقية . ويبدو أن نصر بن حبيب فعل ذلك انتقاماً من الفضل ، لأن هذا ، بعد وفاة أبيه روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في رمضان سنة ١٧٤ ، ذهب إلى بغداد وأقام على باب الرشيد يلح في طلب الولاية حتى أجيب إلى طلبه ، ف عزل نصر بن حبيب وتولى الفضل في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

(٢) الإشارة هنا إلى بنى المهلب .

(٣) الفرس الأقب هو الذي لحقت خاصرته بخالبيه ، كناية عن الضمور . اللسان :

١٥٢/٢ . والرَّسوم هو الفرس اللين السير مع سرعته .

(٤) من المعلوم أن بنى الأغلب تميميون .

وقال أيضاً في دخوله القيروان قائماً بنصرة ابن العكی وهرب تمام بن تميم أمامه :

لو كنتُ لاقيتُ تماماً لصالَ به      ضربٌ يفرِّق بين الروح والجسدِ  
لكنه حين شام الموتَ يقدُّمنى      ولَّى فراراً وخلَّى لى عن البلدِ  
إن يستقمُ نَفْءُ عما كان قدَّمهُ      وإن يَعدُّ بعدها فى غدرةٍ نَعْدِ  
ثم نزل عن المنبر وكتب إلى محمد بن مقاتل يستعيده إلى عمله وقال في ذلك :

أتشكروُ عِنا ما صنعتُ برِّبِّها<sup>(١)</sup>      وردى عليها الثغرَ أم هى تكفُّرُ ؟  
[ ٢٨ - ١ ] / نَفَيْتُ لها التَّمامَ<sup>(٢)</sup> بالسيفِ عَنوةً      ولم يُغْنِه فى الله ما يَتَمَضَّرُ  
فأقبل إلى ما كنتُ خلَّفتُ كارهاً      فقد ذاد سيفى عنك ما كنتُ تحذرُ  
وقال أيضاً فى ذلك :

ألم ترى رَدَدْتُ طريدَ عَكٍ      وقد نَزَحَتْ به أيدى الركبِ  
أخذتُ الثغرَ فى سبعين مِنّا      وقد أوفى على شرف الذهبِ  
هزمتُ لهم بَعْدَتَهُم أُلُوفاً      كأنَّ رَعِيائَهُمْ قَزَعُ السحابِ  
قال إبراهيم هذا لأنه قصد لنصرة ابن العكی فى سبعين فارساً من أهل بيته وخاصته إقداماً ونجدة ، فقال بعضُ شعراء إفريقية فى ذلك :

ما سر يوم لإبراهيم نعلهُ      إلا وشيئته للجود والباسِ

(١) المراد برِّبِّها هنا واليها أوجاكيها ، والإشارة إلى تمكنه من رد محمد بن مقاتل المكي إلى الولاية بعد هروبه .

(٢) التَّمام هو تمام بن تميم القمي .

ولما حارب تماماً وابن العكّي بالقيروان ، حمل على الميمنة وهو يقول :  
أَطْعَمُهُمْ وَلَا أَرَى لِي كُفُوءًا      حَتَّى أَتَالَ مَا أُرِيدُ عَفْوًَا  
أَوْ أَخْشُونَ كَأْسَ الْمَنَايَا حَسْوًَا

ثم رجع إلى الميسرة بعد أن كسر الميمنة وهو يقول :  
قَدْ عَلِمْتُ سَعْدٌ وَأَبْنَاهُ مُضَرٌّ      أَنِّي مَنَعْتُ عِزَّهَا أَنْ يُعْتَصَرَ  
وَأَنِّي نَخَارُهَا لِمَنْ فَخَرَ

فَنَضَّهَا ، ثم رجع إلى القلب فشده عليه وهو يقول :  
يَا قَلْبُ قَدْ أَبْصَرْتَ صَاحِبِيكَ      مَا لَقِيَا مِنِّي فَخُذْ إِلَيْكَ  
ضَرْبًا يَمُورُ وَقَعُهُ عَلَيْكَ      كَيْفَ تَرَى دَفْعِي بِجَانِبَيْكَ  
وَحَمْلَ أَصْحَابِهِ فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى تَامٍ .

وله حين وجّه بمن كان يخاف أمرهم من وجوه الجند إلى الرشيد<sup>(١)</sup> :  
مَا سَارَ كَيْدِي إِلَى قَوْمٍ وَإِنْ كَثُرُوا      إِلَّا رَمَى شَعْبَهُمْ بِالْحَزَمِ فَانْصَدَعَا  
وَلَا أَقُولُ ، إِذَا مَا الْأَمْرُ نَازَلَنِي :      « يَا لَيْتَهُ كَانَ مَصْرُوفًا ! » ، وَقَدْ وَقَعَا  
/ حَتَّى أَجَلَّيْتَهُ قَهْرًا بِمَعْتَزِمٍ      كَمَا يُجَلِّي الدُّجَى بَدْرٌ إِذَا طَلَعَا [٢٨-ب]  
قَوْمًا قَتَلْتُ وَقَوْمًا قَدْ نَفَقَتُهُمْ      سَامُوا الْخِلَافَ بِأَرْضِ الْغَرْبِ وَالْبِدْعَا  
كُلًّا جَزَيْتُهُمْ صَدْعًا بِصَدْعِهِمْ      وَكُلُّ ذِي عَمَلٍ يُجْزَى بِمَا صَنَعَا

(١) سبق أن ذكر ابن الأبار كيف أرسل إبراهيم بن الأغلب تمام بن تميم التميمي وأخاه سلمة إلى بغداد ، حيث حبسه الرشيد في المطبق حتى مات فيه . وجاء في نهاية الأرب للتويزي :  
« فلما صار الأمر إلى إبراهيم بن الأغلب بعث تماماً بن تميم وغيره من وجوه الجند الذين شأنهم  
الوثوب على الأمراء إلى بغداد ، فحبسوا في المطبق » (ص ١٣٢) .

وله أيضاً وهو من جيّد شعره :

ألم ترني أزديتُ بالسكيدِ راشداً      وأنى بأخرى لابنِ إدريسٍ راصداً  
تفاوله عزمي على نأى داره      بمختومة في طيِّهنَّ المسكائدُ  
وقد كان يرجو أن يفوت مكائدي      كما كان يخشاني على البُعْدِ راشداً  
ثلاثون ألفاً سقتهنَّ لقتله      لأصلحَ بالغربِ الذي هو فاسداً  
فأضحى لدينا راشداً يَنْتَبِذُهُ      بناتُ المفايا والحِسانُ الخرائدُ  
فتساء أخو عكٍّ بمَهْلَكِ راشداً      وقد كنتُ فيه ساهراً وهو راقداً<sup>(١)</sup>

راشد هذا هو مولى عيسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وكان عاقلاً شجاعاً أيداً ، خرج بإدريس بن عبد الله أخى مولاه عند انهزامه في وقعة « فنج » — وقد تقدم ذكرها — وانغمس به في حاجٍ أهل مصر ، وغير زِيَّه وألبسه مِدْرَعَةً وعمامة غليظة ، وصيّره كالغلام يخدمه ، وإن أمره ونهاه أسرع في ذلك . وتخلص إلى إفريقية في خبر طويل ، فترك دخولها ثم سار به في بلاد البربر حتى انتهى إلى فاس وطَنْجَة ، فأظهر إدريس هنالك أمره وأخبر بنسبه ، ودعا البربر إليه فأجابوه ، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، في السنة التي توفى فيها عبدُ الرحمن بنُ معاوية وولّى ابنه هشام الرضا ، وفي السنة الثانية من خلافة هارون الرشيد ، أقام بين أظهر البربر ملكاً مطاعاً . وبلغ الرشيد خبره فسق عليه ، وشكا ذلك إلى يحيى بن خالد فُدس إليه من

(١) سيفصل ابن الأبار بعد ذلك كيف دبر إبراهيم بن الأغلب قتل راشد ، وكان ذلك أثناء ولايته للزاب ، أى قبل أن يلى إفريقية ، وسيذكر كيف أن محمد بن مقاتل العكي زعم لهارون الرشيد أنه هو الذى قتل راشداً ، ثم علم الرشيد بذلك ، فكان من أسباب توليته إفريقية . وهذه الأبيات ظاهرة النحل ، فهى تخلط بين مقتل راشد وموت إدريس الأول مسموماً .



سَمَّه في غالية ، وقيل في ذَرُور<sup>(١)</sup> استَنَّ به ، وقيل في دُلَاعَة<sup>(٢)</sup> قطعها بسكين ، نصفها مسموم والثاني غير مسموم ، وقيل في بطيخة . وهرب هو / وصاحب له ، [ ٢٩-١ ]  
فيقال إن راشداً اتبعهما وقد بعدا فأدرَكهما وهو وحده على فرسه ، فشَد عليهما  
بسيفه فضرب أحدهما وفات الآخر ؛ وانصرف راشد وهلك إدريس .

ويقال إن الذي دَسَّ الرشيدُ إليه ليسمه هو الشماخ اليمامي<sup>(٣)</sup> ، وكتب له  
إلى إبراهيم بن الأغلب . فوصل إلى إدريس وعرفه أنه مُتَطَبَّبٌ وأنه من  
أولياهم ، فاطمأن إليه وأنس به . وشكا إليه عِلَّةً في أسنانه ، فأعطاه سَنُونَا  
مسموماً وأمره أن يَسْتَنَّ به عند طلوع الفجر ، وهرب تحت الليل . فلما طلع  
الفجر استَنَّ إدريس بذلك السنون فقتله ، وطُلب الشماخ فلم يُقدَّر عليه . وقدم

( ١ ) الذرور كل مسحوق يتداوى به ، والسنون كل مسحوق يستعمل دواءً للأسنان ،  
وكانوا يستنون أو يستاكون به .

( ٢ ) الدَّلَاعَة مفرد دَلَّاعٌ ، وهو البطيخ أو نوع منه ، وقد عرفه صاحب الكتاب المنصوري  
بأنه البطيخ اشندي أو السندي نسبة إلى السند (ومن هنا تسمى البطيخة في إسبانيا إلى اليوم sandia)  
ويسمى أيضاً البطيخ الفلسطيني ، وقال أبو القاسم الزهراوى إنه البطيخ الشامى . ويفهم من النص  
هنا أن الدلاع غير البطيخ ، أو أنه صنف منه على أى حال . وقد قال الرحالة ريتشاردسون إن الدلاع  
بطيخ صغير مر الطعم . وفى المغرب إلى اليوم يسمى البطيخ : دَلَّاحٌ ، أما ما نعرفه بالشمام فيسمى  
البطيخ ، وعلى هذا فيكون تفسير عبارة ابن الأبار أن إدريس الأول سَمَّ في شمامة أو بطيخة .  
والروايات كثيرة عن ذلك الحادث .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس : ١٤٥٧/١ .

وروض القرطاس لابن عبد الحليم أو ابن أبي زرع ، طبعة حجر في فاس ، ص ٥ .

وابن خلدون ، تاريخ ( يولاقي ) : ١٣/٤ .

وابن عذارى ، البيان : ٨٣/١ .

( ٣ ) هو إدريس الشماخ الذى سبق ذكره . وقال عنه ابن خلدون : « ودس إليه الرشيد  
مولى من موالى المهدي اسمه سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ » ( ١٣/٤ ) ، وورد اسمه  
في روض القرطاس : سليمان بن حريز ( ص ٩ ) ، وذكره أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى  
السلوى صاحب كتاب « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » . ( الدار البيضاء ، ١٩٥٤ )  
ج ١ ص ١٥٨ : سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ .

على إبراهيم بن الأغلب فأخبره ، فكتب إبراهيم إلى الرشيد بذلك ، فولى  
الشاخ بريد مصر وأجازه . وقد تقدم عند ذكره أن الذى سمى سليمان بن جرير  
فى سمكة مشوية ، وقال فى ذلك أشجع السلى من شعراء الرشيد :

أَتَظُنُّ يَا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الْخَلِيفَةِ أَوْ يَقِيكَ حِذَارُ  
إِنِ السَّيُوفَ إِذَا انْتَضَاهَا عَزَمُهُ طَالَتْ وَتَقْصُرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ  
هِيَهَاتَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِلَدَةٍ لَا يَهْتَدَى فِيهَا إِلَيْكَ نَهَارُ

وكانت مدة سلطان إدريس بالمغرب ، إلى أن مات بوإيلي سنة خمس  
— وقبل سنة أربع — وسبعين ومائة ، ثلاثة أعوام وستة أشهر .

وكان قد خرج إلى سبتة فى شبان سنة ثلاث وسبعين ، وإلى تازا فى  
جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين ، وترك حملا من إحدى جواريه ، فقام راشد  
بأمر البربر حتى ولدت غلاما ، فسماه باسم أبيه « إدريس » وكفله إلى أن  
بلغ الغلام .

وعلا أمر راشد واستفحل ، وهم بغزو إفريقية لما كان فيه من القوة وكثرة  
الجنود ، فكاده إبراهيم بن الأغلب من الزاب موضع ولايته ، ودس إلى  
أصحابه ، وبذل لهم الأموال إلى أن اغتالوه وبعثوا برأسه إليه ، فبعث به إلى ابن  
مقاتل العككى وأخبره بكيده إياه وتديره فى قتله ، فبعث به العككى إلى هارون  
[ ٢٩ - ب ] الرشيد ونسب ذلك إلى نفسه / دون إبراهيم ، فكتب صاحب بريد المغرب  
إلى هارون بصنيع إبراهيم فى راشد . فعلى إثر ذلك ولى الرشيد إبراهيم بن  
الأغلب إفريقية وصرف عنها العككى .

وقد قيلَ إِنَّ الرشيدَ إنما دسَّ إلى إدريس من اغتاله وخاطبَ إبراهيم  
[ ... .. ] <sup>(١)</sup> به وهو عامل له على إفريقية ؛ والأول أصح . وتوفى إبراهيم

( ١ ) بياض بالأصل يمكن أن نكمله بعبارة مثل : بن الأغلب بأن يئى .

في شوال لثمانٍ ليالٍ بقين منه سنة ست وتسعين ومائة ، وهو ابنُ ست وخمسين سنة ؛ فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام .

### ٣٣ - يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي ، أبو العباس

كان صاحبَ بريد المغرب أيامَ ابنِ العسكى ، وهو القائل لتمّام بن تميم حين بلغه إقبالُ إبراهيم بنِ الأغلب إليه :

أتمّامُ لا تقعدُ فإني ناصحٌ      وخُذْ مُهْلَةً إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ هَارِبًا  
وإلا فعدُ مِنْ سَخَطِهِ بِأَمَانِهِ      فليستَ بلاقٍ لابنِ أغلبٍ غالبًا  
ولا تَحْسُونُ كَأْسًا فليس بنافعٍ      تحسّيك ما فيها إذا كنتَ<sup>(١)</sup> شاربًا

### ٣٤ - خريش<sup>(٢)</sup> بن عبد الرحمن بن خريش الكندي

ثار بتونس ، وكان صهرَ الحسن بن حرب الكندي المخالفِ على الأغلب ابن سالم . ولم يكن من الجند ، ولكنه من أبناء العرب الذين كانوا بإفريقية

(١) في الأصل إن ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٢) كذا ورد اسمه في الأصل بكل وضوح ، ولكن التويري (ص ١٤٥) وابن خلدون (١٩٦/٤) جعلاه : حمديس ، وتابعهما في ذلك فوندرهايدن في كتابه عن الأغالبة :

M. VONDERHEYDEN, *La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou'Arlab*, 800-909 (Paris, 1929) pp. 87 sqq.

وقد كتب هذا المؤلف اسم الأغلب هكذا : Arlab لكى ينطق حرف ʿ غيناً كما هو في النطق الفرنسى ، وهو مذهب مستهجن لم يتابعه فيه أحد .

أما ابن عذارى فقد اكتفى بقوله : « وثار عليه الكندي بتونس » فأراح نفسه . وسنتبين من أبيات لإبراهيم بن الأغلب - يوردها ابن الأبار فيما بعد - أن صحة الاسم خريش<sup>هـ</sup> .

وقد يكون بالحاء لا بالحاء ، فقد وجدت اسم حريش كثير التوارد .

قبل المُسَوَّدَة ، فخلع المُسَوَّدَة وأتاه العربُ والبربرُ من كل ناحية<sup>(١)</sup> . فلما كثر جمعه كتب إلى إبراهيم بن الأغلب :

« من خريش القائم بالعدل إلى إبراهيم بن الأغلب .

أما بعد ، فإني أقمتُ عن الخروج قبل يومى هذا لأني كنت أنتظر أن تغنيكم الحرب ؛ فلمعمرى لقد أرانا الله فيكم ما قوى به أهل دعوة الحق عليكم . فلما وليت أنت وعلمت أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاء لك ، عرفت قلة طمعهم فيك . ولو كان أحدهم من ولّى هذا النغر ممن لا نرى طاعته يستحق أن نرضى بولايته ، لكنت أنت ذلك . وقد كان على بن أبي طالب رحمة الله عليه يقول : « إذا ولّى عنكم عدوكم من أهل الملة فلا تتبعوهم » . ولست أطلبك إن خرجت عن النغر ، فلا ترد أن تصلى بحرّبي ، وليكن رأيك طلب سلمي ؛ والسلام » .

وكتب في آخر كتابه :

قُلْ جَهْرَةً لِأَبِي إِسْحَاقَ تَنْصَحُهُ      هَذَا فِرَاقُكُمْ لِلْغَرْبِ قَدْ حَانَ  
[ ١-٣٠ ] / فلا يعود إليه منكم أحدٌ      حتى يعود من الأحداث موتانا  
فارجع عن الغرب أو ألقِ السَّوَادَ بِهِ<sup>(٢)</sup>      لا تخترمك المنايا حين تلقانا

(١) هذه العبارة عظيمة الأهمية ، وهي تكشف لنا عن حقيقة حركات بني عبيدة بن عقبة ابن نافع وتمام بن تميم وسليمان بن حميد الغافقي وابن الجارود ومن إليهم ، فهؤلاء هم عرب إفريقية الذين دخلوها أيام الفتح واستقروا فيها ، ونشأ فيها أبناؤهم يرون أنفسهم أهل البلد وأولى بحكمه من الولاة الذين ترسلهم الخلافة وجندهم ، وهذه الحقيقة تكشف لنا سر هذا الصراع وسببه . وقد انضم إلى أولئك العرب الأفارقة جماعات من البربر ، لأنهم كانوا أقرب إليهم من الولاة وجندهم .

(٢) كان عمران بن مجالد ثائراً على دعوة بني العباس ، وكان هو وجنده كارهين لها ، حتى كان أصحابه يهتفون أثناء قتالهم مع جند إبراهيم بن الأغلب : « بغداد ، بغداد ! فلا والله لا نأخذنا لكم طاعة بعد اليوم أبدا » (النويري : ١٣٥ - ١٣٦) ، ولهذا فهو يدعو ابن الأغلب هنا إلى خلع السواد إشارة للخروج على بني العباس . وكان عمران من رؤساء الجند ، وكان أول =

وسوف تعلم أن الموت يسمع لي إذا التقت بنواحي الفحص<sup>(١)</sup> خَيْلَنَا

فلما قرأ إبراهيم كتابه كتب إليه :

« من إبراهيم بن الأغلب إلى خريش رأس الضلال .

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد

فإن مثلك مثل البعوضة التي قالت للنخلة إذ<sup>(٢)</sup> سقطت عليها : « استمسيكي  
فإني أريد الطيران ! » فقالت النخلة : « ما شعرتُ بسقوطك فيُكْرِبُنِي  
طيرانك » . فأما انتظارك في الحرب فناء ، فلو لم يبقَ في المغرب من أهل الطاعة  
غيري ما وصلت أنت في من معك بخلافكم إليه ، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي  
ونصرة دولة أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ؛ فكيف وعندي من شيعته وأبناء  
أنصاره من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي ؟ وأما ما ذكرت عن عليّ  
ابن أبي طالب رضوان الله عليه ، فذاك أمر غاب عنك . وإن كان كما ذكرت  
فلمست منهم ، لأن أهل الملة خلافهم خلاف هُدَى<sup>(٣)</sup> في نقمة على جور ،  
وخلافكم خلاف فرقة دين وشق عصا المسلمين ، ونقمتهم ما هو الله رضا .  
وستعلم أنت وأصحابك إن لقيناكم غداً أننا سنتبعكم ، وإن صبرتم أنا سنغنيكم .

= الأمر من أنصار إبراهيم بن الأغلب ، ثم اختلف معه في خبر يحكيه النويري بالتفصيل ملخصه  
أن عمران سار مع إبراهيم مرة يحدثه مسافة طويلة ، ثم تبين أنه سار عن كلامه ، فغضب ، ثم  
كانت الحرب بينهما ؛ وهو سبب فيما يبدو لنا تافه . والحقيقة - كما تستبين من ثانيا الحوادث -  
أن إبراهيم بن الأغلب لم يجد مالا ليؤدي أرزاق جنده ، فبعث - فيما يبدو - يطلب مدداً من  
الخليفة ، فتأخر . وفي أثناء ذلك فكر عمران في خلع الطاعة ، ودعا ابن الأغلب إلى أن يفعل  
فعله ، فأبى ، فكان الخلاف .

( ١ ) المراد فحص تونس ، وهو السهل المحيط بها .

( ٢ ) الأصل : وسقطت عليها ، وما أثبتناه أوفق للمعنى .

( ٣ ) في الأصل : هوى ، وقد قومناه للمعنى .

وأما ذكرك الفحص فإن تركتك حتى تصير إليه فأنا في مثل جلدك»<sup>(١)</sup> .  
وكتب إليه :

بَلِّغْ خُرَيْشًا بَأْنِي سَوْفَ أَصْبَحُهُ      كَأَسَا سَيَقْرَعُ مِنْهَا سِنَّ حَيْرَانَا  
تَهْدِي الطَّعَانَ لَهُ سُمْرٌ مُثَقَّةٌ      تَقْرِي أَسْنَتُهَا فِي الْحَرْبِ أَعْدَانَا  
مِنْ كُلِّ أَرْقٍ يَغْتَالُ النُّفُوسَ بِهِ      يَضْحَى بِهِ مِنْ دَمِ الْأَجَوَافِ مَلَانَا  
وَسَوْفَ تَعْلَمُ هَلْ أَتَى السَّوَادَ إِذَا      أَرْسَتْ إِلَيْكَ الْمَنَابِيَا حِينَ تَلْقَانَا  
إِنِّي سَأَهْدِي إِلَيْكَ الْمَوْتَ فِي عَطْبٍ      فَاشْرَبْ مِنْتَهُ مِنْ كَفِّ عِمْرَانَا

ثم بعث إلى عمران بن مُجَالِدٍ<sup>(٢)</sup> يحضه على قتاله ولقائه قبل خروجه من تونس ، وأوصاه بما يعمل . فلقى عمران بِسَبِيخَةِ تُونِسَ ، فأنكشف خُرَيْشٌ [ ٣٠ - ب ] وأصحابه وقتل ، ودخل عمرانُ تُونِسَ يُتَبِعُهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى أَفْنَاهُمْ / وكان خروجه سنة ست وثمانين ومائة .

### ٣٥ - عمران بن مُجَالِدٍ بن يزيد الرَّبَعِيّ

ثار على إبراهيم بن الأغلب ، وكان قبلَ ذلك في طاعته ومُنَاصَحَتِهِ ، وحضر معه قتالَ تَمَامَ بن تَمِيمَ ، وخرج نائِبًا عنه لِقِتَالِ خُرَيْشَ بن عبد الرحمن المذکور آنفًا . ولما قَوِيَ أمرُهُ أُنِيَ بِعَسْكَرِهِ حَتَّى نَزَلَ بَيْنَ الْقَيْرَوَانِ وَبَيْنَ قَصْرِ إِبْرَاهِيمَ ،

(١) الأصل : جلدك . وابن الأغلب يريد أن يقول أنه إذا تركه يصل إلى فحص تونس أصبح مثله ، ولهذا أصلحتها إلى « جلدك » وكذلك فعل ماركوس مولر .

(٢) في الأصل : مجاهد ، وهو خطأ كما سترى في ترجمته التي تلي هذه الترجمة . وهو عند ابن خلدون : عمران بن مجالد ( ١٩٦/٤ ) وعند التويري : ابن مجالد ، وفي نسخة : مُجَالِد ( ص ١٣٥ ) وعند ابن الأثير : ابن مخلد ( ج ٦ ص ١٠٧ من طبعة تورنبيرج بأوبسالا بالسويد ) .

وصارت القيروانُ في يده . وبعث إلى أسد بن الفرات ليخرج معه فأبى أسدٌ وتمارض ، فبعث إليه : « إما أن تخرج وإلا بعمتُ من بحرِ رجلِك ! » فقال أسد : « والله لئن أخرجتني لأنادينَّ في الناس : القاتل والمقتول في النار ! » فتركه عند ذلك .

وخندق إبراهيمٌ حول مدينته<sup>(١)</sup> ، ودامت الحرب بينهما سنة . ثم ضعف عمران فهرب إلى ناحية الزاب ، وسأل الأمان — هو وعمرو بن معاوية وعامر ابن المعمر — من إبراهيم ، فأجابهم إلى ذلك .

وبقى عمرانُ بالزاب إلى وفاة إبراهيم ومصير الأمر إلى ابنه أبي العباس عبد الله ، فكتب إليه عمرانُ يسأله تجديدَ الأمان فأمنه وأسكنه القصرَ معه ، وكان يغدو عليه ويروح إلى أن سعى به ، وقيل لعبد الله : « هذا ثار على أبيك وحاله حاله » . فبعث إليه في الظهيرة ، فلم يشكَّ في الشر . وكان عبدُ الله قد قال لمولى له : « إذا وردَ عليَّ وهو مشغول بالنظر فلا يشعُرْ إلا وقد رميتَ رأسه » ، فكان ذلك على ما حدّده . وكان يحيى بن سلام الفقيه صاحبُ التفسير قد سَفَرَ بينهما في الأمان على ماله ونفسه وولده ، فلما قتله وجِدَ لذلك وقال : « لا أسكن بلدًا أخفِرَ فيه العهدُ على يدي » ، فخرج إلى مصر ثم مضى إلى مكة فحج ، ورجع فلم يلبث إلا يسيراً حتى اعتلَّ ومات ، ودُفن بمصر سنة مائتين . ومن شعر عمران في حرب إبراهيم بن الأغلب مع تمام بن تميم ، وقد برز من الصف :

(١) مدينته هي القصر القديم قرب القيروان . وهي حصن ابتناه إبراهيم بن الأغلب لينتقل إليه مع أهله وجنده وحشمه ، إذ كان يخشى أجناد العرب والخراسانيين لكثرة ثوراتهم على الولاة قبله . وقد بدأ إبراهيم بن الأغلب في شراء الصقالبة والماليك حتى كَوَّن منهم جيشاً ، ثم انتقل إلى ذلك الحصن الذي عرف بالقصر القديم ، وأنشأ حوله قصوراً أخرى ومسجداً ومعسكراً لجنده . وابن خلدون يسميه العباسية (١٩٦/٤) .

يَا رُسُلَ الْمَوْتِ أَنَا عِمْرَانُ أَنَا الَّذِي أَنْتُمْ لَهُ أَعْوَانُ  
تُصَعِّقُ مِنْ خِيفَتِي الْفَرَسَانُ يَضْحَكُ عَنْ أَيَامِنَا الزَّمَانُ  
نَحْنُ ضَرْبَنَا النَّاسَ حَتَّى دَانُوا نَقْتُلُ أَهْلَ النَّكْثِ حَيْثُ كَانُوا  
نَفْرَجُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ تَمَامٍ وَهُوَ يَقُولُ :

ارْجِعْ عَلَى ظَلْعِكَ يَا عِمْرَانُ قَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ لَهُ تَهْتَانُ  
/ بِسَقِيكَهُ مِنْ رَاحَتِي سِنَانُ وَالظَّنُّ يَجْلُو شَكَّهُ الْعِيَانُ [١-٣١]  
فَشَدَّ عَلَيْهِ عِمْرَانُ فَطَعَنَهُ فِي ثُنْدُوتِهِ فَبَدَا عَامِلُ الرُّمَحِ مِنْ خَلْفِهِ .

### ٣٦ - عامر بن المعمر بن سنان التيمي ، تيم الرباب<sup>(١)</sup>

كَانَ عَلَى شُرْطَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ مَعَ عِمْرَانَ بْنِ مُجَالِدٍ  
وَعَمْرُو بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالرَّئِاسَةَ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ الثَّوْرَةِ لِعِمْرَانَ ، إِلَى أَنْ اسْتَأْمَنُوا  
جَمِيعًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَأَمَّتْهُمْ . وَكَانَ عَامِرٌ عَلَى قَسْطِيلِيَّةٍ وَالْيَا ، وَهُوَ الْقَاتِلُ فِيمَا وَقَعَ  
بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مِقَاتِلٍ وَتَمَامِ بْنِ تَمِيمٍ مِنَ الْحَرْبِ وَقِيَامِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ بِنُصْرَتِهِ :  
إِذَا كُرْبَةٌ شَدَّتْ خِنَاقَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا ابْنُ الْأَغْلَبِ فَارْجُ  
أَنَاهُ بَتَّامٍ عَلَى بَاسِهِ بِهِ يُقَادُ وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْحَارِجُ  
وَقَدْ كَانَ بِالْإِسْرَافِ أَلْقَى سَوَادَهُ وَلَمْ تَخْلُجْهُ فِي الْخِلَافِ الْخَوَالِجُ

(١) يريد أنه من تيم الرباب بن عبد مناة لا من تيم بن مرة أو تيم بن ثعلبة بن عكابة بن  
صعب أو تيم الأورم بن غالب .



فعاجله بالكيد حتى استعادهُ وأدركه من بعد ما قيلَ خارجُ  
ولو أنه يستودعُ الشمس نفسهُ إذا وَجَّتْ منه عليه الولائجُ  
وله في خروج خُرَيْش بن عبد الرحمن بتونس :

لولا دفاعك يا ابنَ أغلبٍ أصبحتُ أرضُ الغروبِ رهينةً لفسادِ  
ولعمنا ذاكَ الخلافُ بفتنةٍ تعدو كتابها بغير سوادِ  
قالوا غداةَ لقاءهم : لا ننثني حتى نحلَّ « الخلد » من بغدادِ  
فمنوا بأشوسَ ما تزالُ جِيادُه تشكو الوَحى من غارةٍ وطِرادِ  
تفخرتُ به سَعْدٌ فأصبح بيتُها فوق الفراقِد ثابتَ الأوتادِ  
ومن ولد عامر هذا حمزة بن أحمد بن عامر بن المعمر ، كان أديباً ظريفاً .

وأما أبوه المعمر بن سِنان فقدِم مع يزيد بن حاتم المهلبى فى ولايته لإفريقية ،  
وكان زميله فى طريقه إذا ركب فى عَمَارِيَّتِهِ ، لأنسه به واستماعه من حديثه . / [٢١ - ب]  
وكان أعلمَ الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها ، وعنه أخذ أهلُ  
إفريقية حربَ غطفانَ وغيرها من وقائع العرب .

## ٢٧ - حمزة بن السبال

### المعروف بالحرور

أحد رؤساء القواد وشجعان الأجناد ، وكان له من إبراهيم بن الأغلب آثرُ  
مكانٍ وألفُ محلٍ ، لِقَدَمِ صُحبته إياه وتصرفه معه حيث تصرف حاله ،  
فكان لا يدانيه عنده أخ ولا ولد ولا أحد من عشيرته . وكان والياً على طَبَنَة ،

ووجّهه إلى الرشيد في القواد المتوثبين على الولاة بالقَيْرِوان [ ... ]<sup>(١)</sup> ولده  
ولد إبراهيم يتولون لهم [ ... ]<sup>(١)</sup> إلى قيادة إلى عمالة حتى انقرضت دولة  
بني الأغلب . ومن شعره في إيقاعه بالمدكورين فيه<sup>(٢)</sup> :

سائلُ بأبراسٍ عَنَّا وَوَقَعَتْنَا      لما صَبَبْنَا القَنَا نحو ابنِ مِرْدَاسِ  
وَلَّى وَخَلَّى سَعِيداً رَهْنًا نَافِذَةً      مِنْ طَعْنِ أَرْوَغٍ للأرواحِ خَلَّاسِ  
فإن يتوبوا فقد ذاقوا وقائعنا      وإن يعودوا نعدُّ أخرى مِنَ الراسِ  
وله في حرب خُرَيْش الخارج على ابن الأغلب :

إن غاب إبراهيمُ عَنَّا أو حضرُ      فَإِنِّي أَنصُرُهُ فِيمَنْ نَصَرُ  
واللهِ لا أرجعُ إلا بظفرٍ      ليس يموت المرءُ إلا بقدَرٍ  
وكلُّ مَنْ خَالَفَنَا فقد كَفَرُ

فجعل ما يشدُّ على ناحيةٍ إلهَها . وبرز فارس من عسكر تمام بن تميم  
في خلافه وهو يقول :

إن ظفرتُ كَنَفِي بِإِبْرَاهِيمِ      هَدَدْتُ رَأْسَ العَزِّ من تميمِ

(١) يياض بالأصل . ومن اليسير أن نسد هذا الفراغ ونقرأ العبارة هكذا : « [ ثم خدم ]  
ولده ولد إبراهيم يتولون لهم [ من ولاية ] إلى قيادة إلى عمالة » .

ويلاحظ أن إبراهيم بن الأغلب بعد أن صار إليه الأمر أراد أن يبعد عن إفريقية كل من  
كان يخشى انقلابه عليه من وجوه العرب والقواد ، فأرسلهم إلى بغداد حيث سجنوا هناك ،  
ومن بينهم حزّة هذا مع أنه كان صديقه . أما أولاد حزّة فاشتهر منهم محمد بن حزّة في حروب  
أبي محمد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب مع منصور الطنبدي . وقد قتل حزّة في شهر صفر  
٢٠٩/مايو ٨٢٣ في معركة حامية مع الطنبدي ورجاله في تونس .

(٢) لم أستطع تقويم هذا اللفظ ، وهو غير مفهوم . وقد جعله مولر « بالمدكورين  
فيه » وهو تقويم مقبول على اعتبار أن المراد : المذكورين في هذا الشعر .

فلما سمعه إبراهيم نادى حمزة : « يا حمزة ، اخرج إلى هذا الكلب ! »  
فخرج إليه وهو يقول :

أَحْلِفْ بِالرَّكْنِ وَبِالْحَطِيمِ مَا فِيكُمْ كُنُفُو لِإِبْرَاهِيمِ  
لِيُصَيِّحَنَّ الْيَوْمَ كَالصَّرِيمِ

ثم شدَّ عليه فقتله .

### ٣٨ - إبراهيم بن محمد الشيعي

/ من أبناء أهل خراسان ووجوه أصحاب إبراهيم بن الأغلب ، وكان أقرب [ ٣٢ - ١ ]  
الناس إليه في [ ... .. ] <sup>(١)</sup> الداعية أهل خراسان ثم أهل الشام ثم أهل  
البلد <sup>(٢)</sup> ، وأنفذه رسولا إلى الرشيد وبعث صحبته برسل بهلول بن عبد الواحد <sup>(٣)</sup>  
المدغري ، فدخلوا عليه في اليوم الثالث من قدومهم ببغداد . واستأذن الشيعي  
هذا في الكلام بعد أن قال : « يا أمير المؤمنين ، رسولُ سيفك [ ... .. ] <sup>(٤)</sup>  
دولتك إبراهيم بن الأغلب » ، فأذن له على إثر هذا الخطب [ ... .. ] <sup>(٤)</sup> . وكان

( ١ ) بياض بالأصل ، نستطيع أن نسده بقولنا : في [ قتال ] الداعية . والداعية المشار  
إليه هنا هو إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسني ثاني أمراء الأدارسة بفاس . وكان بين الأدارسة  
والأغلبة تنافس وصراع ، وقد رأينا أن إبراهيم بن سالم بن الأغلب كان من المتهمين بقتل  
إدريس الأول .

( ٢ ) هذه العبارة على أكبر جانب من الأهمية التاريخية ، فهي تلقى ضوءاً واضحاً على  
تكوين القوة العسكرية للأغلبة ، وقيمة كل فريق من الفرق التي كانت تكونها . ويضاف إليهم  
فرقة من العبيد السود كانوا هم الحرس الخاص لإبراهيم بن الأغلب وبنيه من بعده .

( ٣ ) يستحسن أن تقرأ هنا : وبعث صحبته برسل [ منهم ] بهلول بن عبد الواحد المدغري .

( ٤ ) بياض بالأصل ، لا يعسر تصور ما ينبغي أن يكون فيه .

بليغاً مدركاً ، وهو القاتل في مجلس ابن الأغلب بالقيروان وبدار الإمارة منها  
عند قدومه لمحاربة تمام بن تميم بعد محاورة حسنة :

لولا ابن أغلب أضحى الغربُ ليس به عدلٌ ولا لبني العباسِ سلطانُ  
عمّ الخلافُ قلوبَ القومِ فابتدعوا إلا خصائصَ أدّتها خراسانُ  
جلا ابنُ أغلبَ عنا كلَّ مُظلمةٍ فيها المُطعمُ بسُكْرِ الخوفِ حيرانُ  
كادتُ شياطينُ تمامٍ تَرْدَنَ بنا بحرَ الضلالةِ والتمامُ [شَيْطٌ] <sup>(١)</sup> نانُ

### ٣٩ — عمرو <sup>(٢)</sup> بن معاوية القيسي

هو من ولد عُمر بن الحباب السّلمى أحد فرسان قيس وساداتها الأربعة  
في الإسلام ، وهم : عبد الله بن حازم ، والجحاف بن حكيم ، وعُمر بن الحباب  
المذكور ، وزُفر بن الحرث . وكان عمرو بن معاوية [يتولى] <sup>(٣)</sup> ناحية القصرين  
من إفريقية ، وخرج على إبراهيم بن الأغلب مع عمران بن مُجالد ، وكان وزيره  
الغالب عليه في أموره . ثم خرج ثانيةً على ولده زيادة الله بن إبراهيم — وكان  
قد ولّاه القصرين وما إليهما — فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف ،  
فلما ظفر به زيادة الله قتله ولديه الحباب وسكتان <sup>(٤)</sup> ، ودعا أهل بيته فشرب  
معهم ورؤوسهم بين يديه ، فغضب لهم منصور بن نصر الجشمي <sup>(٥)</sup> المعروف  
بالطنبُذيّ — وكان عاملاً على طرابلس — وتابَعَه الجندُ ، فاضطربت إفريقيةُ

(١) بياض في الأصل .

(٢) في الأصل عمرو ولكنه في بقية النص عمرو فقومته على هذا النحو .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق ، مستعيناً بما سيأتى بعد .

(٤) سبق أن علقنا على هذين الاسمين . انظر فهرس الأعلام .

(٥) كذا في الأصل ، وربما كانت أيضاً : الجشمي .

على زيادة الله وحُصِرَ في قصره ، ولم يبق في يده إلا الساحلُ وقابس<sup>(١)</sup> / إلى أن [٣٢ - ب] قتل منصور واستأنس [ . . . ]<sup>(٢)</sup> إلى زيادة الله وصَفَتْ له إفريقيةُ واستقامت بعد حروب طويلة وخطوب جليلة .

ومن شعر عمرو بن معاوية ما حُكى أن بعض أصحاب تمام بن تميم — يوم التقى هو وإبراهيم بن الأغلب ، عند خروج تمام على ابن العكَّي — برز من الصف وهو يقول :

اليومَ نسقيم سِوَى المَدَامِ      بالبيض يَهْوَى حَدَّهَا بالهامِ  
حتى تُخَلُّوا الغربَ للتَّمامِ  
وبرز إليه عمرو وهو يقول :

من مُبْلَغُ قَوْلِي إِلَى التَّمامِ      حَلْفًا بِرَبِّ الحِلِّ والحرامِ  
إليك محمول على الصَّمَمِ      وقد تَلَاقت حَلَقُ الحِزامِ  
ثم شد عليه فأرداه عن فرسه .

#### ٤٠ — بهلول بن عبد الواحد المدغرى

كان رئيساً في قومه ، وهو قام بأمر إدريس بن إدريس الحسنى صاحب المغرب ، ثم تغير عليه وفارقه ورجع إلى إبراهيم بن الأغلب عند ظهوره على إفريقية ، وذلك بتلطف إبراهيم في إفساد ما بينه وبين إدريس ، فجرت بينهما مكاتبات كان في بعضها مما كتبه البهلول إلى إبراهيم :

(١) الأصل : وفاس ، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) بياض في الأصل ، والمعنى مستقيم دون زيادة شيء .

لئن كنت تدعوني إلى الحق ناصحاً  
 لقدما أنانا عنك أنك ناصحٌ  
 وأنت محمودُ النقائبِ عندهم  
 فعجلْ عليَّ ردَّ رأيي فإنني  
 فجأوبه إبراهيم بقوله :

عرضتُ على البهلول ما إن أصابه  
 ليركب نهج الحقِّ، والحقُّ واضحٌ  
 فلا تترُكنِ رُشدَ الهدى لضلالةٍ  
 / وبائعُ هارونَ الإمامِ بطاعةٍ

[١-٣٣]

تعوّض منه طاعةً بخلافٍ  
 ونهجُ العمى وغرُّ المسالكِ عافٍ  
 كمُستبدلِ رنقِ الشرابِ بطافٍ  
 تجده على الإسلام خير مكافٍ

## المائة الثالثة

٤١ — عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن  
الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ،  
أبو المطرف

وهو عبد الرحمن الأوسط والرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس . بويغ له يوم  
وفاة أبيه الحكم المعروف بالربضي يوم الخميس لثلاث — وقيل لأربع — بقين  
من ذى الحجة سنة ست ومائتين (١) .

وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام . وكان فصيحا  
مفوها شاعرا ، مع سعة العلم والحلم وقلة القبول للبغي والسعائيات . وهو الذي  
استكمل نخامة الملك بالأندلس ، وكسا الخلافة أبهة الجلالة . وظهر في أيامه

---

(١) بويغ لعبد الرحمن الأوسط بعد موت أبيه الحكم الربضي بيوم واحد ، أى يوم  
الخميس ٢٦ ذى الحجة ٢٠٦ . وتاريخ وفاة الحكم الربضي ليس ثابتاً ، لأنه عندما شعر  
بإقتراب منيته أخذ البيعة لابنه عبد الرحمن ثم لابنه المغيرة من بعده يوم الأربعاء ١١ ذى الحجة  
٢٠٦ ، ثم دخل قصره واحتجب حتى مات بعد ذلك بأيام . والثابت هو تاريخ ولاية عبد الرحمن ،  
ولمّا تابعتنا فيما قلناه هنا ما ذكره ابن عذارى في البيان المغرب : ٧٧/٢ .

الوزراء والقواد وأهل الكور ، وشيّد القصور ، وجلب المياه من الجبل ، وبنى الرصيف على الوادى ؛ وهو القائل متشوقاً ومفتخراً :

فقدتُ الهوى مذ فقدتُ الحبيباً فما أقطع الليلَ إلا نحيماً  
وإما بدتُ لى شمسُ النّها ر طالعةٌ ذكّرتنى « طرُوباً »<sup>(١)</sup>

(١) طروب هى جارية عبد الرحمن الأوسط المحببة إليه وأكبر جواريه سلطاناً عليه ، رغم أنها كانت أقلهن وفاةً له . وقد كان عبد الرحمن مولعاً بالنساء ، فاستكثر من الجوارى ، وكثر لهذا أولاده ما بين ذكور وإناث . وكان أكبر أولاده ، والمرشح لخلافته تبعاً لذلك ، ابنه محمد . ولم تذكر المراجع أمه ، لأنها توفيت بعيد ولادته على الأغلب ، لأنّ التى أرضعته جارية أخرى من جوارى عبد الرحمن هى « الشفاء » وكانت جميلة تقيّة عاقلة ، خرجت مع زوجها الأمير فى إحدى غزواته فأصابها المرض ، فأعادها إلى قرطبة ، فانت فى الطريق ، ودفنت فى قرية مجاورة لطليلة . وقد أنجبت طروب من الأمير عبد الرحمن ابناً سمى عبد الله ، فطمحت نفسها إلى أن تحوز ولاية العهد له ، واجتهدت فى ذلك اجتهداً عظيماً دون توفيق ، وأخيراً لجأت إلى ما لجأت إليه مثيلاتها فى ظروف مشابهة : دبرت اغتيال عبد الرحمن وابنه محمد ليخلو الجوالبنها ، واشترك فى المؤامرة نصر الفتى كبير خصيان القصر . فكلّفوا مطبياً وفد من العراق فى ذلك الحين يسمى الحرّانى بأن يعدّ سماً ، فأعده خوفاً على نفسه من طروب ، وأفشى السر إلى جارية أخرى تسمى « فخر » فأبلغت الأمير ، فلما أتاه نصر بالشراب المسموم طلب إلى نصر أن يشربه فى حضرته ، فلم يستطع إلا أن يفعل ومات . أما طروب فلا نسمع أن الأمير غضب عليها . وهذا يميل إلى الشك فى حكاية المؤامرة كلها ، وإن كانت قد وردت عند الثقات من مؤرخينا ، إذ كيف يعقل أن تقوم طروب بذلك ثم لا يصيبها عقاب ؟ وإذا كان المراد هو التخلص من محمد ولّى العهد وأبيه عبد الرحمن ، فلماذا لم يقدم السم إلى هذا أيضاً ؟ الحقيقة - فيما أحسب - أن عبد الرحمن أكثر من الجوارى ، وكانت جواريه معروفات للناس بأسمائهن ، ذكر المؤرخون منهن طروباً والمؤمّرة والشفاء والمدنيّات الثلاث فضل وقلم وعلم ، فكان ذلك مثاراً لكثير من الشائعات والأقاويل .

A. GONZALEZ PALENCIA انظر : التكملة لابن الأبار ، القسم الذى نشره

M. ALARCON فى الكتاب المسمى *Miscelánea de Estudios y textos Arabes*. Madrid.

أرقام ٢٨٥٢ و ٢٨٥٣ و ٢٨٥٤ و ٢٨٥٥ و ٢٨٥٦ و ٢٨٥٨ .

وابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص ٧٦ - ٧٧ .



فيا طولَ شوقٍ إلى وجهها      ويا كبدًا أورتها نُدوبًا  
ويا أحسنَ الخلقِ في مقلتي      وأوفرهم في فؤادي نصيبا  
لئن حال دونك بُعدُ المزا      رٍ من بعد أن كنت منى قريبًا  
لقد أورت الشوقُ جسمي الضنى      وأضرم في القلب منى لهيبا  
عداني عنك مزارُ العدا<sup>(١)</sup>      وقودى إليهم لها ما لهيبا  
كأئن تحطيت من سبب<sup>(٢)</sup>      وجاوزت بعد دروب دروبا  
ألاقي بوجهي حرَّ الهجير      إذا كاد منه الحصى أن يذوبا<sup>(٣)</sup>  
وأدرعُ النفع حتى ليس      ت من بعد نظرة وجهي شحوبا  
/ أريد بذاك ثوابَ الإله      ومن غيره أبتغيه مُثيبا [٣٣-ب]  
أنا ابنُ الهشامين من غالب      أشبُّ حروبًا وأطفي حروبا  
بني أدارك الله دينَ الهدى      فأحييته واضطلمت الصليبا  
سموت إلى الشرك في جحفل      ملأت الحزون به والشهوبا  
وذكر سَكَنُ بنُ إبراهيم الكاتب<sup>(٤)</sup>      وغيره أنه أمر

(١) أورد ابن عذارى الأبيات ابتداء من هنا ، وقال إن عبد الرحمن قالها عندما خرج لغزو جليقية سنة ٢٣٥ ، وأخطأ فقال : فقال عبد الرحمن ابن الشَّمر (٢/٨٥ - ٨٦) ، وصحتها « فقال عبد الرحمن بن الحكم » .

(٢) عند ابن عذارى : وكم قد تعسفت من سبب .

(٣) عند ابن عذارى :

ألاقي بوجهي سموم الهجـ — يبر وقد كاد منه الحصى أن يذوبا  
(٤) لم نعر على أي تفصيل خاص بحياة سَكَن بن إبراهيم الكاتب على الرغم من أنه كان من أوائل المؤرخين في الأندلس ومجديهم ، فهو مصدر من مصادر ابن حيان ؛ وابن سعيد - في الذيل الذي علقه على رسالة فضل الأندلس لابن حزم - يسميه بالأخباري ، ويثنى عليه ويذكر له كتاباً عن طبقات الكتاب في الأندلس ، وقد سماه ابن حزم « سَكَن بن سعيد » . وكل ما لدينا من المعلومات عنه أنه كان من إشبيلية وأنه توفي سنة ١٠٦٥/٤٥٧ .

=

انظر: الضبى ، بغية ، رقم ٨٣٤ ص ٣٠٣ .

لجارية<sup>(١)</sup> من حظاياها بمقد جوهر كانت قيمته عشرة آلاف دينار ، فجعل بعض من حضره من وزرائه وخاصته يُعظم ذلك عليه ويقول : « إن هذا من الأعلام المضمون بها ، المدخرة للنائبة » ، فقال له عبد الرحمن : « ويحك ! إن لابس العقد أنفـس خطراً ، وأرفع قدراً ، وأكرم جوهرأ . ولئن راق من هذه الحصباء منظرُها ، ولطف إفـرِ نُدْها ، لقد برا الله من خلقه البشري جوهرأ تعشَى منه الأبصار وتَدِيهُ الأبواب . وهل على الأرض من شريف جوهرها ، وسِنَى زِبْرِجِها<sup>(٢)</sup> ، ومُسْتَلَدَّ نعيمها ، وفاتن بهجتها ، أقرُّ لعينٍ ، أو أجمعُ لزينٍ ، من وجهِ أكمل الله حُسَنه ، وألقى عليه الجمالُ بهجته ؟ » ثم دعا بعبد الله بن الشمر<sup>(٣)</sup> شاعره وجليسه فذكر له ما كان بينه وبين وزيره في شأن العقد وقال : « هل يحضرك

= المقرئ ، نفح الطيب (لايدن) : ١١٩/٢ .

جايانجوس ، ترجمة القسم الأول من نفح الطيب المعروفة باسم *History of the*

*Muhammedan Dynasties in Spain* . ٤٦٤/١ .

الغزيري ، فهرس الإسكريال : ١٣٧/٢ .

يونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون ، رقم ١٠٤ ص ١٣٨ .

الترجمة الفرنسية لرسالة ابن حزم في فضل الأندلس التي عملها *Charles Pellat* ونشرها باسم :

*Ibn Hazm, Bibliographe et Apologiste (Al - Andalus, XIX (1954) fasc. 1, § 27. p. 87 et n. 16.*

وأنخل جنزالث بالنيثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة ناشر هذا الكتاب ( القاهرة

١٩٥٥ ) ص ٢١٠ .

(١) قرأها دوزي (٦٢) : بحارية . وأورد نفس الخبر ابن عذارى في البيان

(٩٢/٢) وقال إن هذه الجارية هي طروب .

(٢) البيان (٩٢/٢) : زبرجدها .

(٣) عبد الله بن الشمر بن نعيم القرطبي ، شاعر عبد الرحمن الأوسط ومنجمه .

ترجم له ابن سعيد في « المغرب » ترجمة واسعة وجعله تحت علماء التنجيم ، وأورد كثيراً من شعره ونوادره في التنجيم ( طبعة الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ) رقم ٥٩ ج١

ص ١٢٤ .

شيء في تأكيد ما احتججنا به ؟ » ، قال : « نعم » ، وأطرق بُرَيْهَةَ  
ثم أنشأ يقول :

أَتَقُرَّنُ<sup>(١)</sup> حصباء اليواقيت والشَّذَرِ إلى مَنْ تعالى عن سَنَا الشمسِ والبَدْرِ ؟  
إلى مَنْ بَرَتْ قَدَمًا يَدُ اللَّهِ خَلَقَهُ ولم يَكْ شَيْئًا غَيْرُهُ أَحَدٌ يَبْرِي<sup>(٢)</sup> ؟  
فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ صَيَغَةٍ<sup>(٣)</sup> اللَّهُ جَوْهَرًا تَضَالَّ عَنْهُ جَوْهَرُ الْبَرِّ والبحر  
لَهُ خَلَقَ الرَّحْمَنُ مَا فِي سَمَائِهِ وما فوقَ أَرْضِيهِ وَمَكَّنَ فِي الْأَمْرِ  
فَأَعْجَبَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِبَهِيَّتِهِ ، وَتَحَرَّكَ طَبَعُهُ لِلْقَوْلِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ مَزَاجِيَا  
عَلَى رَوِيَّةٍ :

قَرِيضُكَ يَا ابْنَ الشَّمْرِ عَنِّي عَلَى الشَّعْرِ وَأُشْرِقَ بِالْإِيضَاحِ فِي الْوَهْمِ وَالْفَكْرِ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا جَالٍ فِي سَمْعٍ يُؤَدِّي بِسِحْرِهِ إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعًا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ<sup>(٥)</sup>  
/ وَهَلْ بَرَأَ الرَّحْمَنُ فِي كُلِّ مَا بَرَأَ أَقْرَ لَعِينٍ مِنْ مُنْعَمَةٍ بِكَرٍ [ ١-٣٤ ]  
تَرَى الْوَرْدَ فَوْقَ الْيَاسْمِينِ بِحَدِّهَا كَمَا قَوَّفَ<sup>(٦)</sup> الْرَوْضُ الْمُنَوَّرُ بِالزَّهْرِ  
فَلَوْ أَنَّي مُلِّكْتُ قَلْبِي وَنَظَرِي نَظَّمْتُهُمَا مِنْهَا عَلَى الْجِيدِ وَالنَّحْرِ  
فَقَالَ لَهُ ابْنُ الشَّمْرِ : « يَا ابْنَ الْخِلَافِ ، شِعْرُكَ وَاللَّهِ أَجُودُ مِنْ شِعْرِي ،

( ١ ) الأصل : أَيْقُرُنْ ، والتصويب من البيان المغرب : ٩٢/٢ .

( ٢ ) الأصل : يَبْصُرِي ، والتصويب من البيان : ٩٢/٢ .

( ٣ ) في البيان : صِنْعَةٍ .

( ٤ ) في البيان ( ٩٢/٢ ) : وَجَلَّ عَنْ الْأَوْهَامِ وَالذَّهْنِ وَالْفَكْرِ .

( ٥ ) في البيان ( ٩٢/٢ ) :

إِذَا شَافَهُتَهُ الْأُذُنُ أَدَّى بِسِحْرِهَا إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعًا فَجَلَّ عَنِ السَّحْرِ

( ٦ ) عِنْدُ دَوْزَى : فَوْقَ ، وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ صَحِيحَةٌ . قَوَّفَ مِنَ الْقَوَفِ ، وَهُوَ الْبَيَاضُ

مَعَ رَقَّةٍ ( اللِّسَانُ : ١٨٠/١١ ) .

وثناؤك عليه أفضل من صِلتي ، وما مِنْحُكَ لِي إِلَّا تَطَوُّلاً مِنْكَ بغيرِ استحقاق  
مِنِي » ، فأضعف جائزته وأكثر الثناء عليه <sup>(١)</sup> .

وله أيضاً في النسب :

قتلتني بهـواكا وما أَحْبُّ سِواكا  
مَنْ لِي بِسِحْرِ جُفُونٍ تُدِيرُهُ عَيْنَاكا  
وحمرة في بياضٍ تكسى به وجنتاكا  
إعطف عليّ قليلاً وأخيني برضاكا  
فقد قنعتُ وحسبي بأن أرى من رآكا

وحكى ابنُ فرج صاحب « كتاب الحقائق » أنه فرّق في يومٍ فصّد له  
بِدَرَأٍ عَلَى مَنْ حَصَرَهُ ، وعبيدُ الله بن قُرْلُمان أحد خواصه ومواليه غائب في باديته ،  
فابتدر فوجد أمراً قد نفذ ، فكتب إليه بأبيات منها :

يا مَلِكاً حَلَّ ذُرَى المجدِ وعمَّ بالإنعام والرّفْدِ  
طُوبَى لِمَنْ أَسْمَعَتْهُ دَعْوَةٌ فِي يَوْمِكَ المَانُوسِ بالقَصْدِ  
فَظُلَّ ذَاكَ اليَوْمَ مِنْ قَصْفِهِ مُسْتَوِطِناً فِي جَنَّةِ الخُلْدِ  
وقد عَدَانِي أَنْ أَرَى حاضراً جَدُّ مَتَى يُحْظَى الوري يَكْدِي <sup>(٢)</sup>  
فَأَمَنْ بَنُو بِلَى جَدّاً لَمْ يَزَلْ يَهُ أَهْلَ القُربِ والبُعدِ

(١) روى ابن عذارى (البيان : ٩٣/٢) نادرة لطيفة ، قال : ثم أمر لابن الشر  
بيدرة فيها خمسمائة دينار ، فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه ، فلما تواريا عن الأمير  
قال له الوصيف : « أين لذات العمر يا ابن الشر ؟ » فقال : « تحت إبطك يا سيدي . . »  
(٢) الأصل : متى يحظ الوري يكدي .

فوق في أسفل كتابه : « مَنْ آثَرَ التَّضَجُّعَ فَلْيَرْضَ بِحُظِّهِ مِنَ النُّومِ ! » ، فجوابه ابنُ قرمان بأبيات أولها :

\* لَا نَمْتُ إِنْ كُنْتُ يَا مَوْلَايَ مُحْرَمًا \*

فأمر له بالصَّلَاةَ وَرَدَّ فِي جَوَابِهِ :

لَا غَرَوَ أَنْ كُنْتُ مَمْنُوعًا وَمُحْرَمًا      إِذْ غَبَتَ عَنَّا وَكَانَ الْعَرَفُ مَقْسُومًا  
فَلَنْ يَنَالَ امْرَأَةٌ مِنْ حُظِّهِ أَمَلًا      حَتَّى يَشُدَّ عَلَى الْإِجْهَادِ حَزَنُومًا  
/ فَهَاكَ مِنْ سَبَبِنَا مَا كُنْتَ تَأْمَلُهُ      إِذْ نَحْتُ فَوْقَ رَجَاءِ الْوَرْدِ تَحْوِيمًا [٣٤ - ٣٥]

٤٢ - ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أبو عبد الله

بُيِعَ لَهُ فِي صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا أَبُوهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ غُرَّةَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَكَانَ أَيْمَنَ الْخُلَفَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ مُلْكًا ، وَأَسْرَاهُمْ نَفْسًا ، وَأَكْرَمَهُمْ تَشْدُّبًا وَأَنَاةً ؛ وَكَانَ السَّمْعَى عِنْدَهُ سَاقِطًا . يَجْمَعُ إِلَى هَذِهِ الْخُلَالِ الشَّرِيفَةِ الْبَلَاغَةَ وَالْأَدَبَ . وَتَوَفَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ مُنْسَلَخِ صَفَرٍ - وَقِيلَ لِلَّيْلَةِ بَقِيَّتُ مِنْهُ - سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِينَ [ سَنَةٍ ] ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا . وَهُوَ الْقَائِلُ فِي مَنْصَرَفِهِ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ :

قَفَلْتُ فَأَعْدَدْتُ السِّيُوفَ عَنِ الْحَرْبِ      وَمَا أُعْدَدْتُ عَنِ السِّيُوفِ مِنَ الْحُبِّ  
صَدَرْتُ وَبَى لِلْبَعْدِ مَا بَى ، فِرَازَانِي      إِلَى الشُّوقِ أَشْوَاقًا رَجَائِي فِي الْقَرَبِ  
أَحُلُّ شِدَادِي فِي السَّرَادِقِ نَازِلًا      وَلِلشُّوقِ عَقْدٌ لَيْسَ يَنْحُلُّ عَنِ قَلْبِي  
أَقْرُطِبُهُ ، هَلْ لِي إِلَيْكَ وَفَادَةٌ      تَقَرُّ بِعَيْنِي أَوْ تَمْتَدُّ مِنْ جَنْبِي ؟

سَقَى الْقَصْرَ غَيْثٌ بِالرُّصَافَةِ<sup>(١)</sup> مِثْلُهُ وَجَادَتْ عَزَّالِيَهُ<sup>(٢)</sup> كَجُودِي فِي الْجَدْبِ  
 عَدَانِي عَدُوٌّ عَنْ حَبِيبٍ ، فَزَرْتُهُ بِجَيْشٍ تَضِيقُ الْأَرْضُ عَنْ عَرْضِهِ الرَّحْبِ  
 إِذَا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلِ الدَّرُوعِ تَبَلَّجْتُ أَسْنَتَهُ فِيهِ عَنْ الْأَنْجَمِ الشُّهْبِ  
 عَلَى أَنْتَى حِصْنٍ لَجِيشِي إِذَا التَّقَوَّا وَعَزَى بِهِمْ أَدْنَى السِّیُوفِ إِلَى الضَّرْبِ  
 وَه :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ فَظَلَ مِصْطَبِحًا يَسْتَعْمِلُ الْإِبْرِيْقَ وَالْقَدْحَا  
 مَا زَالَ حَيًّا وَهُوَ يَشْرِبُهَا حَتَّى أَمَاتَهُ السَّكُوسُ ضَحَى

### ٤٣ — ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، أبو محمد

وَلَّى بَعْدَ أَخِيهِ أَبِي الْحَكَمِ الْمُنْذِرَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي صَفَرِ سَنَةِ خَمْسٍ  
 [٣٥-١] وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، / فَكَانَتْ  
 خِلَافَتُهُ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ أَدِيبًا ، شَاعِرًا ، بَلِغًا ، بَصِيرًا بِاللُّغَةِ وَالْغَرِيبِ  
 وَأَيَّامِ الْعَرَبِ . وَفِي أَيَّامِهِ اضْطَرَمَّتْ نَارُ الْفِتْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَتَنَغَصَّ عَلَيْهِ مُلْكُهُ .  
 وَمِنْ مَشْهُورِ شَعْرِهِ مَا وَقَعَ بِهِ إِلَى الْوُزَرَاءِ فِي قِصَّةِ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ وَعِيسَى  
 ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ<sup>(٣)</sup> ، إِذَا أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فَوْقَ الْآخَرِ ،

(١) قرأ دوزي هنا (ص ٦٥) : فالرصافة .

(٢) يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجود قد حلت عزاليتها وأرسلت عزاليتها (اللسان :

٤٦٩/١٤ - ٤٧٠) .

(٣) بنو حدير وبنو أبي عبدة من بيوت الأندلس الكبيرة التي تقاسمت الوظائف الكبرى  
 في الإمارة ثم في الخلافة الأندلسية ، وكانت تعرف بالبيوتات ، وأكبرها هذان البيتان ثم  
 بنو شهيد وبنو عبد الروموف وبنو فطيس ، وكلهم من موالى الأمويين المشرقيين أو الأندلسيين  
 أو موالى موالهم . فبنو حدير كانوا من موالى البيت الأموي المشرق ولهذا كانوا معلودين في -

فَسَخَا لما كان قد رتبهُ والدُهُ الأميرُ محمد بن عبد الرحمن من رفع الموالى الشاميين  
على البلديين :

موالى قريشٍ من قريشٍ فقدّموا      موالى قريشٍ لا موالى مُعَتَّبٍ  
إذا كان مولانا يساوم عفدنا      سِـواه فمولانا كأخـر أجـنبـي  
حوّل اسم « مغيث » إلى « مُعَتَّب » إغـمـاضاً وانقياداً للقفـايـة .  
وله فى النسيب :

يا كَبِدَ المـشـتـاق ما أوجـمـكُ      ويا أُسـيرَ الحـب ما أخـضـمـكُ  
ويا رـسـولَ العـينِ مِن لحـظـها      بالـرد والتـلـيـغ ما أـسـرـعـكُ  
تـذهـب بالـسر وتأتى به      فى مـجـلـسٍ يـخـفـى عـلى مَن مـمـكُ  
كـم حـاجـةٌ أنـجـزت موعـدـها      تـبـارك الرـحـمـنُ ، ما أطـوعـكُ !  
وله فى ذلك :

وينـجـى عـلى شـادـنٍ كـحـيـلٍ      فى مِثـله يُخـلـع العـيـذـارُ  
كأنـمـا وجـنـتـاه وـردُّ      خـالـطـه النـوـرُ والبـهـارُ  
قـضـيبُ بـانٍ إذا تـنـنـى      يُـدـير طـرفـاً به احـورارُ  
وقـفـتْ عـلـيـه صـفـاه وُدّى      ما اخـتـلـف اللـيـلُ والنـهـارُ

= الشاميين ، أما بنو أبي عبدة فكانوا موالى مغيث الرومى مولى الوليد بن عبد الملك ، ولهذا فقد كانوا معدودين فى البلديين أى أهل البلد ، لأن أصلهم من الأندلس . وقد كان الأمير محمد قد قرر أن يتقدم الشاميون على البلديين ، ومن المعروف أن الوزارة فى الأندلس كانت تتألف من حاجب أشبه برئيس الوزراء ثم عدد من الوزراء ، فلو اجتمع فى الوزارة شامى وبلدى كان التقدم للأول . وكان كل من موسى بن محمد بن حدير وعيسى بن أحمد بن أبي عبدة من أكبر رجال بيتيها ، وقد ولّى أولها الحجابة للناصر . فلما اجتمعا فى الوزارة أيام الأمير عبد الله أراد عيسى بن أحمد ابن أبي عبدة أن يتقدم على صاحبه ، لأن أباه أبا العباس أحمد بن أبي عبدة كان أكبر قواد الأمير عبد الله وهو صاحب الفضل فى إنفاذ الإمارة من الضياع ، ولكن الأمير عبد الله أثر أن يظل الأمر كما رسمه أبوه ، وقرر أن يظل بنو حدير متقدمين على بنى أبي عبدة .

وله في الزهد :

يا مَنْ يراوِغُه الأجلُ حَتَّامٌ يُلهِيكَ الأملُ  
 حَتَّامٌ لا تَحْشَى الرَّدَى وكأنَّه بَكَ قد نَزَلَ  
 أَغْفَلْتَ عَنِ طَلَبِ النِّجاةِ ولا نِجاةَ لِمَنْ غَفَلَ  
 هِيَّاتَ يَشْغُلُكَ الرِّجاءُ ولا يَدومُ لَكَ الشُّغْلُ

[٢٥-٣] / وله في مثله :

أرى الدنيا تصير إلى فناء وما فيها لشيء من بقاء  
 فبادرْ بالإِنابةِ غيرَ لاوٍ على شيء يصير إلى فناء  
 كأنَّكَ قد مُحِلْتَ على سِريرٍ وصارَ جَدِيدُ حُسْنِكَ لِلْبلاءِ  
 فَنَفْسُكَ فابْكِيها أو نُحْ عليها فَرُبَّتْما رُحِمَتْ على البكاءِ  
 وكان ، بفضل أدبه ، ربما استرسل ، فقال بحسب ذلك أو تمثّل ، ثم لا يدعه  
 كرمُ الأوائل ، وشرف الشماثل ، حتى يُدنى من أقصاه ، ويُبدى لمن أعتب  
 رضاه . قال في النّضر<sup>(١)</sup> بن سَلَمَةَ الكِلابِي :

أنت يا نضر أبَدَةٌ لست تُرَجى لفائدة  
 إنما أنت عِدَّة لَكيف ومائده

(١) في الأصل : النضر بوضوح ، وكذلك عند ابن عذارى (١٥٤/٢) . ولكن  
 فرانيسكو كوديرا ناشر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي قرأه : نصر . وهو النضر بن سلمة  
 ابن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن علي الكلابي القيسي . ترجم له ابن الفرضي  
 تحت رقم ١٤٩٦ ، ج ٢٨/٢ - ٢٩ وقال إنه من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد ، استقضاء  
 الأمير عبد الله بن محمد بقرطبة مرتين ثم استوزره . . وقال الرازي إنه توفي يوم الثلاثاء  
 ٩ ذى الحجة ٢٦/٣٠٢ يونيو ٩١٥ . وترجم ابن الفرضي لأخيه محمد تحت رقم ١١٣٩  
 (٣٢٠/٢) وقال إن الأمير عبد الله استقضاء بعد أخيه النصر (كذا وصحّتها : النضر) بن سلمة ،  
 وكان رجلاً صالحاً كثير العلم . توفي في ذى الحجة ٢٨٩/نوفمبر ٩٠٢ .



وعلى ذلك استقضاء مرتين ، ثم استوزره واستقضى أيضاً أخاه محمد بن سلمة ثقيلًا للأخلاق الحكيمية<sup>(١)</sup> ، وجرياً على الأعراق العيشمية .

وقرأتُ في تاريخ الحميدى ، أن الوزير سليمان بن وانسوس<sup>(٢)</sup> — وكان من رؤساء البربر — دخل عليه يوماً — وكان عظيم اللحية — فلما رآه مقبلاً جعل الأمير عبد الله ينشد :

هَافَةٌ<sup>(٣)</sup> كأنها جَوَالِقُ نكراء لا بارك فيها الخالقُ  
للقل في حافاتها نفاقُ فيها لباغى المتكا مرافقُ  
وفي احتدام الصيف ظلُّ رائقُ إن الذى يحملها لماثقُ

ثم قال له : « اجلس يا بربرى ! » فجلس وقد غضب فقال : « أيها الأمير ، إنما كان الناس يرغبون فى هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم ، وأما إذ صارت جالبة للذل فغفينا عنكم ، فإن حُلِّمَ بيننا وبينها فلنا دور تسعنا ، لا تقدرُونَ على أن تحولوا [ بيننا و ]<sup>(٤)</sup> بينها » ثم وضع يديه فى الأرض وقام من غير أن يسلم ،

( ١ ) هنا يلمح ابن الأبار ويشير إلى ما تقتضيه « الأخلاق الحكيمية » و « الأعراق العيشمية » إشارة إلى غضب السلطان أبى زكريا عليه وإبعاده وإلزامه بيته ، مما حفز ابن الأبار على تأليف كتابه « إعتاب الكتاب » على ما هو معروف وما ذكرناه فى المقدمة . وقد كان ابن الأبار سهى الحظ فى تونس بسبب حدة مزاجه وعدم ضبطه لسانه ، فكان معظم أيامه مبعداً أو مغضوباً عليه كالبعيد ، ولهذا تكثر فى كتبه مثل هذه الإشارات .

( ٢ ) سترجم ابن الأبار لسليمان بن وانسوس هذا فيما بعد .

( ٣ ) الهلوفة والهلوف اللحية الضخمة .

( ٤ ) وردت هذه العبارة مضطربة بالأصل ، بعضها فى المتن وبعضها فى الهامش ، وقد وردت « فغنينا » « تغنينا » وقد قومها دوزى ( ص ٦٧ ) على هذا النحو ، وهو تقويم مقبول ، فأخذناه . وقوله : « فإن حُلِّمَ بيننا وبينها » المراد بها المنزلة أو وظيفة الوزارة التى كان يحتلها سليمان بن وانسوس فى ذلك الحين . وأما قوله : « فلنا دور تسعنا لا تقدرُونَ على أن تحولوا بيننا وبينها » إشارة إلى بيت أسرته الأول فى مازدة ، وكان جده قد ثار فيها وامتنع على الحكم الربضى وسبب له متاعب طويلة حتى استسلم ولده وانسوس ونشأ ابنه سليمان فى قرطبة على الطاعة . وتصرف الأمير عبد الله مع سليمان يعرض علينا جانباً من سياسته العامة ، فقد كان يدارى الناس ما أمكن تجنباً لمزيد من الثورات التى ملأت عصره كله .

ونهب إلى منزله ، فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دَسْتَهُ<sup>(١)</sup> الذي كان يجلس عليه ؛ وبقي كذلك مدة .

ثم إن الأمير عبد الله وجد فَقْدَهُ<sup>(٢)</sup> لِفَنَائِهِ وأمانته ونصيحته وفضل رأيه ، فقال للوزراء : « لقد وَجَدْتُ لفقْد سليمان تأثيراً ، وإن أردتُ استرجاعه ابتداءً [ ١-٣٦ ] منا كان ذلك غضاضةً علينا ، ولَوَدِدْتُ أن يبتدئنا بالرغبة » ، فقال له / الوزير محمد بن الوليد بن غانم : « إن أذنت لي في المسير إليه استهنضتُه إلى هذا » فأذن له . فنهض ابنُ غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن ، وكانت رُبَّة الوزارة بالأندلس أيام بني أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله ، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه أولاً لحظة<sup>(٣)</sup> ، فأبطأ الإذنُ على ابن غانم حيناً ، ثم أذن له ، فدخل عليه فوجده قاعداً ، فلم يتزحزح له ولا قام إليه . فقال له ابن غانم : « ما هذا الكِبَر ؟ عهدى بك وأنت وزير السلطان وفي أبهة رضاه تتلقاني على قَدَم وتزحزح لي عن صدر مجلسك ، وأنت الآن في موجدته بضد ذلك ! » فقال له : « نعم . لأنني كنت حينئذ عبداً مثلك ، وأنا اليوم حر » ، فمئس ابنُ غانم منه وخرج ولم يكلمه ، ورجع إلى الأمير فأخبره ؛ فابتدأ الأمير بالإرسال إليه ورده إلى أفضل ما كان عليه .

#### ٤٤ — يعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

ويُكنى أبا قُصَيٍّ ؛ كان أديباً شاعراً مطبوعاً كلفاً بالعلوم ، جواداً لا يُليق

( ١ ) أى عزله من الوزارة . وقد كان لكل عضو من أعضائها دست أى مقعد يجلس عليه عند اجتماع الوزراء . وكان دست رئيسهم — وهو الحاجب — أعلى من دست الآخرين .

( ٢ ) الأصح أن نقرأ هنا : وَجَدَ لفقده ، أى حزن لغيابه .

( ٣ ) كذا في الأصل بوضوح . وأصح أن نقرأ هنا : ولا لحظة .



## ٤٥/ - أخوه بشر ابن الأمير عبد الرحمن

[٣٦ - ب]

ذكر أبو محمد بن حزم في كتاب « جمهرة الأنساب » <sup>(١)</sup> أنه كان شاعراً ،  
وأشده له أبو عمر بن فرج صاحب « كتاب الحقائق » :

حجابك لى عن الدنيا حجابُ      ويوم لا أراك به عذابُ  
وقد كانت تضيق الأرضُ عندى      إذا وارك سِتْرُ أو نقابُ  
فكيف أعيش إذ <sup>(٢)</sup> وارك عنى      قصور دونها بابُ فبابُ ؟

وليعقوب وبشر هذين إخوة جلة [ منهم ] <sup>(٣)</sup> هشام ، وكان من أهل العلم  
والفضل والبصر بالعربية ، وأكثرَ من الرواية عن يحيى بن يحيى . وكان أبوه  
الأمير عبد الرحمن الحكم قد نصبه في خلافته للصلاة على جنائز أهل قصره  
وأكابر رجاله ، كما نصب عبد الرحمن [ بن معاوية ] ابنه هشاماً . [ ومنهم أبان  
وء ] [ ثمن على اختلاف فيه ، [ وهما ] <sup>(٤)</sup> ابنا عبد الرحمن بن الحكم ، وكانا أديبين  
شاعرين ، وسيأتى ذكرهما في آخر التأليف إن شاء الله تعالى .

( ١ ) لا وجود لهذا في « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم التي بين أيدينا ، مما يدل  
على أن نسختنا مختصرة . ومن أسف أن ذلك الاختصار نال الكثير مما وصلنا من الكتب .

( ٢ ) الأصل : إذا ، ولا يستقيم به الوزن .

( ٣ ) أضافها دوزى هنا ( ٦٩ ) وهى إضافة في موضعها .

( ٤ ) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، بعضها في المتن وبعضها في الهامش ،  
وقد رتبناها على هذا النحو كما فعل دوزى ( ص ٦٩ ) . وقد أثبت دوزى اسم أبان اعتماداً على  
أن ابن الأبار ترجم له مع أخيه عثمان بعد ذلك . ولم أجد اسم أبان بين أولاد عبد الرحمن بن الحكم  
كما أوردهم ابن حيان نقلاً عن الرازى ( مخطوط ١٩٤ ب ) ، وليس له ذكر كذلك في نسب  
بنى أمية الأندلسيين كما ذكره ابن حزم في « الجمهرة » ( ص ٩٠ ) ، وربما كان هذا هو السبب  
في قول ابن الأبار بعد أن ذكر أبان وعثمان : « على اختلاف فيه » .

## ٤٦ — القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ، أبو محمد

كان من الأدباء الشعراء ، إلا أنه مُقِلٌّ . وكان أحد الجبابرة الموصوفين ، شديد البأ وتيهاً ؛ وقَبِضَ عليه أخوه الأمير عبد الله فأت في حبسه مسموماً . ومن شعره [ و ] <sup>(١)</sup> بدبهته السائرة في الناس ، وقد دخل دار أخيه عثمان بن محمد فاستسقى ماءً فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها ، وأنشأ يقول :

الماء في دارِ عثمانَ له ثمنٌ      والخبزُ فيها له شأنٌ من الشأنِ  
فاستسقى على كلِّ عثمانٍ مررتَ به      إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ  
كذا قال ابنُ حبانَ ، وهو غلط لاخفاء به . وإنما البيتان من قطعة  
لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أنشدهما أبو عمر [ بن عبد البر النمري في كتاب  
« بهجة » <sup>(٢)</sup> المجالس ] من تأليفه وهي :

يا أختَ كِنْدَةَ جاني شربَ عثمان      وأزِمعي لبني أودٍ بهجرانِ  
يا أختَ كِنْدَةَ سِيري سِيرِ ساخطِ      كي تَنثَوِي مُتَوَي غَضْبِي وَغَضْبَانِ  
/ الماء في دارِ عثمانَ له ثمنٌ      والخبزُ فيه له شأنٌ من الشأنِ [ ١-٣٧ ]  
عثمان يعلمُ أنَّ الحمدَ ذو ثمنٍ      لكنه يشتَهي حَمدًا بِمَجَانِ  
والناسُ أكيسُ من أن يَحمدوا رجلاً      حتى يَروا عَفْدَه آثارَ إِحسانِ  
اغسلْ يَدَيْكَ بِأَسْنَانٍ وَأَنْقِهِمَا      غَسَلَ الْجَنَابَةِ من معروفِ عثمانِ  
واستسقى على كلِّ عثمانٍ مررتَ به      إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ

(١) أضفنا الواو هنا للسياق .

(٢) بياض في الأصل ، وهكذا أكله دوزي ، وهو حسن .

وأُشْد له الحَمِيدى وقال فيه [ ... ... ] القاسم غلط منه <sup>(١)</sup> :  
 سَكَنْتُ من قلبى الهوى ما أمكنا      ولقد أراه للصباية معدنا  
 هذا هلالٌ قد بدا ومدامةٌ      تجرى براحته وعيش قد هنا  
 وله أبيات كتب بها إلى محمد بن عبد العزيز العقبى الأديب لم يجد رصفها  
 فرأيت حذفها .

#### ٤٧ - المطرف ابن الأمير محمد ، أبو القاسم

شقيق القاسم المذكور آنفاً . برع في الشعر وهو ابن عشرين سنة ، وتوفى  
 معتبطاً في حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين ، وكان آدبَ وَلَدِ الأمير محمد  
 وأشعرهم . ذكر ذلك ابن حَيَّان ، وقال أبو محمد بن حزم في كتاب « جمهرة  
 الأنساب » من تأليفه — وذَكَرَ المطرف هذا : « كان شاعراً مقلداً ، عالماً  
 بالغناء . وكان له عَقَبٌ قد انقرض » .

وأُشْد له صاحب « الحداثق » يرثى أخاه عبد الرحمن بن محمد :  
 أَخْ كان إن لم يمرع الناسُ أصبحتُ      مواهبُهُ للناسِ وهى مرابعُ  
 كثيرٌ عليك الحزن من كلِّ جانبٍ      كما كثرتُ من راحتِكَ الصغائمُ  
 عليك سلامُ الله ، إن الذدى له      زوالٌ وإنَّ السعى بعدك ضائعُ  
 وله فيه :

يا عابدَ الرحمن ما أوضحَ فينا سُبُلَكَ

(١) كذا في الأصل ، ولم أستطع تقويم العبارة من جنوة المقتبس للحميدى كما وصلتنا .

أَيَقُضَتْ<sup>(١)</sup> شِعْرِي أَبَدًا      فَاَلْقَوْلَ لِي وَالْفِعْلَ لَكَ  
 مَا الشُّكْلُ وَالْحَسْرَةُ [...]      [...] [ ... ... ]<sup>(٢)</sup>  
 يَا مَوْتَ أَعْجَلْتَ فَتًى      فِي<sup>(٣)</sup> الرَّوْعِ قَدِمًا أَعْجَلْتُ  
 /وله أيضا :

[٣٧ - ب]

أَشْهَى مِنَ الْكَاسِ حَامِلُ الْكَاسِ      أَرْعَاهُ مَا طَافَ حَوْلَ جُلَاسِي  
 يَثْقُلُ مِنْ أَجَلِهِ الْجَلِيسُ      وَلَوْ كَانَ مِنَ النَّسِكِ آمَنَ النَّاسُ  
 وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ الْمُنْذَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ مَائِلًا إِلَيْهِ :  
 هَلْ أَتَيْتَنِي مُشْرِفًا عَلَى نَهْرِي      أُرْمِي بِطَارْفِي إِلَيْهِ مِنْ قَصْرِي  
 عِنْدَ آخِرِ لَوْ دَهَّتْهُ حَادِثَةٌ      أُعْطِيَتْهُ مَا أَحَبُّ مِنْ عَمْرِي  
 نَشْرَبُ نَحْلِيَّةً<sup>(٤)</sup> فَضِيلَتَهَا      أَتَحْفَتِ الْخَمْرَ ذِلَّةَ الْخَمْرِ ؟  
 فَوَعْدُهُ الْكَوْنُ عِنْدَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْتَنْجِزُهُ :

وَلَوْعُ النَّفْسِ بِالْوَعْدِ الْوَفَى      وَإِنْجَازُ الْمَقَالِ عَلَى الْوَلَى  
 فَإِنْ أَرْضَاكَ أَنْ نَعْدُو ضَحَاءَ      وَإِلَّا كَانَ ذَاكَ مَعَ الْعَشَى  
 نَكُونُ ثَلَاثَةً أَنْتَ الْمُبْدَى      وَنَحْنُ إِلَيْكَ ، ثُمَّ أَبُو عَلِيٍّ

(١) الأصل : أبغضت ، ولا يستقيم بها المعنى . وقد جعلها دوزي : أيقضت ، وما أثبتناه أقرب للسياق .

(٢) تركها الناسخ بياضا ، ولعل تمام البيت :

ما الشُّكْلَ وَالْحَسْرَةَ [ لِي \* الشُّكْلَ وَالْحَسْرَةَ لَكَ ]

(٣) نسي دوزي (ص ٧١) هذا الحرف .

(٤) كذا في الأصل ، وقرأها دوزي (ص ٧١) : قحلية ، ولم أجد أى اللفظين أو ما يقرب منهما في باب الخمر في مخصص ابن سيدة ، ولا وجدت لأحدهما معنى يتصل بالخمر في المعاجم ، وكل ما وجدت في مفردات ابن البيطار لفظ نخل ، عفار كان يتطرب به .

وله في الشَّيب :

إِن شَيْبًا وَصَبَوَةً لُمَحَالُ      قَدْ أُنَى أَنْ يَكُونَ عَنْهَا زَوَالُ  
رَكَبَ الشَّيْبُ إِمَّتِي خَلَلَ الشَّعْرَ      رَ لَوْ قَتِ حَالَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ  
فَدَعِ<sup>(١)</sup> النَّفْسَ عَنْ مَزَاحٍ وَلَهُوَ      تِلْكَ حَالٌ مَضَتْ وَجَاءَتْ حَالُ  
وَلِحَمْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُتْبِيِّ فِيهِ ، يَفْضُلُ شَعْرَهُ عَلَى أَشْعَارِ إِخْوَتِهِ وَأَقْرَبَائِهِ :  
يُعْنِي<sup>(٢)</sup> مَسَامَعَنَا لَدَيْهِ حَوَالِيًّا      بَلَائِيٍّ مِنْ لَفِظِهِ وَزَبْرَجِدِ  
وَالشَّعْرُ يُسَجَّدُ نَحْوَ قِبْلَةِ شَعْرِهِ      وَلِغَيْرِ قِبْلَةِ شَعْرِهِ لَمْ يُسَجَّدِ

#### ٤٨ - إبراهيم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أخوها

أَنشَدَ لَهُ ابْنُ فَرَجٍ فِي « كِتَابِ الْحَدَائِقِ » :

دُنُوكَ مِنِّي فِي مَنْزِلِي      هُوَ الْمُلْكُ يَسَّرَهُ اللَّهُ لِي  
/ فَيَكُنْفُنَا جَانِبَ وَاحِدٍ      وَيَجْمَعُنَا الشَّرْبُ مِنْ مَنَهْلٍ  
وَإِنْ حَالَ دُونَكَ بَابًا حَدِيدٍ      وَقَصَرُ مَشِيدٍ مِنَ الْجُنْدَلِ

[١-٣٨]

هؤلاء المروانيون في هذه المائة .

\* \* \*

ومن الحسينيين فيها :

(١) الأصل : فَرَعَ .

(٢) الأصل : يُعْنِي ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا ، وَقَدْ تَكُونُ صَحَّتُهُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .



## ٤٩ - القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي

وَلِي الْبَصْرَةِ<sup>(١)</sup> وَطَنْجَةَ وَمَا يَلِيهِمَا لِأَخِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الْقَاسِمَ بَعْدَ أَبِيهِ  
سُلْطَانَ الْمَغْرِبِ . وَكَانَ إِدْرِيسُ قَدْ وَلَدَ مُحَمَّدًا هَذَا وَالْقَاسِمَ وَأَحْمَدَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَعِيسَى  
وإِدْرِيسَ وَجَعْفَرًا وَيَحْيَى وَحَمْزَةَ وَعَبِيدَ اللَّهِ وَدَاوُدَ - وَبِهِ كَانَ يُكْنَى -  
وَعُمَرَ ، وَبَنَاتَ .

وَلَمَّا تَوَفَّى إِدْرِيسُ مَسْمُومًا فِي حَبَّةِ غَنْبٍ<sup>(٢)</sup> سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ  
- كَمَا تَقْدُمُ ذِكْرَهُ - اجْتَمَعَتِ الْبُرُجُ عَلَى مُحَمَّدَ ، فَبَايَعَ لَهُ إِخْوَتَهُ جَمِيعًا ،  
وَاتَّخَذَ مَدِينَةَ فَاسَ قَرَارًا ، وَفَرَّقَ بِلَادَ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup> ؛ فَكَثُرَ أَخُوهُ عِيسَى

(١) يريد بَصْرَةَ الْمَغْرِبِ وَكَانَتْ بَلَدًا إِسْلَامِيًّا مَشْهُورًا ، وَلَا زَالَتْ آثَارُهُ بَاقِيَةً ظَاهِرَةً  
عَلَى يَسَارِ الطَّرِيقِ مِنْ طَنْجَةِ إِلَى سَوَاقِ الْأَرْبَاعِ ، وَهِيَ عَلَى نَحْوِ ١٠٠ كِيلُومِترَ جَنُوبِي طَنْجَةِ فِي خُطِّ  
مُسْتَقِيمٍ تَقْرِيبِيًّا ، وَتُسَمَّى بَصْرَةَ الْكُتَّانِ أَوْ بَصْرَةَ الذَّبَانِ ، أَسَّسَهَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الثَّانِي سَنَةَ ٢١٨ /  
٨٣٣ ، وَقَدْ أَطَالَ الْكَلَامَ عَلَيْهَا أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ (ص ١١٠ - ١١١) وَذَكَرَهَا ابْنُ حَوْقَلٍ  
وَالْإِدْرِيسِيُّ وَغَيْرُهُمَا .

انظر: أحمد المكناسي ، خريطة المغرب الأركيولوجية (تطوان ، ١٩٦١) ص ١١ .  
وانظر عنها: الاستقصا للسلاوي (الدار البيضاء ١٩٥٤) ١ / ١٧٢ .

(٢) هذه أيضاً رواية روض القرطاس (ص ٦) وكانت وفاته حسب رواية هذا  
الكتاب في ليلة ١٢ جمادى الثانية ٢١٣ / ٢٩ أغسطس ٨٢٨ وكانت سنه ٣٨ سنة .

(٣) كان مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ قَدْ قَسَمَ نَوَاحِي دَوْلَتِهِ بَيْنَ إِخْوَتِهِ ، نَصَحْتَهُ  
بِذَلِكَ جَدَّتُهُ كَنْزَةُ . وَقَدْ أُوْرِدَ هَذَا التَّقْسِيمُ ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فِي رَوْضِ الْقُرْطَاسِ (طبعة فاس ، ص ٦) ،  
وَابْنُ عَذَارَى فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ (١ / ٢١٠) ، وَالسَّلَاوِيُّ فِي الْإِسْتِصْقَا (١ / ١٧٣) ، وَالْبَكْرِيُّ فِي  
وَصَفِّ إفْرِيقِيَّةٍ ؛ وَهَذَا التَّقْسِيمُ يَهْمُنَا هُنَا لِتَبَيُّنِ تَتَبُعِ الْخَوَادِثِ الْخَاصَةِ بِمَنْ يَتَرَجَّمُ لَهُمُ ابْنُ الْأَبَارِ  
مِنَ الْأَدَارَسَةِ . وَفِيمَا يَلِي جَدُولَ مَقَارَنَ هَذَا التَّقْسِيمِ ، وَلَمْ نُورِدْ نَصَّ ابْنِ عَذَارَى لِأَنَّهُ لَا يَضِيفُ  
شَيْئًا ذَا بَالٍ :

ابن إدريس وخرج عليه ، فسكتب محمد إلى القاسم يأمره بمحاربته إذا كان  
يحاديده<sup>(١)</sup> في ولايته ، فأبى القاسم وكتب إليه معذراً من توقفه عما أمره به :  
سأترك للراغب الغربَ نهبا وإن كنت في الغرب قتيلا ونذبا  
وأسمو إلى الشرق في همّة يعز بها رُتباً من أحبنا  
وأترك عيسى على رأيه يعالج في الغرب همّاً وكرباً

الاستقصا	روض القرطاس	= وصف إفريقية
مثل روض القرطاس .	طنجة . سبتة . قلعة حجر النسر . تطوان . بلاد مصمودة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل .	القاسم : البصرة وطنجة وما والاها .
بلاد هوار . تسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغياثة .	بلاد هوار . تسول . بلاد غياثة .	داود : هوار تاسلمت .
أصيلا والبصرة والعرائش ورغة .	البصرة . أصيلا . العرائش إلى بلاد ورغة .	يحيى : داي وما والاها .
تيكساس . ترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغارة .	مدينة تمنجساس . بلاد هوار وما والاها .	عمر : صنهاجة وغارة .
مكناسة . تادلا وما بينهما من بلاد فازاز .	مكناسة . بلاد فازاز . بلاد تادلا .	أحد : لم يذكره في هذه الولايات .
أغات . نفيس . جبال المصامدة . بلاد لمطة . السوس الأقصى .	مدينة أغات . بلاد نفيس . بلاد المصامدة . السوس .	عبد الله : لمطة وما والاها .
وليلي وأعمالها .	تلمسان وأعمالها .	حزة : الأودية بقرب وليلي .
سلا . شالة . آزمو . تامسنا وما انضم إلى ذلك من القبائل .	مدينة شالة وبلاد تامسنا .	عيسى : وازمور وسل .

وأجمع الأربعة على أن الباقيين من إخوته كانوا صفاراً ، فبقوا في كفالة جدتهم كنزة .  
ويلاحظ أن ابن الأبار في كلامه هنا يقول إن القاسم تولى البصرة إلى جانب طنجة متابعاً البكرى  
في حين أنها - حسب روض القرطاس والاستقصا - كانت من نصيب يحيى .  
( ١ ) كذا في الأصل ، واللفظ غير واضح المعنى ، فإن كان المراد أن حدود ولايتهم  
متجاورة لم يصح ذلك تماماً كما يتضح من الجدول السابق . والغالب أنها تصحيف للفظ يعاديه أو يجاذبه .

ولو كان قلبي عن قلبه لـكنت له في القـرابة قلباً  
وإن أحدث الدهر من ربيـه شقاًفاً علينا وأحدث حرباً  
فإني أرى البعد سترأ لنا يجدد شوقاً لدينا وحباً  
ولم نـجـن قطعاً لأرحامنا نلاقى به آخر الدهر عتياً  
وتبقى العداوة في عقبنا وأكرم به حين نعقب عقباً  
وأوفق من ذاك جوب الفلاة وقطع الحرام نقباً فنقباً

/ فكتب محمد إلى أخيه عمر — وكان على صنهاجة وغمارة<sup>(١)</sup> — يأمره [٣٨-ب] بمحاربة عيسى، فأجابه وسارع وخرج يريد عيسى بعسكره. فلما قرب من أحواز فاس كتب إلى محمد يستمده، فبعث إليه من كان معه، ونفذ في أصحابه قبل لحاق المدد، فأوقع بعيسى ونفاه عن عمله واستولى عليه، فأمره محمد بالإقامة فيه، ثم أمره بمحاربة القاسم، فخاربه وتغلب على ما كان بيده، فتخلى القاسم عن ذلك لمحمد وعمر، وترهد وبنى مسجداً على ساحل البحر بأصيلاً ولزمه.

فلما عين البربر ذلك نهضوا إليه وهو بمروابطه فصرفوه إلى عمله، ورجع إليه كل من صدر إلى أخويه محمد وعمر.

وقال الرازي، وذكر أولاد إدريس بن إدريس: «فأما محمد بن إدريس فولى مدينة فاس بعد أبيه، وقسم عمل أبيه على إخوته وأخرجهم عمالاً، ثم أخذ إلى اللهو واشتهر بالشرب والخلوة بالنساء<sup>(٢)</sup>، فخلعه إخوته ومالك كل واحد منهم ما تحت يده. ثم لم يلبث محمد أن هلك ولم يعقب، فولى أمر فاس

(١) هنا أيضاً يختلف التقسيم عما أوردناه في هامش الصحيفة السابقة نقلاً عن روض القرطاس.

(٢) هنا وقع الرازي في غلط كبير، فخلط بين الإدارة خطأ لا ندرى كيف يقع فيه مثله. فإن محمد بن إدريس بن إدريس كان من صلحاء أمراء الإدارة وقادريهم، وقد ظل =

بعد [هـ] <sup>(١)</sup> القاسم أخوه ، ومَلَكَهَا ملك سيادة ، وتجمع الناس إليه من كل ناحية <sup>(٢)</sup> ، ولحق المنفيون عن ربض قرطبة بها ، وتمدنت وكثر أهلها .



= يحكم إلى أن توفي في ربيع الثاني سنة ٢٢١/مارس ٨٣٥ ، وخلفه ابنه علي بن محمد بن إدريس ابن إدريس الملقب بحيدرة ، وظل في الحكم إلى رجب ٢٣٤/يناير ٨٤٨ ، وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وكان أميراً قادراً ذا عناية بشئون العمران ، وفي أيامه بنى جامع القرويين سنة ٢٤٥/٨٥٩ . ثم خلفه ابنه يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وهذا هو الذي أساء السيرة وكثر عبثه في الحرم حتى دخل الحمام على امرأة ، فثار الناس عليه بزعمه رجل من أهل فاس يسمى عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي وأخرجته منها فهرب إلى عدوة الأندلسيين فات بها من ليلته ( البكري ؛ ص ١٢٤ - ١٢٥ )

وكانت زوجة يحيى هذا هي عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس « صاحب الريف والسواحل » كما يقول السلاوي ، فكتبت إلى أبيها تعلمه بما وقع ، فجمع رجاله ودخل فاس وتولى الأمر . أما ما يقوله الرازي من أن القاسم تولى الأمر ، فرده إلى خلط بين القاسم وابنه يحيى . ذلك أن علياً بن عمر المذكور لم يستطع البقاء طويلاً في الحكم ، إذ ثار عليه رجل من الخوارج الصفرية يسمى عبد الرازق الفهرى ، وغلبه على الأمر ، وفر عمر بنفسه إلى بلاد أوربة ، وملك عبد الرازق عدوة الأندلسيين من فاس ، أما أهل عدوة القرويين فامتنعوا عليه ، وبعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس ، فأقبل وولوه عليهم ، فتمكن من هزيمة عبد الرازق الفهرى ، وملك بلاد الأدارسة إلى أن اغتاله رجل يسمى الربيع بن سليمان سنة ٢٩٢/٩٠٤ .

انظر : روض القرطاس : ص ٦ وما يليها . ابن خلدون ، تاريخ : ١٤/٤ - ١٨ . أبو عبيد البكري : المسالك والممالك ، الجزء الخاص بالمغرب ، نشره دى سلين في الجزائر سنة ١٩١٠ ، ص ١٢٣ - ١٣٢ . السلاوي ، الاستقصا : ١/١٧٣ - ١٨٣ . أما ابن عذارى فروايته لأخبار الأدارسة يشوبها كثير من الخطأ ، فهو يخلط بين يحيى الأول ويحيى الثاني ، ويخطئ خطأ غريباً : ١/٢١٠ - ٢١٦ .

(١) زيادة لا بد منها للسياق .

(٢) هذا يخالف ما في روض القرطاس (ص ٧) . قال في شأن القاسم بعد أن ذكر مسير أخيه عمر إليه : « فكانت بينهما حروب عظيمة ، ثم هزم القاسم ، واحتوى عمر على ما بيده من البلاد . وسار القاسم إلى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلا ، فبنى هناك مسجداً على ضفة البحر بموضع يعرف بتاهدارت ، فأقام يتعبد فيه ، وزهد في الدنيا إلى أن مات رحمه الله تعالى » . وانظر أيضاً البكري ، ص ١٢٤

ومن رجال المروانية :

٥٠ - عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث<sup>(١)</sup>

الحاجب ، أبو حفص

استحجبه الحكم الربضي ، وكان أبوه عبد الواحد حاجباً لهشام الرضا والد الحكم . وعن ابن حبان أن هشاماً ولّى عبد الكريم هذا كورة حبان ، وأنه أغزاه ألبّة والقلاع<sup>(٢)</sup> ، وأغزى أيضاً أخاه عبد الملك وولاه سرقسطة .

(١) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث من أكابر رجال الدولة المروانية الأندلسية أيام الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن ، وهو في الغالب من أولاد مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك ، وقد كان أخوه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث من قواد الأمير هشام الرضا ابن عبد الرحمن الداخل . وقد كان عبد الكريم قائداً من قواد الحكم ثم استوزره وولاه الحجابة فأقام في هذه الوظيفة حتى وفاة الحكم ، واستحجبه أيضاً عبد الرحمن الأوسط مع بقاءه على القيادة . وتوفي عبد الكريم في طريقه إلى غزو جليقية سنة ٨٢٤/٢٠٩ - ٨٢٥ . ولم يجد عبد الرحمن من يقيمه مكانه ، فعهد في قيادة الصائفة إلى أمية بن معاوية بن هشام . وبعد موت عبد الكريم تنافس الوزراء في الوصول إلى الحجابة وأكثروا السعي والشفاعات حتى أضجروه ، فقرر ألا يوليها أحداً منهم ، وعطلها مدة ثم اختار لها رجلاً من المقربين إليه ، لم يكن من الوزراء ولا سبقت له خدمة هوسفيان بن عبد ربه ، وأصله من بربر بيانة ، فتولاها إلى أن مات ، ثم خلفه فيها عبد الرحمن بن غانم ، ثم صارت إلى عيسى بن شهيد معظم أيام عبد الرحمن الأوسط . ويجمع مؤرخو الأندلس على أنه لم يل الحجابة أقدر ولا أصلح من عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وعيسى بن شهيد ، وهم يقولون إن عبد الكريم كان أكفاً وأقدر من صاحبه ، ولكن عيسى كان أسلم خلقاً إذ لم يكن يقبل المكافأة على قضاء الحاجة ، أما عبد الكريم فإنه كان يقبل ذلك ولا ياباه . (أبوبكر بن القوطية ، برواية ابن حبان ، المخطوط ص ١١٩٥ ، ١٩٥ ب) .

(٢) ألبّة والقلاع ، علمان جغرافيان يستعملان عادة معاً في النصوص العربية . أما ألبه فهي Alava وهي الإقليم الواقع عند منابع نهر إيره على الضفة اليمنى ( الشمالية ) للنهر . وأصل الاسم غير معروف ، فذهب بعضهم إلى أنه مشتق من Uraba و Alba ، بل ذهب بعضهم =

وكان عبدُ الكريم بليغاً مفوهاً شاعراً ، وولى الكتابةَ للحكم إثر محمد بن أمية ، وقاد الصوائف ، وجرت على يديه فتوح جسام . وعلى يديه استأمن أهلُ الرِّبَض ؛ وله رسائل عن الحكم في الهَيْج . ذكر ذلك عيسى بن أحمد الرازى ، قال : « وأخرجه الحكمُ إلى عمرو<sup>(١)</sup> - وكان قد خلع بسرْقُطَةَ - فاستماله وقدم به قُرْطَبَةَ ، فوصله الحكمُ وخلع عليه وسجّل له على سَرَقُطَةَ وتُطَيْلَةَ ووَشَقَه ، وصرفه إلى الثغرات هناك . وأشد ابنُ حَيَّان لعبد الكريم هذا في رثاء الحكم بن هشام وتهنئة ولده الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالخلافة :

[ ٣٩-١ ] / كان الزمانُ مُرْزاً بخليفةٍ أُرْدَى فكاد نهارُنا أن يُظْلَمَا  
حتى إذا قعد الإمامُ لبيعةٍ كالغيثِ شَحَّ بوبله ثم انهمى  
لله أية بيعةٍ ما أعظما وأجل نغراً في الأنام وأنحما  
أعطت قريشٌ بيعةً مرضيةً لإمامها الملكِ الكريمِ المُنتمى  
وبدا كمثلِ البدرِ ينصدعُ الدُّجى عنه ويكشف نورهُ ما أبهما  
لله أنت أبو المطرف في الوغى وخائف ولِمُعْتَفٍ قد أعدمَا

= إلى أن أصله عَرَبِيَّة Araba لأن الاسم لم يظهر إلا بعد دخول العرب . أما القلاع فيراد به المنطقة التي تعرف اليوم بقشتالة القديمة Castilla la Vieja ، سماها العرب كذلك لكثرة قلاعها ، وقد يكون العرب ترجحوا بذلك اسمها القديم Castellae . وألبه اليوم إحدى المديريات الثلاث التي يتكون منها إقليم Vascongadas وهو الذي كان العرب يسمونه بلاد البشكونس ، وهذه المديريات هي Quipuzcoa وقاعدتها سان سباستيان وبسكاية Vizcaya وقاعدتها بلباو Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة وعاصمتها Vitoria . وكان العرب في غزواتهم لهذه النواحي يسبغون على سرقطة ، ثم يمضون مع نهر إبرة نحو منابعه حتى يفضوا إلى ألبه ثم القلاع ، ولهذا يذكر الإقليمان معاً . ( ١ ) في الهامش إلى يمين هذا السطر بخط مخالف : عيسى بن أحمد الرازى .

٥١ - هاشم<sup>(١)</sup> بن عبد العزيز

الوزير ، أبو خالد

هو أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز وكبيره ، وولاه سلفهما لعثمان بن عفان رضى الله عنه<sup>(٢)</sup> . وكان هاشم خاصاً بالأمير محمد بن عبد الرحمن : يؤثـره بالوزارة ، ويرشـحه مع بنيـه - ومفرداً - للقيادة والإمارة . وولاه كورة جـيـان ، فعلى يده بُنيت أبـدة وأكثر معاقـلها المنـيمة . وهو أحد رجالات الموالى المروانية بالأنـدلس .

اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في سواه من أهل زمانه ، إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة ، إلى ما له من القديم والبيت والسابقة . فلو لم يُعـنـه سـلفـه ، لنهضت به أدواته هذه الرفيعة .

ونـكـبـه المنـذـر بن محمد لأشهر من خلافتـه ، بعد أن ولـاه الحـجـابـة وأظهـر عنه الرضا ، وذلك لأشياء حقدـها عليه في خلافة أبيه محمد ، إذ كان يُخرجه معه قائداً للجيش وبعد ذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) في الأصل : هشام ، وهو خطأ .

(٢) ذكر ابن الفرضي نسب هاشم وأخيه أسلم في ترجمته لهذا الأخير ( رقم ٢٧٨ ج ١/٨٠ ) : أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان ابن عمرو مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد كان أسلم من أجلاء فقهاء الأنـدلس ، سمع من بـقـى بن مـخلـد وسمعه زماناً طويلاً ، ثم رحل إلى المشرق سنة ٢٦٠ ثم رحل إلى المشرق فلقى الشيوخ ، وعاد إلى قرطبة . وقد تولى قضاء الجماعة فيها مرتين ، توفى في رجب ٣١٩ / يوليو ٩٣١ .

(٣) العبارة مقطوعة هنا . وقد أطلـا ابن حيان الكلام على هاشم بن عبد العزيز في المقتبس ( مخطوطتنا ، ص ٢٢٥ - ١ وما بعدها ) ، ولكنى لم أجـد ما يصلح هذه العبارة . وقد وجدت في المغرب لابن سعيد ( ٥٣/١ ٩٤/٢ ) عبارة يمكن أن نعيد بها تقويم الكلام هكذا : « إذ كان يُخرجه معه قائداً للجيش ، [ فأساء الأدب معه حتى أحـقـده وأتلف محبته بعد أن صارت السلطنة إليه ] بعد ذلك ، [ فلما مات محمد وولى المنذر قتله المنذر شرقتله بعد السجن والعذاب ] »

وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازى فى كتاب «الحجّاب للخلفاء بالأندلس» من تأليفه ، أن المنذر بن محمد استُخلف يومَ الأحد لثلاث<sup>(١)</sup> خلونَ من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، بعد وفاة أبيه بأربع ليالٍ ، إذ كان غازياً بناحية ربةً ، فأغذَّ السَّيْرَ ودخل القصرَ يومَ الأحد وصلى على أبيه — وكانت وفاته ليلة الخميس لليلة بقيت من صفر — ودُفن . وبويع للمنذر [٣٩ - ب] بقيةَ الأحد ويوم الاثنين بعده ، واستحجب هاشم بن عبد العزيز / إلى أن قتله .

قال : ولما قدم المنذرُ نزل فى السطح وقعد للبيعة فى ثياب سفره ، وربما اتكأ على فراشه لما كان أخذه من النصب وألم السفر لطَّيَّه المراحل . فلما دخل الناس قام هاشم ويده كتاب البيعة فانتح قراءته ، فلما بلغ إلى ذكر الإمام محمد خنقته العبرة ، فلم يبن كلامه . ثم استدرك أمره ورجع من أول الكتاب ، حتى إذا انتهى إلى الموضع الذى انتهى إليه أولاً أخذه أيضاً الحصر ، فلحظه المنذر لحظة منكراً ، ورأها منه هاشم فضى فى قراءة الكتاب حتى أكمله . فلم يشك كل من رأى تلك اللحظة أنه قاتله . قال : ولما وُضع نعش الإمام محمد على قبره ، ألقى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاءً شديداً ، ثم قال متمثلاً وهو يقبر :

أَعَزَّيْ يا محمدُ عنك نفسى معاذَ الله والمِنَ الجِسامِ

فهل مات قوم لم يموتوا ودُفِعَ عنك لى كاسُ الحامِ

فكان ذلك مما أوقد عليه موجدة المنذر ؛ والبيتان لأبى نواس الحسن ابن هانىء يقولهما فى محمد الأمين حين قُتل .

قال الرازى : وذكر أن محمد بن جَهْوَر وعبد الملك بن أمية كانا يرفعان عليه ويغريان به ، وأنه خرج توقيع بخط يد الإمام المنذر فيه وهُم ، فتنفس هاشم



فرفع عنه . قال : وحَدَّثَ مَنْ كَانَ [ حاضراً عند ] <sup>(١)</sup> هاشمٍ -- يعنى يوم القبض عليه -- إذ أقبل صاحب الرسائل مستحثاً له ، فخرج هاشم ومعه عمر ابنه فقبضَ منه كتباً كانت بيده . وكان في رحبة داره قوم من أهل لَبْلَبة قد أتوا لشكر ابن أخيه -- وكان عاملهم -- فلما خرج هاشم اندفعوا مستهلين بالشكر ، فاستهرهم الفتى الذى أنى فيه وخرج إليهم <sup>(٢)</sup> وأغاظهم وقال لهم : « يا كَذَبَة ! » . قال : فرأيت هاشماً قد اربدَّ وجهه ، غير أنه لم يُقَارِضْهُ بكلمة ، ومضى .

وكان تحتَه فرس رائع أشقر ، فلما أتى عند باب الجِبان <sup>(٣)</sup> كبا الفرسُ بهاشم فاستقل <sup>(٤)</sup> به ووقف [ و ] قد امتقع لونه ساعة ، ثم تقدم ودخل . قال : فلم يَنْفُضْ أَهْلُ موكبه حتى خرج راجلاً مكبَّلاً ، فوالله ما رأيت يوماً أكثرَ باكياً من ذلك اليوم ، ولو قلتُ إنه / لم تخلُ دارُ بقرطبة من بكاء على هاشم [ ٤٠ - ١ ] يوم حُبِسَ لما أَبْعَدْتُ واصلدْتُ ، فإنه كان رَحْمَةً مبسوطة للعامة والخاصة <sup>(٥)</sup> .

قال : وأمر المنة [ نذر ] بحبس أكبر أولاده ، [ غي ] <sup>(٦)</sup> فإنه كان عيناً

( ١ ) بياض في الأصل ، أكملناه للسياق .

( ٢ ) الأصل : خرج . وخرج على : بمعنى سب وشتم ، وهو استعمال يرد كثيراً عند ابن حيان بهذا المعنى .

( ٣ ) باب معروف من أبواب قصر الإمارة بقرطبة ، وكان باباً خلفياً يفضى إلى حدائق القصر ، والغالب أنه كان يقع على ضفة الوادى الكبير .

( ٤ ) الأصل : وكبجه . وقد صوبها دوزى : وكبَّه ، وهو تصويب صحيح . وقد تركت النسخة فوق تاء استقل كما هي في الأصل .

( ٥ ) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، وبعضها في الهامش على اليمين ، فقومناها كما في المتن .

( ٦ ) ورد هذا اللفظ في الأصل : غي . وقد أكملته على هذا النحو كما يقتضيه السياق . وواضح أنه سقط اسم ذلك الولد من أولاد هاشم بن عبد العزيز الذى كان عيناً للمنذر عليه . ولم أجد فيما بين يدي من المراجع ما أسد به هذا النقص ، ولو أننى أستبعد أن يكون هذا الجاسوس ابناً مباشراً لهاشم بن عبد العزيز ، لأنه لو كان كذلك لما فات أصحاب الكتب التى بين =

للمنذر عليه ، يخاطبه بأسراره وجميع أخباره ، ولم يزل عبدُ الملك بن أمية يغري به<sup>(١)</sup> ويرفع عليه ويستعين بالسيدة أخت المنذر في مطالبته ، حتى كان من ضربه وهدم داره وإخراجه منها وقتله ما كان .

قال : وأخرج هاشم صبيحة الليلة التي قُتل فيها — ليلة الأحد لأربع بقين من شوال سنة ثلاث وسبعين — غُطيت<sup>(٢)</sup> جثته ورأسه بثوب ، وبُعث به إلى أهله . وكان مولده في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم . ومن شعره ، وكتب به من محبسه إلى جاريته « عاج » :

وإني عدّاني أن أزوركِ مطبقٌ      وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبُ  
فإن تعجّبي يا « عاجُ » مما أصابني      ففي ريبِ هذا الدهر ما يتعجبُ  
وفي النفسِ أشياء أُبيتُ بغمّها      كأنني على جمر الغضى أنقلبُ  
تركت رشادَ الأمرِ إذ كنتُ قادراً      عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرهبُ

= أيدينا ( وكلها مختصرات عدا مخطوطة ابن حيان ) الإشارة إلى هذه الغريبة . فابن عذارى يقول : « ثم بعث فيه الأمير ليلا ، فقتله وسجن أولاده وحاشيته ، وانهب ماله وهدم داره ، وألقى أولاده في السجن ، وألزمهم غرم ٢٠٠٠٠٠ دينار ، فلم يزالوا في السجن والغرم إلى موت المنذر وولاية أخيه عبد الله ، ثم أطلقهم عبد الله ، وصرف عليهم ضياعهم ، وولى أحدهم الوزارة والقيادة » ( البيان : ١١٦/٢ )

( ١ ) العداوة بين عبد الملك بن عبد الله بن أمية وهاشم بن عبد العزيز عداوة قديمة ترجع إلى أول ولاية ابن أمية الكتابة العليا للأمير محمد ، وكانت خطة كبرى تجعل صاحبها في عداد الوزراء ، وكان يتولاها قبله حامد بن محمد الزجاجي ، وكان عبد الملك بن أمية غير مؤهل لصناعة الكتابة ، فهاجمه هاشم بن عبد العزيز من هذه الناحية ، ومضى يتنقصه ، فنهى الأمير محمد إلى سوء تصرفه فتوقف حيناً عن مهاجمة عبد الملك بن أمية . وقد صرح ابنُ أمية الأميرَ بأنه لا يجيد الكتابة ، فأبقاه الأمير فيها رغم ذلك ووعده بأن يمه بمن يعينه فيها . ثم عاد هاشم إلى تنقص عبد الملك وفقده ، واشتدت العداوة بينهما . وقد ظلت الغلبة لهاشم ما عاش الأمير محمد ، فلما مات وخلفه ابنه المنذر أمكنت الفرصة لعبد الملك بن أمية في هاشم ، فلم يتوان في الانتقام ( ابن حيان ، مخطوط ، ص ٢٢٤ ب ، ١٢٢٥ )

( ٢ ) الأصل : وغطيت .

وكم قائل قال : انجُ ويحك سالماً  
فقلت له : إن الفرار مَذَلَّةٌ  
سأرضى بحكم الله فيما يتوئني  
فمن يك مسروراً بحالى فإنه<sup>(١)</sup>  
ففى الأرض عنهم مُستترادٌ ومذهبُ  
ونفسى على الأسواء أحلى وأطيبُ  
وما من قضاء الله للمرء مهربُ  
سيزنهل فى كاسى وشيكاً ويشرب

وله ، وكتب به إلى وليد بن غانم<sup>(٢)</sup> الوزير فى أسره أثناء مخاطبة :

فكم غصة بالدمع نهنتُ خوفَ أن يُسرَّ بما أبدية شنانُ كاشحُ  
تحاملتُ عنه ثم نادمتُ فى الدُّجى نجومَ الثريا والدموعُ سوافحُ  
وله مما قاله بديهاً ، ووقعَ بذلك على ظهر رقعة لأحد أبنائه خاطبه فيها  
بشعر ضعيف :

لا تقلْ — إن عزمتَ — إلا قريضاً رائقاً لفظهُ ، ثقيفاً رصينا

( ١ ) فى البيان لابن عذارى ( ١١٦/٢ ) :

\* فن يك أسمى شامتاً بن فإنه \*

( ٢ ) وليد بن عبد الرحمن بن غانم من أجل وزراء الأمير محمد وأقدرهم وأعظمهم  
مروءة وأكثرهم ثقافة وعلماً . كانت أول الوظائف الكبيرة التى وليها وظيفة « صاحب المدينة »  
ولاه إياها الأمير محمد ، ثم استعفى منها لخلاف فى رأى مع الأمير محمد حول مسألة تتصل بالإدارة  
والمال ، ثم ثبتت صحة رأيه ، فعاد الأمير محمد واستدعاه ليشغل وظيفة صاحب المدينة كما كان ،  
فأبى ، وظل معتزلاً إلى أن رفعه محمد إلى مرتبة الوزارة . وكان وليد صديقاً لهاشم بن عبد العزيز ،  
فلما وقع هاشم أسيراً فى غزوة خرج إليها تحت قيادة المنذر بن محمد ولى العهد للقضاء على ابن  
مروان الجليقي غضب الأمير محمد إذ رأى فى وقوع هذا الوزير القائد الأثير إليه مهانة للدولة ،  
فجعل « يلومه ويستصره ويحمل عليه وينال منه » ولم يبق فى المجلس من لم يحمل على هاشم ،  
إلا وليد بن غانم فقد تصدى للدفاع والاعتذار عنه ، فأعجبت هذه الشهامة الأمير محمداً . وفى  
سنة ٢٦٣ خرج وليد فى الغزاة تحت إمرة الأمير المنذر لقتال ابن مروان الجليقي وكان هاشم  
فى أسره . وقد أطلق ابن مروان أسر هاشم سنة ٢٦٤ .

ابن حيان ، المخطوط : ٢٣٢ ، ب . ابن عذارى ، البيان : ١٠٢/٢ - ١٠٣ .

[٤٠-ب] / أو دع الشعر ، فهو خير من الفـث ، إذا لم تجد مقالا سميناً

وما أحسن قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي في هذا المعنى :

حرر لمعنك لفظاً كي تزان به    وقل من الشعر سحرأ ، أو فلا تَقُلْ  
فالكحل لا يفتن الأبصار منظره    حتى يُصَيِّرَ حَشَوَ الأعينِ النُّجُلِ

ولهاشم في البيرة يذم وروده عليها ، وهي مكان أوليته :

إذا نحن رُحْنَا عنك يا شرَّ بلدةٍ    فلا سُقِيتَ رباك صوبَ الرواعدِ<sup>(١)</sup>  
ولا زال سوطٌ من عذاب مُنَزَّلٍ    على قائمٍ من ساكنيك وقاعدِ

فأجابه فتى من أهلها المتأدين يعرف بابن وجيه :

لقد حُرِمَ التوفيقَ مَنْ ذمَّ بلدةً    يروح بها في نعمة وفوائدِ  
ومن يتمنى سوط خزي منزلٍ    على قائمٍ من ساكنيها وقاعدِ  
فإن كنتم لم تحمدوا ما اخترتمُ    فكلُّ لـكـلٍّ لائِمٍ غير حامدِ

## ٥٢ - ابنه عمر بن هاشم

سجنه الأمير المنذر بن محمد مع إخوته لما نكب أباهم ، ثم أمر بصلبهم في الغزاة التي توفي فيها ، وولى أخوه الأمير عبد الله بن محمد فمجل الكتاب بإطلاقهم ، ثم قدم وولى عمر هذا كورة جَيَّان ، وأخاه أحمد بن هاشم الوزارة والقيادة . ومن شعر عمر :

يا خـيـلاً فضـلهُ با    دِ على كلِّ خليلِ  
والمجيد الشعرَ في كـ    بلِّ بسيطٍ وطويلِ

(١) كذا عند ابن حيان وابن الأبار ، وفي البيت زحاف ظاهر .

بضروب الضرب والإي. قاع والقول الأصيل  
لا تلعني واصفحن عَدَّ (م) ي وسَهِّل لي سبيلي  
في خلاصى [ ... ] [ ... ] العذر الجميل<sup>(١)</sup>

## ٥٣ - تمام بن عامر الثقفي

الوزير ، أبو غالب

هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة<sup>(٢)</sup> ، مولى عبد الرحمن  
ابن أم الحكم الثقفي ؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية  
ابن أبي سفيان ، / عُرف بها ابنه لشرفها .

[ ١ - ٤١ ]

ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس في طالعة بلج ، وهو أحد النقباء  
القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية ، وولى له الحجابة والقيادة . وهو افتتح  
طَلَيْطَلَةَ عَنوةً مع بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، ثم ولى وَشَقَّةً وطَرْطُوشةً  
وطَرْسُونَةَ ؛ وعمر طويلاً وتوفي في آخر دولة الحكم الرَّبَضِيِّ .

وقد وُلِدَ تمام بن عامر هذا [ سنة أربع وثمانين ومائة ]<sup>(٣)</sup> ، وكان غالب بن تميم

( ١ ) الأصل : العذر الجميل . وقد جعلها دوزى ( ص ٧٧ ) : الجهل الجميل .

( ٢ ) ذكر ابن حيان نقلا عن « كتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضى المؤلف في الأدباء » .

نسبه الكامل ، قال : « هو تمام بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن  
ابن أم الحكم الثقفي »

( ٣ ) أكملت العبارة بهذا السياق ، وسأذكر ابن الأبار نفسه تاريخ مولده في آخر  
ترجمته ، ولكن إذا حسبنا هذا التاريخ على أساس تاريخ وفاته وعمره بحسب ما يذكره ابن  
الأبار ، فكان ميلاده سنة ١٩٧ هـ .

والياً على طَلَيْطَلَةَ ، وقتله سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية وصلبه ومثّل به في انتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن الأمير بعد أبيهما .

وولّى تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله ، فانتمت وزارته لثلاثة من الخلفاء . وعمر عمراً طويلاً زائداً على عمر جده الأكبر ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقد بلغ ستاً وتسعين سنة . وله الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولائها والخلفاء فيها ووصف حروبها ، من وقت دخول طارق بن زياد مُفْتَتِحِهَا إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

وكان عالماً أديباً ، ذكر ذلك ابن حَيَّان . وقال أبو بكر الرازي : ولد عامر ابن أحمد تماماً ؛ ولّى الوزارة والخيل والقيادة ، وتوفى سنة ثلاث وثمانين — يعنى ومائتين — ومولده سنة أربع وتسعين ومائة . ومن شعره :

يُكَلِّفْنِي الْعُدَالُ صَبْرًا عَلَى الَّتِي <sup>(١)</sup> أَبَى الصَّبْرُ عَنْهَا أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّهَا  
إِذَا مَا قَرَعْتُ <sup>(٢)</sup> النَّفْسَ يَوْمًا فَأَبْصَرْتُ سَبِيلَ الْهَدَى عَادَ الْهَوَى فَأُضِلَّهَا  
وَكَمْ مِنْ عَزِيزِ النَّفْسِ لَمْ يَلْقَ ذِلَّةً أَقَادَ الْهَوَى مِنْ نَفْسِهِ فَأَذْهَبَهَا  
عَجِبْتُ لِمَعْدُولٍ <sup>(٣)</sup> عَلَى حَبِّ نَفْسِهِ يَكْلِفُهُ عُدَالُهُ أَنْ يَعْلَمَهَا

(٢) الأصل : إننى ، وقد جعلها دوزى (ص ٧٨) : أنسى ، والتصويب من ابن حيان . وقد قال تمام هذا الشعر في زوجته أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية ، قال ابن حيان : « فجاء من نسلها الوزير الكاتب عيسى بن فطيس ، فتّمّام جده لأمه . وكانت أم الوليد بارعة الجمال سبّاء للألباب ، فرآها تمام فعَلِقَها وهام فيها ، فانقاد لهواه في نكاحها ، فكان أعداؤه يعيبونه بها ، ومن قوله فيها لما عدل في نكاحها . . » ثم أورد الأبيات الواردة في متن ابن الأبار . (٣) ابن حيان : وزعت .

(٤) الأصل : لمعدور ، والتصويب لدوزى ، ص ٧٨ . وقد جعل ابن حيان هذا

البيت :

عجبت لمشغوف على الحب نفسه يكلفه عداله أن يسـلـها

## ٥٤ — منصور بن محمد بن أبي البهلول

دخل الأندلس جدّه أبو البهلول — واسمه منصور بن صدّقة — في أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية فاستعمله ، وكان يُسكنّيه لِسِنِّه وفضله ؛ ثمّ تصرف ابنه محمد للأمير الحَكَم في بعض أشغاله ؛ وحجب منصور هذا مَسْئَلَةً<sup>(١)</sup> بن عبد الرحمن بن الحَكَم / في الكور المجنّدة<sup>(٢)</sup> دهرأ ، ثمّ ولي العَرَض<sup>(٣)</sup> [١٤ - ب] للأميرين محمد وابنه المنذر بن محمد ؛ ذكره الرازي ، قال : وكان فيه تصرف ورواية غزيرة وشعر حسن يمدح به الخلفاء ، وأنشد له :

كما أن خير العالمين محمدٌ براحته عين من الجود تنبعُ

وله :

بمحمدٍ مُحمّدَ الزمان كما بفِعالِه قد أحسنَ<sup>(٤)</sup> الذِكرُ

(١) الأصل : سلمة ، وكذلك عند دوزي ( ص ٧٨ ) ، وقد صوبت الاسم من قائمة أسماء أبناء عبد الرحمن عند ابن حيان ( مخطوط ص ١٢ ) .

(٢) هذا التعبير غير واضح لي ، لأن الكور المجنّدة هي الكور التي أنزل فيها جند العرب على أيام أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي كما هو واضح في ترجمته وفي أصول أخرى ، وقد عالجتنا هذا الموضوع في « فجر الأندلس » . ولكن : كيف يحجب رجل لمسلمة بن عبد الرحمن الأوسط في هذه الكور؟ ربما جاز تفسيره على أنه كانت هناك إدارة خاصة للكور المجنّدة ، أي خاصة بما ينبغي على كل منها من جند وأرزاقهم وحقوقهم وما إلى ذلك ، تولّاها أيام عبد الرحمن ابنه مسلمة ، وكان منصور هذا حاجبه في هذه الإدارة ، وحاجبه هنا تعني شيئاً مثل مدير مكتبه في تعبيرنا الحديث . فإذا صدق هذا الفرض كانت وظيفة إدارية كبيرة ، لأن الكور المجنّدة كانت تقدم لجيش الإمارة معظم جنده العربي .

(٣) العرض وظيفة من وظائف التنظيم العسكري ، وهي استعراض الجنود المقيدين في الديوان في أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم والتثبت من سلاحهم وخيل الفرسان منهم وحالتها وما إلى ذلك . وتسمى أيضاً الاعتراض والتميز . وكان العرض يجري في ميدان كبير خارج العاصمة ، وفي صبيحته ينادى ببوق جهير ليحضر الجند .

(٤) في الأصل : حسن مشكولة هكذا ، ولا يستقيم بها الوزن .

أيامُه بيضٌ مهذبةٌ لولا مكارمُه انقضى الدهرُ  
وله :

كَمْ ، إلى كَمْ أنسَلَى ؟ ليس لي صبرٌ .. أجل ، لا !  
بأبي أنت وأمي وترى قتلى حِلاً ؟  
حاشَ لله بأن أسـ لو عن الحب وكلاً

## ٥٥ - عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبدة

الوزير ، أبو عثمان<sup>(١)</sup>

تصرّف للأمير عبد الله بن محمد في السكّور وحجّابة الأولاد والمدينة والخليل  
والقيادة ، ثم في الكتابة الخاصة والوزارة . وكان - مع افتقانه في الأدب  
واتّصافه بالبلاغة - ذا بأس وغناء في الحروب ، وكانت له فتوح جمة ومقاوم<sup>(٢)</sup>

(١) استكثر الأمير عبد الله بن محمد من الوزراء أول عهده حتى بلغوا في بعض الأوقات  
ثلاثة عشر وزيراً ، ثم تناقص عددهم حتى أصبحوا أربعة عند موته . أما الحجّابة فقد استغنى  
عنها أخريات أيامه مكتفياً ببدر بن أحمد الحصى الصقلبي وصيفه « الصيق بنفسه ، الخفيف  
عليه » كما يقول ابن حيان ( ص ٤ من الجزء الذي نشره الأب ملشور أنطونيا ) . قال ابن حيان  
( ص ٥ من ذلك الجزء ) : « ومن الغريب أن اجتمع في بيت الوزارة في أيامه أربعة رجال  
من وزرائه - أي وزراء الأمير عبد الله - أقارب من بيت واحد من صميم الموالى آل أبي عبدة :  
حسان بن مالك ، هم :

أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة ( صاحب الترجمة ) .

وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي عبدة .

وسلم بن علي بن أبي عبدة .

وعبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة المعروف بـ <sup>مرو</sup>يدحيم » .

(٢) هذه الصيغة - جمعاً لمقام - غريبة من ابن الأبار ، وقد أخذها عن ابن حيان -



محمودة . وتوفي خاملاً بتحمل بدرٍ الوصيف<sup>(١)</sup> عليه بعد أن استأذن للحج ، فأدى فرضه وكرَّ إلى قرطبة فلزم داره ؛ وسيأتي ذكر هذا مع نسبه مستوفى عند ذكر ابنه جمهور الوزير ومحمد . وفيه يقول العُتبي الشاعر<sup>(٢)</sup> ، وقد اعتلَّ وهو يلى الكتابة :

لَا يَنْعَ الْعِيُّ مَذًى أَصْبَحْتَ مَرْتَدِيًّا      ثَوْبَ السَّقَامِ وَجَفَّتْ زَهْرَةُ الْكَلَمِ  
وَاسْتَوْحَشَ الطَّرْسُ مِنْ أَنْسِ الْبَدِيعِ إِذَا      نَشِبَتْ فِيهِ وَطَالَتْ عُجْمَةُ الْقَلَمِ  
ومن شعر عبيد الله :

صَدُودٌ لَيْسَ يَبْلُغُهُ عِقَابُ      وَعَقَبٌ لَيْسَ يَنْتِمِيهِ عِقَابُ  
وإِعَادٌ — بلا ذَنْبٍ — طَوِيلٌ      وَإِعْرَاضٌ وَهَجْرٌ وَاجْتِنَابُ  
فَلا سَهْرٌ يَطِيبُ وَلَا رُقَادٌ      وَلَا طَعْمٌ يَسُوءُ وَلَا شَرَابُ  
/ جَسْمِي نَاحِلٌ وَالْجَفْنُ مَنِي      قَرِيحٌ ، وَالْفُؤَادُ لَهُ اضْطِرَابُ [١-٤٢]  
وَمَوْتُ عَاجِلٌ أَحْلَى وَأَشْهَى      إِلَى مَنْ أَنْ يَطَاوِلَنِي الْعَذَابُ

## ٥٦ — سوار بن حمدون القيسي المحاربي

من محارب بن خصفة بن قيس عيلان . ثار بناحية البراجلة من كورة البيرة في سنة ست وسبعين ومائتين ، وهي السنة الثانية من ولاية الأمير عبد الله

(١) ذكرنا اسمه الكامل في التعليق الذي قبل السابق ، وقد أورد ابن حيان في سيرة الأمير عبد الله ما يدل على ذكاء بدر هذا وحسن رأيه ، فهو صاحب الفضل في استئلاف بني الحجاج الثائرين في إشبيلية وكسبهم إلى جانب الأمير عبد الله .

(٢) محمد بن عبد العزيز العتبي ، نقل ابن سعيد من « المسهب » أنه كان من نهاء شعراء دولة الأمير محمد ، وكان مخصوصاً بالقاسم ابنه ، كما كان مؤمن بن سعيد مخصوصاً بسلمة ابن الأمير محمد (المغرب ، ١/ ١٣٤) .

ابن محمد ، وانضوت إليه بيوتات العرب من البيرة وجيآن وريّة وغيرها ، عندما تميزت الأحزاب<sup>(١)</sup> بالعصبية وشبّوا نار الفتنة . وكان مبتدأ رئاسة سوار هذا أنه كان صاحباً ليحيى بن صُقالة — أول الخارجين بالبراجلة بهذه الدعوة — عن استبصار شديد وحميّة ، فصبّ على المولدين والمجم منه ومن أصحابه أعظم آفة ، إلى أن أصابوا منه غرة فثاروا به بغتة وقتلوه<sup>(٢)</sup> . فرأس أصحابه بعده سواراً هذا ، فاشتد به أمرهم وقام طالباً بثأر صاحبه . وكان شجاعاً محزباً<sup>(٣)</sup> ، فكثرت أتباعه واشتدت شوكته واعتز العرب بمكانه ، فلفف جموعها وحى ذمارها وسعى لإدراك ثارها . وقصد حصناً<sup>(٤)</sup> اجتمع فيه من المولدين والنصارى نحو من ستة آلاف رجل ، فنازلهم بالعرب حتى قهرهم ، وأخرج نابلاً<sup>(٥)</sup> رئيسهم المقيم

( ١ ) جعلها دوزى « الأعراب » دون مبرر ( ص ٨٠ ) . والعبارة منقولة بنصها من ابن حيان : « قال عيسى بن أحمد ( الرازى ) : فى صدر هذه السنة ثار سوار بن حدون القيسى بناحية البراجلة من كورة البيرة ، وقد انضوت إليه بيوتات العرب من كور البيرة وحيآن وريّة وغيرها عندما تميزت الأحزاب بالعصبية وشبوا نار الفتنة . . » . وقد أراد دوزى بهذا أن يلقى تبعه هذه الفتنة الكبرى — التى شغلت كل أيام الأمير عبد الله وجزءاً من أيام عبد الرحمن الناصر — على العرب ، وهو غير صحيح كما يتضح من البيان الشافى الذى يقدمه ابن حيان عن هذه الفتنة فى الجزء الذى نشره ملشور أفطونيا .

( ٢ ) كان يحيى بن صُقالة القيسى قد « وادع أهل حاضرة البيرة الذين دعوتهم للمولدين والمسالمة وعقد بينه وبينهم أماناً مؤكداً ، حلفوا عليه أيماناً مغلظة توثق بها منهم ، واطمأن إليهم فجعل يأتى حاضرتهم ينزل فيها ويقيم الأيام ، وهم يرصدون منه غرة فى بعض قدّماته إليهم ، فثاروا به بغتة وقتلوه ، فرأس أصحابه سواراً » . ابن حيان ، المقتبس ( تحقيق ملشور أفطونيا ) ص ٥٥ .

( ٣ ) محزب مصطلح يستعمله ابن الأبار كثيراً ، ويريد به الكثير الحرب . وقد ورد اللفظ عند ابن حيان ( ص ٥٥ ) : محارباً .

( ٤ ) هو حصن منت شافر Monte Sacro على الجبل الذى يحمل نفس الاسم ، وهو مطل على سهل غرناطة .

( ٥ ) الأصل نائل ، والتصحيح من ابن حيان ( المقتبس ، ص ٥٥ ) . كان زعيماً من زعماء المولدين الذين قاموا على العرب فى كورة البيرة . وقد كانت أول حرب نابل مع يحيى بن صُقالة ، فغلبه على حصن منت شافر وانزعه منه ، فاسترده سوار .

فيه عنه ومَلَكَه . وكان نَابِلٌ قد انتزعه من يحيى بن صُقَالَة ، فاسترده سَوَارٌ إلى مُلْكِهِ .

ثم افتتح حصون المسالمة والنصارى حصناً حصناً ، وقتل من ظفر به وغنم أموالهم . ولقيه جَعْدُ بن عبد الغافر — عامل الأمير عبد الله — فهزمه سَوَارٌ وقتل من أصحابه نحواً من سبعة آلاف ، وأسر جعداً فمنّ عليه وأطاعه وأبلغه وأمنه <sup>(١)</sup> .

وغلظ أمره فاستبق حينئذ إلى حصن غرناطة بالقرب من مدينة البيرة ، وصعد إليه فتبوأه داراً اجتمعت إليه فيه عرب كورة البيرة وكانت به عرب النواحي إلى حدود « قلعة رباح » وغيرها ، وكانت دار الداخلين إلى الأندلس من بكر ابن وائل ، فصاروا إلْبَاءً معه على المولدين . وبجَح <sup>(٢)</sup> سَوَارٌ بما تهيأ له على أعدائه ، وعلت هِمَّتُهُ ، وأملتَه العربُ ، وعلا في الناس ذكره ، وقال الأشعار الجزلة ، / وأكثَرُ الفَخَارِ بنفسه وقومه . ذكر ذلك ابن حَيَّان ، وحكى أنه أوقع بأصحاب [٢ - ب] ابن حَفْصُون ثمانية ، ويقال إن قتلاهم كانوا اثني عشر ألفاً ، وتُعرف

(١) بعد أن انتصر سوار المحاربي على نابل ومن معه من المولدين والمسالملة استشرى أمره وانطلق يستول على حصونهم ويقتل من يظفر به منهم ويغنم أمواله ، وكانت نتيجة إسراره أن أخذ بقية المولدين والمسالملة ينضمون إلى الثورة ، فخاف جعد بن عبد الغافر عامل كورة البيرة للأمير عبد الله أن يؤدي ذلك إلى خروج الكورة كلها من يده ، فصار إلى حرب سوار وانضم إليه المولدون ، فانهزم جعد ووقع في أسر سوار ، ثم أطلق هذا سراحه . وكان جعد من أقدر قواد الأمير عبد الله ، وكذلك كان أخوه أمية ، وقد ظل أمية يقاتل في سبيل الإمارة القرطبية والجماعة حتى استشهد في معركة مع بني الحجاج الخارجي في إشبيلية في موقف يفيض حمية ورجولة .

(٢) جعلها دوزي (ص ٨١) : فخم ، ولا محل للتغيير ، لأن الكلمة صحيحة في موضعها : بجح بمعنى فرح وعظمت نفسه عنده (اللسان : ٢٢٨/٣) .

بـ « وقيمة المدينة »<sup>(١)</sup> . قال : وقد ذكرها سعيد بن جودي السعدي صاحب  
سوار والوالى رئاسة العرب بعده في شعر له ، منه :

ولما رأونا راجعين إليهم      تولوا سراعاً خوفَ وقع المناصِلِ  
فسيرنا إليهم والرماحُ تنوشهم      كوقع الصياصى تحت رَهجِ القساطِلِ  
فلم يَبْقَ منهم غيرُ عانٍ مُصَفَّدٍ      يُقادُ أسيراً مُوثَقاً في السلاسلِ  
وآخرُ منهم هاربٌ قد تضايقت      به الأرضُ يهفون من جوى وبلابلِ  
ومنه :

لقد سلَّ سوارٌ عليكم مُهَنِّداً      يُجذُّ به الهاماتِ جذَّ المفاصلِ  
به قتلَ الله الذين تحزَّبوا      علينا وكانوا أهلَ إفكٍ وباطلِ  
سما لبني الحمراءِ إذ حانَ حينُهم      بجمعٍ كمثلِ الطودِ أرعنَ رافِلِ  
أدرتم رحي حربٍ فدارتْ عليكم      لحُتفٍ قد أفناكم به اللهُ عاجِلِ  
لقيمتم لنا ملعومةً مستجيرةً      تُجيدُ ضرابَ الهامِ تحتِ العوامِلِ  
بها من بنى عدنانَ فتیانَ غارةٍ      ومن آلِ قحطانٍ كمثلِ الأجادِلِ  
يقودهمُ أيُّ هَزَرٍ ضَبَّارِمُ      مِحشُ حروبٍ ماجدٌ غيرُ خاملِ

(١) كسب سوار بن حدون القيسي انتصارين كبيرين ، الأول انتصاره على جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله على البيرة وأهل البيرة الذين يعرفون هنا بأهل الحاضرة ، وقد ذكرنا هذا الانتصار ويسمى بوقيمة جعد . والانتصار الثانى كان على أهل البيرة أيضاً ، وكان سوار وأصحابه قد احتلوا حصن غرناطة واتخذوه قاعدة لهم فأراد خصومهم من المولدين والمسألة أن يخرجوهم منه ، وهاجموا الحصن ، ولكن سوار استطاع الانتصار عليهم وأوقع بهم بعد مقتلة عظيمة ، قال ابن حيان : « فيقال إن قتلهم في هذه الوقعة كانوا اثني عشر ألفاً ، وهذه هى وقعة سوار الثانية المعروفة بوقعة المدينة » . هذا ، وقد كانت نتيجة شدة سوار أن انضم المولدون والمسألة في كور جيان وإلبيرة ورية إلى عمر بن حفصون ، قال الأمر إلى أن قتل سوار في إحدى المعارك . (ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٨ - ٦١) .

أُرومُهُ مِنْ خَيْرِ قَيْسٍ سَمَا بِهِ إِلَى الْمَجْدِ قَدْماً وَالْعَلَا كُلِّ فَاضِلٍ  
لَهُ سُورَةٌ قَيْسِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ بِهَا ذَاذٌ عَنْ دِينَ الْهُدَى كُلِّ جَاهِلٍ<sup>(١)</sup>

وهي طويلة . وقال في ذلك :

فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً ثُمَّ غُودِرُوا كِمَثَلِ حَصِيدٍ فَوْقَ ظَهْرِ صَعِيدٍ  
وَقَالَ أَيْضاً قَصِيدَةً أُخْرَى ذَكَرَ فِيهَا أُثَرُ جَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ يَخَاطَبُ  
الْمَوْلِدِينَ<sup>(٢)</sup> :

لَمْ تَزَالُوا تَبْغُونَهَا عَوَجاً حَتَّى وَرَدْتُمْ لِلْمَوْتِ شَرّاً وَرُودِ  
فَاصْطَلَوْا حَرّاً وَحَرّاً سَيْوَفٍ تَتَلَطَّيْ عَلَيْكُمْ كَالْوُقُودِ  
/ قَدْ قَتَلْنَاكُمْ بِيَحْيَى وَمَا إِنْ كَانَ حُكْمُ الْإِلَهِ بِالْمُرْدُودِ [١-٤٣]  
هَجَّتُمْ يَا بَنِي الْعَبِيدِ<sup>(٣)</sup> لِيُوْثَا لَمْ يَكُونُوا عَنْ ثَارِهِمْ بِقُعُودِ

(١) أورد القصيدة بكاملها ابن حيان في المقتبس (تحقيق ملشور أنطونيا ، ص ٥٧ - ٥٨) فيما عدا الأبيات الخمسة الأخيرة التي ذكرها ابن الأبار . ويلاحظ أن هذه الأبيات واضحة الوضع ، فإن سواراً لم يكن ينود عن «دين الهدى» وإنما كان يحارب جند إمارة قرطبة الناذلة عن «دين الهدى» ، وكان يحارب المولدين والمسألة وهم مسامون ، بل كان عمر بن حفصون إلى ذلك الحين مسلماً ، وإنما كان خارجاً عن طاعة الإمارة . وهذا يكتفي للدلالة على أنها أضيفت فيما بعد ، أضافها رجل لا يعرف الظروف التي أحاطت بثورة يحيى بن صقاله وخلفه سوار بن حمدون ثم خلفهما سعيد بن جودي ، وكلهم قيسيون .

(٢) قال ابن حيان في التقديم لهذه الأبيات : «ولسعيد بن جودي في مديح سوار بن حمدون وذكر وقيته الأولى بأهل حاضرة البيرة وأسره لجعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله وأخذه بثار يحيى بن صقاله أميرهم قبله قصيدة طويلة منها .» (المقتبس ، ص ٥٨) . هذا ، وقد أورد ابن الأبار مختاراً من هذه القصيدة وترتيب الأبيات عنده يختلف عن ترتيبها في المقتبس (ص ٥٩) ، ولم نر ضرورة للإشارة إلى اختلافات الترتيب في المرجعين . (٣) المقتبس : العبود .

وهذه اللفظة هنا تكشف عن حقيقة هذه الفتنة التي جرت على الإمارة الأندلسية وأهلها بلاء عظيماً . فإن أبا الخطار الحسام بن ضرار عندما فرق الجند العربي على الكور التي عرفت باسم =

جاءكم ماجدٌ يقود إليكم فتيةً ذادةً كمثل الأسود<sup>(١)</sup>  
 يطلب الثارَ، ثارَ قومٍ كرامٍ آزرُوا باليهود بعدَ اليهود<sup>(٢)</sup>  
 فاستباح الحمراء<sup>(٣)</sup> لم يبقَ منهم غيرَ عانٍ في قدّه مصفود  
 قد قتلنا منكم أوفًا وما ينفِ دِلُّ قَتَلِ الكريمِ قتلُ العبيدِ  
 فلئن كان قَتَلَهُ غَدْرَةٌ ما كان بالنَّكسِ، لا ولا الرُّعْدِ

يريد يحيى بن صقالة أمير العرب القائم على المولدين . وقال يحيى بن أخى

= الكور المجنّدة ، وهى : إليرة ورية وجيان وإشبيلية وشذونة وباجة وتدمير ، أنزلهم فيها « على أموال العجم من مال ونعم » أى جعلهم سادة هذه الكور ، « وجعل لهم ثلث أموال أهل الزمة من العجم طعمة » . وقد أسلم أهل هذه الكور شيئاً فشيئاً ، ولم يعودوا أهل ذمة ولا عجم ، ولم يعد من الشريعة أن يؤدوا ثلث أموالهم لأولئك العرب ، ثم إن أعدادهم تكاثرت نتيجة للأمان والاستقرار فى ظل أمراء قرطبة ، وثقلت عليهم تلك الحماية الكبيرة ، ومن ناحية أخرى لم تعد لهذا الوضع ضرورة بعد قيام الإمارة وقيامها بأمر جميع أهل الأندلس ، ولهذا فقد بدأوا يتململون من هذا الوضع ، وانصرتهم الإمارة ورجالها . ولكن العرب المستقرين فى تلك الكور استمسكوا بضرورة الأداء على هذا النحو ، فثار المولدون والمسألة وأيدهم عمال الإمارة وحاربوا أولئك العرب ، ثم تطور الأمر بعد ذلك واتسع مداه ودخلت فيه عوامل أخرى ، وخاصة بعد أن دخل فى الموضوع عمر بن حفصون .

( ١ ) المقتبس ( ص ٥٩ ) : فتية منهم كثل الأسود .

( ٢ ) الأصل : أدرُوا باليهود قبل اليهود . وقد قرأ دوزى : إذ وفوا . وعند ابن حيان : أخذوا باليهود قبل اليهود . وفى مخطوط « الإحاطة » فى أكاديمية التاريخ فى فى مدريد :

يطلب الثار ابن قوم كرام أخذوا باليهود قبل اليهود

وقوله : « أخذوا باليهود » يؤيد ما قلناه من أن أولئك العرب كانوا يستمسكون بما عاهدهم عليه أبو الخطار .

( ٣ ) الحمراء هنا اختصار « بنى الحمراء » ، وهكذا كان أولئك العرب يسمون أهل البلاد .

يحيى بن صقالة ، من قصيدة طويلة يمدح فيها سَوَّاراً ويذكر وقعة البيرة  
ويناقض العبلى<sup>(١)</sup> شاعر المولدين ، وقيل إنها لسميد بن جودى<sup>(٢)</sup> :

لسَوَّارٍ على الأعداء سيفٌ      أباد ذوى الغواية فاضحلوا  
سقاهم كأسَ حَتَفٍ بعدَ حَتَفٍ      بها نَهَلَ العبيدُ معاً وعَلَّوا  
قتلتَ بواحدٍ سَوَّارُ أَلْفاً      وَأَلْفُهُمْ بواحدٍنا يَقِلُّ  
وأكثرُ قتلنا لهم حلالٌ      بما ارتكبه ظلماً واستحلوا  
فأوردنا رقابهم سـيوفاً      تَشُبُّ النارُ منها إذ تُسَلُّ  
ورثنا العِزَّ عن آباءِ صِدْقٍ      وإرثُكمُ بنى العُبدانِ ذُلُّ  
وأول شعر العبلى<sup>(٣)</sup> :

قد انقصت قناتهم وذَلُّوا      وضعضع<sup>(٤)</sup> ركن عزم الأذلِّ

(١) الأصل : الصلى ، والتصويب من المقتبس لابن حيان (ص ٦٢ - ٦٣) وهو  
عبد الرحمن بن أحمد المعروف بالعبلى ، ينسب إلى قرية عبلة التى منها أصله ، وكان شاعر البيرة  
المحامى عن المولدين ، وكان يقابله فى الجانب العربى محمد بن سعيد بن مخارق الأسدى «أسد بنى  
خزيمة ، شاعر العرب القائم فيها مقام العبلى فى المولدين ، وكان كل منهما يحرض قومه ويناضل  
عن مذهبه ويصف ما يجرى لقومه على أضدادهم من الوقائع المخزية ، فلهما فى ذلك أشعار كثيرة ،  
وكل منهما كان بعيد المدى فى فرط العصبية» .

(٢) قيلت هذه الأبيات ردّاً على قصيدة العبلى ومطلعها :

قد انقصت قناتهم وذَلُّوا      وزعزع ركن عزم الأذلِّ

وقد أورد ابن حيان الأبيات فى المقتبس (ص ٦٥) وبين روايته ورواية ابن الأبار  
خلاف .

(٣) الأصل : العبدى ، وهو تصحيف .

(٤) فى المقتبس (ص ٦٤) : وزعزع .

فما طُلَّتْ دِمَاؤُهُمْ لَدَيْهِمْ وَهَامَ عِنْدَنَا فِي «الْبِيرِ» طَلٌّ<sup>(١)</sup>  
ومن شعر سَوَّار قوله من قصيدة طويلة :

صَرَمَ الْغَوَانِي يَا هُنَيْدُ مودقِ إِذَا شَابَ مِفْرَقُ لِمَتِّي وَقَدَالِي<sup>(٢)</sup>  
[٤٣-ب] / وَصَدَدَنَ عَنِّي يَا هُنَيْدُ وَطَالَمَا عَمِلْتُ حِبَالُ وَصَالِهِنَّ حِبَالِي  
وَقُتِلَ فِي صَدْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَكَانَ أَمْدُهُ فِي رِئَاسَتِهِ  
نَحْوَ الْعَامِ<sup>(٣)</sup> .

## ٥٧ - سعيد بن جودي السعدي ، أبو عثمان

هو سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي ؛ هو من  
هو أزن من جند قنسرين .

(١) الأصل : ظل دون شكل . وقد تكون : ظلٌّ ، وهي قراءة طيبة تعطى معنى جيلا .  
وقد جعلناها : طَلٌّ متابعة لرواية ابن حيان ، ص ٦٦ .  
و «الْبِيرِ» يراد بها «إلبيرة» .

وذكر ابن حيان لمناسبة هذا البيت أنه «لما ظهرت العرب على أهل حاضرة إلبيرة وسجل  
الأمير عبد الله لأميرهم سعيد بن جودي على الكورة ، فدخل الحاضرة ، وأتاه شاعرهم عبد الله  
بن أحمد العبلي (كذا ، وقد ذكر قبل ذلك أن اسمه عبد الرحمن) بشعر يمتدحه فيه ، فاستمع له  
وأمر له بجائزة . ثم ذكره أحد الحاضرين بشعره الذي قال فيه هذا البيت ، فأمر سعيد بن جودي  
بعض بني صقاله بقتله وإلقاء جثته في «بئر غامضة» ففعل ، فكانه فهم لفظ «الْبِيرِ» على أنها  
«البئر» لا ترخيما للفظ إلبيرة .

(٢) صحف دوزي هذا البيت تصحيحاً شديداً أفسد وزنه ومعناه :

صرمن الغواني ياهنيد مودقِ إذا شاب مفرق لتي وقدالي

ثم أضاف حاشية طويلة يفهم منها أنه خلط بين البيت وما قبله ، ووضح أنه من قصيدة  
أخرى . ومن الغريب أن يعسر عليه هذا البيت مع وضوحه ومع أنه قرأ وفسر ما هو أعسر منه  
بكثير .

(٣) راجع المقتبس ، ص ٦٠ .



وَلِيَ جَدُّهُ جُودَى بْنُ أَسْبَاطِ الشَّرْطَةِ لِلْأَمِيرِ الْحَكَمِ الرَّبَّضِيِّ، وَوَلِيَ  
أَيْضًا قِضَاءَ بِلْدَةِ الْبَيْرَةِ — وَقَعَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي «الْمُقْنَعِ» مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ بَطَّالٍ  
فِي الْأَحْكَامِ<sup>(١)</sup>. وَلَمَّا قُتِلَ سَوَّارُ بْنُ حَدُونِ ذَلَّتِ الْعَرَبُ بِمَقْتَلِهِ، وَكُلَّ حَدُّهَا  
بِمَا نَزَلَ فِيهِ، وَكَانَ قَدْ أَصِيبَ عَلَى يَدَيْ بَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ حَفْصُونِ<sup>(٢)</sup>. فَيَقَالُ  
إِنْ جِثَّتْ مَرْقَاهَا ثَكَالَى نِسَاءَ الْمُؤَلَّدِينَ قِطْعًا، وَأَكَلَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ حَنْقًا عَلَيْهِ،  
لَمَّا نَالَهُنَّ بِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ مِنَ الثَّكَلِ فِي بَعُولَتَيْنِ وَأَهْلِيَيْنِ. فَصَبَّتِ الْعَرَبُ  
لِإِمَارَتِهَا بَعْدَهُ سَعِيدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودَى صَاحِبَهُ، وَعَاقَتْ أَمَالَهَا بِهِ، فَلَمْ يَسُدَّ  
مَكَانَهُ، وَلَا بَلَغَ مَدَاهُ فِي السِّيَاسَةِ. عَلَى أَنَّهُ كَانَ شَجَاعًا بَطَلًا وَفَارَسًا مُحَرِّبًا،  
قَدْ تَصَرَّفَ مَعَ فُرُوسِيَّتِهِ فِي فَنُونِ الْعِلْمِ، وَتَحَقَّقَ بِضُرُوبِ الْأَدَبِ، فَاغْتَدَى أَدِيبًا  
نَحْرِيرًا، وَشَاعِرًا مُحْسِنًا، تُعَدُّ لَهُ عَشْرُ خِصَالٍ تَفَرَّدَ بِهَا فِي زَمَانِهِ لَا يُدْفَعُ عَنْهَا:  
الْجُودُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْفُرُوسِيَّةُ، وَالْجَمَالُ، وَالشَّعْرُ، وَالْخُطَابَةُ، وَالشَّدَّةُ، وَالطَّعْنُ،  
وَالضَّرْبُ، وَالرَّمَايَةُ. وَهَابَهُ ابْنُ حَفْصُونِ هَيْبَةً لَمْ يَهَبْهَا أَحَدًا مِمَّنْ مَارَسَهُ،  
إِذْ لَمْ يَلْقَهُ قَطُّ إِلَّا عِلَاقَةً وَهَزَمَهُ.

وَلَقَدْ دَعَاهُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمْ إِلَى الْمُبَارَاةِ، فَلَمْ يَجِبْهُ ابْنُ حَفْصُونِ إِلَيْهَا وَحَادَعَهُ.  
وَوَاجِهَهُ يَوْمًا فَأَلْقَى عَلَيْهِ ذِرَاعَهُ وَاجْتَذَبَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَمَا نَجَّاهُ مِنْهُ إِلَّا أَصْحَابُهُ.

(١) هُوَ أَبُو أَيُّوبِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَطَّالِ الْبَطْلَيْوسِيِّ، أَسْلَمَهُ مِنْ بَطْلَيْوسٍ وَاسْتَقَرَّ  
فِي الْبَيْرَةِ وَعَاشَ فِيهَا. تَرَجَّمَ لَهُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ، وَذَكَرَ كِتَابَ «الْمُقْنَعِ فِي أَصُولِ الْأَحْكَامِ»  
وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنَى عَنْهُ الْحُكَّامُ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ شَاعِرًا مَجِيدًا، وَقَدْ سَمِيَ «الْعَيْنِ جُودَى»  
لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَرُدُّ فِي أَشْعَارِهِ «يَا عَيْنِ جُودَى»، وَقَدْ انْصَرَفَ عَنِ الشَّعْرِ عِنْدَمَا كَبُرَتْ سِنُهُ  
وَتَزَهَّدَ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٤ هـ أَوْ نَحْوَهَا.

«الصلة» لابن بشكوال، رقم ٤٤٠ ص ١٩٦. فهرست ابن خيبر، ص ٢٥٢.  
(٢) قَتَلَ سَوَّارٌ عَلَى يَدِ حَفْصِ بْنِ الْمُرَّةِ قَائِدَ عَمْرِ بْنِ حَفْصُونِ «الشَّدِيدَ التَّمَرْدِ وَاللُّعْنَةَ»  
كَأَيُّ قَوْلِ ابْنِ حَيَّانٍ (ص ٥١) وَقَدْ قَتَلَ حَفْصُ هَذَا سَنَةَ ٢٨٠ عَلَى يَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنَ أُمَيَّةٍ قَائِدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ عُلِقَ ابْنُ حَيَّانٍ عَلَى قَتْلِهِ بِقَوْلِهِ: «كَبِيرُ قَوَادِهِ وَلِزَازُ حُرُوبِهِ»  
وَوَخْلِفَتْهُ فِيمَا غَابَ عَنْهُ مِنْ مَسَاعِيهِ، فَكَانَ وَجَدَهُ عَلَيْهِ حَسَبَ مَكَانِهِ مِنْ أَثَرَتِهِ» (ص ١٠٨).

الذين انقضوا على سعيد فتفقدوا عمر من يده . وله زَرْقَةٌ بعيدة المدى إلى بعض القفاطر المعتلية مشهورة النسبة إليه ، لم يقدر أحد بعده ممن يتعاطى الشدة يبلغ إليها — ذكر ذلك أبو مروان بن حيان في تاريخه<sup>(١)</sup> .

وقال في موضع آخر : كان ، مع رئاسته وشجاعته ، شاعراً مفلحاً وخطيباً مصقلاً ، فصيح اللسان ، ربيط الجفان ، جميل الشارة ، حسن الإشارة ، ثبت [ ١-٤٤ ] الأصالة ، واسع الأدب / والمعرفة ، يضرب في صنعة الشعر بسهمة وافرة ، ويتصرف من سبله بكل منيعة<sup>(٢)</sup> . وحكى أن الأمير عبد الله بن محمد أسجل له على كورة البيرة ، لما ظهرت العرب على حاضرتها . فاتصل قيامه بأمر العرب ، إلى أن قُتل غيلةً بأيدي بعض أصحابه في ذى القعدة من سنة أربع وثمانين ومائتين . قال : وزعموا أن من أقوى الأسباب في قتله أبياتاً من الشعر قالها في غمص الأئمة من بني مروان . منها ، قال لعبد الله :

يا بني مروان جِدُّوا في الحربِ نَجَمَ النَّائِرُ من وادي القصبِ  
يا بني مروان خَلُّوا مُلْكَنَا إِمَّا الْمَلِكُ لأبناء العرب<sup>(٣)</sup>  
ورثاه الأسدي شاعر العرب في ذلك الأوان ، وقال فيه مُقَدِّمُ بن مُعَاوِيَةَ يرثيه :  
من ذا الذي يُطْمِئُ أو يكسو وقد حوى حِلْفَ الندى رَمْسُ ؟  
لا اخضرتِ الأرضُ ولا أورقَ الـ مودُ ولا أشرقتِ الشمسُ

(١) روى ذلك ابن حيان وبعضه عن تاريخ عبادة بن ماء السماء . انظر «المقتبس» ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٢) كذا في الأصل ، وكذلك عند ابن حيان : «المقتبس» ، ص ١٢٣ .

(٣) روى هذه الأبيات أيضاً ابن حيان<sup>(٤)</sup> «المقتبس» ، ص ٣٠ ) ولكنه جعل صدر البيت الأول :

\* قل لعبد الله يَجِدُّ في الحرب \*

وأضاف إليها بيتاً ثالثاً :

قربوا الورد المحلى بالذهب واسرجوه ، إن نَجْمِي قد غلبَ

بعد ابن جودي الذي لن ترى أكرم منه الجن والإنس  
دموع عيني في سبيل الأسي على سعيد أبداً حبس  
وقام بأمر العرب بعده محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني صاحب  
حصن الحمة ، إلى أن استنزله الناصر عبد الرحمن بن محمد . ولسعيد بن جودي  
شعر كثير ، وقد ذكرنا منه جملة . وسمع يوماً منشداً ينشد قول أبي قيس بن  
الأسلت :

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم يوماً غير تهجاع  
أسي على جلّ بني مالك كل امرئ في شأنه ساع<sup>(١)</sup>  
فقال معارضاً له على البديهة :

الدرع قد صارت شماری فما أبسط حاشاها لتهاجع  
والسيف إن قصّره صانع طوله يوم الوغى باع  
/ وما كميتي لي بمستقصير<sup>(٢)</sup> إذا دعاني للقاء داغ  
هذا الذي أسي له جاهداً كل امرئ في شأنه ساع

[٤٤ - ب]

وله في جارية سمعها بقرطبة تغني للأمير عبد الله بن محمد — وذلك في إمارة  
أبيه الأمير محمد — فهم بها واشترى جارية سماها باسمها « جيجان » ، فلم يسّله  
ذلك عنها وهام بها دهرأ<sup>(٣)</sup> :

سمعي أبي أن يكون الروح في بدني فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن  
أعطيت جيجان روعي عن تذكرها هذا ولم أرها يوماً ولم ترني

(١) وردت هذه الأبيات في الأغاني ( ١٥ / ١٥٣ ) وقد راجعتهما على أصلها هناك  
وقومتهما بمقتضاه .

(٢) في المقتبس ( ص ١٢٤ ) : بمستصفر .

(٣) روى الحكاية بالتفصيل ابن حيان في « المقتبس » ( ص ١٢٤ ) ، وقد ورد اسم  
الجارية عنده « جيجان » . وكلتا صورتى هذا الاسم عند ابن حيان وابن الأبار قلقة يبدو أنها محرفة .

كَأَنِّي وَاسْمَهَا وَالدمْعُ مَنْسَكَبٌ مِنْ مَقَلَّتِي رَاهِبٌ صَلَّى إِلَى وَثْنٍ<sup>(١)</sup>  
 وَلَهُ فِي جَارِيَةٍ سُمِّحَتْ إِلَيْهِ مِنْ قَرْطُبَةٍ ، فَلَمَّا خَلَا بِهَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ وَرَمَتْ  
 بِطَرْفِهَا إِلَى الْأَرْضِ خَجَلًا فَقَالَ :

أَمْثَلَةُ الْأَحَاطِ عَنِّي إِلَى الْأَرْضِ أَهَذَا الَّذِي تُبْدِينَ - وَيَمَحُكُ! - مِنْ بُغْضِي؟  
 فَإِنْ كَانَ بُغْضًا لَسْتُ وَاللَّهِ أَهْلَهُ وَوَجْهِي بِذَاكَ اللَّحْظِ أَوْلَى مِنَ الْأَرْضِ  
 وَلَهُ أَيْضًا يَهْزُلُ وَيَتَغَزَلُ :

لَأَشْيَاءُ أَمْلَحُ مِنْ سَاقٍ عَلَى عُنُقٍ وَمِنْ مَنَاقِلَةٍ كَأَسَا عَلَى طَبَقٍ  
 وَمِنْ مَوَاصِلَةٍ مِنْ بَعْدِ مَعْقِبَةٍ وَمِنْ مَرَاثِلَةِ الْأَحْبَابِ بِالْحَدَقِ  
 جَرِيَتْ جَرَى جَمُوحٍ فِي الصُّبَا طَلَقًا وَمَا خَرَجْتُ لَصَرْفِ الدَّهْرِ عَنْ طَلْقِي  
 وَلَا انْتَنَيْتُ لِدَاعِي الْمَوْتِ يَوْمَ وَغَى كَمَا انْتَنَيْتُ وَحَبْلِ الْحَبِّ فِي عُنُقِي  
 وَمَقَاصِدُهُ فِي غَزَلِهِ الْمَشُوبِ بِشَجَاعَتِهِ تَشْبَهُ مَقَاصِدُ أَبِي دُلْفِ الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى  
 الْعِجْلِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُ أَيْضًا رِثَاسَةٌ وَثُورَةٌ .

وَلِسَعِيدٍ أَيْضًا فِي جَارِيَةٍ جَمِيلَةٍ عَرَضَتْ لَهُ صَبَاحًا فِي غَلَالَةِ حَمْرَاءَ وَهُوَ خَارِجٌ  
 إِلَى مَجْلِسِهِ ، لَتَأْخُذَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ وَهِيَ تَتَنَتْنَى فِي حَرَكَتِهَا فَقَالَ :

قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقٍ حُمْرٍ  
 ثُمَّ أَعْيَتْهُ الْإِجَازَةُ طَوْلَ نَهَارِهِ وَقَدْ شُغِلَ بِهَا فِكْرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ  
 [٤٥-١] فَاسْتَأْذَنَ لِعَبِيدِيسَ / الشَّاعِرِ الْكَاتِبِ - وَكَانَ يَنْتَابُهُ هُوَ وَغَيْرُهُ - فَسَاعَةً  
 دَخَلَ عَلَيْهِ نَادَاهُ سَعِيدٌ :

قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقٍ حُمْرٍ

(١) أورد ابن حيان قبل هذا البيت بيتاً هو :

فَقُلْ لِلرِّيحَانِ يَا سَوْدَى وَيَا أُمْلَى  
 اسْتَوْصِ خَيْرًا بِرُوحِ زَالٍ عَنْ بَدَنِ

فأجابه من قبل أن يجلس :

وعهدى بالريحان في ورق خضر

فسرّ وأجزل صلته .

وله يرثي :

أُمسْتَنْصِراً بالصبر قد دُفِنَ الصبرُ مع الحَسَنِ<sup>(١)</sup> المأمولِ إذ ضَمَّه القبرُ  
فيا عجباً للقبرِ مِنْهُ يضمُّهُ وقد كان سهلُ الأرضِ يحشاه والوعرُ  
وما مات ذاك الماجدُ التَّرمُّ وحدهُ بل الجودُ والإقدامُ والبأسُ والصبرُ  
وإنْ بَكُنِ الشَّيْطَانُ زَيْنَ حَيْرَةٍ لقاتله في الكُفْرِ ، بل دونه الكُفْرُ  
فشمسُ الضحى ترجو لفقدانِ نورهِ وبدرُ الدجى يبكيه والأنجمُ الزهرُ  
وله حين أسره عمر بن حفصون ، رأس الفتنة بالأندلس ومضرم نارها وركنُ

العصبية للمعجم والمولدين ، وذلك قبل إمارة سعيد ورئاسته للعرب :

خاليّاً صبراً ، راحةُ الحرِّ في الصبرِ ولا شيءٌ مثلُ الصبرِ في الكَرْبِ للحرِّ  
فكم من أسيرٍ كان في القَدْ مُوثِقاً فأطلقهُ الرحمنُ من حَقِّ الأسرِ  
لئن كنتُ مأخوذاً أسيراً وكنتمُ فليس على حربٍ ولكن على غدرِ  
ولو كنتُ أخشى بعضَ ما قد أصابني حَتَّى أطرافُ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ  
فقد علمَ الفتيانُ أني كميها وفارسُها المقدامُ في ساعةِ الذعرِ

(١) لم أعر على شيء يكشف عن شخصية الحسن هذا ، والغالب أنه من زعماء جماعة

يحيى بن صقاله وسوار بن خلدون وسعيد بن جودي .

(٢) جعلها دوزي (ص ٨٧) وملشور أنطونيا (المقتبس ، ص ١٢٦) : القيد ،

ولا داعي لذلك فالقد صحيحة في معنى القيد ، واستعمالها في الشعر كثير .

ومن هذه القصيدة :

يَهْمَكِ أَلْتَى خَالَتِي يَوْمَ مَوْفِي وَكَرْبُكَ أَقْضَى لِي مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَكُنْ قَبْرُهُ فَأَحْسَنُ مَوْطِنًا مِنْ الْقَبْرِ لِلْفَتَيَانِ حَوْصَلَةُ النَّسْرِ

## ٥٨ - سليمان بن وانسوس

الوزير ، أبو أيوب

هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وانسوس المكناسي مولى سليمان [٥٤ - ب] ابن عبد الملك . أصله من البرابر ، وله فيهم بيت شرف / بالأندلس . وكان جده أصبغ رئيساً بماردة مطاعاً ، ثار فيها على الأمير الحكم بن هشام فلما لنفسه واتصل خلفه فيها سنين ، وجرت له خطوط كبار في حالي المعصية والطاعة .

وتعهد ابن ابنه هذا مهاد الطاعة من بعد نزوات سلفه ، وعَلَقَ حبال الخدمة ، فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة ، إلى أن ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد الله ، وصارت له حظوة . وكان أديباً مُفَتِّناً ، وشاعراً مطبوعاً ، حسن البيان ، بليغاً ، حصيفاً ، داهياً ؛ وكان في لحيته كوسجاً<sup>(٢)</sup> . ومن شعره يغرى

(١) أسقط ابن الأبار هنا بيتين يوضحان المقصود بالبيتين اللذين أتى بهما ، وهما :

فيا ظاعناً أبلغ سلامي تحيةً إلى والدتي الهاشميين لدى ذكرى  
وأدُّ إلى عرسي السلام وقل لها عليك تحياتي إلى موقف الحشر

ويفهم من هذين البيتين أنه يخاطب زوجه في البيت اللذين أوردهما ابن الأبار .

(٢) الأصل : وكان في لحيته كوسجاً أه . والكوسج هو الذي لا شعر على عارضيه ، ولهذا فقد غلب على ظني أن « حلية » هي « حلية » وهم الناسخ في كتابتها . وكان سليمان بن وانسوس كوسجاً أي لا شعر على عارضيه ، في حين أن لحيته كانت طويلة ضخمة وصفها الأمير عبد الله كما رأينا بأنها « هلوقة » . وهذا التعارض بين ضخامة اللحية وانعدام شعر العارضين هو الذي جعل الأمير عبد الله يسخر من حلية سليمان بن وانسوس .

الأمير عبد الله بن محمد بجهور بن عبد الملك البختي ، وكان قد صُرف عن عمله بكورة البيرة لتَظَلُّمِ الرعية :

جاء الحمارُ - حمارُ المرج - محتشياً<sup>(١)</sup> مما أفاد من الأموال والطُرفِ  
خلى لبيرةً قد أودتْ مساكنها بقبح سيرته والعنفِ والسرفِ  
فاحل على العير حملاً يستقلُّ به وارك له سبياً للتَّينِ والعلفِ  
فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته أمر بإدخاله إليه فضحك منه وقال له :  
« يا سليمان لو زدتنا فى الأبيات لزدنا الحمار فى الغُرْم » ، وأمر بإغرامه ثلاثة  
آلاف دينار . وقد تقدم لسليمان هذا خبرٌ مع الأمير عبد الله يدل على شرف ذاته  
وعلو همته .

## ٥٩ - عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامى ، أبو مروان

ولى أبوه عامرٌ طليطلةً ، ثم صرفه عنها عبد الرحمن بن الحكم بأخيه  
عبد الله بن كليب . وكان أحد وجوه أصحاب السلطان ، واختص بصحبة هاشم  
ابن عبد العزيز . وكانت فيه - مع أدبه وبلاغته - حدة ومعارضة للناس ،  
وتحكك بالشعراء ، فلم يسلم منهم ؛ وهو القائل فى الاعتذار :

عَظُمَ الخطاءُ فهل تُثْقِلُ يا سيدى ، أو ما تقول ؟  
أنت العزيز بهفوتى وأنا بها العبد الذليلُ  
والله لو أنى استطعتُ لما بدتُ منى فضولُ  
ولما رأى منى الصديقُ قُ سوى قوامٍ لا يميلُ

(١) روى الحكاية ابن حيان عن أبي الوليد الفرضى بتفصيل . وقد ورد هذا اللفظ فيه :  
محتسباً ، وقرأها دوزى ( ص ٨٨ ) : محتشياً ولا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه .

[١-٤٦] / ولسان صدق لا يزو لُ من الصواب ولا يحولُ  
فأبت على الكاسِ إلّا لَأ أن يُدَاخِنِي الدهولُ<sup>(١)</sup>

٦٠ - عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد

ابن غانم

كان هو وأخوه محمد وأبوها وليد في بيت أدب رائع وكتابة وجلالة ،  
وولى وليد للأمير محمد بن عبد الرحمن خِطَّتِي الوزارة والمدينة ، وقاد جيش الصائفة  
الذى قدّم عليه ابنه عبد الرحمن بن محمد ، وكان عدده عظيماً . وولى أيضاً محمد  
ابن وليد خطة المدينة ، وسيأتي ذكرها . وعبد الرحمن هو القائل ( وسَمِعَ  
عميدَ الله بن يحيى بن يحيى صاحب مالك وقد سئل عن النعمامة ففسرها  
بطير الماء ) :

ذهب الزمان بصفوة العلماء وبقيتُ في ظِلِّهم وفي عَمِيَاءِ  
وأنى طغَامُ رُقْعٍ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّاءِ  
فإذا سألتَ عن النعمامِ أَسَدَّهُمْ عِلْمًا ، يفسره بطير الماء

\*\*\*

(١) نقل ابن الأبار هذا عن ابن حيان ، ونقله ابن حيان عن أبي الوليد الفرضي ( مخطوط  
ابن حيان ، ص ٢٢٧ أوب ) وقد روى حكايته مع الوزير محمد بن جهور وكيف أمر هذا  
الآخر بضربه وتجنه ، وكيف حاول الوزير هاشم بن عبد العزيز إنقاذه من يد ابن جهور .  
فلم يستطع ، مما حط من قدره أمام الناس . ولعله يعتذر في هذه الأبيات للوزير ابن جهور .  
انظر أيضاً : « المغرب لابن سعيد » : ٩٤/١ - ٩٥ .



وهؤلاء شعراء بنى الأغلب ملوك إفريقية في هذه المائة ،  
وفي آخرها انقرض ملكهم حسبما يُذكر بعد :

## ٦١ - زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد

وَلِيَ بعد أخيه أبي العباس عبد الله الجليل<sup>(١)</sup> سنة إحدى ومائتين . وكان  
أبوه - إبراهيم بن الأغلب - إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعربية  
والشعراء ، أحسبهم ابنه زيادة الله هذا وأمرهم بملازمته ، فكان أفضل أهل بيته  
وأفصحهم لساناً ، وأكثرهم بياناً . وكان يعرب كلامه ولا يلحن ، دون تشادق  
ولا تقعر ، ويصوغ الشعر الجيد . ولا يُعَلِّم أحد قبله سُمِّي « زيادة الله »  
ولا « هبة الله » قبل وَلَدِ إبراهيم بن المهدي<sup>(٢)</sup> .

وَوُلِدَ زيادةُ الله قبلَ هبة الله هذا بنحو من ثلاثين سنة .

وهو الذي بنى جامع القَيْرَوَان بالصخر<sup>(٣)</sup> والآجر والرخام بعد أن هدمه ،  
وبنى الحراب كله بالرخام / من أسفله إلى أعلاه ، وهو منقوش بِكِتَابٍ وغير [٤٦ - ب]  
كِتَابٍ ، ويستدير به سَوَارٍ حسان ، بعضها مجزعة بأسود ناصعة البياض  
شديدة السواد ، ويقابل الحراب عمودان أحمران ، فيهما تَوْشِيَةٌ بحمرة صافية

(١) قال ابن عذارى عن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب هذا : « . . . وكان من أجل  
الناس وجهاً وأقبحهم فعلاً وأعظمهم ظلماً . . . » . وله حكاية مشهورة في كتب التاريخ المغربي  
مع صلحاء القيروان ، إذ نصحوه بأن يعدل عن سياسته فأبى ، فدعوا عليه « فيقال إن قرحة  
خرجت تحت أذنه ، فقتلته في السادس من دعاء القوم . وقال من حضر غسله أنه لما كشفت  
عنه ثيابه ، ظن أنه عبد أسود بعد جماله ، وذلك بسبب سوء فعالة » . توفي في ذي الحجة ٢٠١ /  
يونيو ٨١٧ .

ولهذا يلقبه ابن الأبار بالجميل .

انظر : البيان المغرب ، ٩٥ / ١ - ٩٦ .

(٢) وردت هذه العبارة أيضاً عند النويري : نهاية الأرب ، طبعة جسپار ريمبرو ،

ص ١٣٩ .

(٣) الأصل : بالصحن ، وقد صوبناها للسياق .

دون حمرة سائرهما ، يقول كلٌّ من رآهما من أهل المشرق والمغرب أنه لم ير مثلهما .  
وقد بذل فيهما صاحب القسطنطينية وزنهما ذهباً فلم يُجِبْهُ الناظرُ للإسلام  
في ذلك <sup>(١)</sup> .

وأول من بنى هذا الجامع الأشرف عقبة بن نافع القهري ، وهو الذي  
اختط مدينه القيروان في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة .

فلما وليَ حستانُ النُّعْمانُ الغَسَّاني إفريقيةَ هدمه — حاشى الحراب —  
وبناه بالطوب . فلما وليَ يزيدُ بنُ حاتم إفريقيةَ ، سنة خمس وخمسين ومائة ،  
هدمه وبناه . فلما وليَ زيادةُ الله هذا ، هدمه وبناه مع الحراب كما وُصف .  
وتم بنيانه سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

وبعد ذلك بعام أو نحوه توفي في رجب سنة ثلاث وعشرين .

ولأبي إبراهيم أحمد بن محمد — والد إبراهيم بن أحمد السفاك — زيادةُ  
في هذا الجامع كملت سنة ثمان وأربعين ومائتين <sup>(٢)</sup> ، وهي عليها إلى اليوم .

(١) يروى أن زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب كان يقول بعد أن فرغ من  
تجديد الجامع : « ما أبالي ما قدمتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات : بنياني المسجد  
الجامع بالقيروان ، وبنياني قنطرة أم الربيع ، وبنياني مدينة سوسة ، وتولييتُ أحمد بن أبي محرز  
قاضي إفريقية » — ابن عذارى ، البيان ، ١٠٦/١ .

(٢) تحدث النويري (ص ١٥٠) بشيء من التفصيل عن تلك الزيادة التي أضافها أبو إبراهيم  
أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، قال : « ولأبي إبراهيم آثار عظيمة في المباني  
بإفريقية ، فن ذلك بنيان الماجل الكبير بباب تونس — وهو بمعنى الصهريج عندنا — وزاد  
في جامع القيروان النهر والمجنبات والقبة ، وبني الماجل الذي بباب أبي الربيع ، والماجل الكبير  
الذي بالقصر القديم ، وبني المسجد الجامع بمدينة تونس ، وبني سور مدينة سوسة ، وكان آخر  
ما عمل الماجل الذي بالقصر القديم » .

وأبو إبراهيم هذا من أحسن أمراء بني الأغلب سيرة وأبقاهم أثراً مع أنه كان من أصغر  
من تولى منهم سناً ، فقد تولى في الثانية والعشرين — أو الثالثة والعشرين — من عمره ، ولم يحكم  
غير سبع سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان موته يوم الثلاثاء ١٤ ذى قعدة سنة ٢٤٩/٢٠ =

ومن شعر زيادة الله — على أنه كان يصنعه ويكتمه — ما يُروى أن المأمون كتب إليه أن يدعو على منابر لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، فأنف من ذلك وأمر بإدخال الرسول عليه — بعد أن تَمَلَّأ من الشراب ، وحلَّ شعره ، ونارَّ عظمته بين يديه في كوانين ، وقد احترت عيناه — فهال الرسول ذلك المنظر ، ثم قال : « قد علم أمير المؤمنين طاعتي له وطاعة آبائي لأبائه ، وتقدّم سلفي في دعوتهم ، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خُرَاعة ؟ هذا والله أمر لا يكون أبداً » . ثم مد يده إلى كيس إلى جانبه فيه ألف دينار فدفعه إلى الرسول ليوصله إلى المأمون ، وكانت الدنانير مضروبة باسم إدريس الحسني ، ليُعْلَمَ ما هو عليه من فتنة المغرب ومناضلة العلويين ، وكتب جواب الكتاب وهو سكران في آخره أبيات منها :

أنا النار في أحجارها مستكنة      فإن كنت ممن يقدح الزند فاقدر  
أنا الليث يحمي غيـلـه بزئيره      فإن كنت كلباً حان موتك فانبحر  
/ أنا البحر في أمواجه وعُبابه      فإن كنت ممن يسبح البحر فاسبح [١٧٤ - ١]

فلما صحا بعث في طلب الرسول ففاته ، وكتب كتاباً آخر يتلطف فيه ، فوصل الكتاب الأول والثاني ، فأعرضوا عن ذكر الأول وجاوبوه عن الثاني بما أحب . وصدر البيت الأول من هذه الأبيات وقع في ما تمثل به المأمون ،

= يناير ٨٦٢ ، أما ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب فقد كان مصاباً بشبه جنون جعل منه أكبر سفاك للدماء عرفه تاريخنا ، ولم تقتصر جرائمه على خصومه السياسيين أو من يخشى خطرهم ، بل كان يقتل للذة القتل ، وقة أورد النويري — نقلاً عن أبي إسحاق إبراهيم الرقيق — بياناً مفزعاً ببعض المذابح التي أوقعها بأهل بيته وخدمه حتى لقد قتل ٣٠٠ خادم بسبب منديل ضاع منه ، وقتل ابناً من أبنائه وثمانية من إخوته ، وقتل ١٦ من بناته مرة واحدة . وكان به شنوذ وميل للغلمان ، وكان عنده منهم نيف وستون ، فشك في أمرهم مرة فقتلهم جميعاً على أبشع صورة ، إلى آخر هذا البيان الأسود . وكان يتلذذ لمنظر القتل ويتفنن فيه ، ومن هنا فإن لقب السفاك الذي سماه به ابن الأبار قليل في حقه .

إذ قتل ليلاً بالمطابق إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن عائشة وأصحابه ، فقال حين فرغ من ذلك :

أنا النار في أحجارها مستكنة متى ما يَرَجُّها فادحٌ تنضمُّمُ  
حكاه المسعودي .

وكان زيادةُ الله يدعو للمأمون ، وابنُ شَكْلَةَ<sup>(١)</sup> — وهو إبراهيم بن المهدي — ببغداد قد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين ، إلى أن قدم المأمون ببغداد فكَاتَبَهُ وشكر له فعله .

وله يخاطب أمّه « جلاجل » — جارية الليث بن سعد<sup>(٢)</sup> — وقد استفحل أمر الجند في خلافهم عليه ، واستولوا على إفريقية كلها ، إثر وقعة على أصحابه شديدة خاف منها على ملكه ، وأيقن بانقطاع مدته ، وبلغ ذلك منه كل مبلغ ، فدخلت عليه أمه تصبّره وتسهّل الأمر عليه ، ففكر ساعة ثم رفع رأسه وأنشد أبياتاً منها :

أمنتُ سَبِيئَةً كلَّ قَرَمٍ باسِلٍ ومن العبيد جاجماً أبطالاً  
فإذا ذكرت مصائباً بسَبِيئَةٍ فابكي جلاجل واندبي إعوالاً

(١) ورد الاسم على هذا الضبط عند المسعودي ، انظر « مروج الذهب » (تحقيق باربييه دي مينارد ، باريس ١٨٧١) : ١٠/٦ .

(٢) سمع إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة من الليث بن سعد قبل أن يلى حكم إفريقية ، ويقال إن الليث وهب له « جلاجل » أم ولده « لكانه منه » كما يقول ابن عذارى . وزيادة الله الأول هو ثاني ولد من أولاد إبراهيم بن الأغلب بلى الإمارة (ابن عذارى ، البيان ، ٩٢/١) .

يا ويح نفسي حين أركب غادياً بالقيروان تخالني مختالاً  
في فتيةٍ مثل النجوم طوالع وتخالني بين النجوم هلالاً  
فاليوم أركب في الرعاع ولا أرى إلا العبيد ومعشراً أنذالاً<sup>(١)</sup>  
وله في النسب :

بالله لا تقطعن بالهجر أنفاسي فأنت تملك إنطاقي وإخراسي  
صدود طرْفك عن طرفي إذا التقيا مُجرّعي كلّسٍ إرغامٍ وإتعاسٍ  
لو لم أبحك حَيّ قلبي ترؤد به لم تستبح مهجتي يا أملك الناسِ

/ وله أيضاً في تفاحة :

[٤٧ - ب]

ولابسة ثوبٍ اصفرارٍ بلا جسمٍ نَمُّ بأفاسٍ الحبيبِ لُمُشَمِّ  
تَجَمَّعَ معشوقٌ لديها وعاشقٌ فذو نظيرٍ يرنو إليها وذو شَمِّ  
سأفنيك أو أفنى عليك تذكراً لَمَنْ أنتِ عطرُ منه في الرشف واللمِّ  
فقد هَجَّتْ في قلبي لظيِّ لتذكرى وعنوانه في مقلتي دمعَةٌ تهَمِّي  
كأنى أدنى حين أدنيك مَنْ به أثرتِ اشتياقي في عناقٍ وفي ضمِّ

(١) كانت أيام زيادة الله بن الأغلب كلها أيام فتنة واضطراب ، بسبب قلة كفايته وسوء تصرفه ما كان سبباً في ثورة منصور الطنيزي التي كادت تطيح بدولة بني الأغلب . وقد كان زيادة الله لهذا في ضيق وهم دائمين ، وربما كان هذا بعض سبب إسراره في الشراب . وتشير أبيات زيادة الله إلى وقعة سببة التي كانت سنة ٢١٠ / ٨٢٥ - ٨٢٦ ، أوقعها بجند زيادة الله عامر بن نافع صاحب منصور الطنيزي وقسيمه في الثورة ، وكان يقود جند زيادة الله فيها ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، قتل في المعركة ، وقد كاد أمر زيادة الله يتلاشى بعدها . قال ابن عذارى : « ولم يبق بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلا قابس والساحل ونفزاوة وإطرابلس ، فإنهم تمسكوا بطاعته ، ولم ينقصوه شيئاً من جبايته . وملك منصور جميع عمل زيادة الله ، وضرب السكة باسم نفسه » (البيان المغرب ، ١ / ١٠٠ - ١٠١) .

## ٦٢ - الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقال ( ويلقب بن خزر )

وَلَى إفريقية بعد إبراهيم بن الأغلب ثلاثة من أبنائه لصلبه ، أولهم أبو العباس عبد الله : وَلَى بعده أبيه ، وكان عند وفاته بطرابلس ، فقام أخوه زيادة الله بالأمر في مغيبه ، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وسائر الناس ، فكان يتحامل عليه في ولايته ويتنقصه ، وهو يظهر التجمل والاحتمال<sup>(١)</sup> ؛ وعوجل فلم تطل مدته ، ولم يوصف بأدب فذكره . وثانيهم أبو محمد زيادة الله المتقدم الذكر : وهو كان أطولهم ولايةً ، وأمتنهم بعد أبيهم أدبا . وثالثهم أبو عقال الأغلب هذا : وَلَى بعد أخيه زيادة الله ، وهو كان أقصرهم ولاية ؛ أقام سنتين وتسعة أشهر وأياما ، غير أن الملوك منهم من عقبه<sup>(٢)</sup> دون أخويه . وكل من وَلَى بعده من آل الأغلب — إلى أن انقرض ملكهم وزال سلطانهم — من ولده . وآثاره صالحة : أَمَّنَّ الجندَ وأحسن إليهم ، فلم يكن في أيامه — على قصرها وتقلصها — حروب . وغيرَ مما أحدث العمال كثيراً ، وقبض أيديهم عن أموال الرعية ، وقطع النبذ من القيروان ؛ فحُمِدَت سيرته ، وظهرت فضيلته ، وانتشر عدله . وكان له حظ من الأدب يصوغ به مقطعات من الشعر ، فمنها قوله :

(١) عندما توفي إبراهيم بن الأغلب في شوال ١٩٦ / يونيو ٨١٢ كان ابنه وولى عهده عبد الله بطرابلس ، فقام ابنه الثاني زيادة الله بأخذ البيعة على نفسه وأهل بيته ورجال الدولة لأخيه الغائب ، ولما وصل عبد الله إلى القيروان سلم إليه الأمر ، ولكن عبد الله لم يحمّد لأخيه هذا الفضل وجعل دأبه التحامل على أخيه وإطلاق لسانه فيه ، فخاف زيادة الله وخرج إلى المشرق . وعندما توفي أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب في صفر ١٩٧ / أكتوبر ٨١٢ تولى زيادة الله بعده .

(٢) الأصل : غيبته .

له مقلة تكفيه حمل سلاحه محاربة الحاظها من تسالمة  
سقى صبه من خمرها فبدا بها كما تفعل الصهباء ما هو كاتمته  
وقد سكرت أجفانه فكانما تسقى من صهبائها وتنادمه

### ٦٣/ - ابنه محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، [١-٤٨] أبو العباس

ولّى بعد أبيه أبي عقاب في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين  
ومائتين ، وتوفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من الحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين  
وهو ابن ست وثلاثين سنة ، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر  
واثنى عشر يوماً .

وكان كوسجاً : كان وجهه وجه خصى ليس فيه إلا شعرات يسيرة ، عقيماً  
يولد له ، موصوفاً بحلم وجود . وحاربه أخوه أحمد فظفر به وأخرجه إلى المشرق ،  
وكانت في أيامه حروب كثيرة نصر فيها . وأما أخوه الثاني - ويسمى أيضاً  
محمدًا ، ويكنى أبا عبد الله - فكان والياً على طرابلس من قبله ، ومات بها في  
أيامه سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ ومن ولده أمراء بني الأغلب الولاية بعد أبي  
العباس هذا <sup>(١)</sup> .

(١) هذه المعلومات تصحح خطأ كبيراً جارياً في نسب بني الأغلب ، فإن كل المؤرخين  
يتابعون ابن عذارى وابن خلدون والنويرى في القول بأن أمراء بني الأغلب بعد أبي العباس  
محمد بن الأغلب السعدي كانوا من نسله ، وأن أحمد الوالي بعده ابنه . ولكن ما يذكره ابن  
الأبار هنا من أن محمدًا الأول كان عقيماً لا ولد له ، وأن أحمد الذي جاء بعده هو ابن أخيه -  
واسمه محمد أيضاً - الذي تولى طرابلس ، يغير الوضع . ولم ينتبه لذلك زامباور في معجم =

وأبو العباس [هو] القائل يفخر — في ما نسبته إليه بعض خاصته ، وقيل إنه  
لعبد الرحمن بن مسleme — قاله على لسانه عند ظفركه بخارج عليه :

أليسَ أبي وجدِّي أوطاني — وجدُّ أبي وعمَّايَ — الرقابا ؟  
ورثتُ المُلُكَ والسُلطانَ عنهمْ فصرْتُ أعزَّ مَنْ وطئُ الترابا  
وقدَّمَنِي الخِلائفُ واصطفَوْنِي فَمَنْ مثلي قديماً وانسابا  
أنا المَلِكُ الذي أَسْمُو بِنَفْسِي فأبلغ بالسُموِّ بها السحابا  
إذا نَقَبَتْ عن كرمي ومجدي وجدَّتني المِصْاصَةُ<sup>(١)</sup> واللُّبابا  
أنا المَلِكُ الذي أَيْدَتْ مُلْكِي بسيفي إذ كشفتُ به الضبابا  
فأمضى إن سَرَدَتْ<sup>(٢)</sup> الجفنَ عنه فأغتصبُ النفوسَ به اغتصابا  
لقد فتح المومنينُ لي بسيفي وإقداي ، إذا ما الجمْعُ هابا  
أمتُ به ابنَ حمزة<sup>(٣)</sup> حين دبتُ عقاربُ غدره وسعى نخابا

= الأنساب ، ولا الذين ترجموه إلى العربية ( ١٠٥/١ ) ، بل لم ينتبه لذلك فوندرهايدن الذي  
ألف كتاباً ضخماً عن الأغلبة بالفرنسية سبق أن أشرنا إليه ( ص ٢١٣ - ٢١٦ ) .  
وقد وصف ابن عذارى والنويرى محمداً هذا بالجهل والغباء ، بل أورد ابن عذارى حكاية  
أيد بها هذا الوصف ، ولكن الحقيقة — كما يتضح من التفاصيل التي يقدمها النويرى — أنه كان  
من أذكي بني الأغلب وأشدهم مكرأ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠٧/١ - ١١٤ . النويرى ، ١٤٦ - ١٥٠ .  
( ١ ) كذا في الأصل ، على اعتبار أن المِصْاصَةُ العصارَةُ التي تمص . وقد تكون صحة  
اللفظ : الخلاصة .

( ٢ ) الأصل : أمضى إذا سررت ، ولا يستقيم به الوزن أو المعنى .

( ٣ ) ابن حمزة هو نصر بن حمزة الجروى وزير أبي جعفر أحمد بن أبي عقيل الأغلب  
ابن إبراهيم بن الأغلب ، وأحد هذا هو أخو أبي العباس محمد المترجم له هنا ، وكان قد ثار  
عليه بمعاونة صاحبه نصر بن حمزة الجروى وأخيه داوود ، وتمكن من أن يتولى الأمر دون أخيه  
دون أن يخلعه . وقد تمكن محمد بالحيلة من أن يستعيد سلطانه ويتغلب على أخيه أحمد وأنصاره ،  
ثم أخرجه مبعداً إلى المشرق ، وقتل نصر بن حمزة الجروى ، وبهذا يفخر هنا . أما داوود بن  
حمزة الجروى فكان قد انضم إلى محمد نكاية في أحمد بن الأغلب لأنه فضل أخاه عليه .



أُسلْتُ به دمَ الأوداج منه فصار لشيبٍ لحيته خضاباً<sup>(١)</sup>  
 / أَظِلُّ عَشِيرَتِي بِجَنَاحِ عِزِّي وأمنحها الكرامة والثواب [٤٨ - ب]  
 وأصطنعُ الرجالَ وأصطفِيهم<sup>(٢)</sup> وأغفر للمسيء إذا أنا با  
 وأسمو بالتلميسِ إلى الأعادي فأكسر بالعقاب لها العقابا  
 أنا ابنُ الحربِ ربَّنِي وليداً إلى أن صرتُ ممثلاً شبابا  
 لعمُرُ أهلك ما أن عِبتُ قومي وما أخشى بقومي أن أعبا  
 بنيتُ لهم مكارمَ باقياتٍ إذا ما صارت الدنيا خرابا

## ٦٤ - إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي عقال الأغلب

وهو خَزَر المذكور قبل ابن إبراهيم بن الأغلب ، أبو إسحاق .  
 وَلَى بعد أخيه أبي عبد الله محمد بن أحمد ، الذي يُعرف بأبي الغرائيق ، لكثرة  
 مولوعه بتصيدها . وكان محمد هذا قد عقد لابنه أبي عقال الأغلب ولاية عهد ،  
 واستحلف إبراهيم هذا خمسين يميناً بجامع مدينة القيروان ألا يفارعه ، وذلك  
 بمحضر مشيخه الأغلب<sup>(٣)</sup> وقضاة القيروان وفقهائها ، فلما هلك أبو الغرائيق

(١) ورد هذا الشطر في الأصل هكذا :

\* فصار لشيب لحيته خضاباً \*

ولا يستقيم به الوزن ، وقد قومه على هذا النحو .

(٢) الأصل : أطيهم .

(٣) في النويري : وذلك بحضرة مشائخة بني الأغلب وقضاة القيروان وفقهائها (ص ١٥٣)

لست مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين ، خلع ابنه أهل القبروان وقدموا إبراهيم بن أحمد في قصة طويلة ، فابتلاه الله بظلمه ، وامتنحهم بإسرافه ، حتى سموه « الفاسق » . وكان أول أمره قد أحسن السيرة فيهم نحواً من سبع سنين ، ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء ما لم يرتكبه أحد قبله ، وأخذ في قتل أصحابه وكتابه وحجابه ، حتى إنه قتل ابنه أبا عقال وبفاته ؛ والأخبار عنه في ذلك فظيعة شنيعة . وكان كثير المال شديد الحسد ، على اتصافه بالحرزم والعزم والضبط للأمور . ولم يكن يوصف بعلم بارع ولا أدب ، وكان ربما صنع من الشعر شيئاً ضعيفاً ، فمن ذلك قوله :

نحن النجوم بنو النجوم ، وجدُّنا قمرُ السماء أبو النجوم تميمُ  
والشمسُ جدُّتنا ، فمن ذا مثلنا متواصلان : كريمةٌ وكريمٌ ؟

[ ٤٩ - ١ ]

/ وحذف هذا النظم للفت أولى من إثباته ، وليته بعقاب أهل بيته عوقب على أبياته . ولم يل إفريقية قبله أطول عمراً منه في سلطانه . ملك تسعاً وعشرين سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ليطول به الابتلاء ؛ والله يفعل ما يشاء . وحكى أبو عبيد البكري في كتاب « للمالك والمسالك » من تأليفه أن إبراهيم بن أحمد هو الذي بنى مدينة رقادة واتخذها وطناً ، وانتقل إليها من مدينة « القصر القديم » وبنى بها قصوراً عجيبة وجامعاً . ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب ، إلى أن هرب عنها زيادة الله أمام أبي عبد الله الشيعي . وسكنها عبيدُ الله المهدي ، إلى أن انتقل إلى « المهديّة » ، فدخلها الوهنُ وانتقل عنها ساكنوها . ولم تزل تخرب شيئاً بعد شيء ، إلى أن ولي مَعْدُ بنُ إسماعيل ، فغرب ما بقي منها وعق آثارها ولم يبق منها غير بساتينها .

قال : وليس بإفريقية أعدل هواء ، ولا أرق نسيماً ، ولا أطيب تربة من مدينة رقادة . وذكروا أن أحد بني الأغلب أرق وشرد عنه النوم أياماً ، فعالجه

إسحاق — يعنى طيبيهم ، وهو الذى ينسب إليه إطريرقل إسحاق<sup>(١)</sup> — فلم ينم ، فأمره بالخروج والمشى ، فلما وصل إلى موضع رَقَادَة نام ، فسميت رَقَادَة من يومئذ ، واتخذت داراً ومسكناً وموضع فرجة للملك . قال : ولما بناها إبراهيم ابن أحمد منع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رَقَادَة ، فقال بعض ظرفاء أهل القيروان :

ياسيدَ الناس وابنَ سَيِّدِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِ الرُّقَابُ منقادُه  
ما حَرَّمَ الشُّرْبَ فى مَدِينَتِنَا وهو حلال بأرض رَقَادَه ؟

ومع بُعد إبراهيم فى الملكة عن الإسجاح ، فقد كان لا يخلُ بنصيبه من السماح . حكى أبو إسحاق الرقيق أن بكر بن حماد التاهرتي<sup>(٢)</sup> كان ينتجع هذا الطاغية ويمدحه ، فغدا يوماً بمدح له على « بلاغ » الخادم فقال له : « الأمير عنا مشغول فى هذا اليوم » ، قال : « فالطف بى فى إيصال رقعة إليه » ، قال : « إنه مصطبوح فى الجنان مع الجوارى ، ولا يصل إليه أحد » ؛ فكتب بكر فى رقعة ، واحتال « بلاغ » فى / توصيلها مساعدةً له ، وفيها أبيات منها :

[٤٩ - ب]

(١) العبارة كلها منقولة عن المسالك والممالك للبكرى (صفة إفريقية ، ص ٢٧ -

٢٨) . والإطريرقل أو الإطريرقال - كما جاء فى معجم الكتاب المنصورى المعروف باسم « مفيد العلوم ومبيد الهموم » لابن الحشاء - دواء مركب فيه لا محالة بعض الهليلجات أو كلها ، ويزاد فيه بحسب الحاجة من الأفاويه ، وصوابه بضم الفاء .

وانظر : دوزى ، ملحق القواميس ، ٢٨/١ .

(٢) ترجم له أبو بكر المالكي فى « رياض النفوس » : ١٦/٢ - ١٩ ، وأورد

كثيراً من الشعر فى رثاء ابنه وفى الزهد . وقال « سعى به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير ، فخرج هارباً من القيروان يريد تاهرت بلده ، فلما صار ببساطة خرج عليه قطاع الطريق ، فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بجراحات ، فزال فى بطنه فتق منها إلى أن مات (سنة ٢٩٦/٩٠٨ - ٩٠٩) . وترجم له الدباغ فى « معالم الإيمان » (١٩٢/٢) وذكر أساتذته ورحلته إلى البصرة سنة ٢١٧ . وقد أضاف الدباغ أن قاسم بن أصبغ أخذ عنه ، وقال إنه كان ثقة عالماً بالحديث ورجاله ، شاعراً فصيحاً .

خُلِقْنَ الغواني للرجال بَلِيَّةً      فهنَّ موالينا ونحن عبيدُها  
إذا ما أوردنَ الوَرْدَ في غير حينِه      أتننا به في كل حين خدودُها  
وكتب تحت الأبيات :

فإن تَسْكُنِ الوسائلُ أعوزتني      فإنَّ وسائلِي وردُ الحدودِ  
فلما قرأها أنشدَها الجوارى ، فأظهرن له سروراً بها وشفعن إليه إلى أن  
خرج بصرّة مختومة فيها مائة دينار ؛ ووصل منه إلى بكرٍ مالٌ عظيم .

## ٦٥ - ابنه عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو العباس

ولّى بعد أبيه إبراهيم ، وكان شجاعاً بطلاً ،<sup>(١)</sup> ذا بصر بالحروب والتدبير ،  
عاقلاً أديباً عالماً ، له نظر في الجدل وعناية باللغة والآداب . وكان في أيام أبيه على  
خوف شديد منه ، لسوء أخلاقه وقبح أفعاله ، وجراته على قتل من قُرُب منه أو  
بُعد ، وكان يُظهر من طاعته والتذلل له أمراً عظيماً . وكان أبوه يوجهه إلى  
محاربة كثير ممن يخالف عليه ، ويفضله على سائر ولده ، ثم ولاه عهده وصير إليه  
خاتمه ووزارته ، وكتب بذلك كتاباً تاريخه يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع  
الأول سنة تسع وثمانين ومائتين .

وفي ذى القعدة منها هلك أبوه إبراهيم بن أحمد ، ومن ذلك الوقت رُمي

(١) لم يصفه بذلك غير ابن الأبار ، بل قال ابن عذارى : إنه أظهر التقشف والجلوس  
على الأرض وإنصاف المظلوم ، وجالس أهل العلم وشاورهم ، وكان لا يركب إلا إلى الجامع ،  
فقال قوم : إن أهل النجوم أمروه بذلك ، وقال قوم : « به وسوسة » . ثم ذكر كيف احتال  
على ابنه زيادة الله حتى سجنه مع نفر من أصحابه ، فكان هذا حافزاً لزيادة الله على تدبير مقتل أبيه .  
ابن عذارى ، ١/ ١٣٣ - ١٣٤ . التويرى : ١٦٣ - ١٦٤ .

بالنجوم ، فكانت تتفائر كالطر يمينا وشمالا ، وكانت تؤرخ بسنة النجوم<sup>(١)</sup> .  
 وملك عبد الله سنة واحدة واثنين وخمسين يوما ، وكانت أيامه — على  
 قصر مدته — أيام عدل وصلاح وحسن سيرة ، إلى أن قُتل ليلة الأربعاء آخر  
 شعبان سنة تسعين ومائتين : تولى قتله ثلاثة من خدمه الصقالبة وهو نائم ،  
 وأتوا برأسه ابنة زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغلبة وهو محبوس من قبل  
 أبيه — وكان قد صانعهم على ذلك — فقتلهم وصلبهم . ومن شعر عبد الله في  
 دواء شربه بصقلية :

[١٠٠-١] / شربتُ الدواءَ على غُرْبَةٍ بعيداً من الأهلِ والمنزلِ  
 وكنتُ إذا ما شربتُ الدواءَ تَطَيَّيْتُ بالمِسكِ والمَنْدَلِ  
 فقد صار شرابي بحارَ الدماءِ ونقعَ العَجَاجَةِ والقِسطَلِ

٦٦ - ابنه زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو مضر

خاتمة ملوك الأغلبة ، عليه انقراض ملكهم وزال سلطانهم بعبيد الله المهدي  
 أول ملوك الشيعة .

ولما هزم أبو عبد الله الشيعي — داعية عبيد الله — عسكر زيادة الله  
 هذا يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين<sup>(٢)</sup> ،

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) كانت الأربس آخر معاقل زيادة الله الثاني آخر أمراء بني الأغلب ، فلما سقطت  
 في يد أبي عبد الله الشيعي أسقط في يده وقرر الفرار ، ولم يلبث في القيروان إلا ريثما أخذ ماتيسر  
 من ماله ومتاعه ، « فلما كان وقت صلاة العتمة من ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة  
 [سنة ٢٩٦] ركب فرسه وتقلد سيفه ، وقدم الأخال تمر بين يديه ، هارباً على عيون أهله  
 وحرمة وولده . . . » .

وكانت تلك هي نهاية أمر بني الأغلب ، على رغم محاولة أخيرة يائسة قام بها إبراهيم بن أبي  
 الأغلب وأبي أهل القيروان أن يؤيدوه فيها فاضطر إلى الفرار لاحقاً بزيادة الله .

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٤٧/١ - ١٤٨ .

ودُخِلت مدينة الأَرْبُس بالسيف ، وبلغ الخبر زيادةَ الله عند صلاة العصر يوم الأحد بعده ، فر على وجهه وأسلم البلاد ، ولحق بإطرابلس ميمماً ديار مصر ، وذلك في خلافة المقتدر بن جعفر بن المعتضد ، فكانت ولايته ست سنين إلا شهرين وأياماً ، أتلَف جُلَّها في اللذات والبطالة ، حتى انتقضت دولته وظفر به عدوه .

وكان فراره من مدينه رَقادة التي بناها جده إبراهيم بن أحمد ، وأجرى إليها المياه ، واغترس فيها صنوف الثمار الطيبة والرياحين ، وبنى على القصور التي أحدث فيها سوراً ، وأحد هذه القصور يسمى « بغداد » ، وآخر منها يسمى « المختار » ، فصارت أكبر من القيروان ، وبينهما ستة أميال .

فلما ولي زيادةُ الله هذا ، انتقل إليها وحفر بها حفيراً بناه صهريجاً ، طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعائة ذراع ، وأجرى إليها ساقية وسماه « البحر » ، وبنى فيه قصرأ وسماه « العروس » على أربع طبقات أنفق فيه — سوى خَسَر<sup>(١)</sup> اليهود والعجم — مائتي ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار .

وكان عبيد الله<sup>(٢)</sup> يقول : « رأيت ثلاثة أشياء بإفريقية لم أر مثلها بالشرق ، منها هذا القصر » . فبهذا وأمثاله كان اشتغاله ، حتى حالت لأول وهلة حاله ، ليصدق ما قاله أبو الفتح البُستِي :

إذا غدا مَلِكٌ باللهو مشغلاً فاحكم على مُلكه بالويلِ والحَرْبِ [ ٥٠ - ب ] / وحكى أبو إسحاق الرقيق أنه سأل « مؤنساً » المغنى هل يعلم صوتاً من أصواته لم يسمعه منه ، فقال : « والله يا مولاي ما علمت غير بيت ، وقد أنسيتُ أوله » ، قال : « هاته » ، فعناه :

( ١ ) وردت هكذا مشكولة في الأصل ، فتركها كما هي ولو أنني لم أعرف معناها هنا ، وقد تكون صحتها : عَشْرُ الْيَهُودِ وَالْعَجَمِ .  
( ٢ ) المراد عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين في إفريقية .

فقد صرْتُ بعد البَيْنِ أَقْنَعُ بالهجر  
ثم وَجَّهَ في صاحب البريد عبد الله بن الصائغ<sup>(١)</sup> — وكان شاعراً مجيداً —  
فعرّفه ما جرى وقال له : « بحياتي إلأزدت عليه شيئاً » ، فقال ابنُ الصائغ :  
ولى كَبِدٌ لولا الأسمى لتصدَّعتْ وقلبُ أبى أن يستريح إلى الصبرِ  
وقد كنتُ أخشى هجرهم قبلَ يَئِنهم فقد صرْتُ بعدَ البَيْنِ أَقْنَعُ بالهجر  
فأعجبه ذلك ووقع منه أحسن موقع ، وغنى به « مؤنس » فطرب وأمر له  
بخلع نفيسة وكيس فيه ألف دينار وفرس بسرّج ولجام مُحَلَّيْن . وهذا قد كان  
يحسن منه لولا انهما كه [ في ملذاته ]<sup>(٢)</sup> الذي كان فيه هلاكه .

وقال أبو بكر محمد بن محمد الصّوّلى في كتاب « الأخبار المنشورة » من تأليفه :  
حدثني أبو الحسن علي بن جعفر الكاتب ، حدثني أبى ، قال : كان لزيادة الله  
ابن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد — وهو زيادة الله الأصغر ، وكان أميراً بإفريقية —  
غلام فحل صبي يدعى خَطَّاباً — وهو الذى اسمه فى السكك — فسخط عليه  
وقيده بقميد من ذهب ، فدخل يوماً من الأيام صاحبه على البريد — وهو  
عبد الله بن الصائغ — فلما رأى الغلامَ مقيداً تأخر قليلاً ، وعمل بيتين وكتب  
بهما إلى زيادة الله وهما :

يأيها الملك الميمون طائرُهُ رفقاً فإن يد المعشوق فوق يدك  
كم ذا التجلد والأحشاء راجفةً أعيد قلبك أن يسطو على كبذك

(١) عبد الله بن الصائغ هو صاحب يريد زيادة الله هذا ثم وزيره ، وهو الذى أشار  
عليه بقتل أعمامه ومن يتوقع أن ينافسه فى العرش من آلِه ، وهو وأبو مسلم منصور بن إبراهيم —  
الذى ولاه الخراج — مسئولان عن كثير من الأخطاء التى وقع فيها وأدت إلى ضياع ملكه وذهاب  
دولة بنى الأغلب . وقد آل أمره إلى أن قتله زيادة الله ، وكان ذلك بعد فرارها جميعاً . وقد كان  
مقتل عبد الله بن الصائغ فى طرابلس سنة ٢٩٦ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ / ١٣٤ - ١٤٦ .

(٢) أضفت ذلك للسباق .

فأطلق الغلام ورضى عنه ، ووصل عبد الله الصائغ بالقيود الذهب<sup>(١)</sup> .

ومن شعر زيادة الله ما حكي الصُّولى أيضاً في « كتاب الوزراء » من تأليفه  
أن العباس بن الحسن ، لما استوزره المكتفى أبو محمد علي بن أحمد المعتضد ، أراد  
أن يريه أنه فوق الوزير قبله القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في التدبير ،  
[ ٥١ - ١ ] فاستأذنه في مخاطبة بن الأغلب هذا ، ففعل ، فوجه ابن الأغلب إليه / برسول معه  
هدايا عظيمة ومائتا خادم وخيل وبرز كثير وطيب ، ومن اللبوذ<sup>(٢)</sup> المغربية ألف  
ومائتان ، وعشرة آلاف درهم في كل درهم عشرة دراهم ، وألف دينار في كل  
دينار عشرة دنانير ، وكتب على الدنانير والدراهم في وجهه :

ياسائراً نحو الخليفة قل له أن قد كفأك الله أمرَك كلَّة  
زيادةُ الله بن عبد الله سيِّفُ الله من دون الخليفة سلَّة  
وفي الوجه الآخر :

ما ينبرى لك بالشقاق منافقٌ إلا استباح حريمه وأحله  
من لا يرى لك طاعةً فالله قد أعماه عن طُرق الهدى وأضله

( ١ ) روى ابن عذارى هذا الخبر في صورة أخرى ، فذكر كلفه بهذا الغلام خطاب  
وكتابة اسمه في سكة الدنانير والدراهم ، ثم غضبه عليه ، ولكنه قال إن الذي قال الشعر  
جارية من جواريه . ( البيان : ١٤٣ / ١ )

وغلام فحل معناه أنه ليس من الحصيان ، فقد كان أولئك الغلمان الذين يشتريهم الأمراء  
إما فحولاً - أي لم يخلصوا - أو خصياناً .

( ٢ ) كذا . والمشهور اللبوذ بالدال المعجمة وهو قماش من الصوف الغليظ الأبيض ، كان  
يستعمل في صنع نوع من القلائس الطوال ، وفي بعض الأحيان تصنع منه الخفاف . وقد يلبسه  
المقاتلة ليقي أجسامهم . وهو يقابل بالفرنسية feutre . انظر : ملحق القواميس لدوزي :  
٥١٠ / ٢ .





جانب لأخذانه ، لا يفادم إلا أهل الأدب . وكان أبوه زيادة الله قد ولى إفريقية بعد أخيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد ، وكان محمود السيرة ذا رأى ونجدة .

يُروى عن سليمان بن عمران القاضى أنه قال : « ما ولى لبنى الأغلب أعقلُ من زيادة الله الأصغر » ، سماه « الأصغر » لأنه سُمى باسم عم أبيه زيادة الله ابن إبراهيم المتقدم ذكره . وبعدها ولى زيادة الله بن عبد الله ثالثهم ، وهو آخر ولاتهم .

ولم يزل إبراهيم بن أحمد يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جيل ، إلى أن قتله . وكان الذى هاجمه لذلك وبعثه عليه - مع قدم حسده له - أنه وجه رسولا إلى بغداد ، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم ، فقال المعتضد : « عجبا من إبراهيم ! ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه ، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولى عليه وإحسان » ، فمضى إبراهيم قاصداً إلى طرابلس فقتله وصلبه بغيّاً وحسداً ، وقتل أولاده وعاث في أصاغرهم عيّنهُ المشهور ، حتى إنه شق جوف بعض نسائه عن جنينها جراً على الله تعالى ، وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

[ ٥١ - ب ] وقرأتُ في تاريخ أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق / أن المعتضد كتب إلى إبراهيم من العراق : « إن لم تترك أخلاقك فى سفك الدماء فأسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس » ، فخرج إبراهيم إلى طرابلس فى خفية ، وأظهر أنه يريد الخروج إلى مصر ، حيلةً منه ، إلى أن ظفر به فقتله وصلبه . وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً .

قال : وكان محمد هذا أديباً ظريفاً ، ألف كتاب « راحة القلب » وكتاب « الزهر » و « تاريخ بنى الأغلب » .

ومن شعره ما أنشده له أبو علي حسين بن أبي سعيد القيرواني صاحب  
« الكتاب المَعْرِب عن المَعْرِب » :

وما شجا قلبي بتَوَزَّرَ أنْتى تناءيتُ عن دار الأُحبةِ والقَصْرِ  
غريباً ، فليت الله لم يَخْأَقِ الفَوَى ولم يَجْزِ بَيْنُ بَيْنِنَا آخِرَ الدهرِ

ومن بنى عمهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم ، أبو العباس .  
ويعُرف هو وأبوه محمد وعمّه الأغلب بن عبد الله ، ببنى عبد الله . وجده عبد الله  
— الذين يعرفون به — هو أخو أنى إسحاق إبراهيم بن الأغلب .

وكان عمه الأغلب بمن أهض لحرب منصور بن نصر الطُنْبُذِي أيامَ زيادة الله  
ابن إبراهيم ، فجند له جُنده وانهمزم .

وَوَلَّى محمد بن عبد الله لزيادة الله المذكور صقليةَ سنة سبع عشرة ومائتين ،  
وفتح بها فتوحات . وقد كان زيادة الله أغزاه إليها سنة أربع ومائتين — قبل  
فتحها على يد أسد بن الفرات بنحو من ثمانى سنين — فسبى منها شيئاً كثيراً  
وانصرف .

ثم وَلِيَهَا ابنه عبد الله بن محمد هذا لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد  
ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، المعروف بأبى الغرائيق ، سنة تسع وخمسين  
ومائتين — وكان قد وَلَّى قبل ذلك بحين أطراباس — ثم وَلِيَهَا مرةً أخرى  
بعد ولاية صقلية [ و ] وَلَّى أيضاً إمارة القيروان . وكان أديباً شاعراً ، طالباً  
للحديث والفقهِ . وهو القائل لما أتاه كتابُ عزله عن طراباس يخاطب أبا  
هارون موسى بن مرزوق صاحب بريدها ، وكان له صديقاً :

قد أتى فى الكتاب ما قد علمنا من تفاء ورحلة وفراقِ  
وعددنا الأيامَ فهى ثمانِ بعد خمسٍ سريعة الإفتراقِ

[١-٥٢] / فعليك السلام إن فراق قد دنا ، والفراق مر المذاق

\*\*\*

ومن بني الأغلب بن سالم :

٦٨ - يعقوب بن المضاء بن سواده بن سفيان

ابن سالم بن عقال التميمي

كان أبوه من أمراء بني عمه الأغالبة ، ورغب يعقوب عن السلطان وولايته ، وانصرف إلى النسك ، ونزع السواد ، وأعرض عن الدنيا ومال إلى الآخرة . وله بنون ينسبون إليه فيقال لهم « اليعقوبية » . وهو الذي توجه إلى العباس محمد ابن الأغلب الكوسج ، مع ابن عمه خفاجة بن سفيان بن سواده ، فأصلحا بينهما وبين أخيه أحمد القائم عليه وأشارا بتأمينه ، وقد تفاقم الخطب بينهما ، فقبل ذلك محمد في حديث طويل ، ووصل إليه وعانبه ، ثم أمره بالتوجه إلى المشرق ، فسار إلى العراق وبها مات . ويعقوب هو القائل :

فإن تك لمتي كسيت بياضاً      وبُدِّل لي المشيبُ من الشبابِ  
فقد عُمرتُ ذا فرع أثيث      كأن سواده حنكُ الغرابِ  
فلا تعجل ، رويدك ، عن قريب      كأنك بالمشيب وبالخصابِ

٦٩ - أحمد بن سفيان بن سواده بن سفيان

ابن سالم بن عقال

وعقال هو ابن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرز بن سعد بن حزام

ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مَنَاهُ بن تميم . وسالم بن عقال هو جد الأغالبة ، وهو جد هؤلاء .

وَلَى أَحْمَدُ هَذَا الزَّابَ نَم وَلَى طَرَابِلَسَ وَأَعْمَالَهَا سَنِينَ كَثِيرَةً ، وَلَهُ بِهَا أَخْبَارٌ وَأَثَارٌ وَوَقَائِعٌ مَشْهُورَةٌ . وَكَانَ مِنَ الْجُنُودِ بِمَكَانٍ رَفِيعٍ ، وَهُوَ أَيْضًا مِمَّنْ قَامَ بِنَصْرَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ ، مَعَ أَخِيهِ خَفَاجَةَ بْنِ سَفْيَانَ وَابْنِ عَمِّهِمَا يَعْقُوبَ بْنِ الْمَضَاءِ ، حَتَّى ظَفَرَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ وَانْحَفَظَ سُلْطَانُهُ . وَكَذَلِكَ قَامَ أَبُوهُ سَفْيَانُ بْنُ سَوَادَةَ بِأَمْرِ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ فِي حَرْوِهِ ، وَكَانَ سَبَبَ ثِبَاتِ مُلْكِهِ . وَفِي أَحْمَدَ بْنِ سَفْيَانَ هَذَا يَقُولُ بَكْرُ بْنُ حَمَادٍ التَّاهَرْتِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

/وَقَائِلَةٌ : زَارَ الْمَلُوكَ فَلَمْ يُفِدْ فَيَالِيَتَهُ زَارَ ابْنَ سَفْيَانَ أَحْمَدًا [٥٢-ب]  
فَتَى يُسْخِطُ الْمَالَ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ وَيُرْضِي الْعَوَالِي وَالْحُسَامَ الْمَهْنَدًا  
وَكَانَ خَفَاجَةُ بْنُ سَفْيَانَ — أَخُو أَحْمَدَ هَذَا — مِنْ رَجَالَاتِ بَنِي عَمِّهِ الْأَغْلَابَةِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ سَنًا مِنْهُ وَأَجَلَ حَالًا ، وَوَلَّى صَقْلِيَّةً فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، وَنُصِرَ عَلَى الرُّومِ فَلَهُ فِيهِمْ فَتُوحَاتٌ شَهِيرَةٌ .

وَمِنْ شَعْرِ أَحْمَدَ :

قَرَّبُوا الْأَبْلَقَ إِلَى أَعْرَفُ الْخَلِيلِ الْعِتَاقَا  
وَعَلَيْهَا أَصْرَعُ الْأَبْ طَالَ طَعْنًا وَاعْتِنَاقَا  
أَخْبَطَ الْأُرُوحَ وَالْأَنْدَ نَفْسَ بِالرَّمْحِ صِدَاقَا  
وَأَرْوَى مِنْ نَجِيعِ الْهَامِ أَسْيَاقًا رِقَاقَا  
تَنْقَعُ الْأَعْدَاءُ فِي النَّقْ جَ حَمِيمًا وَغَسَاقَا  
فَإِذَا مَا دَارَتْ السَّدَ مَ بِمَا نَبَغَى وَفَاقَا

وَأَرْحَنَا كُلَّ مَا كَانَتْ شَقَاقًا وَنَفَاقًا  
 اصْطَبَحْنَاهَا سُؤْلًا وَشَرِبْنَاهَا اغْتِبَاقًا  
 وَأَدْرَنَّا الْكَاسَ بِالرَّاحِ عَلَى الشَّرْبِ دِهَاقًا  
 وله أيضاً من قصيدة أخرى :

إِنَّمَا الْأَبْلَقُ حِصْنِي ثُمَّ رُمِحِي وَحُسَامِي  
 فِيهِ عِزٌّ لِعَشِيرِي وَبِهِ عَنْهُمْ أَحَامِي  
 وَبِهِ أَشْفَى مِنَ الْأَعْدَاءِ صَدْرِي بِاتِّقَامِ  
 أَنَا مِنْ سِرِّ نَزَارِ وَابْنُ سَادَاتِ كِرَامِ  
 أَنَا مِنْ سَعْدِ تَمِيمٍ لَسْتُ مِنْ سَعْدِ جُذَامِ  
 أَنَا مِنْ قَدِ جَالِ ذِكْرِي وَجَرِي بَيْنِ الْأَنَامِ  
 بِاحْتِمَالِ كُلِّ ثِقَلٍ فِي الْمَمَاتِ الْعِظَامِ  
 وَسِدَادِي<sup>(١)</sup> كُلِّ ثَغْرِ ثُمَّ حَزَمِي وَقِيَامِي  
 أَنْجِبْتَنِي السَّادَةُ الصَّيِّدُ ، هَامٌ لِهَامِ  
 [أَغْلَبْتُ قَدْ كَانَ] جَدِّي ثُمَّ سَفِيَانُ الْحَامِي  
 أَرْكَبُ الْهَوْلَ بَكْرًا قِيَّ عَلَى الْجَيْشِ اللَّهُامِ  
 [أَخْطَفُ] الْأُرُوحَ كَالصَّاعَةِ لِأُرُوحِ الْعَمَامِ  
 تَعْرِفُ الْأَنْسُرُ بِأَسَى فَهِيَ مِنْ فَوْقِ حَوَامِ

(١) الأصل كلمة لم يبق منها إلا شيء مثل : طي ، وفي نسخة باريس جعلها الناسخ :  
 . . ملي ، فجعلتها هكذا . والكلمة الأصلية لا تخرج على أي حال عن هذا المعنى .

(٢) بياض بالأصل ، أكلته على هذه الصورة للسياق .

(٣) هذه الكلمة ناقصة في الأصل .

مَيَّزَتْ فِي الْحَرْبِ رَايَا تِي وَأَرْمَاحِي الدَّوَامِي  
 فَهِيَ حَوْلِي عَاكِفَاتٍ وَهِيَ خَلْفِي وَأَمَامِي  
 تَرْقُبُ الطَّعْمَ الَّذِي عَوًّا (م) ذُتُّهَا يَوْمَ صَدَامِي  
 أَبْدَأُ تَعْرِفُ مِنِّي هَكَذَا فِي كُلِّ عَامٍ  
 فَإِذَا مَا آلَتِ السَّدُّ مُ وَصَرْنَا لِلْمُدَامِ  
 أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنَّا أَنْجُمًا تَحْتَ الظَّلَامِ  
 تَتَلَقَّى وَنُبْدَى بِتُحَيَّاتِ السَّلَامِ  
 وَنُنِيلُ الزَّائِرَ الْمَهْمُ رَوْفَ مِنْ قَبْلِ الْكَلَامِ

\* \* \*

/ ومن رجال الأغلبية :

## ٧٠ - مُجْبَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَفِيَّانَ

كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ ، وَوَلَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَرْبُسَ وَغَيْرَهَا ،  
 وَكَانَ يَنَادِمُهُ لِحَذَقِهِ الْغَنَاءِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى صَقَلِيَّةَ وَوَلَاهُ الْعَسْكَرَ الَّذِي بِمَسِينِي  
 وَأَرْضِ قَلُورِيَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ مِيلَاصَ <sup>(١)</sup> نَخْرَجَ فِي شِبْنِي يَرِيدُ قَلُورِيَّةَ <sup>(٢)</sup> ، فَأَمَرَتْهُ الرُّومُ  
 وَحَمَلَتْهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَمَاتَ بِهَا . وَهُوَ الْقَائِلُ فِي أَسْرِهِ ، مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ بَعَثَ  
 بِهَا مِنْ مَحْبَسِهِ عِنْدَ الرُّومِ وَرَوَاهَا فِي أَيَّامِ بَنِي الْأَغْلَبِ أَكْثَرُ النَّاسِ :

(١) مِيلَاصُ هِيَ Milazzo فرضة صغيرة على الساحل الشمالي لجزيرة صقلية ، وهي

إِلَى الشَّرْقِ مِنْ مَسِينِي Messina

(٢) قَلُورِيَّةُ هِيَ Calabria وهي شبه الجزيرة الغربي البارز من جنوب شبه الجزيرة  
 الإيطالية فِي اتِّجَاهِ صَقَلِيَّةِ .

ألا ليتَ شعري ما الذي فعل الدهرُ ياخواننا يا قَيَّرَوَانُ ويا قَصْرُ  
ونحنُ فإننا طُخِطْخِطْنَا<sup>(١)</sup> رَحَى النَوَى فلم يجتمع شملُنا [لا] ولا وَفَرُ  
رأينا وجوهَ الدهرِ وهى عوابسُ بأعينِ خطبٍ في ملاحظها شَرُّ  
وآخر هذه القصيدة :

لعل الذي نجى من الجُبِّ يوسفًا وفرَّجَ عن أيوبَ إذ مَسَّهُ الضُّرُّ  
وخلَّصَ إبراهيمَ من نارِ قومه وأعلى عصا موسى فذلَّ له السحرُ  
يصبِّرُ أهلَ الأسْرِ في طولِ أسْرِهم على مُعضلاتِ الأسرِ ، لا سَلِمَ الأسرُ !

## ٧١ - أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال

( بالباء ، بواحدة واللام ) ويعرف حمزة بالحرون ، وقد تقدم ذكره . وابنه  
محمد بن حمزة هو الذى وجهه زيادة الله بن إبراهيم للقبض على منصور الطنبذى  
بقره بالمحمدية ، فكاده .<sup>(٢)</sup> وقتل محمد هذا فى وقعة سببية<sup>(٣)</sup> ، أيام خلاف  
منصور والجند على زيادة الله .

( ١ ) لم أجد فى معانى طخطح ما يتمشى مع المعنى هنا إلا ما جاء فى لسان العرب ( ٧/٤ )  
من أن المَطْطِخ هو الضعيف البصر ، وقد طُخِطَ الليل بصره إذا حجبتة الظلمة عن انفساح  
النظر . والأوفى هنا ططحطح بمعنى فرق وكسر ويدد ( اللسان : ٣/٣٦١ ) . واللفظ مستعمل فى هذا  
المعنى فى العامية المصرية فى صورة ضحضح .

( ٢ ) كان ذلك فى أول ثورة منصور بن نصر الطنبذى فى تونس . وقد روى ابن عذارى  
الخبر بالتفصيل ، وكيف احتال منصور على محمد هذا ومن معه - ومن بينهم القاضى شجرة  
ابن عيسى - وحبسهم ، حتى تمكن من تونس . وقد هزمهم هزيمة كبيرة ، وكان ذلك فى  
٢٤ صفر ٢٧/٢٠٩ أبريل ٨٢٤ .

انظر : « البيان المغرب » : ٩٨/١ - ٩٩ .

( ٣ ) كانت وقعة سببية فى ٢٠ محرم سنة ٢١٠/١٤ مايو ٨٢٥ ، وقد قتل فيها محمد هذا .



وكان أحمد بن محمد حاجباً لإبراهيم بن أحمد ومقديماً عنده ، قد فوّض إليه  
أُمُورَه . ووَلَّى ابنُ عمه القَيْرَوَان . وهو من بيت رئاسة وقيادة ، مع علم واسع  
وأدب بارع ؛ ومن شعره :

ليس كلُّ الذي يُدار علينا من أمورٍ يوافق المقدورا  
قد قضى الله ما لنا وعلينا قبلَ أن يُرِمَ العدوُّ الأمورا

٧٢ — الحسن بن منصور بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر

ابن نافع / بن محمّية المسلم المذحجي ، أبو علي [٥٣ - ب]

من بيت قيادة وإمارة ؛ وكان جدُّ أبيه عبد الرحمن بن عامر ، وابنُ عمه عامر  
ابن إسماعيل بن عامر بن نافع ، ممن قدم مع محمد بن الأشعث الخزاعي من قواد  
العباسية . وخرج عمه عامر بن نافع على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ؛ وسيأتي  
ذكره . وعامر بن إسماعيل هو الذي قتل مروان الجعدي ، وكان مقدماً عند  
أبي العباس السفاح ومن بعده لأجل ذلك .

وكان الحسن بن منصور هذا يجمع إلى شرف آبائه وأهل بيته علماً واسعاً  
وأدباً كاملاً ، وأقل ماتصرف فيه الشعر . وكان بصيراً باللغة ، نافذاً في النحو ،  
علماً بأيام العرب وأخبارها ، ووقائعها وأشعارها . وهو القائل يرثي ابن عم له  
يُمكنى أبا الفضل ، من قصيدة طويلة أولها :

حَلَّ أمرٌ لم يُغْنِ فيه احتيال يَقْصُر الوصفُ دونه والمقالُ  
كان من قبله البكاء حراماً وهو من بعدُ للعيون حلالُ

ومنها :

يا أبا الفضل حَمَلْتَنِي المنايا منك ما لَّا تقوى عليه الجمالُ  
وكأَنِّي<sup>(١)</sup> لما تَضَمَّنَكَ الله دُيْمِينَ قد فارقتها الشمالُ

وله :

يا قاتلي ظُلماً ، أَلَمْ تَحْشَ مَا جاء به التَّنْزِيلُ والآيُ ؟  
وَأَيَّتَ بِالْوَعْدِ فما ضَرَّكُمْ لو صدقَ الميعادُ والوأيُ ؟<sup>(٢)</sup>  
نَأَيْتَ عَنِّي فَعَبَدْتُني كَذَا لَعَمري يفعلُ النَّأيُ  
فإن يكنْ هَجْرِي مِن رَأْيِكُمْ فليس لي في هجرِكُم رَأْيُ

وله يخاطب ابن عمه أبا العرب بن عامر بن نافع :

يا مَنْ سَمَا لِلْمَكْرَمَاتِ فَخَاذَهَا وغدا وأصبحَ للسَّامِحِ مَلِيكاً  
إِنِ الْإِلَـهَ بِمَنِّهِ وَبِفَضْلِهِ جَمَعَ الْكَارِمَ وَالْمُفَاخِرَ فَيَكَا  
أَشْبَهْتَ آبَاءَ كَرَامًا سَادَةً بِيضَ الْوُجُوهِ مَعْظَمِينَ مَلُوكاً  
/ وَجَّهَ إِلَيْنَا بِالْمُسَبِّحِ إِنِّي تَقْدِيكَ نَفْسِي قَدْ ضَمَنْتُ الدِّيكَ [ ١ - ٥٤ ]

ولهذه الأبيات قصة ذكرها صاحب « الكتاب المغرب عن  
أبناء المغرب » .

(١) الأصل : وبأني .

(٢) أصل الوأي الوعد الذي يوثقه الرجل على نفسه ، ويعزم على الوفاء به ( اللسان :

## ٧٣ - عبد الله بن الصائغ (المعروف بصاحب البريد)

أحد ولاية زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك بني الأغلب وأصحابه الخصوصيين بلطف المنزلة عنده ، وتغيّر عليه آخراً فقتله بطرابلس عند انتفاض دولته وهربه إلى مصر أمام الشيعي في سنة ست وتسعين ومائتين ؛ وقد تقدم من خبره ومن شعره ما أغنى عن إعادته . وهو القائل أيضاً :

رَأَيْتُ دَجْنًا فَقَلْتُ الرَّاحُ أَشْبَهُ بِي      فُقِمَ بِنَا أَيُّهَا الْخَمُورُ نَصْطَبِحُ  
فَقَامَ يَمْسَحُ وَجْهًا كُلَّهُ قَمَرٌ      وَقَمْتُ أَلَمَهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ  
وله :

طَالَعَتْنِي طَوَالِعُ الشُّوقِ لَمَّا      أَنْ بَدَا الْبَدْرُ فِي مِثَالِ طُلُوعِكَ  
يَا غَزَالًا أَقْسَى مِنْ الصَّخْرِ قَلْبًا      لَيْتَ قَلْبِي يَبِيتُ بَيْنَ ضُلُوعِكَ  
أَنَا أَرْضَى أَنْ أَقْبَلَ نَعْلَيْكَ      لَكَ عَلَى قُبْحِ مَا بَدَرَ مِنْ صَنِيعِكَ  
وله :

إِذَا قُلْتُ : زَرْنِي ، قَالَ : قَالُوا وَشَنَعُوا ..      تُرَى - هَكَذَا - مَنْ كَانَ فِينَا يُصَدِّقُ ؟  
فِيَا كَبْدِي رَقَّى عَلَى الْكَبَدِ الَّتِي      أَقَامَتْ عَلَى عَهْدِ الْهَوَى وَهِيَ تَحْرِقُ  
كَأَنِّي إِذَا مَا اللَّيْلُ أُرْخِي سِدْوَلَهُ      بِقَلْبِي إِلَى بَعْضِ النُّجُومِ مُعْلَقُ

أول ملوك الشيعة الناجمين في آخر هذه المائة :

٧٤ - عبيد الله الملقب بالمهدى ، أبو محمد

قال الرازي<sup>(١)</sup> : « اختلف الناس في نسب عبيد الله . فقال قوم : هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن البصرى من مدينة سَمَية . وزعم هو أنه عبيد الله ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . قال : وأخبرنا الثقة عن أبي القاسم أحمد بن إسماعيل الرسى الحسنى أنه قال : [٤ - ب] بالله الذى لا إله إلا هو ، ما عبيد الله منا<sup>(٢)</sup> . ولا أقول هذا لما فعل ، فقد فعل من لا يشك في نسبه أكثر من فعله وأشنع .

وقال أبو بكر بن الطيب الباقلانى ، وذكر عبيد الله وبنيه : هم أدياء ، إذ هم بنو عبيد الله بن ميمون القذاح ، ادَّعوا إلى علي بن أبي طالب ؛ وذكر لهم قصة طويلة<sup>(٣)</sup> .

وأهل مصر يصححون نسبهم .

وذكر ابن أبي الطاهر<sup>(٤)</sup> في « أخبار بغداد » أن اسم الخارج بالقيروان عبيد

(١) كلام الرازي عن العبيديين له أهمية خاصة هنا ، ولا نعرف إن كان القائل هنا أحمد بن محمد الرازى أو ابنه عيسى بن أحمد . وعلى أى حال فهو يصور لنا الآراء التى كان يتناقلها بنو أمية الأندلسيون وأنصارهم في نسب العبيديين ، وهم خصومهم سياسياً ومذهبياً . ويلاحظ أن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر كان لا يستبعد صحة انتساب عبيد الله الشيعى إلى علي بن أبي طالب ، فقد ساق ابن عذارى هذا النسب ثم قال : « وهو مذهب المستنصر بالله الأموى » . البيان المغرب : ١٥٨/١ .

(٢) نُسب مثل ذلك القول إلى أبي القاسم بن طباطبا العلوى ، قال : « والله الذى لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعى منا ، ولا بيننا وبينه نسب » . ابن عذارى ، البيان : ١٥٨/١ .

(٣) ذكر الباقلانى ذلك في كتابه « كشف الأسرار وهتك الأستار » .

(٤) كذا ، والأصح ابن أبي طاهر ، وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور صاحب « تاريخ بغداد » المتوفى سنة ٨٩٣/٢٨٠ ، وكتابه هذا من أكبر المراجع التى اعتمد عليها الطبرى في تاريخه .

الله بن عبد الله بن سالم ، مولى مُكرَم بن سَندان الباهليّ صاحب شُرط زياد المنسوب إليه عسكر مكرم ، فانتقل عبدُ الله بن سالم إلى سلمية . وكان وكيلا للتجار ، وقيل كان يبيع الصُّفَر ويتشيع . فلما خرج القرمطى بالشام أضرَّ به وطالبه ، فهرب إلى مصر ثم إلى المغرب ، وكان يُعرف بأبن البصرى .

قال الرازى : ودخل معه — يعنى القيروان — ابنه محمد المعروف بأبى القاسم ( واختلفوا فى اسمه ونسبه ، فطائفة قالت : عبد الرحمن ابنه ، وطائفة قالت : محمد ربيبه ) . ويقال إن عبيد الله من بنى حسن بن على ، وأن أبا القاسم القائم بعده من بنى الحسين بن على ، إسماعيلى تزوّج عبيدُ الله أمّه وهى رومية تسمى « لعب » .

وقيل فى اسم أبى القاسم عبد الرحمن ومحمد كما تقدم ، وقيل حسن ويُكنى أبا جعفر . خرج به عبيدُ الله من الشام يتصدى للسلطان ، ويخاطر فى طلب الملك قاصداً المغرب ، وعبيدُ الله إذ ذاك شابٌّ عند كماله . وخرج معه خاصته وثقاتُ رجاله ، ولما انتهى إلى مصر أمّل أن يقصد اليمنَ ، ثم كره ذلك فخرج من مصر فى زى التجار ، وخلص من يد عاملها فى قصة طويلة ، وانتهى إلى سجلماسة<sup>(١)</sup> فدان له المغرب واجتمعت عليه البربرُ . وزحف داعيته أبو عبد الله الشيعى بهم إلى زيادة الله الأغلبى فكسر جيشه فى سنة ست وتسعين ومائتين — حسباً ذكر قبل — فهرب زيادةُ الله إلى مصر . وبويع لعبيد الله برّ قادة يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ، وكان وصوله إليها يوم الخميس قبله ، ودُعِيَ له بالإمامة .

وفى هذه السنة انقرض مُلك بنى الأغلب بعد مائة سنة واثنتى عشرة سنة ،

( ١ ) كذا فى الأصل بفتح السين الأولى ، والمشهور بكسرها ، وسنتركها بضبط المخطوط

فيما يل من النص .

[١٠٥-١] ومُلكَ بنى مَذَرَارَ بِسَجَلَمَاسَةَ بعد مائة سنة وستين سنة ، ومُلكَ / بنى رُسْتَمَ بتَاهَرْتَ عن مائة وثلاثين سنة .

وكثرت السعاليات بأبى عبد الله الشيعى — وهو الذى مهّد لمُلكَ عبيد الله وشدّ سلطانه مجالداً ومجادلا — فقتله وأخاه أبا العباس يومَ الثلاثاء مُستَهْلَ ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ، وأمر بدفنهما فى بستان القصر .

ثم ابتدأ بناء « المهديّة » يومَ السبت لخمس خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وارتاد مواضعها ؛ وقصد التحصين بها على أهل بيته لما كانوا يتحدثون به من ظهور أبى يزيد الخارج عليهم وعيَّنه فى مُلكهم ، فكان ذلك . وفى بناءها يقول بعض شعراء إفريقية :

خُطَّتْ بأرجاء المغربِ دارُ دانتَ لها الأمصارُ والأقطارُ  
لانتَ بِبَرْدِ الماءِ لما أيقنتُ أنَّ القلوبَ على الحُسينِ حِرَارُ  
وكان انتقالُ عبيدِ الله إليها فى شوال سنة ثمان وثلاثمائة ، بعد أن ملكَ إفريقيةَ وأعمالَ المغربِ وطرابلسَ وبرقةَ وصقليةَ .

وسيّر ولىَّ عهده أبا القاسمِ إلى مصرَ دفعَتين : الأولى فى سنة إحدى وثلاثمائة ، فلكَ الإسكندريةَ والفيومَ وجبى خراجَهما وخراجَ بعض أعمال الصعيد ، وعاد إلى المغرب فى سنة اثنتين وثلاثمائة ؛ والثانية سنة ست وثلاثمائة ، فلكَ الإسكندريةَ أيضاً .

ولم يزل سلطانه يتمهّد ، وظهوره يتزَيّد ، إلى أن توفى منتصفَ شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . فكانت ولايته — منذ وصل إلى رَقَادَةِ وبويع بها ، إلى يوم وفاته — أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً . وقيل : كانت خلافته — من يوم ظهوره بِسَجَلَمَاسَةَ فى أول ذى الحجة سنة ست وتسعين

ومائتين وفيها سُلّم عليه بالخلافة ، إلى يوم وفاته بالمهدية — خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وهو ابن اثنتين وستين سنة . مولده سَلَمِيّة — وقيل ببغداد — سنة ستين ومائتين . ومولد أبي القاسم ابنه سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ثمانين .

وكان ، مع نبذته وشهامته ، مفوّهًا فصيحًا عالمًا أديبًا . قال أبو عبيد البكري : لما تغلب عبيدُ الله الشيعي ، كتب إلى أهل المغرب يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدبّر بإمامته ، وكتب بمنزل ذلك إلى سعيد بن صالح<sup>(١)</sup> ، وكان واليًا على نَكُور<sup>(٢)</sup> وما إليها من أعمال المغرب / لبني سروان ؛ وكتب في أسفل [٥٥ - ب] كتابه أبياتًا كثيرة ، منها :

(١) راجع عن تاريخ سعيد بن صالح هذا ونسبه وتاريخ بني صالح أمراء نكور البيان المغرب لابن عذارى : ١٧٦/١ - ١٨١ .

(٢) نكور مدينة كانت في شمال المغرب على نحو عشرة كيلومترات جنوب الحسيمة<sup>هـ</sup> الحالية إلى الشرق يسيرًا ، ولم يبق من آثارها اليوم إلا أطلال قليلة ، وهي واقعة في إقليم صنهاجة الريف على السفح الشمالي لجبال الريف . وقد أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور في أواخر القرن الهجري الأول . وفي سنة ٢٤٤/٨٥٨ - ٨٥٩ نزل بها الزمان - الذين تسميهم النصوص المجوس - وانتهبوا ما فيها . وفي سنة ٤٧٣/١٠٨٠ - ١٠٨١ خربها يوسف بن تاشفين . وقد أجريت بها حفريات سنة ١٩٥٩ .

انظر : أحمد الكناسي : « المدن المدرسة في شمال المغرب » .

وكتب الكناسي كذلك بحثًا قصيرًا عن أطلالها ومآقام به من الحفائر فيها في سنة ١٩٥٩ ، ونشر نتيجة بحثه في دراسة في مجلة تمودة تحت عنوان :

*Reconocimientos Arqueológicos en el Rif, Tamuda, ano VII, Tetuán 1959, fasc. I, II, p. 156-158* .

وانظر : خريطة المغرب الأركيولوجية ، لنفس المؤلف ( تطوان ١٩٦١ ) ص ٢٤ . وقد تحدث عنها البكري والإدريسي ، انظر فهرس الأعلام في كل منهما .

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا غنى أرى قتلكم عدلاً  
وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم وأدخلها عفواً وأماؤها عدلاً  
قال : فأجابه رجل من شعراء الأندلس من أهل طَلَيْطَلَة يعرف بالأخْمَش ،  
أمره سعيد بن صالح بذلك :

كذبت ، وبیت الله ، لا تحسنُ العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا  
وما أنت إلا جاهل ومنافق تمثّل للجمال في السنة المثلى  
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى<sup>(١)</sup>  
وكان عبيد الله إذا رأى ابنه أبا القاسم ونظر إليه فسُرَّ به يقول :  
مباركُ الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

## ٧٥ - أبو عبد الله الشيعي

### داعية عبيد الله المهدي

كان — مع قوّده الجيوش وخوضه الحروب — عالماً أديباً شاعراً . وهو  
الذي حارب جيش زيادة الله بن الأغلب وهزمه ، نائباً عن عبيد الله وناصراً  
لمذهبه وداعياً إلى دعوته . وزحف إلى القيروان ونازلها ، وبها جمهور أجناد  
إفريقية ، فدخلها واستولى على رَقادة — دار مُلك الأغالبة حينئذ — وعلى  
أعمال إفريقية .

(١) روى ابن عذاري في البيان المغرب (١٧٨/١) هذه الأبيات مع خلاف في الألفاظ .  
وقد ورد لفظ الجلالة الوارد في البيت الأول : الإله ، ولا يستقيم به الوزن ، فصوبناه  
على رواية البيان المغرب .



وقدم عبيدُ الله بعد ذلك من سَجَلَمَاسَة ، فبِوَيْع له وَقَوَى أمرُه واشتد سلطانُه ، ولم يلبث أن قتله وأخاه أبا العباس — وكان أكبر منه ، كما تقدم وصفُ ذلك — تَوَلَّى قَتْلَهُمَا عَرُوبَةُ الْكُتَيْبِيَّةِ<sup>(١)</sup> ، ثم قُتِلَ عَرُوبَةُ هَذَا مَنَافِقاً واستَوْصَلَ أَهْلُ بَيْتِهِ فِي أَيَّامِ عَمِيدِ اللَّهِ . وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ هُوَ الْقَائِلُ بَعْدَ إِيقَاعِهِ بِجَيْشِ بَنِي الْأَغْلَبِ :

مَنْ كَانَ مَغْتَبِطاً بِلَيْنِ حَشِيَّةٍ فَحَشِيَّتِي وَأَرِيكَتِي سَرْجِي  
مَنْ كَانَ يَعْجِبُهُ وَيُبْهِجُهُ تَقْرُ الدَّفُوفِ وَرَنَةُ الصَّنْجِ  
فَأَنَا الَّذِي لَا شَيْءَ يُعْجِبُنِي<sup>(٢)</sup> إِلَّا اقْتِحَامِي لِحَاةِ الرَّهْجِ  
/ سَلْ عَنْ خَيْسِي إِذْ طَلَعْتُ بِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ضَحَى عَلَى الْفَجِّ [١-٥٦]

البيت الأول من هذه القطعة كقول امرئ القيس :

يَارُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ حَبَالَهَا وَمَشَيْتُ مُتَمَدِّداً عَلَى رِسْلِي  
وَأَيَّاتِ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ ، وَيَسْتَشْهَدُ بِهِ الْعَرُوضِيُّونَ :

(١) هُوَ عَرُوبَةُ بْنُ يَوْسُفَ الْمُلُوسِيِّ الْكُتَيْبِي ، كَانَ مِنْ رِجَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي مَعْظَمِ غَزَوَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُحْسِدُهُ وَيُحْسِدُ أَخَاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمَخْطُومَ ، فَظَلَّ يَسْعَى بِهِمَا ، مَعَ نَفَرٍ آخَرَ مِنْ رِجَالِ كِتَابَةِ حَتَّى حَفَرَا عَمِيدَ اللَّهِ عَلَى قَتْلِهِمَا . وَقَدْ اشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِمَا مَعَ عَرُوبَةِ جَبْرِ بْنِ مُنَاسِبِ الْمَيْلِيِّ . وَلَمْ يَقْدَمْ عَمِيدُ اللَّهِ عَلَى قَتْلِهِمَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ مِنْ نَصِيرِهِمَا الْأكْبَرِ بَيْنَ شَيْوِخِ كِتَابَةِ وَهُوَ أَبُو زَكَةَ تَمَامُ بْنُ مَعَارِكِ الْأَجَانِي : أَمْرٌ وَآلِيهِ عَلَى طَرَابِلَسَ فَقَتَلَهُ .

(٢) الْأَصْلُ : « فَأَنَا الَّذِي يَعْجِبُهُ وَلَا شَيْءَ يُعْجِبُنِي » مَعَ إِشَارَةِ فَوْقَ « يَعْجِبُهُ » فَهَمَّتْ مِنْهَا بَعْدَ لَأَيَّ أَنَّهَا مَشْطُوبَةٌ ، وَكَذَلِكَ الْوَاوُ الَّتِي تَلِيهَا .

لَمَنِ الدِّيارُ بِرِامَتَيْنِ فَعَاقِلٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَ آيَها الْقَطْرُ

وهى من الضرب الأحَد<sup>(١)</sup> المضمر من ضروب العروض الأول من أعاريض  
الكامل، وعكسه وهو من الشاذ :

وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا نَهَلْتَ مِنَ الْعَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتْ

(١) انظر ما كتبه عن هذا الضرب ابن عبد ربه في العقد الفريد ( ط . مطبعة لجنة  
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٤٦ ) الجزء الخامس ص ٤٥٣ - ٤٥٥

## المائة الرابعة

٧٦ — عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، أبو المطرف

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، أعظم بنى أمية بالمغرب سلطاناً ، وأنفهم في القديم والحديث شائناً ، وأطولهم في الخلافة — بل أطول ملوك الإسلام قبله — مدة وزماناً .

وَلَّى بِقَرْطُبَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ مَسْتَهْلَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، عِنْدَ وَفَاةِ جَدِّهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَتَوَفَّى فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَيْنِ خَلْتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَمْ يَبْلُغْهَا خَلِيفَةٌ قَبْلَهُ . وَقَارِبَ أَنْ يَلْحَقَ فِيهَا شَاوَهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ ، الْجَمْعُ عَلَيْهِ بِالْمَشْرِقِ فِي آخِرِ هَذِهِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَ فِي الْخِلَافَةِ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً — وَقِيلَ أَقَلُّ — ثُمَّ ابْنُهُ الْقَائِمُ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْقَادِرُ ، بَلَغَ فِي وِلَايَتِهِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا . وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ بْنِ الْمُسْتَضْعَى .

بالله أبي محمد الحسن ، بلغ في ولايته سبعاً وأربعين سنة ، وبويع له في [ ذى ]  
القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة<sup>(١)</sup> .

وقرأت في كتاب أبي الحسين بن أبي السرور الروحي الإسكندري في أخبار  
[ ٥٦ - ب ] ملوك العبيدية<sup>(٢)</sup> / أن المستنصر بالله أبا تميم معد بن علي بن الظاهر بن الحاكم  
بلغ في ولايته بمصر ستين سنة وأشهرًا ، فأرلى على هؤلاء الخلفاء .

وتسمّى الناصر عبد الرحمن بن محمد بأمر المؤمنين بعد سنين من خلافته ،  
لما ضعف سلطان العباسية بالشرق ، وغلبت عليهم الأتراك ، وادعت الشيعة  
ماشاءت بإفريقية ، وساعدتهم عليه قبائل البربر وأصبح الناس في الآفاق فوضى ؛  
وكان من قبله من آباءه يدعوون بالأمر .

وظهر لأول ولايته من يُن طائره ، وسعادة جده ، واتساع ملكه ، وقوة  
سلطانه ، وإقبال دولته ، ونخود نار الفتنة — على اضطرابها بكل جهة —

( ١ ) إليك تواريخ حكم أولئك العباسيين الثلاثة الذين يكادون يضاهون عبد الرحمن الناصر  
في طول المدة :

أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر : ١٩ رجب ٣٨١ - ١٠ ذى الحجة ٤٢٢ .

أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر : ١١ ذى حجة ٤٢٢ - ١٣ شعبان ٤٦٧ .

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء : ٢ ذى قعدة ٥٧٥ - ٣٠ رمضان ٦٢٢ .

( ٢ ) كذا ورد اسم الكتاب ومؤلفه ، ولم أعر على ما يزيدنا معرفة هذا المؤلف وكتابه .

ولدينا في تاريخ الفاطميين هذا الاسم كتاب « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » لأبي الحسن علي بن  
حمادة الصنهاجي المتوفى عام ١٢٣١/٦٢٨ ، وله كتاب آخر هو « النذ المحتاجة في أخبار صنهاجة » .

وقد نشر فوندرهايدن كتاب أبي الحسن علي بن حمادة في أخبار العبيديين سنة ١٩٢٧ في باريس  
مع ترجمة فرنسية ، وأخطأ فجعل اسمه ابن حماد . ولا ينبغي الخلط بين هذا المؤلف وأبي عبد الله  
محمد بن حمادة البرنسي السبتي ، وهو من أهل القرن السادس الهجري ، ومن تلاميذ القاضي  
عياض ، وله كتاب « المقتبس في مفاخر المغرب والأندلس » .

انظر مقال ليثي بروفنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب لعبيد الله بن صالح بن عبد الحليم .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ . ص ٢٠٥ .

واقتياد العصاة لطاعته ، ما تعجز عن تصويره الأوهام ، وتكل في تحبيره الأقلام .  
وقيض له من ابنه وولى عهده الحكم المستنصر بالله ، المدعو بأمر المؤمنين بعده ،  
من زان ملكه ، وزاد في أبهته ، وقام بأمره أحسن قيام ؛ فكمل جلاله ،  
وجل كآله .

وكان الناصرُ — على علاء جانبه واستيلاء هيئته — يرتاح للشعر وينبسط  
إلى أهله ، ويراجع من خاطبه به من خاصته .

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الخدائق » : حدثني  
أبو بكر إسماعيل بن بدر<sup>(١)</sup> ، أنه خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله  
عبد الرحمن بن محمد ، رحمه الله ، في غزاة كان آلى ألا يأنس فيها بمنادمة أحد  
حتى يفتتح معقلا ، فافتتح معقلا بعد آخر ، وتمادى على غزاه في العزوف عن  
المنادمة ، فذكر أنه كتب إليه :

لَقَدْ حَلَّتْ حُمَيَّا الرَّاحِ عِنْدِي      وَطَابَتْ بَعْدَ فَتْحِكَ مَعْقِلَيْنِ  
وَأَذَنْ كُلِّ هَمٍّ      بَانْفِرَاجٍ      وَأَنْ يَقْضَى غَرِيمُ كُلِّ دَيْنِ  
قال : فلم يحركه ما خاطبته به ، فعاودته بالمخاطبة فقلت :

يَا مَلِكًا      رَأْيُهُ ضِيَالٌ      فِي كُلِّ خُطْبٍ أَلَمٌ دَاجٍ  
مَنْ لِي يَوْمَ بِهِ فَرَاغٌ      لَيْسَ أَخُو حَرَبِهِ بِنَاجٍ

(١) ذكره ابن الفرضي (رقم ٢١٤ ج ١ ص ٦٢) : إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد  
حولى نعمة لبني أمية . من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكر . وبعد أن ذكر شيوخة قال : إلا أن  
صناعة الشعر غلبت عليه وطارت باسمه وكانت ألصق به . وطال عمره إلى أن سمع بعض الناس  
منه وتسملوا فيه . وولى أحكام السوق ، فحمد أمره فيها ، وتوفى في أول ولاية المستنصر بالله  
سنة ٣٥١ .

وذكره أيضاً الضبى (رقم ٥٤٣ ص ٢١٥) وقال إنه كان أثيراً عند عبد الرحمن الناصر ،  
ثم أورد له بضعة أبيات رواها له أبو محمد علي بن أحمد بن حزم .

بكل بيضاء مَنْ رآها يحسبها شعلة السراج

لا تنس مولاك في وغانه واذكره في حومة الهياج

[١-٥٧] / فذكر أنه جاوبه بقوله :

كيف وأنى لمن يفتاحي من لوعة الهم ما أناجي

يطمع أن يستريح وقتاً أو يقتل الراح بالمزاج ؟

لو سئل الصخرُ بمض شجوى عاد إلى رقة الزجاج

كنت لما قد علمت الهوى لـ إذ أنا مما شكوتُ ناج

فصرتُ للبين في علاج طمَّ وأربى على العلاج

الوردُ مما يهيج حُزنى ويبعث السوسنُ احتياجي

أرى ليالى بعدَ حُسنى أقبَح من أوجه سماج

لا ترَجُ مما أردتُ شيئاً أو يؤذن الهمُ بانفراج

## ٧٧ - ابنه الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله ، أبو العاصي

وَلَى بَعْدَهُ الْخِلَافَةُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً - وَقِيلَ ابْنُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ

سَنَةً - وَشَهْرَيْنِ وَيَوْمَيْنِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ خُلُونٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ

خَمْسِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، وَتَوَفَّى لِلَّيْلَتَيْنِ | خَلَّتَا مِنْ صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ ، فَكَانَتْ

خِلَافَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ اسْتَفْرَقَتْ خِلَافَةُ أَبِيهِ الطَّوِيلَةَ

عُمُرَهُ ، حَتَّى كَانَ يَقُولُ لَهُ فِيمَا يُحْكِي عَنْهُ : « لَقَدْ طَوَّلْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الْعَاصِي ! »

وَكَانَ حَسَنَ السَّيْرِ فَاضِلًا عَادِلًا مَشْفُوقًا بِالْعُلَمَاءِ ، حَرِيصًا عَلَى اقْتِنَاءِ

دَوَاوِينِهَا ، يَبِيعُ فِيهَا إِلَى الْأَقْطَارِ وَالْبُلْدَانِ ، وَيَبْذُلُ فِي أَعْلَاقِهَا وَدَفَاتِرِهَا أَنْفُسَ

الأثمان . ونفق ذلك لديه ، فحُمِلت من كل جهة إليه ، والمَلِك سوقٌ ، ما نفق فيها جُلِب إليها ، حتى غصَّت بها بيوتُه ، وضائق عنها خزائنه .

قال ابن حَيَّان عند ذِكر الحَكَم : كان من أهل الدين والعلم ، راغباً في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ، باحثاً عن الأنساب ، حريصاً على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درسَ نسبه أو جهله بقيبلته التي هو منها ، مستجلباً للعلماء ورؤاة / الحديث من جميع الآفاق ، يشاهد مجالس العلماء ويسمع [٥٧ - ب] منهم ويرى عنهم .

وكان أخوه عبدالله — المعروف بالولد<sup>(١)</sup> — على مثل هذه الحال من المحبة في العلم والعلماء والرواية ، وتوفى في حياة أبيه مقتولاً فتصُيرت كتبه إلى أخيه الحَكَم .

ولم يُسمع في الإسلام بخليفة باع مبلغ الحَكَم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها . أفاء على العلم ، ونوّه بأهله ، ورغب الناس في طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار الفاتية عنه ، ومنهم أبو إسحاق محمد ابن القاسم بن شعبان<sup>(٢)</sup> بمصر ، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما ؛ جرى ذِكر هذا في كُتب تواريخهم .

وبعث إلى أبي الفرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عيماً ذهباً ، وخطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني ، وما لأحد مثله ،

(١) الولد هنا مصطلح أندلسي لا يطلق إلا على الأمراء ، وكثيراً ما يختص به ولي العهد .

(٢) كبير فقهاء المالكية في مصر في أواخر العصر الإخشيدى ، وأصله أندلسي من قرطبة ، وقد أرسل إليه عبد الرحمن الناصر عشرة آلاف دينار ليفرقها في شيوخ المالكية ، فأخرج الإخشيد مثلها ( كما يقول ابن الزيات في الكواكب السيارية ) ليفرقها في شيوخ الشافعية . وكان يرجو الله أن يميته قبل دخول الفاطميين مصر ، فات قبل ذلك بثلاث سنوات .

ووصل بذلك المال رَحِمَهُ ، إذ كان قسيمه في المروانية ، ومن ولد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالشرق ، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه أحد منهم .

وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية موشحةً بمقابهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيه جدا ، وخلص لهم مجداً . وأرسل به إلى قرطبة وأفند معه قصيدة حسنة من شعره — وكان محسناً — يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية ونخرهم على سائر قریش ، فجدد له عليه الصلة الجزيلة .

وكان له ورّاقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوايف ، ورجالٌ يوجههم إلى الآفاق عنها<sup>(١)</sup> . ومن ورّاقيه ببغداد محمد بن طرخان ، ومن أهل الشرق والأندلس جماعة . وكان مع هذا كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ، وقلما تجد له كتاباً كان في خزائنه إلا وله فيه قراءة ونظر من أى فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه — إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه — نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ، ويذكر أنساب الرواة له ، ويأني من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده ، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن . وكان موثقاً به مأموناً عليه . صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ، ينقلونه من خطه ويحاضرون به .

[٥٨-١] قلت : وقد اجتمع لى من ذلك جزء مفيد مما وُجد بخطه ، ووجدت أنه يشتمل على فوائد جمة في أنواع شتى .

قال<sup>(٢)</sup> : وكان قد قيّد كثيراً من أنساب أهل بلده ، وكلف أهل كُور الأندلس أن يُلَحِّقُوا كلَّ عربى أُخِيلَ ذِكْرُهُ قَبْلَ ولايته ، وأن يصحّح

(١) هنا يحسن أن نقرأ : باحثين عنها .

(٢) يسمّى ابن الأبار في الرواية عن ابن حيان .



نسبهم أهل المعرفة بذلك ، ويؤلف من الكتب <sup>(١)</sup> ، ويرد كل ذي نسب إلى نسبه ، وفرج ذلك بالعلم فتم له من ذلك ما أراد ، ونفع الله بكرم قصده البلاد والعباد .

وقال أبو محمد بن حزم في « كتاب جهرة الأنساب » من تأليفه ، وذكر الحكم : اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلو . وكان رفيقاً بالرعية ، محباً في العلم ، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم . وأخبرني « تليد » <sup>(٢)</sup> الفتي — وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس — أن عدد الفهارس التي كانت [ فيها ] تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط .

قال : ولم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده ، وقد انقضى ولا عقب له ولا لأبيه <sup>(٣)</sup> . وذكر الحميدى في تاريخه أن الحكم رام قطع الحجر من الأندلس ، فأمر بإزالتها وتشدد في ذلك ، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله ، ففعل إنهم يعملونها من التين وغيره ، فتوقف عن ذلك .

ومن شعره :

عجبتُ ، وقد ودعتها ، كيف لم أمتُ      وكيف انشنتُ عند الفراقِ يدي معي  
فيا مقلتي العبري عليها اسكبي دماً      ويا كبدي الحرّي عليها تقطعي

(١) هذه الجملة قلقة بعض الشيء .

(٢) في جهرة الأنساب لابن حزم (تحقيق ليثي وروثسال) : تأييد الفتي (ص ٩٢)

وهذه العبارة كلها واردة عنده .

(٣) عبارة ابن حزم (الجمهرة ص ٩٢) : فأما الحكم المستنصر فلم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده ، ولي الأمر وهو ابن أحد عشر عاماً . وكان متغلباً عليه ، لا أمر له ولا نهى ، تلقب بالمؤيد ، ومُخلع المرة بعد المرة ، وقد انقضى ، ولا عقب له .

وكان الحكم قد أنجب قبل هشام غلاماً سماه عبد الرحمن ولد سنة ٩٦٢/٣٥١ ، فومات طفلاً .

قال ابنُ حَيَّانَ : وعلى إطباقِ أهلِ وقته في نَزارةِ جَنَى أدبه ، فقد أنشدني الفقيه أبو علي الحسن بن أيوب الحداد<sup>(١)</sup> له بيتي شعر ارتجلهما يوم ودَّعته حظيته أم هشام ، لما خرج لغزوته الفذة المعروفة بِسُنَّتِ اشْتِيَيْنِ<sup>(٢)</sup> ، فأكثر من التعلق به والولاء لرفاقه ، وكان شديد الكلف بها ، وذكر البيتين . قلت : وقد قرأتُ في ما يُروى لمِهيَّار الديلمي :

ومن عجبٍ أني أحنُّ إليهمُ      وأسألُ شوقاً عنهمُ ، وهمُ معي  
وتبكي دماً عيني ، وهمُ في سوادها      ويشكو الهوى قلبي ، وهم بين أضلعي  
/ فيأُمقلتي العَبرى أنفيضي عليهمُ      ويا كبدي الحَرَى عليهمُ تقطّعي [٥٨ - ب]

فلا أدري : أوافقَ الحكمَ في بيته الأخير أم سرقه وغيره كما ترى ؟

وقال أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي ( المعروف بالاشتركوني<sup>(٣)</sup> ) ، صاحب

(١) ذكره ابن بشكوال في « صلته » ( رقم ٣٠٦ - ١٣٦ / ١ - ١٣٧ ) : الحسن ابن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا علي ، ويعرف بالحداد . وبعد أن ذكر شيوخته قال : وجمع مسائله في أربعة أجزاء . روى عنه جماعة من كبار العلماء منهم أبو عمر بن مهدي ، وقال : كان من أهل العلم بالمسائل والحديث ، مقدماً في الشورى على جميع أصحابه لسنه ، راوية للحديث واللغات ، وافر الحظ من الأدب ، حسن الشعر في الزهد والثناء وشبهه ، ذا دين وفضل . ولد في المحرم سنة ٣٣٨ ، وتوفي ودفن ضحوة يوم السبت خلف باب القنطرة في رمضان سنة ٤٢٥ .

(٢) رسم الاسم هنا دقيق ، لأنه بالإفرنجية Son Estéban ، وفي إسبانيا أكثر من موضع بهذا الاسم ، ولكن المراد هنا San Estéban del Mall قرية صغيرة في مديرية وشقة Huesca تابعة لمركز Benavarre . وكانت غزوة شنت اشتبين سنة ٣٥٢ / ٩٦٣ ولم يكن هشام قد ولد بعد . وأم هشام المذكورة هنا هي صبح البشكنسية .

(٣) ترجم له ابن بشكوال في الصلة ( رقم ١١٧٥ ج ٢ ص ٥٣٩ ) ولم يذكر نسبته هذه ، وإنما اكتفى بقوله : محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي من أهل سرقسطة ، سكن قرطبة ، يكنى أبا الطاهر . وبعد أن ذكر شيوخته قال : وكان مقدماً في اللغة والعربية ، شاعراً مجسناً ، =

« المقامات اللزومية » ، في ما جمع من شعر أبي بكر بن عمار وزير بني عباد ) :  
« وما ينسب إليه . . . » ، وذكر البيهقي :

\* « ومن عجبى أنى أحن إليهم » \*

والذى بعده ، لم يزد عليهما .

وقرأت في « كتاب الخدائق » لابن فرج قوله — بعد إيراد جملة من أشعار الخلفاء الأموية — : « وهم يخلّون عن الشعر أقدارهم ، كما يرتفعون عن أن يروى عنهم أو يؤخذ من أقوالهم ، وإنما ينبسطون به في سرائرهم فليس يظهر عليهم منه إلا الشاذ القليل ؛ ولعل ما سقط عنا أفضل مما سقط إلينا . فأما أمير المؤمنين المستنصر بالله — أطال الله بقاءه — فهو فوق أن يعلن به أو ينشر اسمه عليه ، ولعل له منه ما لا نعرفه ، فأما الأدوات التي يقال بها ، بل التي يحتاج كل علم إليها ، فهي معه بأزيد مما كانت لأحد قبله أو تكون لأحد بعده » .

وهذا الذى قال غير مسلم له ولا مقبول منه ، بل إكثار الملوك من الشعر دالٌّ على قوة عارضتهم وسعة ذرعهم ، وحاكم بمعاينة مادتهم وتمكن تصرفهم ، ولولا ذلك لما فضل ابن المعتز أهل بيته بالإبداع في أنواع القريض ، وكذلك تميم بن المعز المتقيّل أثره في الإكثار ، والإتيان بما قيّد وخلد من بدائع الأشعار . ولا أبلغ من الاحتجاج ، وأقطع للخصم المتناهى اللجاج ، مما هو عليه مولانا من تحبير الغرائب ، وتسيير السكلم الغر أثناء المشرق والمغرب ، وهو البرهان على رحب المجال ، وتحصيل أسباب الفضل وأشتات السكالم ، لا زال سلطانه يُبَخِّع له بالطاعة ويدّان ، وزمانه يُشْرِق بمحاسنه الباهرة ويزدان .

= وله مقامات من تأليفه أخذت عنه واستحسنّت . توفى في قرطبة في جمادى الأولى من سنة ٥٣٨ .

واشتركونة Esterciel وتكتب أيضاً اشترقونة ، مدينة في مديرية تيروال Teruel في إسبانيا ، وتبعد عن القاعدة بمائة وعشرين كيلومتراً ، وهي تابعة لمركز Aliaga الإدارى ،

وهي مرتفعة تقوم على سفح جبل سانتا آنا Pena de Santa Ana

## ٧٨ - عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد

قتله أبوه عبد الرحمن لمنافسته أخاه الحَكَمَ ولياً عهداً ؛ وكان من نجباء أولاد الخلفاء ، محباً في العلم والعلماء ، سمع من جملة منهم ، وحدث في ألف عنهم . وله توافيف تدل على علمه وفهمه ، وتشهد بشرف ذاته وكل أدواته ، منها [ ١-٥٩ ] « كتاب العليل والقتيل في أخبار وَلَدِ العباس » انتهى به إلى خلافة الرازي / ابن المقتدر ؛ ومنها « المسكنة في فضائل بَقِيَّ بن مَخْدَد » . قال أبو محمد بن حزم : كان فقيها شافعيًا شاعرًا أخباريًا متنسكًا ؛ ومن شعره :

أما فؤادى فكاتمٌ أَلَمَهُ      لو لم يَبُحْ ناظرى بما كتَمَهُ  
ما أَوْضَحَ الشَّقْمَ في ملاحظ مَنْ      يهوى ، وإن كان كاتِمًا سَقَمَهُ  
ظَلَّتْ أبكى ، وظلَّ يمدُّنِي      مَنْ لم يقاسِ الهوى ولا عِلَمَهُ  
إليك عن عاشقٍ بكى أسفًا      حبيبته في الهوى وإن ظَلَمَهُ  
ظَلَّتْ جيوشُ الأُسَى تقائلُهُ      مذ نذرتُ أعينُ الملاحِ دَمَهُ

وحكى أبو عمر بن عفيف<sup>(١)</sup> في تاريخه الذى هذبه ابنُ حَيَّان وانتخبه ، قال : وكان الأمير الحَكَم بن الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين ، وأخوه عبد الله هذا ، يتباريان في طلب العلم ، ويتناغيان في جمعه ، ويتبادران إلى اصطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم والإحسان إليهم . فكان ابن عبد البر

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف بن مَرْيُوت بن حاتم بن عبد الله الأموى (٣٠٨ - ٤٢٠/٩٥٩ - ١٠٢٩) ، ترجم له ابنُ بشكوال في « الصلة » (رقم ٧٣) وذكر مؤلفاته وفضائله ، وقد نقلنا هذه الترجمة في كتابنا « تاريخ الفكر الأندلسى » الذى ترجمناه عن آنخل جنزالد بالشيئا (ص ٤٢٣) . وأشرنا إلى اعتماد ابن حيان في تأليف تاريخه على كتاب لابن عفيف في التاريخ لم يذكره ابن بشكوال (ص ٢٠٨) .

— يعنى أحمد بن محمد ، صاحب التاريخ<sup>(١)</sup> — ممن تميز في حزب عبد الله واختص به حتى لا يكاد يفارقه ، فسعى إلى الخلافة الناصر لدين الله بابنه عبد الله هذا ، ورفّع عليه أنه يريد خلعه ويدعو إلى القيام معه ، وأن جماعات من طبقات الناس دخلوا في ذلك معه ، وأنهم على أن يثوروا به في يوم عبد قد اقترب إليه . فأرسل الناصر في الليل بمن قبض على ولده عبد الله وحبسه ، فألقى عنده في تلك الليلة هذا الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر وفقهياً آخر من أصحابه يعرف بصاحب الوردة — وهو أحمد بن عبد الله بن العطار<sup>(٢)</sup> — كانا بائنين عنده ، فأخذنا وحملنا إلى الزهراء حفصة أمير المؤمنين الناصر بأسفل قرطبة ، فأمر بسجنهما وعرف الوزراء بخبر ولده عبد الله ، وكشف لهم عظيم ما أراد أن يحدثه عليه وعلى المسلمين فيه وتبرأ منه . وأعلمهم بمسارعتهم إلى القبض عليه ، ووحدان رسله هذين الفقيهين النطيين<sup>(٣)</sup> بائنين عنده وقال لهم : « ما أعجب إلا من مكان ابن العطار عنده ! ما الذى أدخله في هذا مع غباوته وقلة شره ؟ وأما ابن عبد البر فأنا أعلم أنه

( ١ ) أحمد بن محمد بن عبد البر فقيه ومؤرخ معاصر لعبد الرحمن الناصر ، وهو غير أبى عمر يوسف بن عبد البر النمري . ترجم له ابن الفرضى ( رقم ١٢٠ ج ١ ص ٣٧ ) وذكر في مقدمة « تاريخ علماء قرطبة » أنه نقل عنه كثيراً في كتابه . وقد سمع ابن عبد البر هذا من أجلاء شيوخ قرطبة من أمثال ابن لبابة وأسلم بن عبد العزيز وقاسم بن أصبغ ، وكان فقيهاً نبيلاً متصرفاً في فنون العلم ، وكان علم الحديث أغلب عليه ، وله كتاب مؤلف في « الفقهاء بقرطبة » وهو الذى استعان به ابن الفرضى في تأليف كتابه . وقال ابن الفرضى أنه توفى في السجن لليلتين بقيتا من رمضان سنة ٣٣٨ ، أخبرني بذلك المعيطى . وقال الرازى : توفى يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان في السجن . غمص في قصة العاق عبد الله بن الناصر .

( ٢ ) أحمد بن عبد الله بن سعيد الأموى ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن العطار ، ويقال له صاحب الوردة ، يكنى أبا عمر ، حدث عن محمد بن وضاح وغيره . توفى في شوال سنة ٣٤٠ ( ابن الفرضى ، رقم ١٥٨ ج ١ / ٤٦ ) .  
ويفهم من هذا أن عبد الرحمن الناصر عفا عنه ، لاستبعاده أن يكون له ضلع في المؤامرة ، إذ أنه توفى بعدها بسبع سنوات .

( ٣ ) نطيف : اتهم بريية ، تلتطخ بعيب ، فسد ، بشم من أكل ونحوه .

[٥٩ - ب] الذي زَيْنَ لهذا الماق<sup>(١)</sup> ذلك ليكون قاضي الجماعة / ويأبى الله ذلك « ، فهناؤه  
بالسلامة ودعوا الله له . وعزم الناصر على أن يعاقب ابن عبد البر يوم العيد  
— عيد الأضحى — الذي كان التدبير عليه فيه ، فأصبح ابن عبد البر يوم العيد  
نفسه ميتاً في السجن ، وأسلم إلى أهله فدفن بمقبرة الرّبض ؛ وكان ذلك في سنة  
ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

## ٧٩ — عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، أبو الأصبغ

كان أديباً شاعراً ، ظهرت منه نجابة في صغره . وحُكي أن أول لوح كتبه  
عند دخوله الكتاب بعث به إلى أخيه الحكم المستنصر ، وكتب إليه من شعره :

هاك يا مولاي خطاً مَطَّهً في اللوح مَطّاً  
ابن سبيع في سِنِيهِ لم يُطِقْ للوحِ ضبطاً  
دمت يا مولاي حتى يُولد<sup>(٢)</sup> ابنُ ابنك سَبْطاً

## ٨٠ — محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

هو والد الخليفين في الفتنة : أبي المطرّف عبد الرحمن الملقب بالمرتضى ،

(١) هذه الكلمة واردة في الأصل واضحة هكذا . ولكن دوزي جعلها العلق (ص ١٠٦)  
دون مبرر . وقد جعل كوديرا الكلمة : الغاق !

(٢) الأصح هنا أن يقال : « يلد ابن ابنك سبطاً » ، لأن الشطر كما هو في الأصل  
يعنى أن الذي سيولد سيكون حفيداً للحكم المستنصر ، أما على اقتراحنا فإن المولود سيكون ابن حفيد  
لحكم ، أي سبطه . ويمكن أن تقرأ أيضاً سَبْطاً بفتح السين ، والمراد فارها .

وأبى بكر هشام الملقب بالمعتد ، آخر خلفاء بنى أمية بالأندلس ؛ على رحيله<sup>(١)</sup> انقضوا فلم يعد ملأهم إلى اليوم . ولّى في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وكان أسنّ من أخيه المرتضى بأربعة أعوام ، مولده في سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وأقام في خلافته متردداً بالغور ثلاثة أعوام إلا شهرين ، ودخل قرطبة يوم مئى ثمان ذى الحجة سنة عشرين ، لم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند فخلع . وانقطعت الدعوة الأموية من يومئذ ، واستولى على قرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الوزير ، ثم ابنه أبو الوليد محمد بن جهور . ومن شعر محمد بن عبد الملك قوله يفتخر :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحانُ أودارت علينا الدوائر ؟  
إذا وُلد المولودُ منّا تهلّت له الأرضُ واهتزت إليه المنائرُ

/ وقد أنشد أبو منصور النعماني في « اليتيمة » من تأليفه هذا الشعر ونسبه [ ٦٠-١ ]  
إلى الحكم المستنصر بالله ، وزعم أن ذلك من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر

(١) في الأصل : رحله ، وكذا قرأها دوزى (ص ١٠٧) . وإنما جعلتها « رحيله » لأن هشاماً المعتد - أو هشاماً الثالث - آخر خلفاء بنى أمية في الأندلس أعلن خليفة في ربيع الثاني ٤١٨ هـ / يونيو ١٠٢٧ . وكان يعيش منذ مقتل أخيه عبد الرحمن الرابع الملقب بالمرتضى حياة خول في حماية عبد الله بن قاسم الفهرى صاحب البونت Alpuente شمال غربى بلنسية ، ولم يدخل هشام قرطبة إلا بعد عامين في ٨ ذى حجة ٤٢٠ / ١٨ ديسمبر ١٠٢٩ واستوزر رجلاً يسمى حكم بن سعيد ، ولم يستقم أمره ، إذ ظلت الفتنة ضاربة أطناها ، وقام عليه ينافسه أمير أموى آخر يسمى أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان ، ولكن هذا الأخير قتل في ١٢ ذى حجة ٤٢٢ / ٣٠ نوفمبر ١٠٣١ ، وعلى إثر ذلك قرر أبو الحزم بن جهور مع رؤساء قرطبة إخراج بقية الأمويين من البلد والمناداة بنهاية حكمهم فيه . وكان هشام المعتد وسط هذه الفوضى قد لجأ إلى بيت ملحق بالجامع واختبأ فيه مع بعض عياله ، وقضوا ليلتهم الأخيرة في عاصمة أجدادهم في ظلام لا تضيئه إلا شئمة مهافتة ، وفي الصباح رحل عن قرطبة مع أهله ، وواحمى بعض الوقت في حصن قديم ، وانتهى إلى لاردة حيث قضى بقية أيامه في كنف سليمان ابن هود .

يفتخر . وهذا من أغلاط أى منصور وأوهامه الفاحشة : حكى — لُبعد مكانه — ما لم يحقق ، وروى عن لا علم له بشأه ما لم يضبط . ومثل هذا النظم الفائق لم يكن ليفيغ عن ابن فرج صاحب « كتاب الحقائق » ، و [ لم يكن ليفيغ ]<sup>(١)</sup> أيضاً عن أبى مروان بن حَيَّان — جُهينة أخبار المروانية ومؤرخ آثارها السلطانية — فكيف يصح ذلك [ والأول منهما ]<sup>(٢)</sup> كما تقدم ينفى عنه الشعر ، والآخِرُ يثبت له منه النثر ؟ على أن محمداً هذا المنسوب إليه ليس فى أدباء أهل بيته بمشهور ؛ وعلى كل حال فلا معنى للفظ أبى منصور .

## ٨١ — عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر يعرف بابن القُرَشِيَّة

كان من ذوى القعدة فى بنى مروان ؛ وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذى اشتهرت معرفته بـ « ابن القُرَشِيَّة » ، لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبى الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن<sup>(٣)</sup> ، حظيت بِنِكَاح الناصر عبد الرحمن بن محمد وولدت له ابنته المنذر فسمته باسم أبيها ، فولد عبد العزيز هذا ، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر . ذكره أبو الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب العامرى فى كتابه « البديع فى فصل اربيع » ، وأنشد له فى البهار ، قال — وهو من التشبيهات المعجم :

( ١ ) أضفت هذه العبارة للسياق .

( ٢ ) أضفت هذه العبارة أيضاً للسياق ، والأول منهما هو ابن فرج ، وقد سبق أن روى له ابن الأبار عبارة ينزه الحكم فيها عن قول الشعر .

( ٣ ) المراد عبد الرحمن الأوسط .



كَأَنَّ الثَّرَى سِتْرَهُ تَمَدُّ خِلَالَهُ بِأَكْوَسِ رَاحٍ رَاحِمُنَّ الْكَوَاعِبُ  
يُسْتَرْنَ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ مَعَاصِمًا بِأَكْلَامِهِنَّ الْخَضِرِ عَنْ يَرَاقِبِ<sup>(١)</sup>  
وَأُنْشَدَ لِأَبِي عَمْرِو يَوْسُفَ بْنِ هَارُونَ الرَّمَادِي مِنْ قَصِيدَةِ أُمَامَى<sup>(٢)</sup> فِيهَا ،  
يَمْدَحُ ابْنَ الْقُرَشِيَّةِ هَذَا وَيَصِفُ أَزْهَارَ الرَّبِيعِ :

تَأْمَلْ بِأَثَرِ الْغَيْمِ مِنْ زَهْرَةِ الثَّرَى حَيَاةَ عَيُونٍ مُتَنِّ قَبْلَ التَّنَقُّمِ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ الرَّبِيعَ الطَّلُقَ أَقْبَلَ مَهْدِيًّا بَطْلَمَةَ مَعْشُوقٍ إِلَى عَيْنٍ مَغْرَمِ  
تَعْجَبْتُ مِنْ غَوْصِ الْحَيَاةِ فِي حَشَا الثَّرَى فَأَفْشَى الَّذِي فِيهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمِ<sup>(٤)</sup>  
/ كَأَنَّ الَّذِي يُسْقَى الثَّرَى صِرْفُ قَهْوَةٍ تَنْمُ عَلَيْهِ بِالضَّمِيرِ الْمَكْتَمِ [٦٠ - ب]  
أَرَى حَسَنًا فِي صَفْحَةٍ قَدْ تَغَيَّرَتْ كَبِشْرٍ بَدَأَ فِي الْوَجْهِ بَعْدَ التَّجْهِمِ  
أَلَا يَا سَمَاءَ الْأَرْضِ أُعْطِيتِ بِهِجَةً تَطَالِعُنَا مِنْهَا بِوَجْهِ مَقْسَمِ

( ١ ) ورد هذان البيتان في كتاب « البديع في وصف الربيع » لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (توفي حوالي ١٠٤٨/٤٤٠) بتحقيق هنري بيريس ، الرباط ١٩٤٠ ، ص ٩٨ .  
وقد ترجم له ابن الأبار في التكملة ( القطعة التي نشرها محمد بن شنب في الجزائر وفيها من  
حرف الألف إلى حرف الجيم الذي تبدأ به النسخة التي حققها كوديروا ونشرت في مجلدين في المكتبة  
الأندلسية ) ، رقم ٤٧٤ ص ٢١٩ وليس في هذه الترجمة من جديد إلا قوله إن أباه كان يلقب  
بجيبب وأنه أخو أبي زيد بن محمد بن عامر شيخ أبي بكر بن العربي .  
وكتاب « البديع في وصف الربيع » ويقال أيضا « في فصل الربيع » و « في وثن الربيع »  
كتاب فريد في بابهِ ، إذ أن أبا الوليد جمع فيه طائفة كبيرة من شعر الأندلسيين في الربيع وأزهاره .  
وقد جعله أبوابا يختص كل زهرة بواحد .

( ٢ ) أُمَامَى أَيْ جَعَلَ آيَاتِهَا مَائَةً .  
( ٣ ) أورد هذه الآيات أيضا أبو الوليد إسماعيل الحميري في « البديع في وصف الربيع »  
ص ١٢ . وقد ورد لفظ « التَنَمُّ » في الأصل : التَنَمُّ ، فمُوبِنَاه .  
( ٤ ) بعد هذا البيت أقحم الناسخ بيتا سبق أن ورد في شعر عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ،  
وهو :

ظَلَلْتُ أَبْكِي وَظِلَّ يَعْذِلُنِي مِنْ لَمْ يَقَاسِ الْهَوَى وَلَا عِلْمُهُ

وإن قالت الأرض المنعم روضها : «لِيَ الْفَضْلُ فِي غَفْرِ عَلَيْكَ» ، فسلمي  
فخضرة ما فيها تفوقك خضرة ونوارها فيها ثواب أنجم  
وإن جنتها بالشمس والبدر والحيا مفاخرة ، جاءت بأسنى وأكرم  
بعبد العزيز ابن الخلائف والذي جميع المعالي تنمى حيث ينمى<sup>(١)</sup>

## ٨٢ — محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام ، أبو عبد الله

كان من [ أكل ] رجال البيت الأموي خلقاً وعقلاً وأدباً تاماً وحظاً من  
الشعر الجيد ، وكانت أخته لأبيه فاطمة عند الناصر عبد الرحمن بن محمد ، فخطى  
بمصاهرته ؛ واعتبط في خلافة الناصر فتوفى للنصف من ذى القعدة سنة ست  
عشرة وثلاثمائة . وهو القائل :

بنفسى وأهلى من بذلت له ودى ومَلَكَتْهُ رِيقٌ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ  
وَأَبْغَضْتُ فِيهِ كُلَّ خِذْنٍ مَنَاصِحٍ وَأَبْدَيْتُ لِلْعِذَالِ فِي عَشْقِهِ صَدَى  
وَلَمْ أَنْصَرِفْ فِيهِ إِلَى قَوْلِ كَاشِحٍ وَأَصْرَرْتُ فِي حُبِّيهِ لِإِصْرَارِ ذِي الْحَقْدِ

(١) علق أبو الوليد الحميرى على هذه الأبيات بقوله (ص ١٢ - ١٣) : «ودخوله  
في هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعاني التي سبق فيها ، واستولى  
على الأمد بها . وقوله :

\* كَانَ الَّذِي يَسْقَى الثَّرَى صَرْفَ قَهْوَةٍ \*

البيت ، شبه فيه إفشاء الأرض نوارها وخضرتها بالمطر بإفشاء المرء أسرارها المكتومة بالقهوة .  
وقوله : «ينم» مستقبل من النيمة ، يقال : ينم بكسر النون وضمها ، والكسر أفصح .  
وقوله : «بوجه مقسم» أى محسن ، من القسام وهو الحسن .  
وقوله : «فسلمي» أراد : فأذعن لها ، وأقرى بفضلها .

سقاني بعينيه الهوى ، وبكفه سُلَافًا ، وحياتي بها ناقضَ المهد  
وله :

طال اشتياقي إلى من كنتُ آلفُهُ فالعينُ بالدمعُ ما تنفكُ تَذرفُهُ  
اعتضتُ من قربِ من أهوى زيارتهُ مَنْ كنتُ أكرهه جُهدى وأقذفه  
وصار مَنْ كنتُ أشنأُ وأبعدُهُ مكانَ مَنْ كنتُ أهواه وألطفُهُ  
/ فالنفسُ في قلبي ، والعينُ في أرقِ والقلبُ في حُرقي مما يُخلِّقُهُ [١-٦١]  
مَنْ رامَ صرفَ محبٍّ عن أحبتهِ فإن قلبيَ مما لستُ أصرفُهُ

### ٨٣ - الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام

كان من نبهاء قومه المروانيين بقرطبة ، وكان له طبع معين في قرض الشعر .  
وهو القائل في ابن مات له ، أنشده ابن حَيَّان :

عيني تجود بمسكوبٍ ومُهْرَاقٍ فالحمدُ لله ، ما للموتِ من باقٍ  
وكيف أبقى بلا نورٍ ، بلا بصيرٍ أم كيف يَنْبُتُ لَحْمٌ زال عن ساقٍ ؟  
لا يبعدُ نَكَّ بُنَى اللهِ إنك قد لاقيتَ ما كلُّ مَنْ في ظهرها لاقٍ

## ٨٤ - عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

أخو الحكم المذكور، كان من أهل الأدب والشعر . وهو القائل يرثى أباه ،  
وتوفى والناصر غائب في غزاته سنة خمس عشرة وثلاثمائة :

لِفَقْدِكَ تَنْهَلُ الْعَيُونُ وَتَدْمَعُ      وَتَنْهَدُ أَرْكَانُ الْمَعَالِي وَتُخْشَعُ  
وَيُعْوَلُ مَنْ قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ ضَاحِكًا      لَفَقْلَتِهِ فِي ظِلِّ نَعْمَاكَ يَرْتَعُ  
أَلَا أَيُّهَا الْقَبْرُ الَّذِي ضَمَّ جَسْمَهُ      سَقَاكَ مِنَ الْأَنْوَاءِ هَتَانُ مُمْرِعُ  
وَلَقَى كَرِيمًا فِيكَ رَوْحًا وَرَحْمَةً      مَلِيكَ إِذَا مَا شَاءَ يَعْطَى وَيَمْنَعُ  
وَكَانَتْ لَهُ كَفٌّ يَفِيضُ نَوَاهَا      مَدَى الدَّهْرِ عَنْ تَسْكَابِهَا لَيْسَ يُقْلَعُ  
وَكَانَتْ لَهُ جَفَنٌ تَجَانِي عَنِ الْكَرَى      وَنَفْسٌ تُنَاجِي اللَّهَ وَالنَّاسُ هُجَّعُ  
وَصُومٌ وَتَبِيحٌ وَذَكَرٌ وَخَشْيَةٌ      وَطَوَّلَ صَلَاةَ أَجْرَهَا لَا يُضَيِّعُ  
بِكَيْفِيَّتِكَ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً      لَعَلَّ الْبَكَاءَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ يَنْفَعُ  
فَلَسْتُ لَشَيْءٍ بَعْدَ فَقْدِكَ فَارِحًا      وَلَا لِمَصَابٍ بَعْدَ فَقْدِكَ أَجْزَعُ  
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي مَصِيبَةٍ      لَهُ مَهْجَةٌ نَحْوُ الْمَنَاسِي تَطْلَعُ

٨٥ - / عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز [٦١ - ب]

ابن أمية بن الحكم الربضي ،  
أبو بكر ، الملقب بالحجر

ويقال له البَطْرَ شَكَ<sup>(١)</sup> بالعجمية ، ومعناه الحجر اليابس .

(١) البَطْرَ شَكَ - كما هو واضح من كلام ابن الأبار - لفظان إسبانيان : Piedra Seca .  
وقد قال رومي Romey في تاريخه ( ج ٤ ص ٣٧٨ ) أنه يقابل اللاتينية Petra Sicca ،  
ولكن دوزي رجح أنها تقابل اللفظين الإسبانيين اللذين ذكرناهما . وقال دوزي أيضاً أن عبد الله  
ابن عبد العزيز المرواني ربما لقب بالحجر اليابس لبخله . انظر :

R. DOZY, *Rechères sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le Moyen Age* (Leyde, 1849) 1,273.

وهي الطبعة الأولى من أبحاث دوزي المعروفة ، وتختلف في فصولها وترقيم صفحاتها عن  
الطبعتين الثانية والثالثة . والأخيرة هي الجارية في أيدي الناس اليوم .

وقد ذكر دوزي - في فصل خاص بترتيب صفحات نسخة الحلة السراء التي نقلت عن  
أصلها في الإسكريال للمكتبة الأهلية في باريس بناء على طلب المستشرق كوندى - أن مجلدتها قدم  
بعض الأوراق على بعض فاختلفت ترجمة عبد العزيز المرواني هذا بترجمة غيره ، وغلط  
كوندى في متابعتها دون أن يتنبه إلى الخطأ .

وحياة عبد العزيز المرواني هذا طويلة حافلة بالأحداث ، فقد كان - كما رأينا - يتولى طليطة  
لهشام المؤيد والمنصور بن أبي عامر . وعاونوه على الخلاص من القائد غالب ، ثم اتهم بالاشتراك  
مع عبد الله بن محمد بن أبي عامر في مؤامرة ضد أبيه ، واشترك في المؤامرة أيضاً عبد الرحمن بن  
مطرف التنجيبي المتولى أمر ثغر سرقسطة . ولم تنجح المؤامرة ، ففر عبد الله بن المنصور إلى  
برمودو الثاني ملك ليون ، فازال المنصور يسعى حتى أرغم برمودو على تسليمه إليه ثم قتله .  
وقد فر عبد الله المرواني أيضاً إلى برمودو هذا ، ولانعلم إن كان قد فر مع عبد الله بن المنصور  
أو بعد ذلك ، وعلى أي الأحوال فقد ظفر به المنصور أيضاً وسجنه في المطبق «بعد أن طيف به على  
جمل وهو متيد» . وبقيّة الخبر يروها ابن الأبار هنا .

انظر ، علاوة على المراجع المذكورة أعلاه : البيان المغرب لابن عذارى : ٢٨٣/٢ - ٢٨٦ .

محمد عبد الله عنان ، الدولة العامرية (القاهرة ١٩٥٨) ص ٦٠ - ٦٣ .

وتعليقات الدكتور محمود على مكى على تحقيقه لديوان ابن دراج القسطل (دمشق ١٩٦١)

ص ٣٦٢ تعليق ٢ وص ١١١ تعليق ١ وص ٤٦٠ تعليق ٢ .

أمره هشام المؤيد في بعض الأوقات ، وسدّ به الثغر ، وفوض إليه أمر طَلَيْطَلَة وقلده إياها مع خطة الوزارة ، فاستقل بمقاومة غالب<sup>(١)</sup> أيام فتنته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة<sup>(٢)</sup> .

وكان على مقدمة المنصور بن أبي عامر في غزاته إلى جَلَيْتِيَّة ، بعد مُنْصَرَفِهِ من مقتل غالب بالثغر ، في أول المحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرّجل . وفيها حَصَرَ سَمُورَة ، وامتنعت عليه قصبُها ، وعمّ بالتدمير كثيراً من نواحيها ، ومنها جهة دمر فيها نحو ألف قرية ، معروفة الأسماء كثيرة السّبع والديّارات . ووصل قرطبة ومعه أربعة آلاف سَبِيَّة ، وقد حزّ قريباً منها من رؤوس الكفرة<sup>(٣)</sup> .

(١) أبوتمام غالب الناصري «صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، شيخ الموالي قاطبة ، وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع» كما يقول ابن عذارى (البيان : ٢٦٥/٢) . كان الوزير أبو جعفر المصحفي (سيتحدث عنه ابن الأبار بعد ذلك) قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لهشام المؤيد ، رغبة منه في الانفراد بالسلطان المطلق ، فاضطربت أحوال الثغر نتيجة للمناسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التي استغلها محمد بن أبي عامر للوصول إلى السلطان ، وقد سلك إليه طريقاً ملتوية تقوم على الاحتيال على الرجال والإيقاع بينهم ، فاستعان بغالب على جعفر المصحفي ، فاستصدر أمراً من هشام المؤيد يرفع غالب إلى خطة الوزارتين ، أي وزارة السيف ووزارة القلم ، أي أنه أصبح وزيراً وقائداً أعلى ، واتفق معه على أن يدبر ابن أبي عامر جيش الحضرة ، ويدبر غالب جيش الثغر . ثم صاهره فتزوج ابنته أساء ، وبمعاونته قضى على جعفر المصحفي . ثم سعى بعد ذلك في القضاء على غالب باستقدام جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي ، وكان شيخاً من شيوخ زنادة المواليين لبني أمية الأندلسيين ، وكان يقوم بأمر العدو ، واستوزره وولاه القيادة . وشعر غالب بغرض ابن أبي عامر ، ويبدو أنه استعان بالنصارى للدفاع عن نفسه ، ولكنه قتل في معركة بين رجاله ورجال ابن أبي عامر .

راجع ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢٦٢/٢ - ٢٧٩ .

(٢) يفهم من هذا أن غالباً دعا عبد الله بن عبد العزيز المرواني إلى طلب الخلافة لنفسه . ويبدو أن العبارة ينقصها شيء .

(٣) قام ابن أبي عامر بهذه الغزوة في العام التالي لمقتل غالب ، ولم يذكرها ابن عذارى ، ولكنني وجدت في البيان الذي يورده أحمد بن أنس العذري لغزوات ابن أبي عامر حتى سنة ٣٧٦ =

وكان عبد الله هذا أحد رجالات الروانية ، عقلا وشهامةً وأدباً وغزارة  
علم وإمتاع حديث وطيب مجالسة . ومن شعره ، قال الحميدى فى تاريخه :  
أنشدنى عنه أبو عبد الله بن المعلم الطليطلى ، قال : أنشدنى لنفسه :  
اجعل لنا منك حظاً أيها القمرُ      فإنما حظنا من وجهك النظرُ  
رأى ناسٌ فقالوا : إن ذا قمرٌ !      فقلتُ : كُفُّوا ، فعدى منهما خبرٌ..  
البدرُ ليلةَ نصفِ الشهرِ سهجتهُ      حتى الصباحِ ، وهذا دهره قمرُ  
والله ما طلعت شمسٌ ولا غربتُ      إلا وجاءتُ إليك الشمسُ تعتذرُ<sup>(١)</sup>

وأنشد له ابن أبى الفياض فى [ تاريخه ] :

ومن لا أسميه مخافة عتبه      على أن قلبى مستهامٌ بحبه  
وبعضُ اسمه حلا وبأ [ ... ]      حروفٌ طواها [ ... ]  
عليه سلامُ الله منى مردداً      سلامَ محبٍ جاد فيه بقلبه  
وله :

يا ظالماً ظنَّ قتلى فى الهوى حسناً      كن : كيف شئتَ فظنى فيك قد حسناً  
طويتُ حبك حتى ظلَّ ينشره      دمعٌ جرى فعدا سِرِّى به علنا [ ٦٢-١ ]  
أفديك من ساكنٍ فى القلب مسكنه      وغائبٍ لم تزل نفسى له وطناً  
يا قرة العين ، قد عذبتها سهرأ      ومنية النفس ، قد قطعها شجنأ

= ذكرأ لها ، ومنه يتبين أن مقتل غالب كان يوم الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ٣٧٠ أى قبل  
التاريخ الذى يحده ابن الأبار هنا بسنة . أما الغزوة التى يشير إليها هنا فيسميها العذرى «سورة  
الأولى» وقد خرج بها ابن أبى عامر يوم الأربعاء ١٩ صفر ٣٧١ وعاد منها السبت ١٤ ربيع الأول  
من نفس السنة . ويمكن أن نعزو ما قامت به هذه الحملة من التخريب إلى أن هذه أول حملة كبرى  
يشارك فيها جند البربر الذين أتى بهم ابن أبى عامر مع جعفر بن على بن خلدون .

(١) وردت هذه الأبيات مع بعض خلاف فى الألفاظ فى جنوة المقتبس للحميدى :  
رقم ٥٥٦ ص ٢٤٤ ، والبغية للصبى : رقم ٩٣٣ ص ٣٣٤ ، والمغرب لابن سعيد : ١٠/٢ .

مَا بَالُ قَلْبِكَ يَشْكُو فَرْطَ قَسْوَتِهِ      قَلْبٌ يَقَاسَى عَلَيْكَ الْبَثَّ وَالْحَزْنَ  
أَمَا هَوَاكَ فَإِنِّي لَسْتُ سَالِيَهُ      وَمَنْ يَمُتْ كَمَا فِيهِ فَذَاكَ أَنَا  
وَأُنْشِدْ لَهُ ابْنَ فَرَجٍ فِي «الْحَدَائِقِ»<sup>(١)</sup> :

سُقِيَا لَهُمْ مِنْ ظَاعِنِينَ حَسْبَتِهِمْ      وَسَطَ الْهَوَاجِ أَوْلُوأُ مَكُونَا  
[١١٠-١] / لَوْ كُنْتُ أَنْصَفُهُمْ عَشِيَةً وَدَعَا      مَا عَشْتُ بَعْدَ نَوَى الْأَحْبَةِ حِينَا  
أَغْصَانُ بَانٍ فَوْقَ كَشْبَانِ النَّقَى      فَإِذَا لَحَظْنَاكَ خِلْتَهُنَّ الْعِمِينَا  
أَجْرَى الزَّمَانُ يَبِينُهُنَّ مَدَامَعَا      مَا كُنَّ مِنْ قَبْلِ الْهَوَى يَجْرِينَا

وله مع رسالة حين ظفر به المنصور محمد بن أبي عامر في شوال سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وكان قد هرب أمامه إلى بلد الروم فسجنه بالمطبق بعد أن طيف به على جل وهو مقيد :

فَرَرْتُ فَلَمْ يُغْنِ الْفِرَارُ ، وَمَنْ يَكُنْ      مَعَ اللَّهِ لَا يُعْجِزُهُ فِي الْأَرْضِ هَارِبُ  
وَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ الْفِرَارُ لِحَالَةٍ      سَوَى حَذَرِ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا رَاهِبُ  
وَلَوْ أَنَّنِي وَفَّقْتُ لِلرَّشْدِ لَمْ يَكُنْ      وَلَكِنَّ أَمَرَ اللَّهِ لَا بَدَّ غَالِبُ  
وَقَدْ قَادَنِي جَرًّا إِلَيْكَ بِرُمْتِي      كَمَا اجْتَرَّ مَيْتًا فِي رَحَى الْحَرْبِ سَالِبُ

(١) سبق أن ذكرنا أن الناسخ خلط في هذا الموضع خلطاً شديداً ، فوصل بين ترجمة أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي وترجمة أبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري ، ولا أدري كيف وقع الخلط ، ويبدو أنه كان ينسخ في ترجمة الأول ، ووقف عند بيت : «أما هواك . . » فلما عاد إلى النسخ فتح المخطوط باحثاً عن عبد الله ابن عبد العزيز بن أمية ، فوقع في صفحات أبي عبيد البكري ، فضى ينقل غير منتبه لخطئه حتى فرغ من أهل القرن الخامس ، ثم تنبه إلى أن جزءاً كبيراً من المخطوط لم ينسخ ، فعاد يستدرك ما نسى نسخته ، ولكنه لم يصلح الخطأ ، وهكذا وصلتنا المخطوطة الوحيدة من الحلة .

وظاهر أن ابن فرج الجبائي لا يمكن أن يروي شعراً لأبي عبيد البكري ، لأنه مات قبله بزمان طويل ، ولا يمكن أن يروي لعبد الرحمن المستظهر ، لأنه مات قبله كذلك . ولهذا فقد رجحت أن هذه الأبيات لأبي عبد الله بن عبد العزيز المرواني هذا ، فجعلتها في هذا الموضع .



وأجمع كلُّ الناس أنك قاتلي      ورُبَّتْ ظنِّ ربه فيه كاذبُ  
وما هو إلا الانتقام فنتشفي      وتركك منه واجباً ، لك واجب  
وإلا فعفو يرتضى الله فعله      ويجزيك منه فوق ما أنت طالب  
ولا نفس إلا دون نفسك ، فليكن      على قدرها قدرُ الذي أنت واهب  
فما خاب من جدواك - مذكنت - سائل      ولا ردُّ دون المبتغى عنك راغب  
وقد منحتُ كفاك ما يُعجز الوري      وعمتُ عمومَ الغيث منك المواهب  
وإن حمَّ تأخيرُ نفسي فليكن      لمتلِفها من حاجب الملك حاجب  
فما زال سباقاً إلى كل خضلة      يسير بها في الأرض ماشٍ وراكب  
فلا انفك لي مولى ألود بعزه      فيصرفُ عني الخطبَ والدهر عاتب

وله أيضاً يستشفع بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور :

/ ألا أيها الحاجب المرتجى      وأكرم من كان أو من يكونُ [١-١١١]  
دعوتُك دعوة مستصرخٍ      أحاطت به وأُخفَّتْهُ المنونُ  
فإن لم تغثنى فمن ذا الذي      يلوذ به الخائف المستكين ؟  
جمعتُ التقى والمولى والنهى      فال مُذالَّ وعِرضُ مصون  
وتفريجُ غمّاء عن حائنٍ      يعود بك الحى وهو الدفين  
فقل لي : لعل ! من عثار له      أناديك والموت لى مستبين  
وإن جل ذنبى فأنت الجليل      وهل لك فيمن عليها قرين ؟

ومن خبره أنه أقام مسجوناً إلى أن مات المنصور ، وولى ابنه المظفر عبد الملك حجابة هشام ، فأطلقه واستحله لأبيه ، وخلع عليه وولاه الوزارة وخصَّ

به ، فلم تطل حياته ، وتوفي غازياً مع عبد الملك غزاته الأولى سنة ثلاث وتسعين بمدينة لارِدة ، وقبرُه بمسجدها .

وكان جَلَدًا في محنته ، كثير الدعاء والضراعة ، قد رزق من الناس رحمة . ولما أسلمه برمند ملك الجلائفة<sup>(١)</sup> مضطراً إلى ثقات المنصور وطيف به ، كان قدامه [ من ] ينادى : « هذا عبد الله بن عبد العزيز ، المفارق لجماعة المسلمين ، النازع إلى عدوم ، المظاهر له عليهم ! » ، فكان هو يرد عليه ويقول : « كذبت ! بل نفس خافت فقرّت تبغى الأمن من غير شرك ولا رِدّة » . ولم يعرض المنصور لمنازله وضياعه ، أطلقها لبنيه مدة اعتقاله .

## ٨٦ - مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، أبو عبد الملك

هو الطليق ، وقيل له ذلك لأنه سُجن في أيام المنصور محمد بن أبي عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك فسُي « الطليق » .

وكان - فيما قيل - يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له ، ثم إنه استأثر بها ،

(١) هو برمودو الثاني Bermudo II ابن رذير الثاني Ramiro II ملك مملكة ليون وأشتريس وجليقية من سنة ٩٨٢ إلى ٩٩٩ م (٣٧٢ - ٣٩٠ هـ) معاصر المنصور ابن أبي عامر وصاحب الوقائع الكثيرة معه . وهو الذي لجأ إليه عبد الله بن المنصور بن أبي عامر وعبد الله بن عبد العزيز المرواني هارين خوفاً من المنصور بعد انكشاف مؤامرتهم عليه ، وقد استطاع المنصور أخيراً الحصول عليهما . أما عبد الله ابنة فقد قتله ، وأما عبد الله المرواني فقد سمّته حتى كان من أمره ما يحكيه ابن الأبار .

انظر : تعليق الدكتور محمود على مكى على القصيدة رقم ١٢٨ من ديوان ابن دراج القسطل (دمشق ١٩٦١) ص ٤٦٠ هامش ٢ .

فاشدت غيرة مروان لذلك ، وانتضى سيفاً ، وانتهاز فرصة في بعض خلوات أبيه معها فقتله . وعُثر على القصة ، فسُجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث في السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وهذا من نادر الاتفاق . ومات قريباً من سنة أربع مائة .

وكان أديباً شاعراً مكثرًا ، وأكثر شعره في السجن . وإنما ذكرته — [١١١-ب] وليس من شرطى في الإتيان بالأسماء والمتأمرين ومن قُرِب إليهم دون مَنْ بَعُد من البنين — لقول أبي محمد بن حزم : « أبو عبد الملك هذا في بنى أمية كابن المعتز في بنى العباس ، ملاحظة شعرٍ وحسن تشبيه » <sup>(١)</sup> ؛ فحذفه من هذا المجموع هو المعتز [ عليه ] حقيقة لا إثباته واجتلاب محاسنه ، والخطأ مع الاجتهاد معفو عنه . ولمـلى قد أتيت في ما أثبت بما هو قريب منه . ومن شعر الطليق في معتقله :

ألا إنَّ دهرًا هادمًا كلَّ ما نبني      سيَبلى كما يُبلى ، ويَفنى كما يُفنى <sup>(٢)</sup>  
وما الفوز في الدنيا هو الفوز ، إنما      يفوز الفتى بالرجح فيها مع الغنى  
يُجَارَى ببؤسٍ عن لذيذ نعيمها      ويَجْنِي الرَّدَى مما غدت كفه تجنى  
ولا شك أن الحزنَ يجري لغاية      ولكنَّ نفس المرء سيئة الظن  
وله يصف السجن :

في منزل كالليل أسود فاحمٍ      داجي النواحي مظلم الأتباع

(١) عبارة ابن حزم في الجمهرة (ص ٩٤) : وأما مروان بن الناصر ، فن ولده مروان الطليق ، وأخوه عبد الملك ، ابنا عبد الرحمن بن مروان بن الناصر . كان مروان هذا من الشعراء المفلحين المحسنين ، وأعتب أربعة : يزيد أبو خالد ، ولبيد أبو ليلى ، وعبيد الله أبو إمامة ، وأربد أبو زيد ، وأخوه عبد الملك ساكن الآن بدروقة .

(٢) ورد في الهامش إلى يمين هذا السطر : « أخذ قول البحرى برمته :

ستفنى مثل ما نفنى وتبلى      كما نبلى ، ويدرك منك ثارُ

يسودُّ والزهره تشرق حوله كالخبر أودع في دواءِ العاج  
وله في النسيب :

أقول ودمعي يستهلّ ويسفحُ وقد هاج في الصدر الغليلُ المبرحُ  
دعوني من الصبر الجميل فإني رأيتُ جميلَ الصبر في الحب يقبُحُ  
لقد هيّج الأضحى لنفسى جوى أسى كريةُ المنايا منه للنفس أروح  
كان بعيني حلقَ كل ذبيحة به ، وبصدرى قلبها حين تُذبح  
فيا ليت شعري ، هل لمولاي عطفةٌ يداوى بها منى فؤادٍ مجرّح ؟  
يحنُّ إلى البدر الذي فوق خده مكانَ سوادِ البدر وردُ مفتوح  
تقنع بدرُ التّم عند طلوعه مخافة أن يسرى إليه فيفضح  
فقلت له : يا بدرُ أسفِرْ فقد غدا عليه رقيبٌ للعدا ليس يبرح  
لعمري لذاك البدرُ أجلُّ منظراً وأحسنُ من بدر التمام وأملح  
وله من قصيدة / فريدة أولها :

[١١٢-١]

غصنٌ يهتزُّ في دغصٍ نقيّ يجتنى منه فؤادي حُرَقاً  
باسمٍ عن عقدٍ دريّ خلته سلبته لثبته العُنفا  
سالَ لأم الصدغ في صفحته سيلانَ التبر وافي الورقا  
فتناهى الحسنُ فيه ، إنما يحسنُ العنصنُ إذا ما أورقا  
رقّ منه الخصرُ حتى خلته من نحولٍ شفه قد عشقا  
وكان الرّدْف قد تيممه فغدا فيه معني قلّقا  
ناحلا جادر منه ناعماً كحيبي ظل لي معتقدا  
عجباً إذ أشبهانا ، كيف لم يُحدنا هجرّاً ولم يفترقا ؟

ومنها يصف الخمر :

رب كأسٍ قد كستَ جناحَ الدجى      ثوبَ نورٍ من سناها أشرقاً  
بثُّ أسقيها رشاً في طرفه      سنّةٌ تورث عيني أرقاً  
خَفِيتَ للعَيْنِ حتى خَلَّتْهَا      تتقى من لحظه ما يُتَقَى  
أشرقَتْ في ناصعٍ من كفه      كشعاع الشمس لاقى الفلقاً  
وكانَ الكأسَ في أنْمِلِهِ      صفرةُ النرجسِ تعلو الورقاً  
أصبحتُ شمماً وفوه مغرباً      ويدُ الساقى الحَيِّ مَشرقاً  
فإذا ما غربت في فمه      تركت في الخلد منه شَقَقاً

ومنها في أوصاف شتى :

وغمامٍ هطلٍ شؤبوبةُ      نادَمَ الرّوضِ ففَنَى وسقى  
فكانَ الأرضَ منه مطبقُ      وكانَ النَّصبِ جانٍ أطبقاً  
خلعَ البرقِ على أرجائه      ثوبَ وشيٍ منه لما برَقاً  
وكانَ العارضَ الجَوْنَ بهِ      أدھمَّ خلى عليه بَلَقاً  
/ وكانَ الرّيحَ إذ هَبَّتْ له      طيّرتُ في الجوّ منه عَقَقاً  
في ليالٍ ضلّ سارى نجمِها      حائراً لا يستبين الطرُقاً  
أوقدَ البرقِ لها مصباحه      فانثنى وجهه دُجَاها مُشرقاً  
وشدا الرعدُ حنيفاً فجرت      أكْؤسُ المزنِ عليه عرقاً  
وغدتُ تجذبه الشمسُ وقد      ألحفتُه من سناها نَمْرُقا<sup>(١)</sup>  
فكانَ الشمسُ تُخبي نفسه      غُرّةُ المعشوقِ تُخبي الشَّيْفا

وكان الوردَ يعلوه الندى      وجنةُ الحبوب تندى عرقا  
يتفقاً<sup>(١)</sup> عن بهار فاقم      خلته بالورد يطوى ومقا  
كالجبين الوصولين غداً      خجلاً هذا ، وهذا فرقا  
ورنت منه إلى شمس الضحى      حدق للنور تُصَيّ الحدا  
وكان القطر لما جادها      صار في الأوراق منها زبقا  
ومنها في الفخر :

من فتى منلى لبأسٍ وندى      ومقالٍ وفعلٍ وتُقى ؟  
شرفى نفسى ، وحلى أدبى      وحسامى مقولى عند اللقا  
ولسانى عند من يخبره      أفعوان ليس يشنيه الرقى  
ويمينى يمن عافٍ مُسرٍ      جعت حداً غدا مفترقا  
جدى الناصر للدين الذى      فرقت كفاه عنه الفِرقا  
أشرف الأشراف نفساً وأباً      حين يعلوه وأعلى مُرتقى  
أنا نخر العشميين وبى      جدّ من نخرهم ما أخلقا  
أنا أكسو ما عفى من مجدهم      بحلى روقٍ شعرى رونقا

[١١٣-١] / وله أيضاً يصف السحاب ، أشده له أبو الحسن على بن محمد بن أبى الحسن القرطبي فى كتاب « الفرائد فى التشبيه من الأشعار الأندلسية » من تأليفه :

فكان الغمام صب عميد      أن بالراءد حُرقةً واشتكاء  
وكان البروق نارُ جواه      وأحيا دمه يسيل بكاء

وله أيضاً :

كأنما إنسانٌ أجفانها للخمر من تخييرها مدمنٌ  
وليس إنساناً ولكنه هاروتٌ في مقتلها يسكنُ

وله في طول الليل :

فما بال صُبحي قد تقارب خطوهُ فأبطأ حتى ليس يُرجى قدومهُ  
كأن نجومَ الليل قيدها الدجى وأوقفها في موضع لا تريه

وله في الرسوم :

رَبْعٌ تربصت<sup>(١)</sup> النجوم لأهلِهِ ورمائمُ ريب الزمان فقرطسا  
فكأنه مما تقادم عهدُهُ ربعُ امرئ القيس القديمُ بعسعسا

وله في مثل ذلك :

فبقيتُ في العرصات وحدي بدم حيران بين معاهد ما تُعهدُ  
فكأنهن ديار مَيٍّ إذ خلتُ وكأني غَيْلانٌ فيها يُنشدُ

وله :

وكان المياة فيها ثعابه من جُلَيْنٍ تَبَعَّتْ في السواقِ  
وكان الحصباء في رونق الما ء سنا الدرُّ في بياض التراقي

\*\*\*

(١) في الأصل ، وفي دوزي (ص ١١٨) : تربعت .

## ومن أبناء الأدارسة الحسنيين :

## ٨٧ - إبراهيم بن إدريس الحسنى

كذا قال فيه ابن حيان ، وقال الحميدى : إبراهيم بن إدريس العلوى الحسنى المنبوز بالمؤبّل . كان أديباً شاعراً ، وكان فى أيام المنصور أبى عامر محمد ابن أبى عامر ، وعاش إلى أيام الفتنة . أصله من المغرب ، وسكن قرطبة إلى أن سيّره ابنُ أبى عامر عن الأندلس ، فيمن سيّر من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قنّون كبيرهم<sup>(١)</sup> . وهو القائل يخاطب الروانية بقرطبة ، لما رأى غلبة ابن أبى

[١١٣-ب] / عامر على هشام المؤيد واستبداده بالأمر دونه :

(١) يشير ابن الأبار بذلك إلى ما كان بين الحسن بن كنون آخر مثل لسلطان الأدارسة فى المغرب والمنصور بن أبى عامر . والحسن بن كنون هو من أبناء القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس ، والقاسم هذا - واسمه كنون - هو الذى ضم بقايا دولة الأدارسة بعد أن شتت شملها قواد العبيديين واحتلوا فاس . فأقام القاسم كنون دولة قاعدتها حصن صغير يسمى حجر النسر ، وتوفى سنة ٣٣٠ وخلفه ابنه أبو العيش . ولم تستطع هذه الدولة الإدريسية أن تقوم بنفسها ، فكانت طوراً تخضع للأمويين الأندلسيين وطوراً للعبيديين ، ولكنها كانت فى الغالب فى حماية بنى أمية ، وقد بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر ، وبعونه استطاع أن يمد سلطانه حتى بمجلماسة . وكان الناصر قد استولى على سبتة ، وأراد أن يضم إليها طنجة ليملك بيده مفتاحى الزقاق . وبعد حرب طويلة ، استولى عليها وانتقل أبو العيش إلى بصرى المغرب الأقصى غير بعيد عن حجر النسر ، واستولى قواد عبد الرحمن الناصر على معظم نواحي شمال المغرب الأقصى من تاهرت إلى طنجة . ورأى أبو العيش أنه لم يبق له من الأمر شيء ، فكانت الناصر واستأذنه فى الانتقال بأهله إلى قرطبة ليشترك فى الغزوات التى كان الناصر يقودها على ممالك النصارى ، وقد اشترك أبو العيش فيها بالفعل واستشهد سنة ٣٤٨ .

وبعد أن غزا جوهر الصقلى المغرب الأقصى غزوته المخربة التى احتل فيها فاس وقضى على كل أثر لسلطان الأمويين فى المغرب (٣٤٨ - ٣٥٠) اضطر الحسن بن كنون أخو أبى العيش وخليفته فى البصرة إلى الدخول فى طاعة العبيديين ، فلما انصرف جوهر عاد إلى الأمويين ، فعاد الفاطميون وبعثوا بلقين بن زيرى بجيش كثيف إلى المغرب فدخل الحسن بن كنون فى طاعته . وبعد انصراف بلقين أرسل الحكم المستنصر قائده غالباً الناصرى ، فتحصن منه الحسن =



فيا أرى عجبٌ لمن يتعجبُ      جَلَّتْ مصيبتُنا وضاق المذهبُ  
إني لأَكْذِبُ مقلتي فيما أرى      حتى أقولُ غِلَطْتُ فيما أحسبُ  
أَيكونُ حيًّا من أُميَّةٍ واحدٍ      ويسوس هذا الملكَ هذا الأحدبُ ؟  
تمشى عساكرُهم حوالَى هودجٍ      أعواده فيهن قُردٌ أشهبُ  
أبني أُميَّةٍ أين أقارُ الدجي      منكم ، وما لوجوهها تنغيبُ ؟  
هذا ما أورد ابنُ حَيَّان في أخبار الدولة العمارية من شعره .

وقال الحَمِيدِي في كتابه : رأيت له قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة  
هذيل بن خلف بن رَزِين صاحب القلاع ويهجو في درجها غيره ، أولها :

لَلبَيْنِ في تعذيبِ نفسِي مذهبُ      ولنائبِ الدهرِ عندي مطالبُ  
أما ديونُ الحادثاتِ فإنها      تأتي لوقتٍ صادق لا تكذبُ  
والبين مُغرَى كيدُهُ بأولى النُهي      طبعاً تطبّع ، والطبيعة أغابُ  
ومنها :

أيقنْتُ أني للرزايا مطعمٌ      ودمي لوافدة المكاره مشربُ  
فأنا من الآفاتِ عرضٌ سالمٌ      وجوانحُ تُكوى وعقلٌ يذهبُ

= ابنُ كنون في حجر النسر ، ولكنه استسلم أخيراً وأخذ وجميع أهله إلى قرطبة حيث أكرمه  
الحكم المستنصر ، ثم اختلف معه فنكبه وأخرجه إلى المشرق حيث نزل على العزيز بالله الفاطمي ،  
فسيره في جيش إلى المغرب سنة ٣٧٣ . فلما صار الأمر في قرطبة إلى محمد بن أبي عامر أرسل  
قواده وجيوشه إلى المغرب ليحاربوا الحسن بن كنون ، وقد تمكنوا من استنزاله على أمان  
المنصور ، ولكن هذا غدر به ولم يمس أمانه وقتله سنة ٣٧٥ . وقد وصف ابن عذارى ( البيان  
المغرب ٢/ ٢٨١ ) مشهد قتله وما صاحبه من رعد وبرق دلالة على الغضب الإلهي لتلك الجريمة .  
وكانت تلك هي النهاية الأخيرة للأداسة الحسينيين .

انظر : الاستقصا ( الدار البيضاء ١٩٥٤ ) : ١/ ١٩٤ - ٢٠٥ .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/ ٢٨١ . وقد روى ابن عذارى نفس الأبيات التي رواها  
ابن الأبار .

ولم يذكر منها سوى هذه الأبيات ، فيشبه أن يكون فيها ما أنشد ابن حَيَّان ، ويشبه أن يكون قطعة في المنصور على انفراد ؛ والظاهر أن الحَمَيْدِي تركها ولم ير إثباتها .

\*\*\*

ومن رجال المروانية في هذه المائة :

## ٨٨ - أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني

[١١٤-١] / هو أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد بن يزيد بن الشير من همدان ؛ وخالد يقال له « الغريب » ، وسُمي بذلك لأنه أول مولود من العرب الشاميين بكورة البيرة<sup>(١)</sup> . كان أبوه محمد بن أضحى صاحب حصن الحَمَّة من أعمال البيرة زمن الفتن<sup>(٢)</sup> ، وقام بأسر العرب بعد قتل سعيد بن جُودِي ،

(١) ذكر ابن حيان (المقتبس - ملشور أنطونيا ، ص ٣١) خبر محمد بن أضحى ابن عبد اللطيف الهمداني الثائر أيام الأمير عبد الله ، وما كان بينه وبين سعيد بن جودي من عداوة ، ثم ذكر دخوله في طاعة الأمير عبد الله واشتراكه في حرب عمر بن حفصون ، ثم استنزال الناصر له ضمن من استنزل من الثوار واستقدمه إلى قرطبة سنة ٣١٣ حيث عاش في كنفه . قال ابن حيان : « وكان ابن أضحى هذا مع رجوليته أديباً بيتاً يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل والمقاوم ، فيحسن القول ويطيب الثناء ، وله أخبار معروفة » .

وقد ذكر ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٨) أحمد بن محمد بن أضحى هذا وساق نسبه : ابن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد . . الخ ، أى أنه وضع « غريب » موضع « خالد » . وقد فسر لنا ذلك ابن الأبار عندما قال إن خالداً كان يسمى بالغريب . وأورد ابن الخطيب قطعة من الخطبة التي ألفها أحمد هذا بين يدي الناصر ، وأورد له بيتين لم يورد هما ابن الأبار ، ثم قصيدة « أيا ملكاً » بأكملها . (٢) يريد الفتنة الأولى أيام الأمير عبد الله ، انظر التعليق السابق .

وتمسك بموالاة الأمير عبد الله بن محمد إلى آخر مدته ، وأورث عقبه نباهة ورياسة انسحبت عليهم دهرًا .

وثار منهم القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن مُشَرَّف بن أحمد هذا بفرناطة في المائة السادسة ، وسأذكره هنالك إن شاء الله عز وجل .

وقدم أحمد بن محمد مع أبيه علي الناصر عبد الرحمن بن محمد ، باخعين بطاعته ، داخِلين في جماعته — وكان من أحسن الناس وجهًا ، وأفصحهم لسانًا ، وأشهمهم نفسًا ، وأوسعهم أدبًا — فأجل الناصر لقاءهما ، وأحسن قبولهما ، وأعلى منازلهما ، وأجزل عطاءهما . وقام أحمد هذا يومئذ بين يديه خطيبًا ، ثم أنشد في إثر خطبته :

أَيَا مَلِكًا تُرْمَى بِهِ قَضْبُ الْمُنَادِ إِذَا لَمَعَتْ فَوْقَ الْمَغَاوِرِ وَالسَّرْدِ  
وَمَنْ بَأْسُهُ فِي مَنِهْلِ الْمَوْتِ وَارِدٌ إِذَا أَنْفَسُ الْأَبْطَالُ كَفَّتْ عَنِ الْوَرْدِ  
وَمَنْ أَلْبَسَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ نَعْمَةً بِهِ ، فَاتَتْ التُّنْعَمَى فُجِّلَتْ عَنِ الْعَدِّ  
تَجَلَّى عَلَى الدُّنْيَا فَجَلَّى ظِلَامَهَا كَمَا انْجَلَتْ الظُّلُمَاءُ عَنْ قَمَرِ السَّعْدِ  
إِمَامٌ هَدَى زَيْدَتُ بِهِ الْأَرْضَ بِهَجَّةً مَلْبَسَةً نُورًا كَمَوْشِيَةِ الْبُرْدِ  
كَفَانِي لَدَيْهِ أَنْ جَعَلْتُ وَسِيلَتِي ذِمَامًا شَأْنِي الْهَوَى مَخْلَصَ الْوَدِ  
وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ « الْحَدَائِقِ » :

هَوَى كَدَّرَ الْوَاشُونَ مِنْهُ الَّذِي صَفَا وَنَمَوْا بِأَفْعَى الْإِفْكَ عَنِ مَزْخَرَفَا  
وَشَوْا وَأَصَاخَتْ أُذُنُ خِلِّي فَمَا وَفَوْا بِتَبْلِيغِهِ مَا لَمْ أَقْلَهُ وَلَا وَفَى  
/ وهلا — كما أنصفته في محبتي — ثَنَامٌ عَلَى الْأَعْقَابِ مِنْهُمْ فَأَنْصَفَا ؟ [١١٤-ب]  
فَلَا كَانَ وَاشٍ كَانَ دَاهُ ضَمِيرِهِ هَوَانًا ، فَلَمَّا أَنْ رَأَى هَجْرَنَا اشْتَفَى  
وَلَا يَفْرَحُوا أَنْ أَوْقَدُوا الْهَجَرَ جَاهًا فَمَا قَرِيبَ يَنْطَفِي ، أَوْ قَدْ انْطَفَى

## ٨٩ - لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى

كان أبوه من كبار الثوار في أيام الأمير عبد الله بن محمد ؛ سماه ابن حيان في أعلام المخالفين عليه ، وجعله ثانياً لدَيْسَم بن إسحاق صاحب تُدْمِير ، وبعده ذكر إبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية . وكان ملك جبل شمنتان وما يليها من كورة جَيَّان ، وامتد إلى حصن قسطلونة وغيره ، وانطلقت يده فتبنتك النعمة وبني المباني الفخمة . وأظهر الإذعان وقتاً ، بعد وقعة جرت عليه ، والتزم حمل قطع من المال فورق عليه عما في يده ، فلما رُوي عاد إلى غيه فنكث ، ووالى عميد المخالفين عمر بن حفصون ، وواصله بالصهر من أسفل ، فزوّج ابنته من جعفر ولد ابن حفصون ، ونقلها إليه بببشتُر ، ووصل يده بيده ، فاعتز جانبه . وكان عبيدليس بن محمود [ الشاعر الأديب ] <sup>(١)</sup> كاتباً لعبيد الله ، ومتصرفاً في خدمته ، مكثراً من مديحه ، واصفاً لمغازيه ومبانيه وأحواله أوصاف الشعراء لأكابر الملوك ، يستحسن ذلك منه ويحزل عطيته عليه ، فشعره في ذلك مشهور ؛ ومنه قوله في وصف قصره :

قصر الأمير أبي مروان مُنْتَسَخٌ من جنة الخلد بالسراء معمورٌ  
فيه مجالس قد شيدت على عمدٍ بُنِيَانُها مرمرٌ بالتبر مطرورٌ  
ونازع الفتح بن موسى بن ذى النون عبيد الله حصناً أورثهما حرباً ، فغلبه عليه عبيد الله وهزمه وحاز الحصن دونه ، وتيمّن بحضور ابنه لب بن عبيد الله معه في وجهه هذا ، فقال عبيدليس في ذلك شعراً طويلاً منه :

(١) نقل ابن الأبار هذا الكلام كله عن ابن حيان (المقتبس ص ٩ - ١٠) وأسقط هذه الجملة على أهميتها هنا ، فأتيت بها زيادة في التعريف بعبيدليس بن محمود .

/ جاء البشيرُ بما عم السرورُ به / عن الأمير أبي مروان في السفر [١١٥-١]  
 فقلتُ ، حين سألناه فأخبرنا : بالله قل وأعد يا طيبَ الخبر  
 يمينُ لبِّ أبي عيسى وغزوته / فاز الأمير على الأعداء بالظفر  
 يقول فيه :

قاد الجيوش إلى الأعداء مدرعاً / يصلى الوغى بالوغى في سِنٍّ مُثَغِرٍ<sup>(١)</sup>  
 من تحته فرسٌ ، في كفه قبسٌ / يرمى الشياطين في الهيجاء بالشرر<sup>(٢)</sup>  
 وعجز البيت الثاني من هذه الأبيات منقول من قول أبي نواس :

يا ذا الذي عن « جنان » ظل يخبِرنَا / بالله قل وأعد يا طيبَ الخبر

ولما غزا الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد غزوته الأولى إلى جَبَّان ،  
 خرج إليه عبيد الله مقالصاً<sup>(٣)</sup> في طاعته إياه ، فأمر بالقبض عليه وأرسل إلى  
 معاقله مَنْ ضبطها وحمل عياله إلى قَرْطُبة ، فصار في الديوان بها في أعلى  
 الملاحق<sup>(٤)</sup> . وصرَّفه الناصر في ضروب من خدمته سكن منه فيها إلى نصاحة  
 وثقة ، فصرفه من أجل ذلك إلى معاقله بسمتقان واليا من قبله ، لالتياثِ أحسه  
 من أهلها — ولا رعيةَ أجهل منهم — فأصلحها عبيدُ الله وأقام بها إلى أن صرفه  
 ثانيةً عنها وأعادته إلى مصافه .

وكان ابنُه لبُّ بن عبيد الله أديباً شاعراً حسن التصرف ، وهو القائل ،

(١) المثنى هنا كناية عن صغر السن ، لأن المثنى هو الطفل الذي نهبت أسنانه .

(٢) أورد ابن حيان (المقتبس ، ١٠ - ١١) أبياتاً كثيرة أخرى من هذه القصيدة :

(٣) مقالصاً أى متقصاً من طاعته ، والمراد أنه قصر في طاعته للناصر .

(٤) الملاحق ، وجمعه ملاحق ، هو المقيد في ديوان العطاء ليصرف له راتب شهري وما يتبعه ، والمراد أنه تقرر له راتب من أكبر ما كان يعطى لأمثاله من الثائرين الذين استنزلهم الناصر وأتى بهم إلى قرطبة ليعيشوا في أمان على رواتب تصرف لهم ولنوابهم .

أشده له أبو الحسن بن أبي الحسين القرطبي في كتاب « الفرائد » من تأليفه  
في التشبيه :

صَابَحَتْهَا وَالرَّوْضُ يُنْطَعُ مِسْكُهُ فَكَأَنَّهُ بِاللَّيْلِ بَاتَ مَغْلَقًا  
وَالْوَرْدُ يَبْدُو فِي الْفُصُونِ كَأَنَّمَا أُضْحَى يَقَارِبُ مِنْ نَدَاهُ قَرَفًا<sup>(١)</sup>  
وله في الخيري :

وَكَأَنَّمَا الْخَيْرِيُّ إِنْ أَبْدَى النَّرْجِسَ<sup>(٢)</sup> أَسْرَارَهُ عَنْ نَشْرِ مَسْكٍ أَذْفَرَا  
لَصْ يَرَأَى بِالنَّهَارِ زَهَادَةً خَوْفًا وَيَقْطَعُ لَيْلَهُ مُنْشَطَرًا  
وله :

وَرَاهِقَةٌ عَنْهَا السِّیُوفُ كَأَنَّمَا عِیُونٌَ يَرُوعُ اللَّيْثُ فِيهَا حَسِيرُهَا  
[١١٥-ب] / إِذَا غَشِيَتْهَا الْبَيْضُ تَعَشَّى بَنُورُهَا كَأَنَّ سَنَاهَا مِنْ أَذَاهَا مُجِيرُهَا  
كَأَنَّ فَوَادِي فَوْقَ رَأْسِي صَلَابَةً فَكُلَّ حَسَامٍ يَنْتَحِيهَا كَسِيرُهَا  
يَصِفُ بَيْضَةً حَدِيدٍ . وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي وَصْفِ تَرَسٍ :

وَمِمَّتِلِ<sup>(٣)</sup> قَرَصَ الْغَزَالَةِ فِي يَدِي هَجَمْتُ بِهِ وَالْخَلِيلُ تَدَعَى نَحْوُهَا  
تُقَلَّبُ مِنْهُ الْكَفُّ مِغْنَطِيسَ<sup>(٤)</sup> الْقَنَا فَلَا آلَةَ إِلَّا إِلَيْهِ مَصِيرُهَا

٩٠ - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى

مولي عبد الرحمن بن معاوية ، الحاجب الوزير ، أبو الأصبغ .

(١) القرقف اسم من أسماء الخمر : ويقارب القرقف ، أى يشربها ، مقتبس من قوله تعالى : « ولا تقربوا الخمر » .

(٢) كذا ، والوزن لا يستقيم على هذه الصورة ، ولعل صواب هذا الشطر : « وكأنما الخيري إذ أبدى لنا » ، كما أن كلمة « النرجس » تبدو مقحمة لا مكان لها في هذا الموضع .

(٣) أى : وشبيه بقرص الشمس .

(٤) الأصل : مغنطيس ، ولا يستقيم به الوزن .

كان — مع رئاسته وجلالاته ، ونباهة سلفه واستعمالهم في الكُور وسنّيات الخطط — من أهل العلم والأدب والشعر . وأول ما تصرّف فيه للأمير عبد الله خطة القُطْع<sup>(١)</sup> ، ثم ولى خطة المدينة ، وعُزل عنها ، وأعيد إليها . ولما أفضت الخلافة إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد أقره على المدينة ، واستوزره يوم استخلافه ، ثم استحبّجه عند وفاة بدر في سنة تسع وثلاثمائة ، فاضطلع واكتفى .

وكان الوزير عبد الملك بن جهور يقول : « ما رأيت مثل موسى : لم يجمعه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس في الجد والهزل » .

وتوفى للنصف من صفر سنة عشرين وثلاثمائة — وقيل في آخر سنة تسع عشرة — فلم يستحجب الناصر بعده أحداً . وكان يحجبه عند قعوده لسلام الأجناد ، ولوفود الأطراف ، ورسل الأئم وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى<sup>(٢)</sup> على مراتبهم مع سائر الخدمة . ومن شعره قوله يمدح عبد الرحمن الناصر ويذكر هيئته :

( ١ ) القُطْع جمع قطيعة ، وهى فى المصطلح الإدارى الذى يستعمله ابن حيان مبلغ من مال الجباية يتعهد بأدائه سادة النواحى الذين تعجز الدولة عن السيطرة عليهم ، فتتركهم عليها فى مقابل أدائهم إياها . وقد يتعهد المستبد بالناحية بأداء القطيعة دون ثورة أو قطع للطاعة . وكان أولئك المستبدون بالنواحى كثيرين فى الأندلس حتى منتصف حكم عبد الرحمن الناصر . وكان هناك لهذا ديوان — أو « خطة » فى المصطلح الأندلسى — لهذه القُطْع<sup>هم</sup> . وهى تشبه من بعض الوجوه المقاطعات فى المصطلح الشرقى ، وتختلف عنها من وجوه أخرى .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس ، ٣٧٢/٢ .

( ٢ ) صاحب الخيل هو المشرف على شؤون الخيل اللازمة للجيش وما يتصل بها من سرج وقربايس وما إلى ذلك . وكانت خطة الخيل وظيفة إدارية فى الغالب ، وقد يتولاها قائد من القواد ، وقد يقود صاحب الخيل الصوائف .

وصاحب المدينة هو حاكمها ، ويراد بها عادة العاصمة قرطبة .

أما الشرطة العليا والوسطى فى تفسيرهما خلاف . وقد انتهينا من استقراء النصوص إلى أن الشرطة العليا كانت خاصة بأمن الأمير وقصوره وأهل بيته وكبار الناس ، والوسطى تتعلق بأعمال الشرطة المعروفة ، أى الأمن العام فى المدينة نفسها . وفى بعض النصوص ورد ذكر =

إذا ما فُرِّجَتْ خللُ السُّتُورِ      ولاح وقد تمكَّن في السِّريرِ  
تَرى الأُمَلَاكَ ماثِلَةً لَدَيْهِ      بأَعْنَاقٍ إلى الغُـبَرَاءِ صُورِ  
كَأَنَّهُمْ لَهَيْبَتِهِ قَدْ أَوْفُوا      من الموت الزعاف على شفيرِ  
وله :

أَبْطَأَتَ بِالْإِذْنِ عَلَى عَبْدِكَ      فَعَاذَ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ نَجْدِكَ  
[١١٦-١] / قَدْ جُدْتَ لِي بِالْوَعْدِ يَا سَيِّدِي      وَلَمْ تَزَلْ تَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ خِدْمَتِي شَافِعٌ      فَاتَّخَلَّفَ مَا يَصُاحُ مِنْ عِنْدِكَ  
وله :

مَعْظَمُ تَحْسِيرُ الْأَلْحَاطِ مِنْ رَهَبٍ      عَنْهُ ، وَتَلَحُّظُهُ الْأَمَالِ مِنْ رَغَبِ  
إِذَا بَدَأَ تَضَحَّكَ الدُّنْيَا لَطْلَعَتِهِ      وَتَتَقَى الْجَنُّ مِنْهُ سَوْرَةَ الْغَضَبِ  
لَمَّا ارْتَقَى فِي سَمَاءِ الْجُودِ قَادَ بِهِ      إِلَى التَّبَذُّلِ فِينَا جَوْهَرَ الْأَدَبِ  
وله :

كَانَ الْعِزَاءُ وَلِيَّ الْعَهْدِ بَعْدَ أَمِيرٍ      نِ اللَّهِ ، وَالْمُلْكُ وَقَفَ بَيْنَ هَذَيْنِ  
فَصَرْتُ لَمَّا نَأَتْ عَنِّي وَجُوهُهُمَا      كَالصَّقَرِ أَصْبَحَ مَقْصُوصَ الْجَنَاحَيْنِ  
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ نَفْسِي فِدَاؤُهَا      وَمُلَيَّا الْعُمَرِ فِي الدُّنْيَا عَزِيزَيْنِ  
تَأْمِيلُ هَذَيْنِ نَقْدٌ نَاجِزٌ ، وَأَرَى      تَأْمِيلَ غَيْرِهَا كَالذَّيْنِ بِالذَّيْنِ  
أَعُدُّ مَا حَزَنُهُ مِنْ حُسْنِ رَأْيِهِمَا      مُلْكًا ، أَضَاهَى بِهِ مُلْكَ الْعِرَاقَيْنِ

= الشرطة السفلى واختصاصها - فيما يبدو - الأسواق والأحياء الدنيا من البلد . وقد حاولت أن أعرف ما إذا كان صاحب الشرطة العليا مثلاً هو المشرف على الأمن العام في مصطلحنا الحديث - ومن ثم فهو رئيس الشرطة الوسطى والشرطة السفلى - فلم أستطع تبين ذلك بوضوح ، خاصة وأنني لاحظت أن صاحب الشرطة الوسطى كان في نفس المكانة التي كان فيها صاحب الشرطة العليا ، وكان يعينهما الأمير أو الخليفة بنفسه .



وحكى ابن حَيَّان أن موسى بن محمد بن موسى بن حُدَيْر<sup>(١)</sup> — عمَّ الحاجب موسى هذا — وهو المعروف بالزاهد ، كان ممن يُكثّر مجالسة الأمير عبد الله ويصل مؤانسته . وكان حدثاً ظريف المشاهدة ، مليح العبارة ، إخبارياً ، ممتعاً ، حُفَظَةً لأخبار دولة مواليه بنى أمية ، مفتناً ، مفوهاً ، بليغاً ، يقرض أبياتاً من الشعر حسنة ، بديهةً ورويةً . قال : فشهد مجلس مذاكرة الأمير عبد الله يوماً وهو حافل بأهل الأدب والمعرفة ، وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب المذاكرة ، حتى مر ذكرُ الشيب وذمُّه — وكان الأميرُ عبد الله شديدَ التكره له — فقال لجلسائه : « أى شيء تروونه فى ذم الشيب أبلغ ؟ » ، فلم يحضر أحدهم شيء ، إلا موسى بن محمد هذا فقال أحسن ما قيل فيه عندي ، قول الأول :

أقول لضيفِ الشيبِ إذ حلَّ مفرقٍ : نصيبك منى جفوةً وقطوبُ  
حرام علينا أن تمالكَ عندنا كرامةً برٍّ أو يمسَّك طيبُ

/ فاستحسنهما الأمير وقال له : « اكتبهما يا موسى وزد فيهما ، إن كانت [١١٦-ب] فيهما عندك زيادة » ، فقال : « لا والله يا سيدي ما عندي فيهما مزيد » . وتبطأ الوصيف بإحضار الدرج والدواة لموسى بن محمد<sup>(٢)</sup> ، وموسى مطرق أن يتأنى<sup>(٣)</sup> له القول فى الزيادة التى استمطرها<sup>(٤)</sup> منه الأمير ، فقال : « قد جاءنى يا سيدي — بسعدك — بعضُ الذى أردته » ، واندفع فوصل البيتين بقوله :

(١) من هنا ينقل ابن الأبار عن المقتبس ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الأصل : موسى بن موسى .

(٣) المقتبس (ص ٣٥) : إلى أن تأنى .

(٤) الأصل : أمتطرها ، والتصويب من المقتبس (ص ٣٥) وابن الأبار ينقل عن ابن حيان هنا حرفاً بحرف .

فياشترٌ ضيفٌ حلٌّ بى ، وحلوله يُخَبِّرُنِي أَن الماتَ قَرِيبُ  
وَأَنَّ جَدِيدِي كُلُّ يَوْمٍ إِلَى بَلَى وَأَنْتَى مِنْ ثوبِ الشَّبَابِ سَلِيبُ  
فَمَا طِيبُ عَيْشِ الرِّءْءِ إِلَّا شَبَابُهُ وَلَيْسَ إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ يَطِيبُ  
سَأَقْرِيكَ يَا ضَيْفَ الْمَشِيبِ قَرَى الْقَلَى فَمَا لَكَ عِنْدِي فِي سِوَاهِ نَصِيبُ  
وَأَبْكِي عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ شَبِيبَتِي بَكَاءَ حُبٍّ قَدْ جَفَاهُ حَمِيبُ  
مَضَى مُسْلَمًا لَهْفَى عَلَيْهِ! - مَدَى الْمَدَى فَلَيْسَ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ<sup>(١)</sup> يَوْوُبُ  
فَسَرَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ بِمَا أَتَى بِهِ ، وَأَنْتَى عَلَى قَرِيحَتِهِ .

وَأَنشَدَ لَهُ أَبُو عَامِرٍ السَّالِمِيُّ<sup>(٢)</sup> فِي كِتَابِ « حَلِيَةِ اللِّسَانِ وَبَغِيَةِ الْإِنْسَانِ »  
فِي التَّشْبِيهَاتِ مِنْ تَأْلِيفِهِ :

لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ يَفْقِرُ لِحَظُهُ مِنْ شِعَافِ الْقَلْبِ بِاللَّحْظِ الْأَكَلِ  
طَرَفُهُ سَاجِرٌ ، وَفِيهِ مَرَضٌ كَمْ صَحِيحٍ قَدْ رَمَاهُ فَقَتَلِ

(١) الْأَصْلُ : التَّنَاءُ ، وَقَدْ قَرَأَهَا دَوْزَى : التَّنَاءُ . وَصَوَّبَهَا عَنْ أَصْلِهَا عِنْدَ ابْنِ حَيَّانَ  
(الْمُقْتَبَسُ ، ٣٥) .

(٢) أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَامِرِ الْبُلُوِّ السَّالِمِيُّ الطَّرطُوشِيُّ ، مِنْ أَهْلِ طَرطُوشَةِ  
وَسَكَنَ مَرْسِيَةَ ، وَسَمَّى السَّالِمِيَّ لِأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ مَدِينَةِ سَالَمٍ ، مُؤَرِّخٌ أَدِيبٌ عَمَرَ طَوِيلًا فِي مَرْسِيَةِ  
وَتَوَفَّى فِيهَا سَنَةَ ١١٦٣/٥٥٩ . تَرَجَّمَ لَهُ ابْنُ الْأَبَارِ فِي التَّكْمَلَةِ ، رَقْمٌ ٧٢٥ ، وَالضَّبِّيُّ فِي الْبَغِيَةِ ،  
رَقْمٌ ٣١ . تَنَسَّبَ إِلَيْهِ كَتَبٌ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْحَدِيثِ كَمَا يَقُولُ الضَّبِّيُّ ،  
فَقُلَّ عَنْهُ ابْنُ عِذَارَى كَلَامُهُ فِي غَزْوِ التُّورْمَانِيِّينَ لِلأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٨٤٣/٢٢٩ ، وَقَدْ نَقَلَ دَوْزَى  
هَذِهِ الْقِطْعَةَ فِي « أَجْمَاثِهِ » ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ، ص ٢٥٥ ، وَنَقَلَ الْمُقَرِّى فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (طَبْعَةٌ  
أُورُوبَا) ٨٢/١ قِطْعَةً مِنْ كَلَامِهِ عَنْ فَضَائِلِ الْأَنْدَلُسِ . وَيَنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ ، غَيْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ  
ابْنُ الْأَبَارِ : « دُرَرُ الْقَلَائِدِ وَغَرَرُ الْفَوَائِدِ » وَهُوَ أَكْبَرُ كُتُبِهِ وَأَكْثَرُهَا ذِكْرًا فِي الْمَرَاجِعِ ،  
وَكِتَابُ « السَّلَكِ الْمُنَظَّمِ وَالْمَسْلُوكِ الْخَتْمِ » .

انظر : تَعْلِيقَاتُ جَايَانَجُوسَ عَلَى تَرْجُمَتِهِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ لجزءٍ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ ، ج ١ ص ٣١٣ ،  
وَفَهْرَسُ مَخْطُوطَاتِ الْإِسْكَنْدَرِيَّاتِ لِلْغَزِيرِيِّ ٤٠/٢ . وَذَكَرَهُ حَاجِي خَلِيفَةُ تَحْتَ رَقْمَيْ ٧٦١٤ و ٩٩٧٥  
مِنْ طَبْعَةِ أُوْرُوبَا وَپُونِسَ بُوِيْجِيْسَ ، رَقْمٌ ١٨٧ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

مَنْ مُجْبِرِي مَنْ رَشًا أَلْخَاضَهُ إِنَّمَا تُذَكِّرُنِي وَقَعَ الْأَسْلُ  
وَقَرَأْتُ فِي تَارِيخِ الْحَمِيدِيِّ أَنَّ صُهَيْبَ بْنَ مَنِيعٍ - وَكَانَ قَاضِيًا بِإِشْبِيلِيَّةٍ -  
كَانَ نَقَشَ خَاتَمَهُ :

يَا عَلِيًّا كُلَّ عَيْبٍ كُنْ رَفِيقًا بِصُهَيْبٍ

وَأَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ النَّبِيذَ - لَعَلَّهُ كَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْعِرَاقِ -  
فَشَرِبَ <sup>(١)</sup> مَرَّةً عِنْدَ / الْحَاجِبِ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ - وَكَانَ مِنْ عِظَمَاءِ الدَّوْلَةِ [١١٧-١]  
الْأُمَوِيَّةِ - فَلَمَّا غَفَلَ أَمْرَ بَاخْتِلَاسِ خَاتَمِهِ ، وَأَحْضَرَ نَقَاشًا فَنَقَشَ تَحْتَ الْبَيْتِ  
الْمَذْكُورِ :

وَاسْتَرَ الْعَيْبَ عَلَيْهِ إِنْ فِيهِ كُلُّ عَيْبٍ

وَرَدَ الْخَاتَمُ إِلَيْهِ . وَخَتَمَ الْقَاضِي بِهِ زَمَانًا حَتَّى فَطِنَ لَهُ .

## ٩١ - أحمد بن عبد الملك بن شهيد

الوزير ، أبو عمر

هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن  
الْوَضَّاحِ الْأَشْجَعِيِّ .

(١) الْأَصْلُ : فَشَرَدَ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ بَغْيَةِ الْمُلْتَمَسِ لِلضَّبِيِّ ، وَقَدْ أُوْرِدَ الْحِكَايَةُ  
بِنَصِّهَا فِي كَلَامِهِ عَنْ صُهَيْبِ بْنِ مَنِيعٍ (رَقْمُ ٨٥٦ ص ٣١٢) .

وَتَرْجُمَةُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْفَرَضِيِّ لَصُهَيْبِ بْنِ مَنِيعٍ أَوْفَى بِمَا هِيَ عِنْدَ الضَّبِيِّ ، فَقَدْ ذَكَرَنِي رَقْمُ ٦٠٢  
ج ١/ ١٦٨ أَنَّهُ يَكْنَى أَبُو الْقَاسِمِ وَأَنَّهُ مِنْ تَلَامِيذِ بَقِي بْنِ مَخْلَدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ قَاسِمِ  
ابْنِ هَلَالٍ وَمُطَرَفِ بْنِ قَيْسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرَةَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ وَلَاهُ قَضَاءَ إِشْبِيلِيَّةٍ  
وَأَنَّهُ تَوَفَّى فِي ١٢ رَجَبِ ٣١٨ .

وقال الرازي إن جدهم مولى معاوية بن مروان بن الحكم . وكان الوضاح مع الضحاك بن قيس يومَ مَرْجِ رَاهِط . وشَهِيد بن عيسى هو الداخل إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرف بنوه للخلفاء في الخلط السنية ، من الإمارة والحجابه والوزارة والكتابة ، إلى انقراض الدولة الأموية بالأندلس .

وتصرف أحمدُ هذا للناصر عبد الرحمن بن محمد في ولاية الكُور والوزارة وقود الصوائف ، وغزا البشكنس . وهو أول من سُمي بـ « ذى الوزارتين » . وكان من أهل الأدب البارِع . حكى الحميدى عن أبي محمد بن حزم بسندٍ ذكره أن أحمد بن عبد الملك هذا زار عبد الملك بن جهّور الوزير — وكانا جميعاً يخدمان الناصر عبد الرحمن — فوافقه محبوباً ولم يمكنه الاجتماع به ، فكتب إليه :

أتيناك ، لا عن حاجةٍ عرضتُ لنا إليك ، ولا قلبٍ إليك مشوقٍ  
ولكننا زرنا — بضعف عقولنا — حاراً تولى برّنا بمقوقٍ  
فأجابه ابن جهّور بقوله :

حجبناك لما زرتنا غيرَ تائقٍ بقلبٍ عدوٍّ في ثيابٍ صديقٍ  
وما كان بيطار<sup>(١)</sup> الشام بموضعٍ يباشر فيه برّنا بخائيقٍ  
وذكرتُ بقول ابن شهيد قولَ عبد الملك بن سعيد المرادى الخازن :

ما حمدناك إذ وقفنا ببابكٍ للذى كان من طويل حجابكٍ  
/ بل دَمَمنا الزمانَ فيك وقلنا : أبعد الله كلَّ دهرٍ أتى بك !

[١١٧-ب]

(١) عبد الملك بن محمد بن جهور يميز أحمد بن شهيد في هذا البيت بما يقال من أن جده وضاحاً كان يعمل بيطاراً في الشام قبل أن يخدم معاوية بن مروان بن الحكم ويدخل في ولاته .

ولأبي عمر بن شهيد :

جريتُ مع العشاق في حَلْمَةِ الْوَجْدِ      ففاتهم وُضِلَى وما عرفوا جهدى  
وما نهج العشاقُ في الحب منهجاً      ولا سلكوا إلا السبيل التي أهدي  
وما أضمر العشاقُ في الوجد غايةً      من الشوق إلا وهى من بعض ما أبدى  
وما ضعفوا عن حملِ ثقلٍ [ ..... ]      [ ..... ]<sup>(١)</sup> اضطلمتُ به وحدى  
أنا فاتحُ المنهاجِ في سُبُلِ الهوى      كما عابدُ الرحمن<sup>(٢)</sup> فاتحةُ الجدى  
وخاتمةُ العشاقِ شرقاً ومغرباً      كما عابدُ الرحمن خاتمةُ الرشدِ

٩٢ - ابنه عبد الملك بن أحمد

الوزير ، أبو مروان<sup>(٣)</sup>

كان على طُنَيْطَلَة لهشام بن الحَكَم المؤيد ، ومنها خاطبه مهنتاً بمقتل  
غالب القائد صاحب مدينة سالم في خلافة . ومن شعره :

( ١ ) بياض بالأصل لم أستطع سده من المراجع التي تحت يدي ، لأن أخبار أحمد بن شهيد  
هذا قليلة ، ويخلط بعضهم بين أحمد هذا وحفيده أحمد بن شهيد الشاعر المشهور أيام الطوائف  
ومعاصر ابن حزم .

وليس من العسير سد هذا الفراغ بشئ مثل :

وما ضعفوا عن حمل ثقل [ عرفته ]      [ وناهوا به إلا ] اضطلمت به وحدى

( ٢ ) المراد عبد الرحمن الناصر .

( ٣ ) عبد الملك بن أحمد بن شهيد نقطة تحول كبير في تاريخ بني شهيد ، فبعد الحلالة  
التي كانت لا باءه منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر ، نجح عبد الملك بن شهيد  
وزيراً من وزراء المنصور ونديماً من ندمائه ، بل كان أقرب هؤلاء إليه وأكثرهم اجتهاداً في  
مراضاته حتى لقد حاول أن يرقص في مجلسه رغم سنه العالية ، فتحامل على أصحابه ليسر المنصور  
( راجع نفح الطيب للمقري ، طبعة أوروبا ، ١/٢٦٠ - ٢٦١ و ١٧٧/٢ ) . وقد ترجم  
لعبد الملك بن شهيد من الناحية العلمية والأدبية أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في الصلوة

طلع البدرُ علينا      فحسبناه « لَيْمِيَا »  
والتقينا      فرأينا      هُ بَعِيداً وقريباً<sup>(١)</sup>

وله :

قَصَّرَتْ عن شأوى فَعَادِيَتَنِي      أَقْصِرْ فليس الجهلُ من شأني  
إن كان [ قد ] أغناكَ ماتحتوى      بُخْلًا ، فإن الجودَ أغفاني

### ٩٣ - عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الوزير ، أبو وهب<sup>(٢)</sup>

هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف بن عبد السلام بن  
إبراهيم بن يزيد بن عبد الله بن جابر بن عمر بن أيوب ، مولى مروان بن الحَكَم .

= (رقم ٧٥٦ ص ٣٤٩) فذكر كيف أخذ عن قاسم بن أصبغ وأبي الخزم وهب بن مسرة الحجاري ،  
بل شمع منه ناس أجلاء مثل أبي عبد الله بن عابد الذي ذكره في فهرسة شيوخه بكلام كثير وقال  
إنه كان « أوحّد الناس بالتقدم في علم الخبر والتاريخ واللغة والأشعار وسائر ما يحاضر به  
الملوك مع سعة روايته للحديث والآثار ، وهو مؤلف كتاب « التاريخ الكبير في الأخبار على  
السنين » بدأ فيه من عام الجماعة سنة ٤٠ وانتهى إلى أخبار زمانه المنقطعة بوفاته رحمه الله ، وهو  
أزيد من ١٠٠ سفر . كانت صحبتي له نحو عشرة أعوام أوفوقها ، إذ كان مجاوراً لنا بمنية المغيرة  
لما استقرب المنصور رحمه الله لقاءه بإسكانه في منية النعمان بالناحية المذكورة » ، ثم ذكر  
- رواية عن ابن الفرضي - أنه توفي ليلة الأحد ٤ ذى القعدة ٢٣/٣٩٣ سبتمبر ١٠٠٤ .  
وكانت منيته من ذمجة أصابته . وكان في السبعين من عمره لما توفي .  
(١) الأصل : قريباً وبعيداً .

(٢) في هذا الفصل يورد ابن الأبار موجزاً طيباً جداً لتاريخ ذلك البيت الأندلسي الكبير  
الذي عرف أفرادُه بني عبد الرموف ، وكانوا من الظاهرين بين الشاميين من موالى الأمويين .  
وزيادة في التوضيح جعلت لكل رجل من رجال البيت فقرة خاصة . وقد نسب البيت  
إلى عبد الرموف ، ولو أنه لم يكن الجد الأعلى ، ولكنه أول من وصل إلى الوزارة من أفرادِه .

وكان عبد الله بن جابر قاضياً لعمر بن عبد العزيز بالشام ، ودخل الأندلس من عقبه عبد السلام بن إبراهيم وأخواه أبو المفوز وعُقبه فتنازلوا بها ، وخدموا الخلفاء وتصرفوا في الولايات .

وحكى أبو بكر الرازي أن عبد السلام ولد اثني عشر ولداً . قال : وكان أميناً<sup>(١)</sup> للأمير عبد الرحمن بن معاوية بكورة البيرة ، ويكنى أبا الدُّهات .

وولى ابنه عبد الرؤوف / طليطلة وما والاها للأمير عبد الرحمن بن الحَكَم [١١٨-١] سبعة أعوام ، وتصرف في كثير من الكُور ، ثم استوزره في أخريات أيامه . واستوزره أيضاً الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وتوفي وهو وزير .

وولى عبد الوهاب بن عبد الرؤوف الكور المجندة وغيرها ، أيام الأمراء محمد وابنيه المنذر وعبد الله ، وتوفي بإشبيلية وهو عامل عليها .

وولى محمد بن عبد الوهاب كورة جَيَّان ومات بها .

وتصرف عبد الوهاب بن محمد هذا لأمير المؤمنين الناصر عبد الرحمن بن محمد في الولايات والأمانات ، ثم استوزره . ودكره أبو بكر الزبيدي في كتاب «طبقات النحويين» من تأليفه ، وقال : كان بصيراً بالعربية ، طالع كتاب سيبويه ونظر فيه . وكان ذا كبر عظيم وبأو مفرط ، ويظهر مع ذلك زهداً .

(١) الأمين هو المتولى شؤون المال في الكورة ، فهو الذي يقوم بجباية الضرائب المختلفة واستئصال نفقات الموظفين والأعمال العامة ورواتب الجند ، وإرسال الباقي ( وكان يسمى «الفائض» أو «المستفاض» ) إلى الإدارة العامة بقرطبة ، وكانت هذه الإدارة مجموعة من «المباني ملحقة بالقصر يدخل إليها من باب يسمى بباب السدة» ، ولهذا عرفت كلها باسم باب السدة ، وكان يتبع الأمين عدد كبير من الحباة والحساب والمشرفين ( جمع مشرف ) وهم أشبه بالمفتشين الماليين . وقد يسمى الأمين خازناً أيضاً ، ولو أن هذه التسمية تختص في الغالب بالمتولى لشؤون المال في قرطبة ، فيقال الخازن والمراد به شيء شبيه بوزير المال . وقد جرت العادة بالأما يقتصر على خازن واحد ، بل نجدهم في الغالب ثلاثة يسمون الخزان أو الخزنة .

والأمين هنا غير الأمين بمعنى نقيب أهل حرفة من الحرف .

وَوَلَّى الْوَزَارَةَ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ يُوْرِدُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ مَسَائِلَ مِنْ عَوِيصِ  
النَّحْوِ ، حَتَّى بَرَّ مَوَابِهِ وَاسْتَعْفَوْهُ مِنْ ذَلِكَ . وَهُوَ الْقَائِلُ ، وَكَانَ سِنَاطًا :  
لَيْسَ بِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ لَحِيَّةٌ بِأَسْوَأَ ، إِذَا حَصَلَتْهُ ، لَيْسًا<sup>(١)</sup>  
وَصَاحِبُ اللَّحِيَّةِ مُسْتَقْبَحٌ يَشْبَهُ فِي طَلْعَتِهِ التَّيْسَ  
إِنْ هَبَّ الرِّيحُ تَلَاهَتْ بِهِ وَمَاسَتْ الرِّيحُ بِهِ مَيْسًا  
وَلَهُ :

قَتَلْتُ عَيْنَاكَ عَبْدُكَ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ وَعَدُكَ  
حُلْتُ عَنْ عَهْدٍ مَحَبٍّ لَمْ يَزَلْ يَحْفَظُ عَهْدُكَ  
مَا لِأَفْعَالِكَ [ ... ] لَا تَشْبَهُ نَدُكَ<sup>(٢)</sup>  
وَلَهُ :

إِذَا مَا بَدَأَ يُعْشَى الْعَيُونُ بَسْنَةً مَنَافِيَةٌ تُفْنِي عَنْ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ  
وَوَجْهَهُ إِذَا مَا الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ أَبْصُرَتْ حَيَاهُ ظَفْتُهُ مِنَ الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ  
وَلَهُ :

أَجْوَدِي فِي مَجْدِهِ أَوْحَدِي لَيْسَ يُحْكِي سَنَاؤُهُ وَسَنَاهُ  
مَنْ رَأَاهُ فَقَدْ رَأَى الْفَيْثَ وَاللَّيْثَ جَمِيعًا فِي بَأْسِهِ وَنَدَاهُ  
يَسْتَمِيلُ الْعَيُونَ مِنْهُ رَوَاهُ تَرْتَوِي مِنْ حَيَاتِهِ وَحَيَاهُ<sup>(٣)</sup>

(١) أورد نفس الأبيات أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في « طبقات النحويين  
واللغويين » ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٢١ . وقد وردت  
كلمة ليسا في الأصل لبسًا ، وهكذا قرأها دوزي ، فصوبتها على أصلها عند الزبيدي .  
(٢) البياضان بين المعقوفات وإردان بالأصل . وقد وردت « نذك » دون فقط .  
(٣) الأصل :

يستميل منه العيون رؤى وترتوي من حياته وحياه  
وهو غير واضح ووزنه غير مستقيم . وقد صوبه دوزي ( ص ١٣٠ ) كما أثبتناه .



إِنْ بَدَا خِلْتَ أَنَّهُ قَرُّ الْأَرَضِ وَصِنَوَاهُ حَوْلَهُ كَوَكْبَاهُ  
[وله : <sup>(١)</sup>]

/ لِيَهْنِي النَّاسُ فِي مُلْكِهِ أَنْ ابْنَهُ التَّاسِعُ مِنْ بَعْدِهِ <sup>(٢)</sup> [١١٨-ب]  
يَقُومُ فِي الْمُلْكِ مَقَامَاتِهِ وَيَحْتَذِي فِيهَا عَلَى قَصْدِهِ  
أَوْتَى حَكْمًا فَاتَ فِيهِ الْوَرَى فَكَادَ أَنْ يَنْطِقَ فِي مَهْدِهِ  
حُمْلَ أَعْبَاءِ الْعُمَلَى فَانْتَفَى عَفْوًا وَلَمْ يَبْلُغْ إِلَى جِهْدِهِ  
وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرِ الْوَزِيرِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَمَالَ إِلَيْهِ  
بِمَجْدِيئِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْخَرْوِي <sup>(٣)</sup> فَأَقْعَدَهُ فَوْقَهُ ؛ فَخَرَجَ أَبُو وَهَبٍ مَغْضَبًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ :  
بَلَوْتُكَ أَسْنَى الْعَالَمِينَ وَأَفْضَلَ وَأَهْذَبَ فِي التَّحْصِيلِ رَأْيًا وَأَكْمَلَ  
فَقُلْ لِي : مَا الْأَمْرُ الَّذِي صَارَ تُحْمَلِي لَدَيْكَ فَأُضْحِي مُسَقِّطًا لِي مُحْمَلًا ؟

(١) أضفتها لسياق الكلام .

(٢) هذه الأبيات - كما هو واضح - تهنئة لعبد الرحمن الناصر بآبائه الحكم ولي عهده ،  
والحكم بالفعل هو تاسع أمراء وخلفاء البيت الأموي الأندلسي .

(٣) محمد بن عبد الله الخروبي من كبار رجال « التدبير » أي الإدارة المدنية أيام عبد الرحمن  
الناصر ، فقد ولاه في أول سنة لإمارته ( سنة ٣٠٠ هـ ) خزانة السلاح مع العقل ، مشتركاً  
في خزانة السلاح مع حسين بن أحمد الكاتب ( ابن عذارى : ١٥٩/٢ ) ، وفي السنة التالية ولاه  
خطة العرض مع آخرين ( ابن عذارى : ١٦٤/٢ ) ، وفي سنة ٣١٠ رقاها إلى ولاية المدينة أياماً  
يسيرة ( نفس المرجع : ١٨٣/٢ ) ، وفي سنة ٣١٣ ولاه خزانة السلاح منفرداً بها ( نفس المرجع :  
١٩١/٢ ) ، ثم تولى خطة صاحب المدينة سنة ٣١٤ ، وفي هذه الوظيفة مات في أول صفر منها .  
وكان لمحمد الخروبي أخ يسمى أحمد بن عبد الله الخروبي تولى خطة العرض سنة ٣١٠ أيام  
الناصر ( ابن عذارى : ١٨٣/٢ ) . وكان له ابن يسمى عبد الله بن محمد بن عبد الله الخروبي  
تولى في حياة أبيه بعض الوظائف الصغيرة .

و « العقل » المذكور في هذا التعليق خطة ، أي وظيفة مالية ، وتسمى « الاعتقال » أيضاً ،  
اختصاصها الحياطة على أموال المتوفين أو الغائبين أو من تطالبهم الدولة بأموال حتى يتم الفصل  
في أمرها . والإشارات قليلة في النصوص عن هذه الخطة .

تَقَدَّمَ مِنْ أَصْحَى تَقَدَّمَ لَوْمُهُ      لَقَدْ ضَلَّ هَذَا مِنْ فَعَالِكَ مَشْكَلًا  
 وَمَا كُنْتُ أَرْضَى - يَعْلَمُ اللَّهُ - أَنْتَى      أَسَاوِيهِ فِي الْفَرْدُوسِ دَارًا وَمَنْزَلًا  
 فَإِنْ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بَنِي عَنْ مَحَلَّتِي      صَبَرْتُ ، وَمَا زَالَ التَّصْبِرُ أَجْمَلًا  
 وَرَحْتُ عَلَى الدَّهْرِ الْمَلِيمِ أَلَوْمُهُ      فَقَدْ هَيْضَ أَعْلَاهُ وَغُودِرَ أَسْفَلًا  
 وَكُنْتُ جَدِيرًا فِي كَمَالِكَ أَنْ تَرَى      لَمْثَلَى نَصِيبًا مِنْ وَدَادِكَ أَجْزَلًا  
 فَأَجَابَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِأَيَّاتِ مِنْهَا :

غَدَرْتُكَ<sup>(١)</sup> ، إِلَّا أَنْ فَرَطَ مَحَبَّتِي      وَإِخْلَاصَ وَدَى سَهْلًا لِي التَّذَلُّلَا<sup>(٢)</sup>  
 ظَلَمْتُكَ فِيمَا كَانَ مِنْ مَجْمَلًا      عَلَى غَيْرِ تَحْصِيلٍ وَعَاتَبْتَ مَجْمِلًا  
 تَقَرَّبْتَ مِنْ قَلْبِي ، وَإِنْ كُنْتُ آخِرًا      وَأُخِّرَ عَنْ قَلْبِي ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلًا  
 وَمَا أَجْهَلُ الْقَدَرِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ      وَلَا شَرْفًا أَضْحَى عَلَيْكَ مَظَلًّا  
 فَإِنْ عَنْ<sup>(٣)</sup> تَقْصِيرٍ بَغِيرِ تَعْمُدٍ      فَغَطَّ عَلَيْهِ مِنْعًا مَتَطَوَّلًا

[١١٩-١] ٩٤ - أخوه / غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام

وَلَى خُطَّةِ الْعَرَضِ ، وَكُتِبَ لِلْحَكَمِ وَهُوَ وَلَى عَهْدٍ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ النَّاصِرِ ؛  
 ذَكَرَ ذَلِكَ الرَّازِيُّ . وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ « الْحَدَائِقِ » :

(١) يريد : ظلمتك .

(٢) يريد : جعلا لي دالة عليك .

وورد هذا اللفظ عند الزبيدي (ص ٣٢١) : التذلا ، ورواية ابن الأبار أصح . وهناك خلاقات أخرى بين النصين لا تغير المعنى ، فلم نر الإشارة إليها ، فيما عدا لفظ « ضل » في الشطر الثاني من البيت الثالث ، فقد ورد عند الزبيدي : ظل ، وهو أحسن .

(٣) الأصل : عز ، والتصويب من الزبيدي (ص ٣٢٢) وقد أسقط ابن الأبار هنا أبياتاً وردت عند الزبيدي .

جُفُونُ هَمَّتْ مَذْغَابُ عَنْهَا حَبِيبُهَا      وَنَفْسٌ بِهَا لِلشَّوْقِ نَارٌ تُذْيِبُهَا  
تَيَقَّنْتُ إِذْ وَدَّعْتُهَا أَنْ مَهْجَتِي      سَمِيقُضَى عَلَيْهَا شَوْقُهَا وَنَحِيبُهَا<sup>(١)</sup>  
شَقَقْتُ جَيُوبِي يَوْمَ بَانَتْ ، وَطَالَمَا      أَطَالَ عَذَابِي مَا طَوْتُهُ<sup>(٢)</sup> جَيُوبُهَا  
وَالْحُبُّ حَالَاتٌ تَمُرُّ خَطُوبُهَا      إِذَا قُرْنَتْ بِالْبَيْنِ تَحْلُو<sup>(٣)</sup> خَطُوبُهَا  
مَعْدَّبَتِي ، لَا تَأْسَفِي ، فَلَعَلَّهَا      تَعُودُ لِيَالِينَا الْقَصَارُ وَطَيْبُهَا  
أَلَا لَيْتَ نَفْسِي تَسْتَطِيعُ فِدَاءَهَا      وَيَا لَيْتَهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ نَصِيبُهَا  
يَعْيِيُونَهَا عَمْدًا لِأَسْلَوْ ذِكْرَهَا      وَمَا عَابَ إِلَّا نَفْسَهُ مِنْ يَعْيِيهَا

## ٩٥ - جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة

الوزير ، أبو الحزم

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، في تأليفه في الأنساب المسمى بـ « الاستيعاب » : الوزير جهور بن عبيد الله هو جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر<sup>(٤)</sup> .

(١) الأصل ودوزى (١٣٢) : نجيبها .

(٢) قرأها دوزى (١٣٢) : ضوته .

(٣) قرأها دوزى (١٣٢) : يجلو .

(٤) هنا أيضاً يوجز ابن الأبار تاريخ بيت ثمان من بيوت الموالى الشاميين ، وهو بيت

أبي عبدة الذى تفرع عنه فيما بعد بيت بنى جهور .

وقد كتب اسم حسان بن مالك ، حسان بن ملك ، والأول أصح بحسب ما نعلم ، وقد صوبت كتابة الاسم كما كتبه ابن الأبار نقلاً عن أحمد بن محمد الرازي ، وإلى أن نعث على كتاب الرازي لا نستطيع القطع بالصورة الصحيحة للاسم .

وبيت بنى عبدة هو بيت حسان بن مالك . =

وكان عبد الله مملوكاً لمروان الحَكَم ، أبلى يومَ وقعة مَرَج رَاهِطَ بلاءٍ حسناً فأعتقه .

والداخل من أجداد هذا الوزير حسان بن مالك ، وهو أبو عبدة . وكان دخوله سنة ثلاث عشرة ومائة ، قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بخمس وعشرين سنة . وولد حسان بالمشرق أولاداً قُتِلُوا ، إلا عبد الغافر لصغره ، فنشأ مع عبد الرحمن بن معاوية ، وتأدب معه بالمشرق . ولما قدم بدرٌ مولى عبد الرحمن بخبره إلى مواليه الشاميين ، استراح به إلى أبي عبدة<sup>(١)</sup> ، فوجَّه ابنه عبد الغافر إليه<sup>(٢)</sup> .

فلما توطد عبد الرحمن ، استوزر أبا عبدة واستقوده ، ثم استعمله على [١١٩-ب] إشبيلية قائداً بها ، ومضيقاً على أهل باجة وغيرها ، فملك الغرب أجمع/ خمسة أعوام ، إلى أن توفي بإشبيلية ؛ وقبره بها<sup>(٣)</sup> .

= وبعد جهور بن عبيد الله يصبح الاسم الغالب على البيت بيت بني جهور ، وفي هذا خلاف لما يذكره كثير من المؤرخين من أن بني جهور هم أبناء يوسف بن بخت من موالى عبد الرحمن الداخل ، وابن الأبار نفسه قال ذلك في مواضع أخرى من كتابه ، وهذا الموضوع في حاجة إلى تحقيق لا تتسع له هذه التعليقات .

(١) أى أن بدرأ عندما عبر إلى الأندلس من المغرب حاملاً إلى الموالى الشاميين خبر وجود عبد الرحمن بن معاوية عند قبيلة نفزة على مقربة من طنجة ، وأنه يرغب في العبور إلى الأندلس ويرجو عونهم ، أفضى بدر بالخبر أولاً إلى حسان بن مالك المعروف بأبي عبدة .

(٢) أى أت أبا عبدة حسان بن مالك أرسل ابنه عبد الغافر إلى عبد الرحمن في ملجئه عند قبيلة نفزة ليطلع على أحوال الأندلس ويؤكد له استعداد الموالى لتأييده .

(٣) كانت إشبيلية وما يليها من غرب الأندلس ، وأكبر مدنه إذ ذاك باجة وماردة وقورية ، من مراكز الثورة الكبرى على عبد الرحمن الداخل ، وقد اجتهد هذا في القضاء عليها وتمهيد أمور الغرب طوال إمارته كلها . وقد تزعم الثورة في إشبيلية عبد الغافر اليماني رأس العرب اليمنية ، وفي باجة العلاء بن مغيث الجذامى ، وكان قد لجأ إلى الدعوة العباسية ونادى بها ، وقد تمكن ، عبد الرحمن من القضاء على عبد الغافر وإرغامه على الهرب إلى المشرق حوالى سنة ١٤٥ ، وقتل العلاء بن مغيث بعد معركة عنيفة سنة ١٤٦ ، وولى عليها عبد الرحمن زعيماً يمينياً هو أبو الصباح ابن يحيى اليحصبي ، فثار عليه ، وتمكن عبد الرحمن من القضاء عليه أيضاً سنة ١٥٠ . وأما بلبة فقد ثار فيها يمين آخر هو سعيد اليحصبي المعروف بالمطرى ، واتسع مدى ثورته حتى استولى على إشبيلية ، وقد تمكن عبد الرحمن من القضاء عليه وقتله سنة ١٤٩ . =

وتصرف عبدُ الغافر في الوزارة للإمام عبد الرحمن ، وبرّى<sup>(١)</sup> إليه بخاتمته ، إلى أن مات .

قال : وأما عبيد الله بن محمد بن الغمّر ، فإنه تصرّف في السكّور وحِجَابَة الأولاد والمدينة والخيّل والكتابة والقيادة ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

قال : وتصرّف جهّور بن عبيد الله في السكّور والأمانات والقيادة والمدينة والوزارة للناصر .

وقال غيره : كان عبيد الله والد أبي الحزم هذا — مع تحقّقه بالمعرفة والأدب والبلاغة — ذا بأس وشجاعة وغناء في الحروب ، وله فتوح جمة ومقاوم حميدة . واستأذن الأمير عبد الله بن محمد في آخر دولته لقضاء فريضة الحج فأذن له ، وحج ثم انصرف إلى قرطبة فانقبض عن السلطان ، وأُخِلد إلى الخمول ، وأقام على حاله تلك في داره إلى أن توفي سنة ست وتسعين ومائتين ، آخر أيام الأمير عبد الله .

وتصرف ابنه جهّور بعده — فيما ذكره الرازي — وكان شاعراً مكثرأ ؛ فمن شعره قوله من أبيات في تفضيل الورد ، وكأنه يرد بها على ابن الرومي<sup>(٢)</sup> :

= وهذا الخبر الذي يورده ابن الأبار عن تولية أبي عبدة حسان بن مالك قائداً في إشبيلية ، والغرب كله يفسر لنا سبباً من أسباب انتصار عبد الرحمن على هذه الثورات كلها .

( ١ ) الأصل : برّى ، وقرأها دوزي ( ص ١٣٣ ) : رمى .

( ٢ ) كان لقصيدة ابن الرومي في تفضيل الورد ومطلعها :

خجلت خلود الورد من تفضيله خجلاً ، توردها عليه شاهد  
صدى بعيد عند شعراء الأندلس ، وقد أورد أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري في « البديع » في وصف الربيع « ( ص ٧٠ وما يليها ) طائفة من ردود الأندلسيين عليه ومحاولاتهم مضاهاته ، مثل قصيدة أبي عثمان سعيد بن فرج الجبائي ومطلعها :

عنى إليك ، فإلى القياس الفاسد إلا الذي أدى العيانُ الشاهدُ

وقصيدة أبي بكر بن القوطية التي مطلعها :

كسفت خلود النرجس المصفر من حسدٍ ، وقد يدوى العدو الحاسد =

خضعت نواويرُ الرياض لحسنه  
وإذا تبدى الوردُ في أغصانه  
وإذا أتى وفد الربيع مبشراً  
ليس المبشرُ كالمبشرِ باسمه  
وإذا تعرّى الوردُ من أوراقه  
وله :

يا عاتياً لى بالصـدو  
أخليت من قلبى مكا  
وأنا أحبك لو وثقـ  
وله :

[١٢٠-١] / يا لائماً والـظلمُ مِنْهُ  
كم قد ضرعتُ وقد سمع  
فلئن رجعت كما علمـ  
ومتى لججت على الأذى  
وله :

أسأت - لعمري - إذ أسأت بى الظننا  
تجنيت فى عدلى كأتى مذنب  
فلا تتجنّ الذنب من غير علة  
وله :

= ولم يشر فى هذا الموضع إلى أبيات أبي الحزم جهور بن عبيد الله ، وهى من طائر الشعر  
فى الأندلس ، وقد رواها معظم مراجعنا .  
(١) جعلها دوزى (ص ١٣٤) : يزهو ، وقد أخذ ذلك عن « مطمح الأنفس » لابن  
خاقان (طبعة الجوائب ، الآستانة ١٣٠٢) ص ١٥ .

وإني اسرؤ محض المودة مخلص  
 وإن [ زَلَّ ] <sup>(١)</sup> يوماً في ودادي أفلته  
 وأنت شقيق النفس والأقرب الأدنى؟  
 أدين بما ترضى ، وأعنى بما تعنى  
 ولا ذنب لي - فيما علمت - ولم أكن  
 لأصغى إلى الواشين في قيلهم أذنا  
 وله :

انظر إلى محن الزما      ن تزدك في الدنيا اعتبارا  
 واسمع لنعي الزاهية      ن وكن كواحد هم حذارا  
 واعمل بجد الخائفة      ن ولا تم إلا غرارا  
 واعلم بأنك لاحق      من قد كرهت له جوارا  
 إن الليالي ما فتئ      ن تسكدر العيش الأمارا  
 وتفرق الشمل الجية      مع وتجلب الأسم الضاررا  
 فوادث فيها استلب      ن أحا دعون به فسارا  
 / رزى إلى جنب اغترا      ب أرثنا في القلب نارا  
 وجميعه سلفت وكا      ن محنة لي واختبارا  
 بأنح شقيق ما أطيد      ق على رزيته اصطبارا

[١٢٠-ب]

(١) سقطت من الأصل كلمة في هذا المعنى والوزن ، وقد اقترح زيادتها دوزي (ص ١٣٥)

هامش (١) . ولم يترك الناسخ بياضاً .

(٢) جعلها دوزي : « ذلك » ولا يستقيم بها الوزن ، ومن الغريب أنه يقننه إلى انكسار

الوزن في الشطر الأول ، ويضيف ما يقيمه ، ثم يسيء قراءة الشطر الثاني ويثبت ما يكسر وزنه .

ومنها :

اصبرُ فلستَ ترى على أحدٍ حماه الصبرُ عارا  
فالصبرُ أنفعُ دُخْرَةً لو كنتُ آتية اختياراً

أنشد أبو نصر الفتح بن عبيد الله الإشبيلي في كتاب « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في محاسن أهل المغرب والأندلس » من تأليفه أكثر هذه الأبيات والتي قبلها ، ونسبها لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور رئيس قرطبة المتأخر غلطاً منه ووهماً لا خفاء به ، وإما هي لجدّه جهور بن عبيد الله هذا المذكور هنا . ثم أعقب غلطه بغلط آخر أخش منه ، فأورد أبياتاً لابن فرج فيه يرثيه ، وأناى بعد ذلك برثاء ابن زيدون فأفرط<sup>(١)</sup> وغلط ، وألحق بالباطل الحق . أما ابن زيدون فرثاؤه لأبي الحزم الأخير صحيح غير معترض ، وأما ابن فرج فثوته من مولده مقتربان<sup>(٢)</sup> ، عمرك الله كيف يلتقيان ؟ وُلد جهور بن محمد<sup>(٣)</sup> سنة أربع وستين وثلاثمائة في الحرم ، وتوفي ابن فرج إثر وفاة الحكم المستنصر بالله في صفر سنة ست بعدها . وللفتح أيضاً غلط ينضاف إلى ما تقدم في نسبة بيتين لأبي الحزم هذا ، وأنشدهما الحميدى لجهور بن محمد التجيبي أبي محمد المعروف بابن القلو ، وهو الصحيح — لأنه ذكر أنه شاهده بالمرية وكتبهما من شعره — وهما :

قلتُ يوماً لدار قومٍ تفانوا : أين سكانكِ السكراُم عَليفا ؟  
فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ثم ساروا ، ولستُ أعلمُ أيننا

(١) الأصل : ا. . . ط .

(٢) أى أن تاريخ مولد ابن فرج قريب من تاريخ وفاة أبي الحزم بن جهور .

(٣) يريد أبا الحزم بن جهور .



ولم يلق الحميدى أبا الحزم فيما علمت ، وإن كان عاصره . ولعل الفتح من كتابه استفاد هذين البيتين . واشتبه الأسماء جرّ هذا الخل ، وعدم المبالاة بضبط الموالد والوفيات كثيراً / ما يوجد الزلل<sup>(١)</sup> . وسيأتى ذكر أبي الحزم [١٢١-١] الأندلسى الأخير فى المائة الخامسة مستوفى إن شاء الله عز وجل .

(١) هذا مثل طيب جداً من تدقيق ابن الأبار وقدرته على استدراك الأخطاء . فأبونصر الفتح بن عبيد الله الذى يذكره هو ابن خاقان ، وهو أقرب عهداً إلى ما يتحدث عنه ابن الأبار ، وكان حرياً ألا يقع فى الأخطاء التى أشار إليها هذا الأخير . وقد رجعت إلى نسخة « مطمح الأنفس » التى بين أيدينا (طبعة الجواثب ، سنة ١٣٠٢) فلم أجد من الأبيات التى ذكرها ابن الأبار إلا قصيدة الورد منسوبة إلى أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، وقد بدأها بيت لم يذكره ابن الأبار وهو :

الورد أحسن ما رأت عيني وأذكى ما سقى ماء السحاب الجائذ

وقد أعقب ابن خاقان مادته عن أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور بمادة عن « ذى الوزارتين أبي الفرج » ولم أستطع التعرف على أبي الفرج هذا الذى لا يكتب عنه ابن خاقان إلا بضع سمعات لا تقدم ولا تؤخر ، بل هو يسميه فى أثناءها أباعامر .

وواضح أن نسخة « المطمح » التى بين أيدينا إنما هى الصغرى ، وكان معتمد ابن الأبار على الكبرى أو الوسطى من نسخ المطمح التى كتبها ابن خاقان . وابن الأبار يشير هنا دون شك إلى أبي عمر أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الخدائق ، فهو الذى توفى سنة ٩٧٦/٣٦٦ .

وقد فرّق أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى فى بغية الملتمس بين جهور بن عبيد الله ابن أبي عبدة وحفيده أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور تفريقاً واضحاً ، واختص كلا منهما بمادة (رقم ٦٢٣ ص ٢٤٣ ورقم ٦٢٥ ص ٢٤٤) .

أما جهور بن محمد التجيبى المعروف بابن الفسكو فقد ذكره الضبى تحت رقم ٦٢٤ (ص ٢٤٤) ونسب إليه البيتين اللذين ذكرهما ابن الأبار . ومن المعروف أن الضبى نقل كتاب جنوة المقتبس للحميدى حرفياً تقريباً . وترجم ابن بشكوال فى الصلة (رقم ٢٩٧ ص ١٣٢) لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، أى الحفيد ، دون الجد . وذكر أنه ولد أول المحرم سنة ٣٦٤ وتوفى فى ٢٣ محرم ٤٣٥ .

وترجم كذلك لجهور بن إبراهيم بن محمد بن خلف التجيبى ، وقال إنه أيضاً يكنى أبا الحزم وأنه من أهل مورور ، ورحل إلى المشرق للقاء الشيوخ وقال إنه لقيه فى إشبيلية وأجاز له ما رواه عنهم . « وكان رجلاً فاضلاً منقبضاً مقبلاً على ما يعنيه ، وتولى الصلاة بموضعه . . . وتوفى ببلده سنة ٥٢٦ »

## ٩٦ - أخوه محمد بن عبيد الله

هو أَسَنُّ من أخيه جَهْوَر ، وجَهْوَر أشهر منه ، وتصرف محمد هذا في  
الكُور والقيادة - قاله الرازي . وأنشد له الحَمِيدِي مخاطب أبا عُمَر  
ابن عبد ربه :

أَعِدُّهَا فِي تَصَابِيهَا خَدَا(١)      فَقَدْ فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا نَزَاعَا  
قُلُوبٌ يَسْتَخِفُّ بِهَا التَّصَابِي      إِذَا أَسْكَنْتَهَا(٢) طَارَتْ شِعَاعَا  
فَأَجَابَهُ :

حَقِيقٌ أَنْ يُصَاحَ لَكَ اسْتِمَاعَا      وَأَنْ يُعْصَى الْعَذْلُ وَأَنْ تُطَاعَا  
مَتَى تَكْشِفُ قِنَاعَكَ لِلتَّصَابِي      فَقَدْ نَادَيْتَ مِنْ كَشَفِ الْقِنَاعَا  
مَتَى يَمْشِي الصَّدِيقُ إِلَى وَتَرَا      مَشِيتُ إِلَيْهِ - مِنْ كَرَمٍ - ذِرَاعَا  
لَجَدُّ عَهْدَ لَهْوِكَ حِينَ يَنْبَلَى      وَلَا تُذْهَبُ بِشَاشَتِهِ ضِيَاعَا

## ٩٧ - عبد الرحمن بن بدر بن أحمد

كان بدر(٣) وصيفاً للأمير عبد الله ، فأعتقه وصرّفه في الخطط الشريفة .

(١) قرأها دوزي (١٣٧) : جذاعا .

(٢) في الأصل : سكتها ، وقد صوبتها للوزن والمعنى . أما دوزي فقد جعلها : سكتت  
لنا .

(٣) هو بدر بن أحمد الصقلي وصيف الأمير عبد الله ، وقد سبقت الإشارة إليه . ومن  
الغريب أن يوصف بدر في المراجع بالخصي ويكون له رغم ذلك ابنان : عبد الرحمن هذا

ثم ولاء الناصر الوزارة والحجابه والقيادة والخليل والبُرد ، وكان ينفرد بالولايات  
فكتب السجلات في داره ، ثم بعثها للطبع فطبع<sup>(١)</sup> وتخرج إليه ، فيبعث في  
العمال وينفذون على يديه . وولى عبد الرحمن هذا الكتابة والوزارة والعرض  
والخزانه للناصر ، وصرفه في عمارة<sup>(٢)</sup> كورة إشبيلية . ومن شعره :

لسانى كان من أعداء قلبي إذ ألزمت الذنوب بغير ذنب  
إلى من أشتكى عدوى اعتذارٍ أمرٌ مذاقني طمعى وشربى  
وأسهرَ مقلتي وأسأل دمعى لفرط الوجد ، سكباً بعد سكبٍ ؟

وله :

ياوردهً وسطَ روضةٍ سقرت لورمتها باللاحظ لا تثر  
ودرةً في الجمال مفرغةً لولا حجابٍ يُكنها بهرت  
إدج كبدى في الضلوع آمنهً وخذ جفونى فإنها نظرت [١٢١-ب]

=وعبد الله . وكان عبد الرحمن الناصر عندما تولى الإمارة رقى بدرأ إلى الحجابه أى رئاسة الوزراء -  
ثم أجرى رزقا - أى قدر مرتباً - لكل من عبد الرحمن وعبد الله قدره ٣٠ ديناراً وازنة .  
وبعد ذلك بقليل ولى عبد الرحمن بن بدر خطة الخيل ، وفي نفس السنة ( رمضان ٣٠٠ ) استخلف  
عبد الرحمن بن بدر مع موسى بن محمد بن حدير صاحب المدينة على القصر عندما خرج في حملته  
على ناحية جيان ، وفي سنة ٣٠٢ عزل عبد الرحمن عن خطة الخيل ، ثم تنقل في الوظائف بعد ذلك ،  
وكانت آخر وظيفة تولاها حكومة إشبيلية .

والراجع أن ابن حيان خلط بين بدر بن موسى - وكان مولى خصياً عاش وخدم أيام  
عبد الرحمن الناصر وظهر اسمه أواخر أيامه - وبدر بن أحمد . فقد كان بدر بن أحمد هذا فحلاً  
لاخصياً ، كما هو واضح .

( ١ ) أى يرسلها إلى باب السدة لتختم بخاتم الدولة ثم ترد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا  
بالتنفيذ تحت إشرافه .

( ٢ ) كذا في الأصل . والأصح هنا : عمالة ، وهى آخر الوظائف التى تولاها عبد الرحمن  
ابن بدر بن أحمد .

## ٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، أبو بكر

كان مولى نعمة لبني أمية ، وولى إشبيلية للناصر عبد الرحمن بن محمد ، وكان أثيراً لديه ، ومنادماً له ، وعاش إلى أول دولة ابنه الحكم المستنصر بالله . وقد حُمل عنه الحديث لسماعه من بَقِيّ بن مخلد والخشني ومحمد بن وضاح وطبقتهم ، فاحتاج إليه الناس - ذكره ابن الفرضي في تاريخه ، وذكر أن صناعة الشعر غلبت عليه <sup>(١)</sup> ؛ وهو أحد المكثرين . أنشد له ابن فرج في « كتاب الخدائق » من تأليفه :

وذى لجبٍ كالبحر عبّ عبابه      فضاقت به رحبُ الفلا والتنايفِ  
قريبُ الخطي ، نائي المدى ، مالى الملا      يجمع تراه واقماً غير واقفِ  
تركنا به أرض العدو كأنها      مجاهل للترتاد غير معارفِ  
غدت بعد سحب البيض فيها ذيوها      تجرّ ذبول الطامسات العواصفِ  
وله في الناصر :

لو كان يُعبّد دون الله من أحدٍ      ما كان غيرك في الدنيا بمعبودِ  
قد فات قدرُك وصفُ الواصفين فما      ذكراك إلا بتحميدٍ وتمجيدِ  
لما ذكرتك يوماً قلت من جذلٍ :      يا نعمة الله في أيامه زیدی !

(١) ذكر ابن عذاري ( ١٥٩/٢ ) أن عبد الرحمن الناصر ولى إسماعيل بن بدر كتابته الخاصة في ربيع الآخر ٣٠٠ . أما ترجمة ابن الفرضي له فهي رقم ٢١٤ ج ١/٦٢ ، وقد أضاف إلى ما رواه عنه ابن الأبار أنه ولى أحكام السوق فحمد أثره فيها وتوفى في أول ولاية المستنصر بالله سنة ٣٥١ .

وذكر ابن الأبار شيوعه ومنهم بقى بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وعبد الله بن مسرة وعبيد الله بن يحيى .

وله في بيعة المستنصر بعد وفاة أبيه الناصر :

لئن غربت شمسٌ لقد طلعتْ شمسٌ      فما في صلاح الأرض ريبٌ ولا لبسٌ  
بمستنصرٍ بالله دانَ المُلْكُ      وأيامُه الميمونة الجنُّ والإنسُ  
تولَّى أميرُ المؤمنين فأصبحوا      وما بينهم نجوى بعدوى ولا همسُ  
فلا سقيتْ أرضٌ بغيرِ سحابه      بلالاً ، ولا سُرَّتْ لساكنها نفسُ  
وإن شدَّ حِلْسٌ لا يكون ثيابهُ      فلا نهضت يوماً بمن شده عَنَسُ

[١-١٢٢]

/ وأنشد له الحُمَيْدِيُّ عن أبي محمد بن حزم :

أناجي حُسنَ رأيك بالأمانى      وأشكو بالثـوَمِ ما شجاني  
ولى بـ«عسى» و«لو» و«لعل» رَوْحٌ      ينفِّسُ عن كَثِيبِ القلبِ عانِ  
وتَحْضُ هوَى بظهِرِ الغيبِ صافٍ      ترى عيني به من لا يراني  
على ذاك الزمانِ — وإن تَقَضَّى —      سلامٌ لا يبيدُ على الزمانِ  
كفاني — يامدى أملى — بعداً      تمنيتُ الماتَ له ، كفاني

وله يرثي ابنه :

غرسْتُ قضييًّا زعزعتُه يدُ الرَّدَى      فخلوا دموعَ العينِ تبكِ على غرسى  
وهذا حَمامُ الأيِّكِ يبكي هَدِيلَه      فما لهديلي لا تذوبُ له نَفْسى ؟

وله فيه :

ما حُزنُ يعقوبَ على يوسفٍ      أشد من حزني على أحمدٍ  
أحمدٌ ملحودٌ ، فهل نستوى      وذاك لم يُقَبَّرْ ولم يُلَحَدِ ؟  
وكان يرجوه ، وهل أرتجى      هذا وقد غَمَضَتْهُ باليدِ ؟

وله في توتٍ أهداء :

تفاءلتُ بالتوتِ الثَّانِي لزورة      وذاك قالُ — ما علمت — صدوقُ  
فأهديته غضاً حكي حديقَ التما      له منظر بالحسن منه يروقُ  
وبعضُ حكي الياقوتَ منه احمراره      وما مجَّسه للذائقين رحيق  
فذا سبَّج — فيما يرى — لاسوداده      وذا — لاحمرارِ اللونِ منه — عقبى

## ٩٩ — عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب

ولاه الناصرُ عبد الرحمن بن محمد ما كان بيد أبيه — أحمد بن يعلى ، قائد  
الجليل المقدار ، الحميد الآثار — من قيادة الجوف ( بَطْلَيْوُس وأعمالها ) حين نوه  
بأحمد المذكور ، وولاه طَلَيْطَلَةَ وأعمالها من الثغر الأدنى ، ورفع رزقه إلى أرزاق  
الوزراء ، مع مقامه على خطته في الشرطة العليا ، وسُمي قائد الأعنة ، وذلك  
[١٢٢-ب] في صفر / سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . فأغنى عبيد الله في قتال الروم غناء أبيه ،  
وتوالت له فيهم فتوح . وكان أديباً شاعراً ؛ وهو القائل من قصيدة :

تري الأرض فينا لا يقرُّ قرارها      إذا لم يُسنّها من أمية سائسُ  
ذوو الهضبات الشَّم والأبحر التي      تفيض ملاء والملوك الأشاوسُ  
هم ذهبوا بالسكرُمات ولم يزل      لهم جبل العز القديم القوامس  
وهم نزلوا من خندف<sup>(١)</sup> حيث تلتقى      رؤوسُ قُهَيّ في الذرى والمغاطس

(١) خندف هي امرأة إلياس بن مضر وقد أنجبت منه مُدركة وطابحة وقمصعة ،  
وعن طريق مُدركة بن إلياس اتصل عمود النسب ، أي أنها الجدة العليا لقريش ، وإلى هذا يشير الشاعر .  
انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ( بتحقيق إبراهيم الإبياري ، القاهرة  
١٩٥٩ ) ص ٢٤٨ . وجهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ١٨٦ .

وهم غمّسوا فى جَفَنَةِ الطَّيِّبِ قبل أن يُرى أحدٌ من قومهم وهو غامِسٌ  
 وهم أوقدوا حربَ الفجّارِ حَفِيظَةً فقامت بها أعياصُهم والعنابسُ<sup>(١)</sup>  
 بهاليل من إن يستضيف إليهم بما شيدوا إلا الخصال النفائس  
 إذا سوجلوا لم يحتملهم مساجل وإن قويسوا لم يستطعهم مقاس  
 تطيف بهم ساحاتُ مكةَ فى العُلا وتكفّنهم منها البطاحُ الأمالِسُ  
 وكان أخوه يعلى بن أحمد أديباً أيضاً ، وسيأتى ذكره .

## ١٠٠ - جعفر بن عثمان المصنفى

الحاجب الوزير ، أبو الحسن

هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كسيلة من برابر  
 بلنسية ، ينتمى إلى قيس بالحفالة .

وذكر ابنُ الفرضى فى تاريخه أباه عثمان وقال فى نسبه بعد نصر : ابن  
 عبد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسى .

وكان قد أدب الحَكم ، وذلك أزلف جعفرأ عنده وأدناه منه فاستخدمه  
 بالكتابة فى إمارته . وولى جزيرةً مَيُورقةَ فى أيام الناصر ، ثم تقلد الحَكمُ

(١) الأعياص هم أبو العاصى والعاصى وأبو العيص أبناء أمية الأكبر ابن عبد شمس  
 ابن عبد مناف . والعنابس هم سفيان وأبو سفيان وعمر وأبو حرب أبناء أمية الأكبر ابن أمية  
 ابن عبد شمس بن عبد مناف ، سمو العنابس - أى الأسود - لشبّاتهم فى حرب الفجار واستطاعتهم  
 فنصر قريش على قيس عيلان .

انظر : المصعب الزبيرى ، نسب قريش ، ص ٩٧ .

العقد الفريد ، بتحقيق أحمد أمين وآخرين ، ٣٠٦/٣ .

الخليفة فاستوزره ، وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة ، وضم إليه بعد مدة ولاية الشرطة ، وأخدمه ابنه هشاماً .

[١٢٢-١] وأقام على ذلك إلى وفاة الحَكَم واستخلاف هشام / ابنه ، فحجبه يومَ قعوده للبيعة ، وذلك يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعن يمينه ويساره الفتيان جُودُر وفائق ، ثم أهل الخطط على منازلهم . وكان القائد محمد بن عبد الله بن أبي عامر — وهو إذ ذاك يتولى الشرطة الوسطى والسكة والمواريث والوكالة<sup>(١)</sup> — يشرف على عقد الشهادات في نسخ البيعة بين يديه ، بعد ما كان القاضي محمد بن إسحاق بن السليم يأخذها على طبقات من شهدائها من الأعمام وأبنائهم والوزراء وضروب أهل الخدمة ورجالات قريش وأعلام قرطبة — حكى ذلك عيسى بن أحمد الرازى .

قال : ثم لما كان يوم السبت لعشر خلون من صفر المؤرخ ، قلد هشام حجابته جعفر بن عثمان لقدم صحبته لأبيه المستنصر ، وكان المستنصر قد شرفه لتأديب أبيه عثمان بن نصر له ، وصرفه في الأعمال ، وقدمه إلى الكُور ، ثم استكتبه وهو ولى عهد — وذكر نحواً مما تقدم من خبره — قال : ثم قدم هشام المؤيد ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان إلى خطة الخيل ، ثم إلى الوزارة ، وولى بنيهِ — محمداً ، وعثمان ، وعبد الرحمن — وأخاه سعيداً ، وابن أخيه محمداً ، الشرطة العليا والوسطى ، فلم ينهض بعبء ما قلده ، وخلف على المدينة ابنه محمداً

(١) أى وكالة أبناء الخليفة ، وقد أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا للولد (أى الأمير) عبد الرحمن بن الحكم المستنصر في ٩ ربيع الأول سنة ٣٥٦ ، «وأجرى عليه في ذلك الوقت ١٥ ديناراً في الشهر مرتباً بالوازفة» . ولما مات عبد الرحمن هذا أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا لأخيه هشام ابن الحكم في ٤ رمضان سنة ٣٥٩ . وكان قبل ذلك قد تقدم للنظر في أمانة دار السكة في ١٣ شوال ٣٥٦ ، ثم أضيفت له الخزانة ، ثم قدمه الحكم المستنصر على خطة المواريث في ٧ محرم ٣٥٨ ، وفي سنة ٣٦١ تولى الشرطة الوسطى .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢٥١/٢ .



فأساء السيرة . وزكا على الحجة أبو عامر محمد بن أبي عامر ، فبسط المؤيد يده وقبض يد جعفر بن عثمان ، فأداله وابن أخيه .

وقال ابن حيان : استطال عليه محمد بن أبي عامر بكمايته ودفاعه العدو المتكالب ، لأول ولاية هشام ووفاء الحكم ، واستظهر على ذلك بمصاهرة غالب القائد مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد .

وقد كان غالب — فيما حكى الرازى — شارك جعفر بن عثمان في الحجابة ، وصير فراشه في الصدر ، وعن يمينه جعفر ، وعن يساره أبو عامر للوزارتين . قال ابن حيان : فأدى ذلك إلى القبض على جعفر ، وعلى ولده وأسبابه ، وعلى أخيه هشام وسائر أقاربه ، وطولبوا بالأموال . وكان ابن أبي عامر يحمل جعفرًا معه في الغزوات ، تعنيقًا وانتقامًا منه . فلما بان عجزه وضعف ، أقر بالمطبق إلى أن هلك فيه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، فأسلم إلى أهله في أقبح صورة — وقيل : قتل خنقًا<sup>(١)</sup> . وكان مقدمًا في صناعة الكتابة ، مفضلًا / على طبقته بالبلاغة . [١٢٣-ب] وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الإجابة ، وتصرفه في أفانين البيان ؛ وهو القائل :

سألتُ نجومَ الليل : هل ينقضى الدجى ؟      نخطَّتْ جوابًا بالثرى كخطِّ « لا » !  
وكنتُ أرى أنى بآخر ليلةٍ      فأطرقُ حتى خلتُ به عاد أولًا  
وما عن هوى سامتُها ، غير أننى      أنافسُها الجرى إلى رتب العلاء

(١) أوجز ابن الأبار كلام الرازى وابن حيان هنا بإيجاز شديد ، وقد أورد هذه الأخبار بصورة أوفى ابن عذارى في البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥١ وما يليها .

وأوسع ما لدينا عن هذه الحوادث ما نقله ابن بسام في الذخيرة (القسم الرابع — المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) من كتاب « البطشة الكبرى » لابن حيان في تاريخ الدولة العامرية ، ص ٣٩ وما بعدها .

وله :

أما والهوى- ما كنت أعرف ما الهوى      ولا ما دواعى الشوق حتى تكلمًا  
دعاني بلفظٍ لودعا « يَذُبُّلًا »<sup>(١)</sup> به      للَبَّاءُ مشتاقًا ووافاه مُغْرَمًا

وله ، ويُرْوَى لغيره :

كلتني فقلت : درُّ سَقِيطُ      فتأملتُ عِقْدَهَا هل تنأزُ  
وازدهاها تبشُّمُ فأرتنا      عِقْدَ درِّ من التَّبَسُّمِ آخِرُ

وله :

إن فاهَ أَشْرَبَتِ الضُّلُوعُ هَوًى      حتى كأنَّ جميعَهَا أَذُنُ  
لا تُنْكروا كلفَ الضُّلُوعِ بِهِ      لَخْدِثُهُ لوجيها سَكَنُ  
وقرأت في كتاب « الفرائد في التشبيه » لابن أبي الحسن القرطبي  
منسوبًا إليه :

بادرْ ، فإنَّ نَذِيرَ الغَيْثِ قد نَذرا      مجددًا لسرورٍ كان قد دَرا  
أرختْ عَزَالِيهِ واضْطَرَّتْ<sup>(٢)</sup> بَعْنَصِرِهِ      رِيحُ الصَّبَا واستدرَّتْ دمعَهُ فجَرى  
أوفى فبرِّد من حرِّ القلوب كما      أوفى علمنا حبيبٌ طالما هَجرا  
فلاقِهِ بكَوُوسِ الرَّاحِ مُتَرَعَّةً      شكرًا له ، فكَرِيمُ القومِ من شَكرَا

(١) يذبل هو الجبل الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبيل

ولكن دوزى قرأها يدبل بالبدال المهملة وقال يحاول تفسيرها : Diable, à ce qu'il parait وكأنه تصور أن هناك علاقة ما بين « دبل » و « ديابل » أو « ديابولو » بمعنى الشيطان !

(٢) الكلمة غير واضحة فى الأصل ، وأقرب قراءة لها : واصرت ، ولا يستقيم بها الوزن . وقرأها دوزى : وأهزت ولا يستقيم بها الوزن أيضاً ، وكان أقرب لوقال : واهترت . وقد جعلتها : واصطرت بمعنى صوتت كما فى لسان العرب ( مادة صرر ) .

وله فى سوسنة :

يا ربَّ سوسنةٍ قد بَتُّ أَلْثَمَهَا      وما لها غير طعم المسك من ريقِ  
مصفرةُ الوَسَطِ ، مبيضٌ جِوانِبُها      كأنها عاشق فى حِجر معشوق

وله فى الخيال :

لئن سلبونى شخصه ووصاله      لما قدروا أن يسلبونى خياله  
إذا حُجبتُ عنى الحوادثُ وجهه      أقام الهوى لى حيث كُنتُ مثاله

[١-١٢٤]

/وله :

وكم مهمّةٍ لا يوجد الركب مشرعا      قطعتُ ، وبجرٍ شامخ الموج أسفعا  
خِصَمٌ إذا استعلت به الشمس لم يزل      يطاولها حتى تملّ فتخضعا  
تغيب وتبدو فيه حتى كأنما      غدا مغربا تجرى إليه ومطما  
إذا ما ارتمت أمواجه خلت أنها      ذرى الشَّمِّ أمتنا من البرّ نزعاً  
تقاذف فى رَحْبِ الجالِ بَسِيطُها      يَرِدُّ وفودَ الريح حَسرى وظلما

وله فى تفاعلة :

لعمري لئن أهديت نفسى وما حوت      فأنت بها منى أحق وأملكُ  
ولكننى أهدى التى <sup>(١)</sup> لا تردّها      يمينٌ ولا فيها لذى اللحظ متركُ  
تناولتها من غصنها وكأنها      من الحسن ذاك الناجم المتفلّكُ

وله فى سفر جلة :

ومصفرة تختال فى ثوبِ نرجسٍ      وتعبق عن مسكٍ ذكى التنفسِ  
لها ریحٌ محبوبٍ وقسوة قلبه      ولونٌ محبٍ حلة السقم مكسِ

(١) فى الأصل : الذى ، وقرأها دوزى (ص ١٤٤) : يدأ .

فصُفِّرَتْهَا مِنْ صُفْرِتِي مُسْتَعَارَةً وَأَنْفَاسُهَا فِي الطَّيِّبِ أَنْفَاسُ مُؤْنِسِي<sup>(١)</sup>  
 فَلَمَّا اسْتَقَيَّمَتْ فِي الْقَضِيبِ شَبَابَهَا وَحَاكَتْ لَهَا الْأَنْوَاءَ أَبْرَادًا سُنْدُسٍ  
 مَدَدْتُ يَدِي بِاللَّطْفِ أَبْنَى اقْتِطَافَهَا لِأَجْعَلَهَا رِيحَانَتِي وَسُطَّ مَجْلِسِي<sup>(٢)</sup>  
 وَكَانَ لَهَا ثَوْبٌ مِنَ الزُّغْبِ أَغْبَرُ يَرِفُ عَلَى جِسْمٍ مِنَ الْقَبْرِ أَمْلَسُ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَمَّا تَعَرَّتْ فِي يَدِي مِنْ لِبَاسِهَا وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا فِي غِلَالَةِ نَرْجِسٍ  
 ذَكَرْتُ بِهَا مِنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ فَأَذْبَلَهَا فِي الْكَفِّ حَرًّا تَنْفُسِي  
 وَلَهُ وَقَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ رَامِشَةً وَرَدَّ فِي زَمَنِ الْبَرْدِ ، فَاسْتَغْرَبَهَا وَكَتَبَ  
 إِلَى مَهْدِيهَا :

لِعَمْرِكَ مَا فِي فِطْرَةِ الرُّوضِ قُدْرَةٌ يَحْمِلُ بِهَا مَجْرَى الزَّمَانِ عَنِ الْقَصْدِ  
 وَلَكِنَّا أَخْلَاقُكَ الْغَرَّ نَبَّهَتْ بِرَبِّكَ<sup>(٤)</sup> فِي كَانُونِ نَائِمَةِ الْوَرْدِ

(١) الأصل : مؤنس .

(٢) الأصل : مجلس .

(٣) بعد هذا البيت أورد ابن خاقان في « مطمح الأنفس ومسرح الأناش » في ملح أهل الأندلس » (الجواب ١٣٠٢) ص ٥ بيتاً آخر هو :

فَبَزَّتْ يَدِي غَضَباً لَهَا ثَوْبُ جِسْمِهَا وَأَعْرَيْتَهَا بِاللَّطْفِ مِنْ كُلِّ مَلْبَسٍ

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أكلتها من « البديع في وصف الربيع » لأبي

الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، ص ١٢٠ . وقد أورد بعد ذلك بيتاً هو :

كَأَنَّكَ قَدْ امْطَرْتَهَا دِيمَةً الْمَجْدِ وَأَجْرِيَتْ فِي أَغْصَانِهَا كَرَمَ الْعَهْدِ

وقد قدم الحميري للأبيات بقوله :

« فن المستندر في الورد قول الحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصنفى ، وقد أهدى إليه الوزير زياد بن أفلح ورداً سيق إليه من رِيَّةٍ في شهر كانون الآخر » وقال بعد ذلك :

« فلما وصل هذا النظم المستملح إلى زياد بن أفلح بعث إليه بوردة كان احتبسها لنفسه ، فبعث إليه بيتين وهما :

فَاجَأَنِي كَانُونُ بِالْوَرْدِ فَزَادَنِي وَجْداً إِلَى الْوَجْدِ

وَرَدُّ الْعَلَا أَهْدَى لَنَا وَرْدَةً يَا حَبِذَا الْوَرْدِ مِنَ الْوَرْدِ »

وله فى الخمر ، وقد أنشد ذلك أبو منصور الثعالبي فى « اليتيمة » :

صفراء تطرق فى الزجاج فإن سرتُ فى الجسم دبَّت مثل صِلٍّ لادغ [١٢٤-ب]  
خفيت على شرابها فكأنما يحدون رِيًّا فى إناء فارغ  
عبث الزمان بجسمها فتسترتُ عن عينها فى ثوب نورٍ سابغ  
وله :

كم ليلة بتُّ أطويها وأنشرها ولا أرى فى الذى أفضى بها حرجاً  
فى فتية نُجِبٍ صاروا بمعتكٍ يجرى النعيم على الصرعى بها خلجا  
والجو ملتحف [.....] (١) والنجم مكحولة الحاظه دججا  
لَفَوْا دُجَى لِيْلِهِمْ فى نورِ (٢) كاسِهِمْ ونفسوا من خناق الزق فانبلجا  
وله :

لِعَيْنِكَ فى قلبى على عيونُ وبين ضلوعى للشجون فنونُ  
لئن كان جسمى مُخلَقاً فى يد الهوى فحبُّك غضٌّ فى الفؤاد مصونُ  
نصيبى من الدنيا هواك ، وإنه عذابى ولكنى عليه ضنينُ  
وله :

يا ذا الذى لم يدع لى حُبُّه رمقاً هذا مُحِبُّك يشكو البَثَّ والأرقا  
لو كنتَ تعلم ما شوقى إليك ، إذا أيقنتَ أن جميعَ الشوق لى خُلُقاً  
لم يُبصرِ الحُسنَ مجموعاً على أحدٍ من ليس يبصرُ ذاك الخدَّ والعنقا  
وله فى وفاة الناصر عبد الرحمن بن محمد وبيعة ابنه المستنصر بالله الحَكَم  
ابن عبد الرحمن :

(١) بياض بالأصل .

(٢) فى الأصل : . . . وكاسهم ، فأكلتها على هذه الصورة .

ألا إنَّ أيامًا هَفَّتْ يامامها لجائرة مُشْتَطَّةٌ باحتكامها  
تأملُ : فهل من طالعٍ غير آفلٍ بنَّ ، وهل من قاعدٍ لقيامها ؟  
وعاينُ : فهل من عائشٍ برضاءها من الناس إلا مَيَّتْ بقطامها ؟  
كأنَّ نفوسَ الناس كانت بنفسه فلما توارى أيقنتُ بحِمَامها  
فطار بها يأسُ الأسى وتقاصرتُ يد الصبر عن إعوالها والتدامها  
/ ومنها له :

[١-١٢٥]

إمامٌ تلقَّته الخِلافةُ صَبَّةً إلى نَسَمٍ<sup>(١)</sup> محمولة عن إمامها  
فصارت إليه في حدود تمامه وصار إليها في حدود تمامها  
فلم ينتقل بالناس يومَ انتقالها إليه سبيلٌ عن محل قوامها  
أتوه فأعطوه الموائق عن هوَى تمكَّن في أبشارها وعظامها  
وناولهم كفاً يطول الهدى بها رضا الله في تقبيلها واستلامها  
أناف على الدنيا بعينٍ محيطَةٍ وقال : ادخلوا في أمنها وسلامها !  
وله :

يطالعنا في كل يومٍ بَغْرَةٌ بنو الدين والدنيا معاً يأمولونها  
إذا ما تراءته العيونُ تواضعتُ لإجلاله عن أن تقل شؤونها  
عليها من الرحمن نورُ جلالَةٍ يقصِّر بالألحاظ أن تستبينها  
وله مما قاله يديها بين يدي الحكم ، عندما بُشِّر بولادة ابنه هشام :

أطلعَ البدرُ من حِجَابَةٍ واطَّردَ السيفُ من قِرابَةٍ  
وجاءنا وارثُ المعالي ليثبتَ الملكَ في نصابَةٍ

(١) الأصل : نسيم ، ولا يستقيم به الوزن ، وهكذا صوبه دوزى ، ص ١٤٥ .

بَشَّرْنَا سَيِّدُ الْبَرَايَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ  
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ الْبَشِيرَ عُمَرَى لَمْ أَقْضِ حَقًّا لِمَا أَنَى بِهِ  
وَلَهُ فِي نَسْكِتِهِ :

تَأَمَّلْتُ صَرَفَ الْحَادِثَاتِ فَلَمْ أَزَلْ أَرَاهَا تُؤَافِي عِنْدَ مَقْصِدِهَا الْخُرَا  
فَلِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ لَسَبِيلِهَا فَإِنِّي لَا أُنْسِي لَهَا أَبَدًا ذِكْرَا  
تَجَافَتْ بِهَا عَنَا الْحَوَادِثُ بِرَهَةٍ وَأَبَدَتْ لَنَا مِنْهَا الطَّلَاقَةَ وَالْبِشْرَا  
لِيَالِي لَمْ يَدِرِ الزَّمَانُ مَكَانَنَا وَلَا نَظَرَتْ مِنَّا حَوَادِثُهُ شَزْرَا  
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا سَحَابٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُمْطِرُ الْخَيْرَ وَالْشَرَا  
/ وَلَهُ :

[١٢٥-ب]

أُجَارِي<sup>(١)</sup> الزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ بِجَارَةِ نَفْسِي لِأَنْفَاسِهَا  
إِذَا نَفْسٌ صَاعِدٌ شَفَّهَا تَوَارَتْ بِهِ بَيْنَ جُلَاسِهَا  
وَإِنْ عَكُفَتْ نَكْبَةً لِلزَّمَانِ عَكُفْتُ بِصَدْرِي عَلَى رَاسِهَا  
وَلَهُ يَسْتَعِظُ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِهَا مِنْ مَحَبْسِهِ :

هَبْنِي أَسَاتُ ، فَإِنَّ الْعَفْوَ وَالْكَرَّمَ إِذْ قَادَنِي مَحُوكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ ؟  
يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتِ الْأَيْدَى إِلَيْهِ ، أَمَا تَرْنِي لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ ؟  
بَالِغَتْ فِي السُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ إِنْ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْحَمُوا رَحِمُوا  
هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مُتَنَازِعَةٌ ، يَنْسَبُهَا إِلَى الْمَصْنُفِيِّ جَمَاعَةٌ ، وَقَدْ وَجَدْتُهَا مَنْسُوبَةً  
إِلَى أَبِي عَمْرِ بْنِ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْقَاسِمِ الرِّقِيقِ فِي

(١) الأصل : أجاز . وقرأها دوزي (ص ١٤٦) : أجازي .

تاريخه أنها لكتاب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب<sup>(١)</sup> . وكلاهما أساء الرد على من قالها وتمثل بها ؛ أما إبراهيم فقال ، لجهله وفظاظته وقلة رحته : « إن الملوك إذا ما استرحموا قتلوا ! » وبعث إليه من قتله . وقرأت في « كتاب الافتخار » لأبي بكر عتيق بن خلف القيرواني ، أن إبراهيم بن أحمد لما قرأ رسالة كاتبه إليه من محبسه ، قال : ” يكتب إلى « هبني أسأت » وهو قد أساء ؟ والله لو كتب إلى بقول الأول :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام السكاتينا  
لعفوت عنه “ ، ثم أمر به فجعل في تابوت وأحرق بالنار وهو حي !<sup>(٢)</sup> وأما ابن أبي عامر فأمر عبد الملك بن إدريس<sup>(٣)</sup> أن يجاوبه عن هذه الأبيات ، فقال :

( ١ ) لم نجد هذه الأبيات في ديوان ابن دراج ، ووجدتها عند ابن عذارى منسوبة إلى محمد بن حيون المعروف بابن البريدي كاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (البيان المغرب : ١٣١/١) .

وقد روى ابن بسم نفس الأبيات في الذخيرة (القسم الرابع - المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) ص ٥١ دون أن ينبه إلى شيء مما نبه إليه ابن الأبار ، وهذا من الشواهد الكثيرة على سعة اطلاع ابن الأبار بالقياس إلى علامة جماع كابين بسم .

( ٢ ) لم يذكر ذلك ابن عذارى ، وهو ينقل أيضاً عن أبي إسحاق القاسم بن الرقيق ، وإنما قال : « ثم أمر - قبحه الله - به فجعل في تابوت حتى مات ، رحمه الله تعالى » . (البيان المغرب : ١٢٢/١) .

( ٣ ) هو أبو مروان عبد الملك الجزيري أحد شعراء المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر ، وهو معلود بين كبار شعراء عصره وأدبائهم . ومن الطريف أن عبد الملك الجزيري سارع إلى الرد على أديب مثله هو جعفر بن عثمان المصنفى متكلماً بلسان طاغية جبار ، فأرادت المقادير أن يلقي نفس الميتة على يد عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، إذ أنه مازال يسمى حتى وصل إلى الوزارة أيام المظفر ، ودفعه حقه على عيسى بن سعيد القطاع ، أكبر وزراء المظفر ، إلى التآمر على هذا الأخير مع فتاه الصقلي طرفة ، ففشل فيما سعى إليه وقبض على طرفه وعليه ، وأودع نفس المطبق الذي مات فيه جعفر المصنفى ولقي نفس النهاية في شوال سنة ٣٩٤ . قال ابن حيان : « أخبرني أبو خلف بن حسين قال : سألت الذي تولى قتل الجزيري في محبسه ، =



الآن يا جاهلاً زلت بك القدم تبغى التكرم لما فاتك الكرم ؟  
 أغريت بى ملكاً لولا تشبته ما جاز لى عنده نطق ولا كلم  
 فأبأس من العيش إذ قدصرت فى طبقٍ إن الملوك إذا ما استنقموا نقموا  
 نفسى إذا سخطت ليست براضية ولو تشفع فيك العرب والعجم  
 ويقال إن الأبيات لابن أبى عامر . وكلتا الفعلتين من أفعال الجبارة الذين  
 أطلقهم النعمة ، ونزعت من قلوبهم / الرحمة .

[١٢٦]

والمصنفى لما يؤس من المنصور وصفحه :

لا تأمنن من الزمان نعلباً إن الزمان بأهله يتقلب  
 ولقد أراى والليوث تخافنى فأخافنى من بعد ذاك الثعلب  
 حسب الكريم مذلة ونقيصة ألا يزال إلى لثيم يطلب  
 وإذا أنت أعجوبة فاصبر لها فالدهر يأتى بعد ما هو أعجب  
 وله :

لى مدة لا بدّ أبلغها فإذا انقضت أيامها مت  
 لو قابلتنى الأسد ضارية - والموت لم يُقدر<sup>(١)</sup> - لما خفت  
 فانظر إلى وكن على حذر فبمثل حالك أمس قد كنت

= فجعل يصف لى سهولة ما عاناه منه لقضافته وضعف أسره ، ويقول : « ما كان الشوق إلا كالفرّوج فى يدى ، دققت رقبته بركبتي ، فازاد أن نفخ فى وجهي » ، فعجبت من جهل هذا الأسود . الذخيرة لابن بسام ، القسم الرابع - المجلد الأول ، ص ٣١ - ٣٦ .

( ١ ) فى الذخيرة ( القسم الرابع المجلد الأول ، ص ٥١ ) :

\* والموت لم يَدُنْ لما خفت \*

وفى نسخة أخرى : لم يقرب :

## ١٠١ — محمد بن عبد الله بن أبي عامر

الحاجب ، المنصور أبو عامر

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المعافى ، أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله ، والغالب عليه . أصله من الجزيرة الخضراء ، ولسلفه بها قدر ونباهة ، وقدم قرطبة شاباً ، فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث . وكان أبوه — أبو حفص عبد الله — قد سمع الحديث أيضاً ، وصحب أبا محمد الباجي الراوية في الأخذ عن الشيوخ بقرطبة ؛ وقد ذكرته في كتابي الموسوم بـ « التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال » <sup>(١)</sup> .

وكانت للمنصور همة ترمي به المرامي ، ويحدث نفسه بإدراك معالي الأمور ، ويزيد في ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك ، فتم له مراده . وكان أحد أعاجيب الدنيا في ترقيه والظفر بتمنيته : تصرف أول أمره في الوكالة لصبح أم هشام ، والنظر في أموالها وضياعها ، والجِدْ ينهض به ، والأقدار تساعد . إلى أن توفي الحكم وقلد هشام الخلافة وهو صغير .

ولما انتقض العدو على إثر ذلك ، وخيف الاضطراب ، ولم يكن عند المصحفي

(١) راجع ترجمة أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر المعافى والد المنصور محمد بن أبي عامر في تكملة الصلة لابن الأبار رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧ ، وقد قال فيه بعد أن ذكر شيوخه : « ورُحل إلى المشرق فأدى الفريضة ، وكان من أهل الدين والخير والصلاح والزهْد والقعود عن السلطان ، أثنى عليه الراوية أبو محمد الباجي وقال : كان خير صديق أنفع به وينتفع بي ، وأقابل معه كتبه وكتبى ، ومات منصرفه من حجه ، ودفن بمدينة طرابلس المغرب » . وذكر أيضاً أنه مات برقادة آخر خلافة الناصر .

غَنَاءَ وَلَا دِفَاعَ ، ضَمِنَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لَصَبْحِ أُمِّ هِشَامٍ سَكُونَ الْحَالِ وَزَوَالَ  
الْخُوفِ وَاسْتِقْرَارَ الْمُلْكِ لِابْنِهَا ، عَلَى أَنْ يُمَدَّدَ بِالْأَمْوَالِ وَيُجْعَلَ إِلَيْهِ قُوْدُ الْجِيُوشِ ،  
إِلَى مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنَ الْخَطَطِ السَّنِيَةِ . وَهُوَ — بِقُوَّةِ نَفْسِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ — [١٢٦-ب]  
يَعِدُّ النِّصْرَ وَلَا يَمْتَرِي فِي الظَّاهِرِ ، وَيَسْتَعِجِلُ الْأَسْبَابَ الْمُعِينَةَ عَلَى الْفَتْحِ ، حَتَّى  
أُسْعِفَ وَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهَزَمَهُ . وَوَالِي غَزَوَ بِلَادَ الرُّومِ عَالِيَّ الْقَدَمِ ، مَنْصُورَ الْعِلْمِ ،  
لَا يُخْفِقُ لَهُ مَسْعَى وَلَا يُؤْوِبُ دُونَ مَغْنَمٍ — كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى — إِلَى أَنْ صَارَ  
صَاحِبَ التَّنْدِيرِ ، وَالْمُتَغَلَّبِ عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ . فَدَانَتْ لَهُ أَقْطَارُ الْأَنْدَلُسِ كُلِّهَا ،  
وَأَمِنَتْ بِهِ ، وَلَمْ يَضْطَرْبْ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، لِحَسَنِ سِيَاسَتِهِ وَعَظَمِ هَيْبَتِهِ .  
وَكَانَ رُبَّمَا أَنْذَرَ خَاصَّتَهُ بِمَا يَكُونُ وَرَاءَهُ مِنَ الْفِتَنِ ، حَتَّى لَيْسَكَدَّرَ عَلَيْهِمْ  
مَجَالِسُ أَنْسِهِ بِمَا يَلْقَى مِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ ، فَوَقَعَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَوَقَّعَ ، وَجَرَى الْقَدَرُ  
بِمَا قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ . فَمَا زَالَ يَبْطِشُ بِأَعْدَائِهِ ، وَيَسْقُطُ مَنْ فَوْقَهُ بِقَهْرِهِ وَاسْتِيْلَائِهِ ،  
إِلَى أَنْ صَارَ الْخَلِيفَةُ حِينُئِذٍ — هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ — لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ غَيْرُ الْإِسْمِ  
خَاصَّةً ، فَمَا ظَنُّكَ بِرَجَالِهِ وَمَوَالِيهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ <sup>(١)</sup> كَانَ يَرْهَبُ وَبِهِمْ كَانَ يَتَمَرَسُ ؟  
هَذَا وَنَصْرَتُهُ عَلَى النَّصَارَى مُتَوَالِيَةً ، وَغَزَوَاتُهُ فِي كُلِّ صَائِفَةٍ مُتَّصِلَةٌ ، أَزِيدُ مِنْ  
خَمْسِينَ — عَدَّهَا ابْنُ حَيَّانٍ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ <sup>(٢)</sup> ،  
وَجَعَلَهُ لِمَنْ شَاءَ خَزَلَةً عَنْ تَارِيخِهِ السَّكْبِيرِ أَوْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ — حَتَّى أَذْعَنَ لَهُ مَلُوكُ  
الرُّومِ وَرَغَبُوا فِي مَصَاهِرَتِهِ . تَفَاوَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِتَأْيِيدِ إِلَهِي مُدَّةَ طَوِيلَةٍ ، وَأَوْرَثَهُ بَنِيهِ  
وَقَتًا قَصِيرًا .

فَأَمَّا أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمُلْكِ الْمَظْفَرِ مِنْهُمْ ، فَقَامَ بِالدَّوْلَةِ مَقَامَ أَبِيهِ ، وَأَغْنَى فِي غَزْوِ

( ١ ) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالْأَصَحُّ هُنَا : الَّذِينَ بِهِمْ كَانَ يَرْهَبُ .

( ٢ ) فِي الْأَصْلِ : النَّاصِرِيَّةُ ، وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ ابْنَ حَيَّانٍ كَتَبَ كِتَابًا خَاصًّا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
النَّاصِرِ ، وَلَكِنَّ الثَّابِتَ أَنَّ لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ يُسَمَّى « الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى » وَعَنْهُ  
نَقَلَ ابْنُ بَسَامٍ مَا أوردَهُ فِي « الذَّخِيرَةِ » مِنْ تَارِيخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ .

العدو ، إلا أن مدته لم تطل . وبلغت الأندلسُ في أيامه نهاية السُكَّال ، وكان على أهلها أسعدَ مولود . حكى ابنُ حَيَّان عن زعيم النجمين على عهد الحَكَم<sup>(١)</sup> ، أنه نظر في مولد عبد الملك هذا وهو طفل ، فأشار من بعد سعادته إلى أمر كبير لم يدرك هو آخره ، فعجبَ مَنْ شاهدَه من جودة إصابته ، وذلك أنه قال : « لم يولد قط بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه ، وعلى نفسه ، وعلى حاشيته ، نعم ! وعلى أهل الأندلس طرّاً ، وعلى أرضها طرّاً ، فضلاً عن ناسها . وإنها لا تزال كذلك حال حياته ، وإذا هلك فما أراها إلا بالضد »<sup>(٢)</sup> ، فكان كذلك .

وأما أبو المطرف عبد الرحمن الناصر أخو عبد الملك ، فإنه وَلَّى الحِجَابَةَ بعده ، فلم يَقم إلا يسيراً حتى قام عليه المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، فقتل وضُلب . وانبعثت الفتنُ على الأثر ، فما خدت نارُها [١٢٧-١] إلا في النادر ، / إلى وقتنا هذا — وهو سنة [ ... ]<sup>(٣)</sup> أربعين وستمائة . وقد استولى الرومُ فيه على الأندلس بأسرها ، مع الجزائر الشرقية المضافة إليها ، بين صلح وعنوة .

وشؤم عبد الرحمن الناصر<sup>(٤)</sup> هو الذي جرَّ افتراقَ الجماعة ، وجرَّأ على خلعان الطاعة ؛ وعلى رِجله كان الفسادُ العام ، لما استشرف إلى الخلافة ، واستقل خطة الحِجَابَةَ ، ولم يرض إلا بالإمامة . فداخل هشاماً المضعوف ، وطالبه بأن يجعله وَلِيَّ عهده ، ويلقى إليه بجميع أمره ، فاستفتى في ذلك فقهاء قرطبة وعلماءها

(١) هو أحمد بن فارس البصري المنجم زعيم الصناعة بها على عهد الحكم ، كما قال ابن بسام - راوياً عن ابن حيان - في الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٥٩ .

(٢) نقل ابن الأبار ذلك عن ابن حيان . راجع المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) أسقط الناسخ هذا الرقم سألحه الله . . كان هذا يحدد لنا تاريخ كتابة الحلة السيرة بالضبط .

(٤) المراد عبد الرحمن بن أبي عامر الذي اتخذ لنفسه لقب الناصر ، ويلقب أيضاً بالمأمون .

حينئذ ، فسوّغوا له ما طلب واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » — وكان ابن أبي عامر معافرياً قحطانياً — فقالوا : عسى أن يكون الذى وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجدّ فى ذلك السمعى الخبيث أبو العباس بن ذكوان<sup>(١)</sup> القاضى وأبو حفص ابن برد السكاتب<sup>(٢)</sup> ، حتى قال فيهما ابن أبي يزيد المصرى :

( ١ ) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموى ، قاضى الجماعة بقرطبة على أيام المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر بن أبي عامر وأخيه عبيد الرحمن بن أبي عامر ، وهو أول الموقعين على الوثيقة التى استصدرها عبد الرحمن بن أبي عامر بن هشام المؤيد بتوليته العهد للخليفة هشام المؤيد . وقد أثنى عليه معظم من ترجموا له ( الضبى ، رقم ٤٢٥ ص ١٧٤ والنباهى : المرقبة العليا ، ص ٨٤ وابن سعيد فى « المغرب » ، رقم ٢١٠ ج ١ ص ١٤٤ وأعمال الأعلام لابن الخطيب ، ص ٤٩ ) . وأسرّة بنى ذكوان أسرة فقه وقضاء ، وقد علت منزلته عند عبد الرحمن بن أبي عامر حتى قلده الوزارة إلى جانب القضاء ، وكان يكتب عنه : من الوزير قاضى القضاة ، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس . وقد ظل جليل القدر إلى وفاته فى ٢١ رجب سنة ٤١٣ . وأبو محمد ابن حزم يتنقصه ويتقده نقداً شديداً .

( ٢ ) أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد السكاتب ، المعروف بابن برد الأصغر . ذكر الحميدى فى الجذوة ( بتحقيق محمد بن تاريت الطنجى ، القاهرة ١٣٧٢ ) أنه كان مولى لأحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ، أديب وشاعر اشتهر بأسلوبه المسجوع المثلل بزينة اللفظ ، ويعتبر من أوائل من أدخل هذه الطريقة فى الأندلس . وقد شارك فى السياسة وخدم المنصور ابن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن ، وعلا أمره فى أيام هذا الأخير حتى وصل إلى الوزارة . لم يقدم لنا الذين ترجموا له شيئاً نافعا عن حياته ، ولكن الحميدى يذكر أنه لقيه مراراً زائراً لأبى محمد على بن أحمد بن حزم وأنه توفى سنة ٤١٨/١٠٢٧ ، ونسب إليه الحميدى كتباً فى علوم القرآن ، وذكر له ابن بسام معاصره كتاب « سر الأدب وسبك الذهب » ونقل فقرات طويلة منه ومن شعره ، ومن كلامه فى أغراض شتى .

انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ١٩ وما بعدها .

ياقوت ، معجم الأدباء ( طبعة أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ) ٤١/٥ - ٤٣ .

الضبى ، بغية الملتبس ، ص ١٥٣ ( كلاهما نقل كلام الحميدى دون زيادة )

ابن سعيد ، المغرب : ٨٦/١ وتعليق الدكتور شوقى ضيف .

إن ابن ذكوان وابن بردٍ قد ناقضا الدينَ بَعْدَ عَمْدِ  
وعاندا الحق إذ أقاما حفيدَ شَفِيجِهِ<sup>(١)</sup> وليَّ عهدٍ  
ولم يَقم كذلك إلا أربعةَ أشهر — في ما ذكر الحميدى وغيره — واختل  
أمره وأسلمته الجيوش ، فكان من خبره ما تقدم ذكره .

وكان مولد المنصور محمد بن ابى عامر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وفيها  
كانت الهزيمة العظيمة بالخندق<sup>(٢)</sup> على عبد الرحمن الناصر ، فأخذ الله بثأر

(١) إشارة إلى ما هو معروف من أن أم عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر كانت بنت  
شأنجه الثانى ابن غرسية الأول ابن شأنجه الأول وهو الملقب بأباركا ملك نبارة Sancho Garcés II  
(Abarca) . وقد أسلمت هذه الأميرة بعد زواجها بالمنصور وتسمت باسم عَبدَة ، وأنجبت  
عبد الرحمن حوالى سنة ٩٨٤/٣٧٤ ، وأطلقت عليه — تدليلا — مصغر اسم أبيها ، أى سانشويلو  
Sanchuelo (بالعربية شنجول) . وقد أعقبت هذا الزواج هدنة بين قرطبة والبشكنس ،  
وأقبل سانشو جارثيس فى زيارة رسمية لحميه فى قرطبة فى سبتمبر سنة ٩٩٢/ رجب ٣٨٢ .  
وقد ذكر ابن الخطيب فى أعمال الأعلام (ص ٦٣) سانجو غرسيس هذا وقال : المعروف  
بـ «رى فرجه» Rey Abarca .

انظر : تعليق الدكتور مكى على القصيدة رقم ١٠٧ من ديوان ابن دراج ، ص ٣٩٥ .  
ابن عذارى ، البيان المغرب (بتحقيق ليثى پروثنسال) ج ٣ ، ص ٣٨ و ٤٢ .  
ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بتحقيق ليثى پروثنسال) ص ٧٩ .

Dozy, *Recherches* (3e édition) I. 188-192.

LÉVI — PROVENÇAL, *Histoire de l'Espagne Musulmane* (2e éd, Paris, 1950) II, 241 - 242, 292.

(٢) دارت معركة الخندق بضعة أيام ، ولكنها بلغت ذروتها وتقرر مصيرها فى ١١ شوال  
٣٢٧/ أول أغسطس ٩٣٩ عند مدينة شنت مانقش (سيمانقاس Simancas) وقد سميت  
باسم الخندق بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره تحت أسوار سيمانقاس حتى  
يحصّر عنده قوات العدو الحاربة فى حالة الهزيمة . وكان عبد الرحمن قد احتفل بالاستعداد للمعركة  
احتفالا ضخما وحشد لها نحو ١٢٠ ألف جندى وسأها لهذا «غزاة القدرة» لأنه عول على أن  
يجعلها قاضية على رذير الثالث Ramiro III ملك ليون . ولكن معظم جيش المسلمين  
كان من المتطوعة والقوات غير النظامية ، ثم حدث خلاف بين قادة الجيش من الأندلسيين  
وصقالبة عبد الرحمن ، ولهذا فعندما شدت قوات ليون على المسلمين فى اليوم الأخير للمعركة  
تراجعوا وتحاذل بعضهم وولوا الأدبار ، حتى إذا وصلوا إلى الخندق تساقطوا فيه وقتلوا =

الإسلام على يدي المنصور ، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . خرج غازياً ، وقد وقع في مرضه الذي مات فيه ، فاقتحم جليقية من تلقاء مدينة طليطلة ، ومرضه يخف وقتاً ويثقل أوقاناً ، وقويت عليه العلة بأرض قشتالة ، فاتخذ له سرير من خشب يُحمل على أعناق الرجال ، قطع بذلك أربعة عشر يوماً ، حتى وصل إلى مدينة سالم ، فوجه ابنه عبد الملك ليخبر هشاماً بما ترك عليه أباه ، وتوفي ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة . قيل : ودفن بمدينة سالم وقبره بها ؛ وكان عليه مكتوباً :

آثَرُهُ تُنَبِّيكُ عَنْ أَخْبَارِهِ حَتَّى كَأَنَّكَ بِالْعِيَانِ تَرَاهُ  
تَاللَّهِ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ أَبَدًا ، وَلَا يَحْمِي الثَّغُورَ سِوَاهُ

/وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة ، فقد كان له حلم واحتمال ، مع محبة [١٢٧-ب] نلعم وإيثار للأدب وإكرام لمن ينتسب إليهما . يحكى أن أبا محمد الباجي الراوية دخل عليه وقال : « أصلحك الله يا حاجب ، وحفظك ووفقت وأحسن عونك » ، فرد عليه ابن أبي عامر أجمل رد ، وبجله ووقره وأدنى مكانه حتى أقعده إلى جانبه ، وقال له : « كيف أنت اليوم وحالك ؟ » فقال له : « بخير ما كنت به »<sup>(١)</sup> ثم قال له الباجي : « أي والدٍ كان لك رحمة الله عليه ! كان والله

== بالألوف ، وأسرع عبد الرحمن ناجياً بنفسه في فل الجيش . وتلك هي المعركة الوحيدة التي خسرها

عبد الرحمن الناصر ، وكانت آخر غزوة غزاها بنفسه .

انظر : الأخبار المجموعة ، ١٥٥ - ١٥٦ .

نفح الطيب ( طبعة أوربا ) ٢٢٨/١ .

ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ٩٩ - ١٠٠ .

DOZY, *Recherches*, I, 156-170.

LÉVI-PROVÉNÇAL, *op. cit.*, 56-59.

والمراجع الوافية المعطاة في هذين المرجعين .

(١) الأصل : فكنت به .

— ما علمتُ — من أهل الخير والعافية ، والصلاح والعفة ، والحرص على الطلب والمعرفة . اختلف معي إلى محمد بن عمر بن لبابة ، وإلى أحمد بن خالد ، وإلى محمد بن فطيس الليبري وغيرهم . وكان لي خيرَ صديق وصاحب : أنتفعُ به ، وينتفعُ بي ، وأقابلُ معه كتبه وكتبي<sup>(١)</sup> . ولم يكن فضولاً البتة . وأما أنت فلم تتمثلهُ ، وأدخلتَ يدك في الدنيا ، فانغمستَ في لُجْجها . وطلبتَ الفضول ، فعلمتَ أخباراً كثيرة<sup>(٢)</sup> ، وأوبقتَ نفسك والله يا مغرور ، وعزَّ على انتشابك ، فقال له ابنُ أبي عامر : « يا فقيه ، هكذا صاحب الدنيا : لا بد أن يخطأ خيراً بشر ، ويأتي معروفاً ومنكراً ؛ والله يتوب على من يشاء برحمته » . وسأله الباجي إثر هذا رفع الغرامة عن ماله بإشبيلية ، فأمر بإسقاطها ، ووصله ببدره دراهم كاملة ، ومنديل كسوة<sup>(٣)</sup> تشاكله ، فيها خلعة تامة . ومن شعره يفخر :

رَمِيتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ      وَخَاطَرْتُ ، وَالْحَرَّ الْكَرِيمُ مَخَاطِرُ  
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَفَانٌ مَشِيعٌ      وَأَسْمَرُ خَطِي وَأَبْيَضُ بَاتِرُ  
وَمَنْ شِئِمِي أَنِّي عَلَى كُلِّ طَالِبٍ      أَجُودُ بِمَالٍ لَا تَقِيهِ الْمَعَاذِرُ  
وَأِنِّي لَزَجَاءُ الْجِيُوشِ إِلَى الْوَغَى      أَسُودُ تَلَاقِيهَا أَسُودُ خَوَادِرُ  
لَسَدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سَيَادَةٍ      وَكَاثَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ أَكَاثِرُ

(١) أورد ابن الأبار هذه الفقرة في ترجمته لأبي حفص عبد الله بن محمد بن أبي عامر (رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧) ، وقد ذكرناه في تعليقاتنا آنفاً .

(٢) انظر عن نظام الحاسوبية الذي وضعه المنصور : أعمال الأعلام لابن الخطيب (بتحقيق ليثي بروفسال ، بيروت ١٩٥٦) ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣) الأصل : منديل كثره ، والصواب ما أثبتناه . وليس المراد بالمنديل ما نريده به اليوم في الاستعمال الجارى ، وإنما قطعة قماش كبيرة توضع فيها الأشياء وتلف ، والمراد أنه أعطاه كسوة لاثقة به ملفوفة في منديل . انظر عن استعمال اللفظ في هذا المعنى :

DOZY, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, p. 416.



وما شِدْتُ بنيانًا ، ولكن زيادة على ما بنى عبدُ الملِك وعامرُ  
رفعنا المعالي بالعوالي حديثه وأورثناها في القديم .مَافِرُ  
قال ابن حَيَّان : هذا لأنه محمد بن عبد الله ، ونسبه كما تقدم . قال :  
وعبد الملك جده هذا هو الداخل إلى الأندلس / مع طارق بن زياد ، مولى موسى [١٢٨-١]

ابن نصير ، في أول الداخلين من المغرب ؛ وهو في قومه وسيط .  
وقال الحَمِيدِي : قال لي أبو محمد علي بن أحمد — يعني ابن حزم — الفقيه :  
كان المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر مَافِرِيَّ النسب من حَخير ، وأمه تميمية  
وهي بُرَيْهَة بنت يحيى بن زكرياء التميمي المعروف بابن بُرْطال ، ولذلك قال فيه  
أحمد بن دَرَّاج — هو أبو عمر القسطلي — من قصيدة له فيه :

تلاقَت عليه من تَمِيمٍ وَيَعْرُبٍ شَمُوسٌ تَلالًا في العلا وبدورُ  
من الحَمِيرين الذين أَكفَّهُمْ سَحائبُ تَهْمى بالندى وبحور<sup>(١)</sup>

وللمنصور — لما اشتد سلطانُه وتوالى ظفره — وكتب به إلى صاحب  
مصر يقوعده :

مَنَعَ العَيْنَ أن تذوقَ النَما حُبُّها أن ترى الصَّفا والمَقاما  
لى ديون بالشرق عند أناسٍ قد أحلوا بالمَشْعَرين الحراما  
إن قَضَوْها نالوا الأمانى وإلا جملوا وزنها رقابًا وهاما  
عن قريبٍ ترى خيولَ هشامٍ يبلغُ النَيلَ خطوها والشَّاما  
وله :

ألم ترني بعتُ الإقامة بالشرى ولينَ الحشايا بالخيولِ الضوامرِ ؟

تبدلتُ بعد الزعفرانِ وطيبه صدأ الدرع من مستحكات المسامرِ  
أروني فتى يحمي حمائى وموقفى إذا اشتجر الأقرانُ بين العساكرِ  
أنا الحاجب المنصور من آل عامرِ بسمفى أقدُّ الهامَ تحت المغافرِ  
تلاهُ أمير المؤمنين وعبدُهُ وناصحُهُ المشهودُ يومَ المفاخرِ  
فلا تحسبوا أنى شُغلت بغيركم ولكنَّ عهدتُ<sup>(١)</sup> الله فى قتل كافر

وأهدى المنصور إلى أبى مروان عبد الملك بن أحمد<sup>(٢)</sup> بن شهيد الوزير  
عقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار — وقد سأله ذلك عند صدره من  
بعض غزواته — وكتب إليه معهن يداعبه :

قد بعثنا بها كشمسِ النهار فى ثلاثٍ من الليالي أبكارِ  
فاجتهدْ واتَّددْ فإنك شيخٌ خفىَ الليلُ عن بياضِ النهار<sup>(٣)</sup>  
/ صانك الله عن كلالك فيها فمن العمار<sup>(٤)</sup> كلةُ المسامرِ [١٢٨-ب]  
فاقتضهن أجمع فى ليلته ، وكتب إليه :

قد قضضنا ختامَ ذاك السَّوار<sup>(٥)</sup> واصطبغنا من النجيع الجارى

(١) كذا فى الأصل ، وفى يتيمة الدهر لأبى منصور عبد الملك الثعالبي ( طبعة محيى الدين ،  
القاهرة ، بدون تاريخ ) ، ٦٢/٢ :  
\* ولكنَّ أطعتُ الله فى كل كافر \*

(٢) الأصل : عمر بن شهيد وهو خطأ ، وقد صوبت الاسم من الذخيرة ، قسم ٤  
مجلد ١ ص ١٦ ، وقد وردت نفس الأبيات هناك ، ص ١٨ - ١٩ . وقد سبقت ترجمته .  
(٣) الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ :

فاتتد واجتهد فإنك شيخ قد جلا الليلَ عن بياضِ النهار  
(٤) الأصل : الصدر ، والتصويب من الذخيرة .

(٥) كذا فى الأصل وفى مخطوط الذخيرة ، وقد صوبه المحققون إلى : الصوار .

ونعمنا في ظل أنعم ليل ولهونا بالدر أو بالدراري<sup>(١)</sup>  
 وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاء غضب الظبي بتار  
 فاصطنعه ، فليس يُجزيك كفرةً واتخذهُ سيفاً على الكفار  
 قال ابن حَيَّان : وكانت حِجَابَةُ المنصور خمساً وعشرين سنة ، وعمره خمساً  
 — أوستاً — وستين سنة .

## ١٠٢ — عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص

كان أبوه عمرو — وهو الملقب بـ « عَسْكَلاجة » — صاحب المدينتين<sup>(٢)</sup>  
 في أيام هشام المؤيد ، بتقديم ابن عمه المنصور محمد بن أبي عامر . ثم ولى بلادَ  
 المغرب بعد ذلك فاشتد سلطانه هناك ، واستنزل حسن بن القاسم العلوي  
 الإدريسي وأنفذه إلى الأندلس . وكان صارماً مهيباً جباراً قاسياً<sup>(٣)</sup> ، وقتله<sup>(٤)</sup>  
 ابنُ عمه المنصور بِنَقْصِه إياه وغَضَه منه وتَسَخَّيَه عليه واحتجاز الأموال دونه

(١) الذخيرة :

وصَبَوْنَا فِي ظِلِّ أَطْيَبِ عَيْشٍ وَلَعَبْنَا بِالْدرِ أَوْ بِالْدرَارِي  
 (٢) أقام المنصور بن أبي عامر ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر على مدينة قرطبة  
 عقب توليه هو الشرطة العليا لكي تتم له السيطرة على شؤون الأمن والحراسة في العاصمة ،  
 وكان محمد بن أبي عامر قد سلك في حكومة المدينة سياسة العنف والشدّة حتى أقر الأمن فيها ،  
 ثم استتاب عن نفسه ابن عمه هذا فصار سيرته (ابن عذارى، البيان : ٢٦٦/٢ - ٢٦٧)  
 وعند تمام بناء مدينة الزاهرة أقامه عليها ، فأصبح يلقب بصاحب المدينتين .

(٣) كان ذلك في الثّالِث سنة ٣٧٥ ، وقد روى ابن عذارى لإرسال المنصور جيشاً  
 كثيفاً في تلك السنة إلى المغرب للقضاء على ما كان يحاوله حسن بن كنون من الخروج عن طاعة  
 الأمويين كما سبق أن رويناه . وحسن بن القاسم المذكور هنا هو حسن بن كنون بن القاسم ،  
 وقد قتله المنصور غدرًا بعد أن استسلم على أمان وقبل أن يذهب إلى قرطبة . البيان المغرب :

٢٨١/٢ .

(٤) أى قتل عمراً أبا المترجم له هنا .

[ بعد أن ]<sup>(١)</sup> استقدمه من المغرب ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

ومن شعر أبي حفص هذا يذم المظفرَ عبدَ الملك ، لما زوّج « حبيبة » بنت ابن عمه عبد الله بن يحيى بن عبيد الله بن أبي عامر — وهى بنت أخته « بُرَيْهَةَ » — من عبد الملك بن قند مولاها :

عـربىٌّ مزوّجٌ عبدَه بنتَ أخته  
قبّحَ الله فعلَ ذا ورماء بمقتـه

وقد قيل إنهما لعبد الملك بن يحيى ، أخى عبد الله بن يحيى المذكور .

### ١٠٣ — زياد بن أفلح

مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد

كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها ، وتوفى في أولها سنة ثمان وستين وثلاثمائة — ذكر ذلك ابنُ حَيَّان في تاريخه الكبير ، وذكر في « الدولة العامرية »<sup>(٢)</sup> أنه كان على المدينة ، وأن جُودراً الفتى الحكى تحيّن ركوبَ

(١) أضمت هاتين الكلمتين للسياق .

(٢) إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية ، وهو المعروف بـ « البطشة الكبرى » وقد احتفظ لنا بأجزاء منه ابن بسم في الذخيرة ( قسم ٤ مجلد ١ ) ص ٣٩ وما بعدها ، وابن الخطيب في أعمال الأعلام ( بيروت ١٩٥٦ ) ص ٤٨ وما يليها ، وابن عذارى في البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٣ وما يليها . ولكن ما ينقله ابن الأبار هنا لا يوجد في أى من تلك المراجع . وله لهذا أهمية كبرى ، رغم إيجازه . وإليك تفصيله :

بعد أن استقر الأمر على أن يظل هشام المؤيد خليفة بعد أن تخلص جعفر المصحفى ومحمد بن أبي عامر من المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، شعر صقالبة القصر وعلى رأسهم الفتّان =

زياد هذا إلى داره بطرف المدينة ، حين توصل إلى هشام المؤيد ، عازماً على الفتك به ، عند مداخلته الجماعة الذين اجتمعوا على خلمه ، بتدبير عبد الملك ابن القاضي منذر بن سعيد صاحب خطة الرد ، فبطش بجؤذر / وقبض عليه بمبادرة [١٢٩-١]

جؤذر وفائق بأن الأمر صار في الحقيقة إلى المصحفي وابن أبي عامر ، تعاونهما صبح أم المؤيد . فأخذوا يعارضان هذا الثالوث الذي استأثر بالحكم . وتنبه ابن أبي عامر لخطر الصقالة ، فما زال يضايقتهم حتى استصدر من هشام أمراً بعزل جؤذر وفائق عن رياستهما ، فعرض الانصراف عن القصر مع أتباعهما فأجيبا إلى ما طلبا وانتقلا إلى دورهما في المدينة . وكان يلي المدينة إذ ذاك زياد بن أفلح المترجم له هنا ، وكان في الباطن من الناقمين على الثالوث الحاكم المتوجسين شراً من ابن أبي عامر .

وبعد أن تمكن محمد بن أبي عامر من إسقاط جعفر المصحفي والانفراد بالحجابة سنة ٣٦٧/ ٩٧٨ تبين لجؤذر وفائق وشركائهما أنه لا بد من معاجلة ابن أبي عامر ، فدبروا في السنة التالية مؤامرة ترمي إلى أقصاء هشام المؤيد عن الخلافة والمناذاة بحفيد لعبد الرحمن الناصر يسمى عبد الرحمن ابن عبيد الله . وقد اشترك في المؤامرة زياد بن أفلح وعبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي ، وكان يلي خطة الرد في قرطبة ، والشاعر يوسف بن هارون الرمادي . وفشلت المؤامرة ، وخاف زياد بن أفلح أن يفتضح أمره فألقى بزملائه المتآمرين في السجن . ويفهم من رواية ابن الأبار أن جؤذراً لم يسجن ، وحاول أن يغتال زياد بن أفلح انتقاماً منه على الصورة الواردة في النص . ولم يوفق جؤذر في ذلك لأن أحمد بن محمد بن عروس (ويبدو أنه كان يتولى وظيفة كبرى من وظائف الشرط) قبض عليه ، فأسرع زياد بن أفلح - وكان في داره - مخافة أن يتكلم جؤذر ويفضحه ، ولكن يبدو أن هذا تكلم ، ولهذا وبخ ابن عروس زياد بن أفلح «وتعاوننا في النازلة» أي على كتمان الأمر . وقد قتل عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عقب ذلك . أما عبد الملك بن منذر فقد اتهم بالزندقة والاعتزال ، وأفتى عليه بآية الحراة كما يقول ابن الأبار ، فأشار زياد بن أفلح بصلبه تقرباً لابن أبي عامر ، فصُلب عند باب السدة في منتصف جمادى الثانية ٣٦٨/ ١٨ يناير ٩٧٧ . وتوفي زياد بن أفلح بعقب ذلك . أما الشاعر الرمادي فقد هرب واختفى حتى عفا عنه المنصور .

انظر: طوق الحمامة لابن حزم ، طبعة ليون برشير مع ترجمة فرنسية (الجزائر ١٩٤٩)

ص ١١٤ - ١١٥ .

ASIN PALACIOS, *Abenmasarra y su escuela, en [Obras Escogidas]*, 1, 124.

LÉVI - PROVENÇAL, *op. cit.* II, 216 - 218.

بالإضافة إلى المراجع المذكورة في أول هذا التعليق .

أحمد بن محمد بن عروس إلى تلافى الأمر . قال : ووافى زياد على إثر ذلك فوجه ابن عروس ، فأخذ في الاعتذار وتعاوننا على النازلة ، وما سلم زياد من التهمة . وحكى أن عبد الملك بن منذر في هذه القصة — لما أفتى عليه بآية الحراية ورد إلى الخليفة الأمر فيما يختار له من العقوبة — أشار صاحب المدينة زياد بن أفلح هذا بأن يُصلب ، استبلاغاً في المثلة — يعني بذلك التقرب إلى ابن أبي عامر ونفى التهمة عنه — فعمل برأيه ، وذلك في سنة سبع وستين وثلاثمائة . وزياد هو القاتل :

وأصبحت الدنيا بأوثبك الرضا لدى كوصل صافع لقفا الصدد  
ولم لا ، ودهرى كله بك موتى ؟ أرق — إذا ما شئت — من طرقت برد

## ١٠٤ — فرحون بن عبد الله

يعرف بابن الويلة<sup>(١)</sup>

وهو محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، ويُشهر بفرحون . كان والياً على شنترين بغرب الأندلس ، في أيام الحكم المستنصر بالله أو ابنه هشام المؤيد بالله ، وقدم عليه أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى منتجعاً ، فأمر بإنزاله ، فقصر به متولى ذلك ، فكتب إليه الرمادى :

أيها العارض والمهدى  
حين لا يهدى إذا ما أشئت  
لست سقي العارض طلاً  
ولست سقي

(١) الأصل : الدبلة ، والتصويب من دوزى ، ص ١٥٥ .

قائداً أفنت مغازير به العدا سبياً وقتلاً  
 إنَّ ضيفاً قاصداً قد ت له : أهلاً وسهلاً  
 قد توسعت له فيه ما يسرُّ الضيفَ نَزْلاً<sup>(١)</sup>  
 ما له فرش على الأر ض سوى وجه مُصَلَّى  
 فأنَّا لولا [اصطبار]<sup>(٢)</sup> ردَّ منه الوعر سهلاً  
 لم تجدد عيني لنومٍ بمبيتِ السوء كخلاً

فوردت الأبيات على فرحون وهو خارج إلى القزو ، نفجل من ذلك ، وأمر  
 له بما طلب ، وقرن ذلك بجارية ، وكتب إليه معتذراً من التقصير :

أيها السيد أهلاً بالذي أهديت أهلاً  
 ما يُناويك مُناوٍ إن وصلت القول وصلاً  
 شاعراً نذباً نبيلاً محسناً جيداً وهزلاً  
 ما تولَّى الشعرَ إلا ردَّ منه الوعر سهلاً  
 شعره سَحَّ ووبلٌ إذ يكون الشعرُ طلاً  
 محكمٌ غَضٌّ بديعٌ لا يكادُ الدهرَ ينلُ  
 / فله ما قلتُ أهلاً ثم رحباً ثم سهلاً  
 أيها السيد مهلاً بأخيك المحض ، مهلاً<sup>(٣)</sup>  
 إن شكواك إلينا ولدت في النفس خبلاً  
 ونفتُ نومي فلهما تكتحل عيناى كخلاً

(١) قرأها دوزى : خزلاً ، وصوبها إلى : خذلاً .

(٢) بياض بالأصل ، وقد أكلته بما يناسب الوزن والمعنى .

(٣) الأصل : أهلاً ، ولكن السياق والمقابلة مع الشطر الأول يقتضيان هذا التعديل .

ما على عميدٍ ولكنَّ (م) لَ جَهَنَّا الأَمَرَ جهلاً  
 وظننَّا بالـمـكـازى<sup>(١)</sup> إنه أكرمُ بذلاً  
 فابسطنْ عذرى وإن لم أَلْكَ لِلْأَعْدَارِ<sup>(٢)</sup> أهلاً  
 يا أخى أنت ومولى وقليلاً لك مولى  
 قد بعثنا بفـراشٍ فاهجرنْ وجهَ المصلَّى  
 ووصلناه بغَيْدَا ء كبدٍ يتجلى  
 فتفضلْ بقبولٍ لا عدمت الدهرَ فضلاً  
 وورَا ذلك منى سترى فضلاً وفضلاً

وله أيضاً :

يارسولى أبلغْ إليها شكائى واستنلها ولو بقاء حياتى  
 قل لها : قد قضى هواك عليه فهو ميت ، أو مؤذنٌ بالماتِ  
 فالحظية ترى إذا شئت مَيِّتاً كان يحيا بأيسر اللحظاتِ  
 واعجبي أن تكون لحظة عينٍ منك تهدى الحياة للأمواتِ

## ١٠٥ — على بن وداعة بن عبد الودود السلمي ، أبو الحسن

قال فيه الحُمَيْدَى : أميرٌ كان قريباً من الأربعمئة . وقال ابن بسام ،  
 وذَكَر صاعداً للغوى : انتهت به الحال إلى أن أغْرِمَ ، فاستغاث على بن وداعة ،  
 أحدَ الفرسان الأبطال ، ونهبا الدولة كان فى ذلك الأوان . قال : ومن شعره فيه :

(١) كذا فى الأصل ، ولعله اسم الشخص الذى وُكِّلَ إليه إنزال الشاعر والخفاوة به .  
 (٢) الأصل : فابسطنْ عذرى وإن لم أكن للأعدار أهلاً  
 والبيت على هذه الصورة يختل الوزن ، وقد أبدل دوزى (ص ١٥٧) كلمة « للأعدار »  
 بـ « للعذر » ، وما أثبتناه أصلح وأقوم .



أبا حسن ، ربيعة من سليم      سنان زان عالية الرياح  
 وإني عائد بك من هنا<sup>(١)</sup>      تحش دعامي تحت القداح  
 فكر على ابن عمك وانتشله      فليس حمى ابن عمك بالمباح  
 فإن الجار عندك بين جنبي      عقاب الدجن كاسرة الجناح  
 نظنك طالما ببني سليم      عليها عغد مفتضح الصباح  
 إذا ساورت قرنك في مكر      جعلت له ذراعك كالوشاح

ومن شعر ابن أبي وداعة :

زار الحبيب فرحاً بالزائر      أهلاً ببدر فوق غصنٍ ناضر  
 / قبلت من فرحى تراب طريقه      ومسحت أسفل نعليه بمحاجرى  
 وخشيت أن ينقذ إخص رجله      من رقة فبسط أسود ناظرى

( ١ ) فى الأصل بالتاء المفتوحة ، وصحتها كما أثبتناه . والحناء الداهية ، وقد حسب فاشرو الذخيرة أنها مستعملة هنا جمعاً لأنهم قرأوا الكلمة الواردة بعدها **نَحْنُ** . وصحة قراءتها كما هى هنا . انظر : الذخيرة ( قسم ٤ مجلد ١ ) ص ٣٨ .

وقد روى ابن بسام فى الذخيرة ( نفس المرجع ص ٣٧ وما بعدها ) تفصيل ما جعل صاعداً يستغيث بعلى بن وداعة ، وخلاصته أن صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي ساءت حاله بعد العز الذى كان فيه أيام المنصور ، و« طوبى فى أخريات تلك الدولة ، وانتهت به الحال إلى أن أغرم فى خبر طويل » فاستغاث بعلى بن وداعة شعراً ونثراً ، فاستفجع بعلى بن وداعة ، ولا كانت فيه شفاعاة ، فتوجه إلى الخليفة هشام يرجوه معاونته ، ثم قتل ابن وداعة ولم يبق عند صاعد أمل ، إذ اضطربت الأحوال وارتجت الفتنة وضاع أمر صاعد « بين غلاء السعر ورخص الشعر » . ورفض رجال هشام المؤيد أن يأذنوا لصاعد فى مبارحة الأندلس خوفاً من لسانه ، فخرج مستخفياً . ولجأ إلى أبى زيد البكرى صاحب جزيرة شلطيلى سنة ٤٠٣ ، ومن هناك ذهب إلى صقلية حيث تحسنت حاله ، ثم عاد إلى الأندلس ليأخذ أهله وعياله ، ومدح الخليفة المستعين فلم يظفر منه ببطائل ، فعاد إلى صقلية وتوفى فيها سنة ٤١٠ .

## ١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى

كان أبوه من رؤساء الدولة الأموية وقوادها الجلالة ، وكان يعلى هذا  
فى دولة المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر . ومن شعره ، وقد بعث إليه  
بورد مبكر :

بعثتُ من جَنَّتِي بوردٍ غَضَّ لَه منظرٌ بديعُ  
قال أناس رأوه عندى : أعجَلَه عامُنَا المُرِيعُ  
قلتُ : أبو عامرِ المَعْلَى أيامُه كلُّها ربيعُ

وتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وله يرثى أبا على البغدادى من أبيات :

أَمَاتَ العلمَ مَوتُ أبى عَلى منارِ العلمِ والفضلِ الرضى  
سأبكي بعده سرًّا وجهرًا كما يبكي الوليُّ على الوليِّ  
ولو لم أبكه حزنًا ووجدًا إذا ما كنتُ بالرجلِ الوفيِّ  
إذا قلبٌ خلا من حبٍّ مَيِّتٍ فقلبي ليس عنه بالخلى  
وله :

إني هجرتُ الغانياتِ جميعًا ونزعتُ عن كلِّى بهنٌ نزوعًا  
ورفضتُ لذاتى فصرتُ لناصحًا بعد الإيابة<sup>(١)</sup> سامعًا ومطيعًا  
ونهى الثنى قلبى فأقصر وارعوى واعتاض بعد الكبرياء خشوعًا

ورأيتُ رشدِي واضحاً بعد العمى      فنكصتُ عن غيِّ الضلالِ رجوعاً  
يا حسرةً ساعاتُها ما تنقضي      كيف النجاةُ وقد أسأتُ صنيعاً ؟

\*\*\*

ومن ملوك إفريقيا ورجالهم في هذه المائة :

١٠٧ - محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله

/ قد تقدم الاختلافُ في نسب عبيد الله إلى الحسين بن علي ، رضوان الله [١٣٠-ب] عليه ، فمن مُسلمٍ ما ادعاه ومن دافع له فيما حكاه ، وهو الأكثر وهو الأصح والأظهر .

واختلف أيضاً في اسم القائم هذا ، فقليل عبد الرحمن وقيل حسن وقيل محمد ، وبهذا الاسم كان يُذكر في الأمداح<sup>(١)</sup> ، قال علي بن محمد الإيادي التونسي :  
عجبتُ بأسطولِ الإمامِ محمدٍ      وبحسنه وزمانه المستغربِ  
لبستُ به الأمواجُ أحسنَ منظرٍ      يبدو لعين الفاطر المعجبِ  
وتقدم أيضاً ذكرُ وروده المغربَ مع أبيه وما قيل في تبيينه وهو يومئذ

(١) أشار إلى الاختلاف في اسمه محمد بن علي بن حمّاد في كتابه « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » ( بتحقيق م . فوندرهايدن ، باريس - الجزائر ، ١٩٢٧ ) ص ١٢ ، ورجح أن صحة الاسم محمد واستدل على ذلك بأن أبا القاسم القائم عندما سار إلى المغرب الأوسط في حياة أبيه في صفر سنة ٣١٥ لحرب محمد بن خزر الزناتي ومن تبعه من زناتة اختط مدينة المسيلة وسماها « المحمدية » باسمه ، وهذا يدل على أن اسمه محمد ، بخلاف من يقول إن اسمه عبد الرحمن .

حَدَّث . ثم بويع له بالخلافة بعد عبيد الله للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وأخفى القائم موته<sup>(١)</sup> سنة .

وكان في حياة أبيه — على الخلاف فيه<sup>(٢)</sup> — أظهر منه في خلافته ومصير الأمر إليه : غزا قبل ذلك الإسكندرية في عسكر عظيم فلما معها مع الفيوم وصار في يديه أكثر خراج مصر وضيّق على أهلها وحاربه مؤنس الخادم بها . وكان خروجه من رقّادة في سنة إحدى وثلاثمائة ، ولست بقين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وصله جيش حباسة<sup>(٣)</sup> بن يوسف صاحب المهدي في مائتي مراكب فنزل فسطاط مصر والإسكندرية ، وقوى على مؤنس<sup>(٤)</sup> بالرجال والأموال ، وشخص لحربه فكانت بينهما وقعة قتل فيها خلق من الفريقين ، ثم انصرف حباسة<sup>(٥)</sup> ومن معه عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب بعد هزيمة وقعت على المغاربة .

(١) أى أنه أخفى موت أبيه سنة . وقد أشار ابن عذارى إلى حزن القائم على أبيه حزناً شديداً في ص ٢٠٨ ( ج ١ ) من البيان المغرب .

(٢) أى على رغم الخلاف في بنوته له . ويحتمل أيضاً أن يكون المراد : على الخلاف في أمر عبيد الله نفسه .

(٣) الأصل : حباشة ، والأصح ما أثبتناه . وقد كتبه ناشرو « النجوم الزاهرة »

حباسة بفتح الحاء ، والأغلب الضم . راجع المناقشة في ضبط الاسم في « النجوم » : ٣/١٧٢ .

(٤) مؤنس الخادم القائد العباسي الطائر الصيت ، وقد سماه ابن حمّاد<sup>د</sup> « مؤنس الخادم

الذى يعرف بالفحل أو يدعى المظفر » ( ص ١٢ ) .

(٥) هذا التفصيل من ابن الأبار يحل خلافاً كبيراً بين المؤرخين ، فبعضهم ( مثل الطبرى والكندى ) يقولون إن القائد كان حباسة بن يوسف ، وبعضهم الآخر ( مثل عريب بن سعد وابن خلكان والمقريزى ) يقولون إن القائد كان القائم ، وانفرد أوتينا بالقول بأن عبيد الله المهدي أرسل ابنه القائم بجيش مدداً لحباسة بعد استيلائه على الإسكندرية والفيوم ( انظر المناقشة عند حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ١١٣ هامش ١ ) .

وقد فصل ابن عذارى ( البيان المغرب : ١/١٧١ - ١٧٢ ) أخبار هذه الحملة تفصيلاً شافياً ،

وذكر السبب في قتل المهدي لحباسة بن يوسف وعروبة بن يوسف وجميع قرابتهما . وهناك

تفاصيل أخرى عن هذه الحملة في « أخبار بنى عبيد » لمحمد بن علي بن حمّاد ، ص ١١ - ١٢ .

ثم غزا في حياة أبيه ثانية ، وعند وصوله إلى الإسكندرية — وذلك في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة — خرج عاملُ المقدر عنها ودخل الجيزة<sup>(١)</sup> من أرض مصر في خلق عظيم .

وكتب القائمُ إلى مكة وإلى مَنْ حولها يدعوهم إلى طاعته ويعدهم الجيل ، وقال : « نحن أهل بيت الرسول ، ومن أحق بهذا الأمر منا ؟ » ، وضَمَّن الكتابَ أبيانا يقول فيها :

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم أم اصّدت من قلة الفهم والأدب ؟  
فويحاً لكم خالفتُم الحقَّ والهُدى ومن حاد عن أم الهداية لم يُصَبْ /  
فيا مُعرضاً عني وليس بمنصفي وقد ظهر الحق المبين لمن رغب [١٣١-١]  
ألم ترني بعثُ الرفاهةَ بالشرى وقتُ بأمر الله حقاً وقد وجبُ  
فلما وصل إليهم الكتاب بعثوا به إلى المفتدر ، فأرسل إلى أبي بكر الصّولي  
بعد قراءته الرسالة والشعر ، فدفع إليه الشعر وقال له : جاوبه عنه ،  
فكتب إليه :

عجبتُ وما يخلو الزمانُ من العجبُ لقول امرئٍ قد جاء بالعين والكذبُ

(١) الأصل : الجيزة ، والتصحيح من « القضاة والولاة » للكندي ، بتحقيق روفن جست ، ص ٢٧٥ . والثابت من مراجعنا أن القائم لم يستطع دخول الجيزة ، إذ ظل فيها « تسكن » عامل مصر حتى وصلت عساكر المهدي ومراكبه في النيل قادمة من الإسكندرية ، وانتصرتكين على القائم وظفر بمراكبه في شوال ٣٠٧ ، ثم أقبل إلى مصر مدد بغداد يقوده مؤنس الخادم في محرم ٣٠٨ ، واستمر القتال بين الجانبين ، وفي أثنائه استولى القائم على الفيوم وجيزة الأشمونين وعدة بلاد ، فأنت نجدة أخرى من بغداد يقودها جشمي الخادم المعروف بالصفواني ، فكانت بين الجانبين حروب طويلة في الفيوم والإسكندرية ، ثم انصرف القائم عن مصر إلى برقة عائداً إلى إفريقية ، وعزل تكين عن ولاية مصر في ١٣ ربيع الأول ٣٠٩ .

انظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٥ - ١٩٧ .

وجاء بملحونٍ من الشعر ناقصٍ فسحقاً له من مدحٍ أفضل النسبِ  
فمن أنت يا مهدي السفاهة والخنا فقد قت بالدين الخبيث وبالريب  
فلم يجيبوه . وهي قصيدة طويلة ، منها في ذكر الخلفاء من بني العباس :

ومعتدٍ من بعده وموفقٍ يردُّ من إرثِ الخلافة مذهبِ  
نوازِلهم<sup>(١)</sup> في كلِّ فضلٍ وسودٍ وإن لم يكن في القدر منهم لمن حسبِ  
أنشدهما أبو إسحاق إبراهيم بن تميم القيرواني الحصري في كتاب « زهر  
الآداب ونثر الألباب » من تأليفه . وقد أجرى ذكر الموفق أبي أحمد بن المتوكل  
ومدح ابن المعتزله ، قال : ويلقب بالناصر وبالموفق ، كانت حاله قد ترقّت في  
أيام المعتد إلى غاية لم يبلغها الخليفة<sup>(٢)</sup> . وقد ذكره الصولي في قصيدته لصاحب  
المغرب ، وقد اقتص<sup>(٣)</sup> خلفاء بني العباس من أولهم ، وذكر البيتين . والموفق  
هذا هو الذي قتل صاحب الزنج القائم بالبصرة ، بعد مواعمت كثيرة ومحاربات  
شديدة ، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدته الطويلة الجليلة :

أبا أحمدٍ أبلت أمةَ أحمدٍ بلاء سيرضاه ابنُ عمكَ أحمدُ  
حصرت عميدَ الزنج حتى تحاذلت قواه وأودى زاده المتزود  
فظلَّ - ولم تقتله - يلفظ نفسه وظلَّ - ولم تأسره - وهو مقيد  
فما رُمته حتى استقلَّ برأسه مكانَ قناةِ الظهر أسمرُ أجرد

(١) الأصل : موازٍ لهم . والتصويب من « زهر الآداب » للحصري القيرواني ،  
بتحقيق زكي مبارك ، ١٩٣/٣ .

(٢) في « زهر الآداب » للحصري القيرواني ( بتحقيق الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ،  
يبدون تاريخ ) ، ج ٣ ص ١٩٣ : خليفة .

(٣) في الأصل : اقتصر ، والتصويب من زهر الآداب ، نفس الجزء والصحيفة .

/ وكان صاحب الزنج يدعى الانتماء إلى بيت على رضى الله عنه ، ومنجاء [١٣١-ب]  
 نحا العبيديون بعده ، وينال من بنى العباس نيل هؤلاء منهم ، وفي ذلك يقول :  
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورٍ بِبَغْدَا دَ وَمَا قَدْ حَوَتْهُ مِنْ كُلِّ عَاصٍ  
 وَخُصُورٍ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا وَرِجَالٍ عَلَى الْمَعَاصِي حِرَاصٍ  
 لَسْتُ لَابْنَ الْفَوَاطِمِ الْغُرِّ إِنْ لَمْ أَجِلِ الْخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ الْعِرَاصِ  
 وقرأتُ في كتاب أبي الحسن علي بن بحر بن أبي السرور الروحي الإسكندري  
 أن المهدي عبيد الله سيّر وليّ عهده أبا القاسم ابنه إلى مصر دَفْعَتَيْنِ : الأولى في  
 سنة إحدى وثلاثمائة ، قال : وعاد في سنة اثنتين وثلاثمائة ، والثانية سنة ست  
 وثلاثمائة ، وحكى أنه ملك الإسكندرية فيهما .

وقال غيره : في أيام عبيد الله بَطَلَ الْحَجُّ وَأُخِذَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ ، أَخَذَهُ  
 الْقَرَامِطَةُ وَأَقَامَ عِنْدَهُم اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا ، وَقَتَلَ الْمُقْتَدِرَ بِبَغْدَادَ وَأَظْهَرَ  
 عَبِيدُ اللَّهِ عِنْدَمَا بَلَغَهُ الْخَبْرُ أَنَّ دَعَاةَ قَتَلُوهُ بِأَمْرِهِ ، وَجَلَسَ لِذَلِكَ مَجْلَسًا<sup>(١)</sup> .

وحكى الصولي أن الذي قتله رجل من أهل المغرب بربري يقال له عليّون  
 الصنّهاجي ، رماه بحربة — وهو على فرسه يُصْلِحُ بَيْنَ الْجُنْدِ — في ظهره فخرجت  
 من صدره ووقع ميتًا .

وكان « القائم » في حياة عبيد الله القائم بالأمور والد[ولة] ، فلما أفضت

(١) وردت نفس العبارة في تاريخ بنى عبيد لابن حمّاد ، فأكلتها منها (ص ١٧) .  
 وما قاله عبيد الله الشيعي لا يستبعد ، والخبر الذي يرويّه ابن الأبار عن الصولي يعدّ ذلك يقوى  
 هذا الاحتمال . ويقويه كذلك ما جاء في النجوم الزاهرة (٢٣٣/٣) : « وكان غالب عسكر  
 مؤنس ( القائد الذي خرج على المقتدر وقتل المقتدر وهو يحاربه ، وهو نفسه مؤنس الخادم )  
 من البربر ، فلما انكشف عن المقتدر أصحابه ، جاءه واحد من البربر فضربه من خلفه ضربة  
 سقط منها إلى الأرض ، فقال : ويلك ! أنا الخليفة ! ، فقال : أنت المطلوب ! وذبحه بالسيف ،  
 وشال رأسه على رمح . . . » .

الخليفة إليه ظهر أبو اليزيد<sup>(١)</sup> الخارجى مخلد بن كيداد عليه فعجز عن مقاومته ولم يستقل بمدافقته ، فتغلب على البلاد في جموع البربر الملتفة عليه إلى أن حصره في المهديّة - وأبو يزيد من بني يَفْرَن<sup>(٢)</sup> ، ويُقال إن الذي قُتل في فتنته أربعمائة ألف . وللإنذار به والتحدث بخروجه<sup>(٣)</sup> بنى « المهديّة » عبيدُ الله وجعلها دار مملكة وقرار سلطانه . وقال بعد تحصينها وعند انتقاله إليها : « اليوم أمنت على الفواطم »<sup>(٤)</sup> ، يريد حُرّمه .

وكان قيام أبي يزيد في آخر خلافة القائم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفي القائم يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من شوال سنة [ أربع وثلاثين وثلاثمائة ] .  
[ ١٣٢-١ ] وكان<sup>(٥)</sup> القائم ولّى ابنه إسماعيل عهدَه وفوضَ إليه أمره ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ، وأدخل عليه جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم فقال : « هذا مولاكم وولى عهدى والخليفة من بعدى ، وهو صاحب هذا الفاسق وقائله » ، يعنى أبا يزيد<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن حبان في تاريخه « المقتبس من أنباء أهل الأندلس » : وفي العشر الأواخر من ذى الحجة منها — يعنى سنة أربع وثلاثمائة — قدم محمد بن محمد ابن كليب من القيروان فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعى صاحب المهديّة

( ١ ) المشهور « أبو يزيد » بدون أداة التعريف .

( ٢ ) الأصل : يفرن ، والصواب بالفاء كما أثبتناه ، واسمه الكامل كما أورده ابن عذارى ( البيان المغرب ، ١/ ٢١٦ ) : مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كerman بن مخلد بن عثمان ابن وريعت بن تبقراسن ( في نسخة أخرى : تنفراس ) بن سميدان ابن يَفْرَن .

( ٣ ) يقال إن عبيد الله المهدي تنبأ بخروج أبي يزيد بن كيداد ، وأنه بنى « المهديّة » لتكون حصناً له ولدولته عند قيامه .

( ٤ ) المشهور أنه قال : « الآن أمنت على الفاطميات » .

( ٥ ) الأصل إن .

( ٦ ) وردت نفس العبارة عند ابن حماد في تاريخ بني عبيد ، ص ٢١ .



هلك فيها وهو محصور من قبل أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى النكارى المعروف بصاحب الحمار القائم عليه فى جموع البرابرة ، وأن شيعته قدّمت لإسماعيل ولده ، وأنه فارس شجاع أبى النفس ، أقدم على أبى يزيد وجموعه ولافاه بمدينة سوسة فانهزم أبو يزيد قدّامه إلى القبروان ثم إلى سبيبة . زاد غير ابن حيان : وما زال يتبعه إلى أن ظفر به حيّا وقيذاً بالجراح فمات منها وهو فى أسره ، فأمر به فسلخ وطيف به .

وإسماعيل المنصور هذا أبو الطاهر ، وابنه أبو تميم معد بن إسماعيل المعز لدين الله ، كانا خطيبين مفوهين ، ولم أقف لهما على شعر أكتبه فى هذا المجموع ، وسيأتى ذكرهما بعدُ إن شاء الله . وكانت خلافة القائم اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ، وتوفى وهو ابن خمس وخمسين سنة ومولده بسلمية .

## ١٠٨ — تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو علي

شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع ، وكان فيهم كابن المعتز فى بنى العباس غزارة علم ومعاناة أدب وحسن تشبيه وإبداع تخيل ، وكان يقتفى آثاره ، ويصوغ على مناحيه فى شعره أشعاره . ولآه أبوه المعز لدين الله معد بن إسماعيل المنصور عهد ، وبه كان يُكنى ، فخُلع برأى جوهر الصقلى لأنه كان عقيماً لا يولد له ، وولى أخوه عبد الله فتوفى فى حياة أبيه ، ثم ولى العهد أخوه أبو المنصور نزار العزيز بالله ، وانتقلا من إفريقية إلى مصر بانتقال أبيهما معد ابن إسماعيل فى آخر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وشعر تميم مدوّن ، ومحاسنه كثيرة ، وتصرفاته بديعة . ووقع منه فى كتابي

الحصري « زهر الآداب وثمر الألباب » و « نور الطّرف ونور الظّرف » كل نادر غريب .

[١٣٢-ب] / وكان تميم لما استقر بمصر وتوفي أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين [وثلاثمائة] وولى أخوه نزار يمدحه ويداريه طلباً للسلامة منه ، لأنه لم يكن يأمن عاديته<sup>(١)</sup> بسبب انخلائه عن العهد . وكذلك كان ابن المعتز يداري المعتضد والمكشفي ابنه ويمدحهما ويمدح عمه الموفق رغبة في التخلص منهما ، لأنه كان أهلاً للخلافة فعصمه الله بذلك من هؤلاء ، وقدر أن طاح على يدي المقتدر بعد أن بويع له من الليلة التي قبض عليه في صبيحتها ، ولقب بالراضى بالله — وقيل بالمنتصف بالله — وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين .

ومن شعر تميم في أخيه نزار :

يا ابن الوصي المرتضى ، يا ابن الإمام  
يا ابن المجتبي ، يا ابن النبي المرسل<sup>(٢)</sup>  
ما بال مالك ليس يرميه الندى  
إلا يوافق منه موضع مقتل ؟  
أنت المحصل<sup>(٣)</sup> في زمان أصبحت  
أملكه كالقول غير محصل  
لو لم تكن في جحفل لغدوت من  
عزّمت رأيك وحدها<sup>(٤)</sup> في جحفل  
عجباً لأبصارٍ تراك ولو درت  
مقدار فضلك كن عنك بمعزل

(١) في الهامش بخط مخالف : غائلته .

(٢) راجعت هذه الأبيات على أصل القصيدة كما وردت كاملة في « ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي » ( دار الكتب المصرية ) ١٩٥٧ ، ص ٣١١ وما بعدها ، وقد أورد ابن الأبار مختاراته منها على غير نسقها في القصيدة ، وهذا البيت والأربعة الأبيات التالية له وردت في آخر صفحة ٣١٣ وأول ٣١٤ .

(٣) المحصل ، كما ورد في الشروح الضافية المعلقة على متن الديوان : المميز ، وأصل التحصيل إظهار اللب من القشر وتمييزه عنه .

(٤) الديوان ، ص ٣١٤ : وحدها .

وهي قصيدة طويلة . ومنها في وصف فرس له يدعى السرور :

نعم المعين على الوغى في مازقٍ      لبست به الأبطال نفع القسطل<sup>(١)</sup>  
فرس أشم<sup>(٢)</sup> المنكبين مقابل<sup>(٣)</sup>      يرمي الجنادل من يديه بجندل  
تغنيك<sup>(٤)</sup> عن أنسابه أعضاؤه      حسناً ، وعن أخراه عتق الأول  
وكأنما مبيض أعلى وجهه      وجبينه ضوء الصباح المقبل  
وكان دفة [ سرجه ولجامه ]<sup>(٥)</sup>      [ شدا ]<sup>(٦)</sup> على ظهر السماك الأعزل  
ويسابق البرق [ الممار بخطوه ]<sup>(٧)</sup>      ويزيد فيه على الصبا والشمال  
صافي الصهيل كأن [ في ترجيعه ]<sup>(٨)</sup>      غرد يغني في النقيل الأول  
ذوقونس [ مالت نواحي عرفه ]<sup>(٩)</sup>      مستشف الأعلی رحيب الأسفل  
وكأنما فلق الصباح بوجهه      مالا بدا مترقاً في جدول

(١) هذا هو مطلع القصيدة كما وردت في الديوان ، ص ٣١١ ، وعنوانها هناك :  
وقال يمدح الخليفة العزيز بالله ، ويصف فرساً يدعى « السرور » .  
والمآزق : الموضع الضيق الذي يقتتل فيه ، والنقع : الغبار الساطع المرتفع ، والقسطل :  
الغبار في الحرب .

(٢) الأشم : العالي المرتفع .

(٣) مقابل : كريم النسب من أبويه ، أصيل في طرفيه .

(٤) الأصل : تغنيك ، والتصويب من الديوان ( ص ٣١١ ) .

(٥) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا : وكان ذو ، فصححته وأكلمته من الديوان

( ص ٣١٢ ) .

(٦) ساقطة في الأصل .

(٧) ساقطة في الأصل .

(٨) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا الكلمات الثلاث الأولى ، هكذا : صافي الصهيل

كأنه .

(٩) وهذا أيضاً لم يرد منه إلا الكلمتان الأوليان ، هكذا : ذو قوس .

والقونس : أعلى الرأس ومقدمه ، وقونس الفرس : ما بين أذنيه ، وهو عظم فاق

بينهما .

وله يمدح أخاه :

ألسنا [ بنى ] بنتِ النبيِّ الذى به  
 أليس أبونا خِـدَنَه ووصيَّه  
 فكُفُّوا بنى العباسِ عنا جَمَاحَكُم<sup>(١)</sup>  
 متى لم تكونوا دوننا وتُـسَـابِقُوا [ ١-١٣٣ ]  
 بَمَنْ نُصِرَ الإسلامُ فى يومِ خيبرِ  
 أليس علىَّ كان كاشفَ غَمِّها  
 ومَنْ فَرَجَ القَمَاءَ عن وجهِ أحمدِ  
 فبات على ظهر الفراش بديلَه  
 وكَم مثلاً من مَفخَرٍ وفضيلة  
 وإِن<sup>(٥)</sup> قلتم إنا جميعاً لهاشم  
 فلم<sup>(٧)</sup> تدفعون الحقَّ والحقُّ واضحٌ ؟  
 أمية كانت قبلكم فى اغتصابها  
 تخلَّص من زَبِغِ العمى الثَقَلانِ<sup>(١)</sup>  
 وفارسَه فى كلِّ يومٍ طِعَانِ  
 فقد طالما خُتِمَ بكلِّ مكانِ<sup>(٢)</sup>  
 بصالحنا<sup>(٤)</sup> فى كلِّ يومٍ رِهَانِ  
 ويومَ حُـنَينٍ والقنا مُتَدانِ ؟  
 وما كان للعباسِ ثمَّ يَدانِ  
 بمكةَ لما ربيعَ كلِّ جَنانِ  
 يقيمهُ ردى الأعداءِ غيرَ جَبانِ  
 حواها علىَّ وهو ليس بِوَانِ  
 فما تستوى<sup>(٦)</sup> فى الجُئَةِ العَضُدانِ  
 دنا منكم ما كان ليس بَدانِ  
 أحقَّ ، فبادت<sup>(٨)</sup> وارتدَّتْ بَهوانِ

( ١ ) اختار ابن الأبار هذه الأبيات من قصيدة تيم فى مدح أخيه العزيز مطلعها :

دعاني ، فليس الرأي ما تريان      نهاني الحجا من كل ما تصفان  
 وقد ورد المصراع الأول من هذا البيت فى الأصل محرّفاً هكذا :

\* ألسنا بيت النبي الذى به \*

( ٢ ) الأصل : جاكم .

( ٣ ) ورد هذا الشطر فى الديوان ، ص ٤٤٩ هكذا :

\* فقد آن أن نغزو بكل مكان \*

( ٤ ) الديوان : لصالحنا .

( ٥ ) الديوان ( ص ٤٥٠ ) : فإن .

( ٦ ) الديوان : يستوى .

( ٧ ) الديوان : فكم .

( ٨ ) الديوان : فبارت .

أَخَذْتُمْ بِغَضَبٍ إِرْتَنَّا وَصَعِدْتُمْ  
وَجِئْتُمْ بِأَسْمَاءٍ يَرُوقُ اسْتِمَاعُهَا  
رَشِيدٌ وَلَمْ يَرشُدْ ، وَهَادٍ وَمَاهِدِي  
وَمَعْتَصِمٌ لَمْ يَعْتَصِمْ بِالْهُدَى  
وَمَعْتَصِدٌ بِالْإِفْكِ خَابَ اعْتِصَادُهُ  
أَصْبَحُوا فَقَدَامَ « الْعَزِيزِ » الَّذِي لَهُ <sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ رَوَاقَ الْعِزِّ <sup>(٢)</sup> مِنْ نَوْرِ وَجْهِهِ  
أَغْرَتْ كَنْصَلَ السِّيفِ يُمِضِي اعْتِزَامَهُ  
كَأَنَّ الْمَنَايَا وَالْعَطَايَا نَوَافِلُ  
حَوِيَتْ أَبَا الْمَنْصُورِ كُلَّ فَضِيلَةٍ  
كَأَنَّكَ فِي سِيَاكِ إِذْ قَمْتَ خَاطِبًا  
شَبِيهُ نَبِيِّ اللَّهِ جَدِّكَ أَحْمَدٍ  
وَكَمْ عَلَوِيٍّ فَاطِمِيٍّ مَفْضَلٍ  
وَمَنْ يَدْعِي مِنْهُمْ مَكَانَكَ فِي الْعَلَا  
إِذَا مَا كَفَاكَ اللَّهُ مَا أَنْتَ مَتَّقِي  
وَأِنِّي لِسَهْمٌ مِنْ سَهَامِكَ مَا طَرْتُ <sup>(٤)</sup>  
/ أَرَاكَ بَعِينَ النِّصْحِ فِي كُلِّ حَالَةٍ

مُنَابَرٌ مَا كَانَتْ لَكُمْ بِأَمَانِي <sup>(١)</sup>  
وَالْفَاضِلُ حُسْنٌ مَا لَهْنٌ مَعَانٍ :  
لِحَقٍّ ، وَمَأْمُونٌ بِغَيْرِ أَمَانٍ  
وَمُقَدَّرٌ لَمْ يَقْتَدِرْ بَيَانٍ  
وَمُنْتَصِرٌ بِالْبَغْيِ غَيْرِ مَعَانٍ  
تَذَلُّ خُطُوبُ الدَّهْرِ بِمَعْدِ حِرَانٍ  
سَمَاءٌ بَدَأَ فِي أَفْقِهَا الْقَمَرَانِ  
بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانٍ  
يَجُودُ بِهَا مِنْ مُنْصَلٍّ وَبَنَانٍ  
وَأَمْسَكْتَهَا دُونَ الْوَرَى بَعْنَانٍ  
وَأَعْيُنُنَا طَرًّا إِلَيْكَ رَوَّانٍ  
وَيَشْبَهُ فَرْعُ الْبَانَةِ الْغُصْنَانِ  
وَلَكِنْهُمْ مَا فِيهِمْ لَكَ ثَانٍ  
فَقَدْ جَاءَ بِالْبَهْتَانِ وَالْهَذْيَانِ  
شَفَانِي مِمَّا أَنْتَقَى وَكَفَانِي  
عَلَى كُلِّ مَنْ عَادَاكَ مُسَمَّ سِفَانٍ  
عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ <sup>(٥)</sup> اعْتَقَدْتَ تَرَانِي [١٢٣-٧]

(١) الأصل : بأمان ، والتصويب من الديوان .

(٢) الديوان [ الذي ] به .

(٣) الديوان : الملك .

(٤) الأصل : قاطر ، والتصويب من الديوان ، ص ٤٥١ .

(٥) الديوان : فيك .

ومن ذا الذى يراك رعيًا تودُّه<sup>(١)</sup> على كل غيثٍ أو بكل عيان<sup>(٢)</sup>  
أخ وولى<sup>٣</sup> مشفق وابنٌ والدٍ شفيقٌ ومُدَّاحٌ بكل لسان<sup>(٣)</sup>  
وكان العزيز يُولى إكرامه ويُجزل عطاءه ويعامله بما قتله<sup>(٤)</sup> علماً من صدق  
وده وإخلاصه فى مدحه .

ويحكى أنه تنزه إلى « بركة الحبش » فلما قرب من قصور أخيه تميم سأل  
عنه ، فأسرع إليه من عرفه ، فخرج راجلاً حافياً حتى لقيه ، فسلم عليه بالخلافة ،  
وقال : « يا أمير المؤمنين ، قد وجبت على عبدك الضيافة » ، قال : « نعم » ،  
ودخل إلى بستانه وقد أمر بجَنِينَةٍ من الجنائب التى كانت بين يديه ، وأقسم  
على تميم أن يركبها ويسيره ، فلما توسط البستان نظر إلى ثمر يلوح الذهب عليه ،  
فتمعجب منه واستطرفه ، ودنا من شجرة فأخذ منها ليمونة واحدة ، فقرأها وإذا  
عليها مكتوبٌ بالذهب :

أنا الليمونُ قد غُذيتُ عروقٍ ببرِدِ الماءِ فى حرزٍ حريرِ  
حَسُنْتُ فليس يَحْسُنُ أن يُحَيَّى بأمثالى سوى المالكِ العزيزِ

فجعلها فى كفه وقال : هـذه ضيافتى عندك . وانصرف إلى قصره فبعث إلى  
أبي جعفر بن مهذب<sup>(٥)</sup> صاحب بيت المال ، فقال له : « ما عندك من الدنانير  
ضرب هذه السنة ؟ » — وكان ذلك فى أولها — فقال له : « مائة ألف وستون

(١) الديوان : عنى بوده .

(٢) فى الأصل : عيان .

(٣) فى الأصل : لسان .

(٤) كذا فى الأصل ، والمعنى مفهوم رغم نبو كلمة « قتل » هنا ، إذا صحت قرأتى لها .

(٥) ورد الاسم فى الأصل : جعفر بن مغرب ، وجعلها مولر : قرهب . وقد غلب

على ظنى أن المراد هنا هو أبو جعفر بن حسين (أو أبو جعفر حسين) بن مهذب ، وقد ذكره  
المقرئزى (الخط ١٦٤/٢) واتماظ الحنفا ، ص ١٣٩) ووصفه بأنه صاحب بيت المال أيام  
المعز . والغالب أنه استمر على هذه الوظيفة أيام ابنه العزيز .

ألفاً » ، فأمره بحملها من ساعته إلى الأمير تميم مع راشد العزيزي ، وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على مؤوتتك . فقَبَّلَ الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة حسنة يمدحه فيها ويشكره .

وكانت أيام العزيز بمصر أعياداً ، رفاهية ودعةً وتمهداً . فكان تميم إذا جاء الليل أمر مائتي فارس من عبيده بحراسة الناس الخارجين في أيام النيروز والميلاد والمهرجان وعيد الشّعثانيين ، وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا ينحون فيها على أموالهم رغبةً ويخرجون إلى بركة الحبش منزهين ، فيضربون عليها المضارب الجليلة والسراقات / والقباب ، ومنهم من يخرج بالقيان والمُسَمِّعات والمُحَدَّرَات ، [١٣٤-١] وخيلُ تميم تحرسهم في كل ليلة إلى أن ينصرفوا ويركب تميم في عُشاري<sup>(١)</sup> تتبعه أربعة زوارق وأكثر ، مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً ، فإن كانت الليالي مقمرة وإلا كان معه من الشمع ما يعود به الليل نهاراً ، فإذا سر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً أسرهم بإعادته ، وسألهم عما ينقصهم فيعطيه ، وربما رغبوا إليه أن يُسمعهم من غنائهم ، فيقف عليهم ويأمر من يغني لهم ، وينتقل عنهم إلى غيرهم فيفعل هذا عامةً ليله ، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه على هذه البركة ، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضي هذه الأيام ويفترق الناس<sup>(٢)</sup> .

ولتميم يفخر :

(١) العشارى طراز من السفن متوسطة الحجم كان يستعمل في الأنهار والبحار للرحلات الصغيرة . وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة ، وقد ورد ذكرها عند المقرئزي والتويرى وابن جبير وابن بطوطة وعبد اللطيف البغدادي ، أى أنها كانت معروفة في الشرق والغرب على السواء ، وعن العرب أخذها الأوروبيون ، فسميت في إيطاليا باسمها العربي *usciera* (أوشيري) وفي إسبانيا *esquife de nave* . ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تتسع ل عشرة أشخاص .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس : ١٣٠/٢ .

(٢) روى هذا الخبر بنصه المقرئزي في الخطط : ١٤٥/٣ .

لا تَبْطُرُ السَّراةَ لى خَلْقاً ولا أَغْدُو عَلَى ضرائِها مَتَخَشَعاً  
لى فى المِشارِقِ والمِغارِبِ جَوْلَةً يَغْدُو بِها قَلْبُ الزَّمانِ مَصَدَّعاً  
وله :

لَيْسَ لى المَعالى أَننى أَنا رَبُّها وَأنى إِذا مارُمْتُ صَباباً تيسِراً  
غَذَنْتى - مَذ كَنْتى - النُّبوءَةُ والهُدى فَحَسبى أَن كانا هُما لى عُنْصِراً  
وله :

وإِنى لَأَلقى كُلَّ خُطْبٍ بِمِجَّةٍ يَهونُ عَليها مِنْهُ ما يَتَصَعَّبُ  
وَأَسْتَصحبُ الأَحوالَ فى كُلِّ موطنٍ وَيُمزِجُ لى السِّمَّ الزَّعافُ فَأُشربُ  
فَما الحُرُّ إِلا مَن تَدَرَّعَ حَزَمَهُ وَلم يَكْ إِلا بِالقَنا يَتَنَكَّبُ<sup>(١)</sup>  
خَليلٌ ما فى أَكُوسِ الرِّاحِ راحتى ولا فى المِثانى لَذتى حين تُضربُ<sup>(٢)</sup>  
ولكننى للمِدحِ<sup>(٣)</sup> أَرِتاحُ والعَلا وللجودِ والإِعطاءِ أَصَبو وأُطربُ  
وَمَن بَينَ جَنبيهِ كَنفِسى وَهَمِّتى يُرَجِّى لَه<sup>(٤)</sup> فَوَقَّ الكَواكِبِ مَرَكَبُ

وله فى التَّشبيهِ :

عَلَّانى بِها فَقَد أَقبَلُ الِيبَ لُ كُلونِ الصَّدودِ مِنْ بَعدِ وَصلِ

(١) الأَصل : يَتَكسَب ، والتَّصوِيبُ مِنْ يَتِيمةِ الدَّهْرِ لِلشَّعالِبي ، ٤٢٧/١ . وَقَد وَرَدَتْ فى الدِّيوانِ أَيضاً : يَتَكسَب (ص ٤١) .

(٢) كَذَا أَيضاً فى مَخْطوطَينِ ما اعْتَمَدَ عَليه فى نَشْرِ الدِّيوانِ ، وفى الباقى : تُطَرِّبُ ، وَقَد أَخَذَ المَحْقِقونَ هَذِهِ الرِّوايَةَ الأَخيرةَ .

(٣) الدِّيوانِ (ص ٤٢) : للمِجد ، وَهُوَ أَجود .

(٤) الدِّيوانِ : يَروحُ لَه ، وَقَد وَضَعُها المَحْقِقونَ بَينَ قَوسَينِ ، لِلدَّلالَةِ عَلى أَنَّهُم لا يَرْتاحونَ لِهَذِهِ القِراءةِ .



وانجلى الغيمُ بعد ما أضحك الروضَ بكاء السحابِ فيه بوبل  
عن هلال كصولجان نُضارٍ في سماء كأنها جامٌ ذبل<sup>(١)</sup>

[١٣٤-٥]

/وله :

[ رب صفراء عللتنى ] بصفراء ، وجنح الظلام مُرخى الإزار<sup>(٢)</sup>  
وكانَّ الدُّجى غداً تُرُ شعراً وكان النجوم فيها مدارى<sup>(٣)</sup>

وله :

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تبدَّى في يد الأفق مثلَ نصف سوارٍ

وله :

كان السحاب الغر أصبحن أكوساً لنا ، وكان الراح فيها سنا البرق  
إلى أن رأيتُ النجم<sup>(٤)</sup> وهو مغربٌ وأقبل راياتُ الصباح من الشرق  
كان سواد الليل والصبح طالعٌ بقايا مجال الكحل في الأعين الزرق

وله :

ما ترى الليل كيف رقَّ دُجَاهُ وبدا طيلسانُهُ ينجابُ

(١) الذبل (كما ورد في شروح الديوان ، ص ٣٣٨) عظام ظهر دابة بحرية يتخذ منها

الأسورة والأمشاط والخواتم وغيرها .

(٢) لم يرد من الشطر الأول من هذا البيت إلا «بسى صفر» ، فأكلته وقومته من الديوان

(ص ١٨٣) ، وقد ورد الشطر الثاني من هذا البيت هكذا :

\* ء وجنح الظلام جون الإزار \*

وفي نسخة أخرى : مُرخى الإزار .

(٣) ورد لفظ «مدارى» في الأصل دون ياء ، وقد قومته من الديوان (ص ١٨٣) .

وورد في هامش الديوان المطبوع : المدارى جمع مدرأة ، وهى المشط .

والبيتان من قصيدة في الغزل ، وقد ترك ابن الأبار بين البيت الأول والبيت الثانى بيتين  
ورداً فى الديوان .

(٤) الأصل : النجوم ، والتصويب من الديوان .

وكانَّ الصِّباحَ في الأفقِ بازٌ      والدجى بين مخليبه غرابٌ  
وله :

ألا سَقَّنيها<sup>(١)</sup> قهوةً ذهبيةً      فقد ألسَ الآفاقَ جُنحُ الدجى دَعَجٌ  
كانَ الثريا والظلامُ بِحَقِّها<sup>(٢)</sup>      فصوصُ لجينٍ قد أحاط بها سَبَجٌ  
كانَ نجومَ الليلِ تحتَ سوادهِ      - إذا جَنَّ - زنجيٌ تبسمُ عن فَلَجٍ  
وله :

كانَ كؤوسَ الشَّرْبِ وهى دوائرٌ      قطائعُ ماءِ جامدٍ تحملُ اللهبُ  
فبتنا نَسَقِي الشمسَ والليلُ راكدٌ      ونقربُ من بدرِ السماءِ وما قُربُ  
وقد حجبَ الغيمُ الهلالَ كأنه      ستارةُ شَرَبٍ<sup>(٣)</sup> خلفها وجهُ مَنْ نُحِبُ  
كانَ الثريا تحتَ حُلْكةٍ ليلِها      مداهنُ بَلَوْرٍ على الأفقِ تضطربُ  
وله :

خذها إليك - ودع لوى - مُشْعِشَةً      من كَفٍّ أحوى<sup>(٤)</sup> أسيلِ الخلدِ مذهبِ  
وانظر إلى الليلِ كالزنجى منهزماً      والصبحُ في إثرِهِ يعدو بأشهبِ  
والبدرُ منتصفٍ<sup>(٥)</sup> ما بين أنجمِ      كأنه مَلِكٌ في صدرِ موكبِ  
وله :

أوفى فأشرقَتِ البـلادُ لنورهِ      حُسنًا وأرسلَ بالشفاءِ رسولاً<sup>(٦)</sup>

(١) الديوان (ص ٨٦) : ألا سَقَّني .

(٢) الديوان (ص ٨٦) : يحقها .

(٣) الديوان (ص ٦٢) : سِرْبٍ ، وشرحها الناشرون ، هامش ه ، هكذا : ويعنى

بها جماعة .

(٤) الديوان (ص ٧١) : ألقى .

(٥) الديوان (ص ٧١) . منتصب .

(٦) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

/ ما كنتُ أحسبُ أنَّ بدرأَ قبلَها نقلَ الخطي كرمًا وعادَ عليلاً [١-١٣٥]  
يا علةً زارَ الحبيبُ من أجْلِهِ ————— اللهُ أنتِ ، لقد شَفَّيتِ غليلاً

وله ، وهو من مختار شعره في النسب :

أأعذلُ قلبي ؟ وهو لي غيرُ عاذِلٍ وأعصى غرامى وهو ما بين أضلعي<sup>(١)</sup>  
ومن لي بصبرٍ أستزِيلُ به الجوى ولا<sup>(٢)</sup> جَلَدَى طَوْعى ولا كَبْدَى مَعى  
نَأَوَا والأسى عَنِ بِهِمْ غيرُ مُنْتَأٍ وودعتُهم والقلبُ غيرُ مودَّعٍ<sup>(٣)</sup>  
وله :

يا مُعطِشى من ————— وصالِ كُنتِ وارِدَه  
هل فيك لي رحمة إن صِحتُ : « واعطَشى<sup>(٤)</sup> ! » ؟  
أنتَ الحياةُ التى تحيا النفوسُ بها حقًّا فإن فقدتْكَ النفسُ لم تَعِشِ  
توفى تيم في خلافة أخيه العزيز سنة أربع وسبعين ، وتوفى العزيز سنة ست  
وثمانين وثلاثمائة<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) الديوان ، ص ٢٦٧ :

أأعذر قلبي وهو لي غير عاذر أم اعصى غرامى ، وهو ما بين أضلعي

( ٢ ) الديوان : وما .

( ٣ ) الديوان : مودعى .

( ٤ ) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

( ٥ ) قال ابن خلكان في الوفيات ( ٢٧٠/١ ) إنه « توفى في ذى القعدة سنة ٣٧٤ ، وزاد العتقى في تاريخه أنه توفى يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث خلّت من الشهر المذكور ، وأن أخاه العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه في بستانه ، وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوباً . . وقال عبد الملك الهمداني في كتابه الذى سماه « المعارف المتأخرة » إنه توفى سنة ٣٧٥ والله أعلم . وقال غيرهما إنه ولد سنة ٣٣٧ » .

## ١٠٩ — خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس

مولده بطرابلس وهو من أبناء جندها ، وكان في أول أمره يطلب العلم والأدب ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد ، إلى أن خالف أهل طرابلس بلده سنة تسع وتسعين ومائتين ، فكان هو المتولى لعدابهم وأخذ أموالهم ، وذلك في أول دولة عبيد الله المهدي . واتبع القائم أبا القاسم محمد بن عبيد الله المهدي في مسيره إلى محاربة أهل مصر ، وهو إذ ذاك ولي عهد فلقه بالإسكندرية ، وكان المتولى لجباية الأموال والنظر فيها ، وانصرف إلى المهدي فقدم على خيل إفريقية ، وكان أمر جندها إليه مع النظر في البحر .

وخرج إلى صقلية والياً على أهلها فأهلكهم جوعاً وقتلاً ، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم . وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخراً : « المكث يقول إني قتلت وأهلك ألف ألف ، والمقل يقول ستائة ألف » . وكان خروجه إليها في أول دولة القائم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

وقد كان المهدي عبيد الله سخط عليه في آخر دولته بخاف ، ولما توفي أمته القائم واستعمله ، فجار أشد الجور ، « ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ! » <sup>(١)</sup> .

[١٣٥-ب] ثم إن القائم / صرفه عن صقلية واستقدمه منها ، وقدمه لحرب أبي يزيد الخارجي ، وأخرجه إلى مدينة القيروان في ألف فارس من وجوه العبيد ، فأساء معاملتهم حتى أضغنهم ، ودبروا عليه . وقصده أبو زيد فدخل القيروان وحصره بداره إلى أن أخذه وأصحابه فاعتقلهم ثم قتلهم جميعاً بباب أبي الربيع وأمر بهم فصلبوا .

(١) حديث نبوي شريف ، والحور هو النقصان ، والكور الزيادة .

ومن شعره يمدح المهدي ويناقض مروان بن أبي حفصة :

قف بال منازل واسألن أطلالها      ماذا يضرُّك إن أردت سؤالها ؟  
هل أنت أول من بكى في دمنة      درست وغيَّرتِ الحوادثُ حالها ؟  
يا دارَ زينب هل تردُّين البكا      عن مقلَّةٍ سَفَحَتْ عليكِ سجالها ؟  
بُدِّلَتْ بالإنسِ الخرائدُ كاللُحَى      وحشَ الفلاة ظبَاءُها ورثالها  
ولقد عهدتُ لآلِ زينبِ حَبْرَةً      فيها ، ودنيا أقبلت إقبالها  
بيضاء ناعمةً يحول وشاحُها      وتهزُّ دقةً خصرها أكفالها  
ولها قوائمٌ كالقضيب وفوقه      جَعَدٌ يَصْفَحُ كَنَمه خَلْخالها  
وكانَ في فيها بُعِيدَ رقادها      عسلاً أصاب من السماء زُلالها  
ولقد عصيتُ عواذلي في حبها      والنفسُ تعصى في الهوى عُدالها  
ومنها :

صلى الإلهُ على النبيِّ محمدٍ      وعلى الإمامِ وزاده أمثالها  
إن الإمامَ أقام سنةَ جدِّه      للمسلمين كما حَذَّوَتْ نِعالها  
أحيا شرائعها وقوِّمَ كُتُبها      وفروضها وحرامها وحلالها  
وهدى به اللهُ البريةَ بعدما      طلب الغواةُ الظالمون ضلالها  
إن الخلافةَ يا ابنَ بنتِ محمدٍ      حطَّتْ إليك عن النبيِّ رحالها  
وله وقد اقتصد القائلُ :

قل للطبيب الذي أوصى ليفصده      رفقا ولا زلتَ بالإسعاد ترتفقُ  
/ كيف استطعتَ ترى بالله طاعته      ومن سفا نوره ما يُشرق الأفقُ ؟  
أم كيف تُخرج من كفِّ نَقَبَّأها      دما ومنها بحارُ الجودِ تندفقُ ؟

إني لأعجبُ من كفٍ مَسَسَتْ بها خَيْرَ الوري كيفَ لم يَنْبُتْ بها الْوَرِقُ  
وله عند توديع القائم في خروجه إلى القيروان وكتب بها إليه :  
وما ودعتُ خَيْرَ الناسِ طَرًّا ولا فارقتهُ عن طيبِ نفسٍ  
وكيف تطيبُ نفسى عن حياتى أفارقها ، وعن قمرى وشمسى ؟  
ولكننى طلبتُ رضاهُ جَهْدِي وعَفْوَ الله يومَ حلولِ رمسى  
فعاش مملَكًا ملاح شمسٍ على الثَّقَلَيْنِ من جنِّ وإنسٍ  
وبعد وروده القيروان كان من قتله وصلبه ما كان ، وما أفضع<sup>(١)</sup> مصرع  
من احتقب الاثم والعدوان !

## ١١٠ - جعفر بن فلاح<sup>(٢)</sup> الكتامي ، أبو الفضل

هذا من رجال الدولة العبيدية ، ولم يقع إلى من خبره ما أذكره هاهنا سوى  
امتداح أبي القاسم بن هانىء إياه ، وحسبه بذلك نباهة وكفاه ، وذَكَر ابنه  
إبراهيمَ معه في مدحه . وفي بعض النسخ التي وقفت عليها من شعر ابن هانىء

(١) الأصل : ولما أفضع .

(٢) الأصل : بَلَّاح . وجعفر بن فلاح بن أبي مرزوق قائد مشهور من قواد الدولة  
الفاطمية في عهدها الأول ، وكان يعمل أولات تحت إمرة جوهر الصقل ، وقد بعثه هذا إلى الشام  
ليقتضى على بقايا الإخشيديين ، وكان الحسن بن طفيج قد تحصن بالرملة وملكها ، فسار إليه  
جعفر بن فلاح وهزمه في ذى القعدة ٣٥٨ / سبتمبر ٩٦٩ وأسره وبعث به إلى القسطنطينية ، حيث  
أرسل إلى المغرب ومات هناك سنة ٩٨٢ / ٣٧١ . وأخذ جعفر يستعد للمسير إلى دمشق ، فشعر  
الحسن بن أحمد القرمطى بأن الفاطميين خطر يهدد سلطانه ، خاصة وقد سار جعفر بن فلاح  
إلى طبرية ثم دمشق ودخلها سنة ٣٥٩ ، وأسقط الدعوة للخليفة العباسي ، وخطب للمعز  
الفاطمي ، فسار إليه القرمطى والتقى به في ٦ ذى القعدة ٣٦٠ / سبتمبر ٩٧١ فأمر جعفر بقتله . =

أن المدوح إبراهيم بن جعفر لا أبوه جعفر ، ووجدتُ منسوباً إليه :  
ويومٍ كأنَّ الغيمَ تحتَ سمانهٍ      حكي مقلتي سحاً ولم يَحْكِنِي ضنّاً  
كأنَّ الغوادي بالثاني نضحنهُ      والبسنه ثوباً من الخَزْ أدكنا

## ١١١ - يحيى بن على بن حمدون الجذامي بن الأندلسي<sup>(١)</sup>

وله ولأبيه ولأخيه جعفر بن على رئاسة معروفة ونباهة في أيام العبيدية مذكورة ، وعلى بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها ابنه جعفر فعظم شأنه .

ولأبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي فيه وفي أخيه يحيى مدائح شهيرة ، وكان<sup>(٢)</sup> لما خرج من الأندلس إلى بني علي هؤلاء وقع ، وإليهم قصد ، / إلى [١٣٦-ب] أن أعلّقوه بالمعز معدّ بن إسماعيل فاستفرغ فيه شعره وقصر عليه مدحه<sup>(٣)</sup> .

= وجعفر من زعماء الكتائبين ورجالهم الذين شادوا بناء الدولة الفاطمية . وكان ابنه أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح من كبار وزراء الدولة الفاطمية بعد ذلك ، وكان يلقب بوزير الوزراء ذي الرياستين ، الأمر المظفر قطب الدولة .

المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ( بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ) ص ١٥٥ ( هامش ٥ ) - ١٦٧ - ١٨٠ - ٢٤٨ - ٢٤٩ .

ابن منجب الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ( القاهرة ١٩٢٤ ) ص ٣٠ - ٣٢ . البيان المغرب لابن عذارى : ٢٣١/١ .

( ١ ) الأخبار التي يوردها ابن الأبار هنا تكمل ما لدينا من أخبار بيت بني حمدون ، ومعظمها عند ابن عذارى ( البيان المغرب ، ٢/٢٤٢ - ٢٤٤ ) وابن الخطيب ( أعمال الأعلام ، ٦٠ - ٦٢ ) . وقد نقل ابن عذارى عن محمد بن يوسف الوراق ( ص ٢٤٣ ) نسبهم وطرفاً من أوليتهم فقال إن جدهم الأكبر عبد الحميد كان الداخل إلى الأندلس من الشام ، ونزل في البيرة ، ثم انتقل حفيده حمدون ، جد جعفر ويحيى ، إلى بجاية ودخل في دعوة الشيعة . انظر بقية الخبر هناك .

( ٢ ) المراد هنا ابن هاني الشاعر .

( ٣ ) هذه الفقرة ظاهر فيها أسلوب ابن حيان مؤرخ الأندلس .

وهرب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن مذاد الصنهاجي ، ولحق به أخوه يحيى فأقاما مكرمين عند الحَكَم المستنصر بالله إلى أن سُعي بهما إليه ، فسخط عليهما وأمر بإزاعهما ومَن معهما رَجَالَةً من منازلهم إلى المُطبق بمدينة الزهراء ، والنداء عليهم بما كفروا من النعمة . وظهر من شهامة يحيى وتجلده في هذه الحنة ما شُهر ، فكان ينادى على نفسه معارضا للمنادي : « لا ، بل جزاء مَن آثر بني مروان على وَلَدِ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ونُصِبَت في الوقت إلى مَعَدٍّ بن إسماعيل وهو في القيروان فأرَضَتْهُ وعَطَفَتْهُ على آل علي بن الأندلسي .

ثم إن الحَكَم عفا عنهما بسعي عبد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البُلُوْطِيّ صاحب خطة الرّد وتلطُّفه في الاستشفاع بهشام بن الحَكَم فيهما ، وهو إذ ذاك طفل ، فأطلقا من مُعتقلهما ، وتراجعت حالهما .

وحَظِيَ جعفر في أيام هشامٍ عند المنصور محمد بن أبي عامر — بعد وفاة الحَكَم — وخصَّ به ، ثم قُتل في طريقه إلى قصر العقاب<sup>(١)</sup> حسبا يُذكر في آخر هذا المجموع بحول الله ، فرجَم الناس فيه الظنون ، وأظهر ابنُ أبي عامر الحزن عليه وهو المتهم به .

(١) عندما أراد المنصور بن أبي عامر التخلص من غالب الناصري قائد الثغر وشيخ الموال ، فكر في استقدام جعفر وعلى ابني حمدون ، وهما من موالى بني أمية ، وكانا يحكان منطقة طنجة وسبتة باسم هشام المؤيد الأموي ، فأخذ المنصور يستحثهما على المحي إلى جعفر منهما ، تاركا شُؤون العدو بيد أخيه يحيى . وأنزله المنصور عند مجيئه في قصر العقاب بقرطبة « بعد أن أعد له ما يصلح له فيه » ، وكان جعفر قد أتى بقوة من مقاتلة البربر تبلغ ٦٠٠ فارس ، فاشتد بهم ساعد محمد بن أبي عامر على غالب . وبعد أن تخلص المنصور من غالب ، دبر الخلاص من جعفر بن حمدون ، فدعاه إلى وليمة وقدم له الشراب فأفرط فيه ، وأرصد له من قتلوه وهو عائد بالليل إلى منزله في قصر العقاب سنة ٣٧٤ ، وقد تظاهر المنصور بالحزن عليه .



ودعا يحيى بن علي أخاه وألماه<sup>(١)</sup> إلى أن قال لابن أبي عامر أولَ لَقِيَةٍ  
 لَقِيَةٍ غِبَّ قَتْلَ أَخِيهِ : « قد علمنا مَنْ قَتَلَهُ ، وهذا جزاءِ مثله ، ولا مقامَ بأرضك  
 بعده » ، فقال له ابنُ أبي عامر : « لولا أن أصدَّقَ ظَنَّنكَ في أخيك لألحقتك به ،  
 فاخرج إلى لعنة الله غيرَ مكلوء ولا مصاحب ! » ووكّل به من أزعجه فخرج إلى  
 العُدوة . وسبق الإخبار عنه حذراً من بَلَقَيْنَ بن زيري بن مناد فصار إلى  
 سجلماسة ثم ركب الصحراء إلى مصر ، فقبّله العزيز بالله أبو المنصور نزار ،  
 وهو يومئذ الخليفة بها ، وأدخله في يوم زينة ، ثم جعل يعترف بالزلة ، ويسأل  
 الصفح والإقالة ، فقال له نزار : « كَلِمَتُكَ بالزهراء قد أتت على ذلك كله »

وعلم بَلَقَيْنَ — واسمه يوسف<sup>(٢)</sup> ، ويكنّى أبا الفتوح — نفوذَ يحيى إلى مصر  
 فقامت عليه القيامة ، وعثر على ابن له عامر<sup>(٣)</sup> تخلف عنه بالمغرب فقبض عليه

(١) العبارة هنا مضطربة . وقد ورد اللفظ هنا : وله ، فقومته على هذا النحو للسياق .  
 وواضح أن هنا شيئاً ساقطاً ، والمعنى مفهوم على أى حال . فإن المنصور دعا على بن حمدون  
 ليطمئن من ناحيته ، وكان يخشى ثورته عليه وانضمامه إلى العبيديين بعد أن قتل أخاه . ولكن  
 يحيى ظل على إيمانه بأن المنصور قتل أخاه ، فجعل يلمح بذلك . وكان يحيى أكبر من أخيه  
 وأعظم ، وقد سبق أن وفد على الخليفة المستنصر سنة ٣٦٠ خالفاً طاعة العبيديين وقادماً إليه بطاعة  
 زناتة — وكانوا أتباعه — فاستقبله الحكم استقبالا عظيماً وولاه العُدوة هو وأخاه جعفر ، فظلا  
 هناك إلى أن استعان بهما المنصور ، فقدم عليه جعفر منهما .

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) هو بلقين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي القائد المعروف الذي استخلفه  
 الفاطميون على المغرب عند انتقال المعز إلى مصر ، وهو منشيء دولة بني زيري في إفريقية .  
 انظر عنه : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/٢٢٨ وما بعدها .

ومن الطبيعي أن يفضب بلقين عندما يسمع أن العزيز نزار قد استقبل خصمه يحيى بن علي  
 ابن حمدون زعيم زناتة وعدو الصنهاجيين وأنه عفا عنه وأكرمه بعد الذي كان منه .

(٣) لفظ عامر هنا غير مفهوم ، وقد يكون اسم ابن جعفر بن علي بن حمدون . وقد تكون

صححة اللفظ « غامر » بمعنى مغمور .

وقتله . ولم تطل به <sup>(١)</sup> المسرة بمد قتل جعفر حتى فاجأته المنية ، فهلك في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

[١-١٣٧] ومن شعر يحيى بن علي ، وأنشده أبو عامر السالمى في كتاب التشبيهات / من تأليفه قوله يصف فرساً :

ومتّمّاً في خَلْقِهِ لم يُنْخَسِ عارى الأديم من الملاحه مُكْتَسِ  
صَلَّتْ إليه الخيلُ فهو إمامها وهو المقدمُ عندها في الأنفسِ  
وكانَ لونَ أديمه من سَوَسَنَ وكانَ لونَ لجامه من نَرْجِسِ

تم بعون الله

الجزء الأول من كتاب

الحلة السـيـراء

وبليه الجزء الثانى وأوله ترجمة :

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المستعين بالله ،  
أبى أيوب هـ

(١) أى بأبى الفتوح يوسف (بلقين) بن زيرى ، فقد توفى في موضع يسمى واركشفو في المغرب في ٢١ ذى الحجة ٣٧٠ (ابن عذارى ، ١/٢٣٩) .

## فهرس الجزء الأول

صفحة

...	مقدمة الكتاب
٣	أول النص

### المائة الأولى من الهجرة

١٣	١ - عمرو بن العاصي ، أبو عبد الله
١٧	٢ - ابنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد
٢٠	٣ - عبد الله بن عباس ، أبو العباس
٢٤	٤ - عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب
٢٨	٥ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك
٢٩	٦ - ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

### المائة الثانية

٣٣	٧ - أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
٣٥	٨ - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
٤٢	٩ - ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
٤٣	١٠ - ابنه الحكم بن هشام المعروف بالريضي ، أبو العاصي
٥٠	١١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٥٣	١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود
٥٦	١٣ - عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان - وقيل أبو الوليد
٥٨	١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم
٥٩	١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو سليمان
٦١	١٦ - الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، أبو الخطار
٦٧	١٧ - الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الصبائي ، أبو جوشن
٦٨	١٨ - الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي ، أبو جعفر
٧٢	١٩ - الحسن بن حرب الكندي

صفحة

- ٨٢ - محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ،  
 أبو عبد الله ... .. ٢١٢
- ٨٣ - الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ... .. ٢١٣
- ٨٤ - عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ... .. ٢١٤
- ٨٥ - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي ،  
 أبو بكر - الملقب بالحجر ... .. ٢١٥
- ٨٦ - مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، أبو عبد الملك ... .. ٢٢٠
- ٨٧ - إبراهيم بن إدريس الحنفي ... .. ٢٢٦
- ٨٨ - أحمد بن محمد بن أضحى الحمداني ... .. ٢٢٨
- ٨٩ - لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى ... .. ٢٣٠
- ٩٠ - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى ... .. ٢٣٢
- ٩١ - أحمد بن عبد الملك بن شهيد الوزير ، أبو عمر ... .. ٢٣٧
- ٩٣ - ابنه عبد الملك بن أحمد الوزير ، أبو مروان ... .. ٢٣٩
- ٩٣ - عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الوزير ، أبو وهب ... .. ٢٤٠
- ٩٤ - أخوه غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام ... .. ٢٤٤
- ٩٥ - جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة الوزير ، أبو الخزم ... .. ٢٤٥
- ٩٦ - أخوه محمد بن عبيد الله ... .. ٢٥٢
- ٩٧ - عبد الرحمن بن بدر بن أحمد ... .. ٢٥٢
- ٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد ، أبو بكر ... .. ٢٥٤
- ٩٩ - عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب ... .. ٢٥٦
- ١٠٠ - جعفر بن عثمان المصحقى الحاجب الوزير ، أبو الحسن ... .. ٢٥٧
- ١٠١ - محمد بن عبد الله بن أبي عامر الحاجب ، المنصور أبو عامر ... .. ٢٦٨
- ١٠٢ - عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص ... .. ٢٧٧
- ١٠٣ - زياد بن أفلح ، مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد ... .. ٢٧٨
- ١٠٤ - فرحون بن عبد الله ، يعرف بابن الوبلة ... .. ٢٨٠
- ١٠٥ - علي بن وداعة بن عبد الودود السلمى ، أبو الحسن ... .. ٢٨٢
- ١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى ... .. ٢٨٤
- ١٠٧ - محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله ... .. ٢٨٥
- ١٠٨ - تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو على ... .. ٢٩١
- ١٠٩ - خليل بن إسماعيل بن ورد ، أبو العباس ... .. ٣٠٢
- ١١٠ - جعفر بن فلاح الكتانى ، أبو الفضل ... .. ٣٠٤
- ١١١ - يحيى بن على بن حمدون الجذائى بن الأندلسى ... .. ٣٠٥



**IBN AL - ABBĀR**

***Al - Hulla al - Siyarā***

**Edition Critique**

***par***

***HUSSAIN MONÉS***

***Professeur à l'Université du Caire,***

***Directeur de l'Institut d'Etudes Islamiques de Madrid.***

**Volume I**

***Editeur***

---

**La Société Arabe de Publications, 47 Rue Naguib al Riḥānī.**

**Le Caire, 1963.**